



EUROPEAN
INSTITUTE
OF PEACE



مبادرة دفاع الحقوقية
Rights Defense Initiative

طغيان الشر

إرث داعش شمال شرق سورية



هذا التقرير هو ثمرة جهد تعاوني بين المعهد الأوروبي للسلام والمشار إليه بـ (المعهد) ومبادرة دفاع الحقوقية (RDI).

حول المعهد الأوروبي للسلام

المعهد الأوروبي للسلام هو هيئة مستقلة تعمل مع مجموعة واسعة من الجهات الفاعلة المحلية والدولية، بما في ذلك الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة والحكومات الوطنية والهيئات الإقليمية والمجتمع المدني لتصميم وتنفيذ عمليات سلام مستدامة. يقدم المعهد الخبرة العملية والخبرة التقنية والمشورة في مجال السياسات المتعلقة بحل النزاعات. وينشط المعهد في أكثر من اثني عشر بلدا في مختلف مناطق العالم، بما في ذلك الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وشرق وجنوب شرق أوروبا.

حول مبادرة دفاع الحقوقية

مبادرة دفاع الحقوقية هي منظمة غير ربحية مستقلة تأسست في عام 2019. تعمل على مراقبة وتوثيق انتهاكات حقوق الإنسان في شمال شرق سورية، ومشاركتها مع الآليات الدولية والإقليمية المسؤولة، وإعداد الدراسات والتقارير حول تأثير النزاع على المجتمعات المتأثرة به. تهدف مبادرة دفاع الحقوقية إلى دعم ضحايا انتهاكات حقوق الإنسان لرفع أصواتهم في المجتمع الدولي لتحقيق العدالة لجميع الضحايا. تسعى المبادرة إلى نشر ثقافة حقوق الإنسان وحماية المدنيين خلال النزاعات وفقاً للإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقيات جنيف. كما أن هذه الالتزامات تمتد لتشمل الامتثال لقوانين حقوق الإنسان الدولية.



المحتوى

8	الأسماء المختصرة
9	المصطلحات
10	الملخص التنفيذي
11	حول هذا التقرير
11	التأثير على ست مجتمعات سكانية في شمال شرق سورية
13	تحليل حكم داعش وتأثيراته
13	الاقتصاد
14	التعليم
15	الجنس / النوع الاجتماعي
15	الصحة النفسية والضائقة النفسية الاجتماعية
16	التوصيات
18	تمهيد
21	شكر وتقدير
22	القسم 1.1 - مقدمة
23	النشأة
24	من تنظيم القاعدة في العراق إلى الدولة الإسلامية في العراق
25	الانتفاضة السورية
27	انقسام داعش والنصرة
28	التوسع الجغرافي
29	أسلوب الحكم في "الخلافة"
31	التكتيكات العسكرية
33	الهزيمة الأولى: كوباني
34	تصاعد الهجمات ضد داعش
35	العودة إلى التمرّد
36	القسم 2.1 - المنهجية
36	الإعداد والمسؤوليات
36	النطاق والاختيار
36	العينة والتواصل
37	المقابلات الفردية والمقابلات الجماعية
37	الرعاية النفسية
38	الوضع الأمني

38.....	معالجة البيانات
39	القسم 2 - التأثير على ست مجتمعات سكانية في شمال شرق سوريا
40.....	1. كوبياني (عين العرب)
40.....	كوبياني قبل الحرب
42.....	"سياسة الإقصاء": القمع ضد الكرد في كوبياني
45.....	الحرب في كوبياني
46.....	وصول داعش
47.....	"الجميع عانى": التهجير القسري والاعتقالات التعسفية
49.....	"العودة إلى نوع الحياة البدائية": الدمار في كوبياني ما بعد الحصار
51.....	عودة داعش
52.....	العواقب
55.....	2. الحسكة
55.....	الحسكة قبل الحرب
58.....	الحرب في الحسكة
60.....	وصول داعش
61.....	"كانت النيران تشتعل في ظهره": القصف خلف خطوط وحدات حماية الشعب
63.....	"بقيت بعض القرى فارغة تمامًا": نزوح الأقليات في الحسكة
65.....	"إن لم يعد سيكون قد قتل": اختفاء قسري وتعذيب وإعدامات في الشدادي
67.....	"ومن يصبح عمرها فوق السابعة عشر لا أحد يريد لها": الانتهاكات ضد النساء والفتيات
67.....	إرث داعش لا يزال حيًا في المخيمات
69.....	العواقب
70.....	3. منبج
70.....	منبج قبل الحرب
73.....	الحرب في منبج
74.....	وصول داعش
75.....	"عيونهم تنتشر في كل مكان": البرنامج الاجتماعي الخائق لداعش في منبج
76.....	"قاموا ب تثبيت رأسه على الخشبة": الإعدامات العامة
78.....	"كانوا ينتظرون حتى تصبح في عمر ١٠ سنوات": الانتهاكات ضد النساء والفتيات في منبج
79.....	الانتهاكات الموجهة ضد الأقليات العرقية
80.....	"يقتلون الرجال، وإذا صرخت النساء يقتلون النساء": مجزرة البوير
81.....	"أصبنا بنيران صديقة": ضحايا مدنيون أثناء تحرير منبج
83.....	العواقب
85.....	4. الطبقة
85.....	الطبقة قبل الحرب
87.....	الحرب في الطبقة
88.....	وصول داعش
89.....	"لا أحد يعلم ماذا فعلوا به": التعذيب والإعدامات في الطبقة
91.....	"لا كرامة لهن": الانتهاكات ضد النساء والفتيات
92.....	"هل يداي موجودتان": الاختفاء القسري والاحتجاز التعسفي والتعذيب
94.....	الانتهاكات ضد أقلية الطبقة
95.....	تحرير الطبقة
97.....	العواقب
98.....	5. الرقة
98.....	الرقة قبل الحرب
101.....	الحرب في الرقة
102.....	وصول داعش

104	"تم تعليق رؤوسهم على الحديد الموجود على دوار النعيم": إعدامات قوات الفرقة السابعة عشر
105	"رشته بالرصاص حتى فارق الحياة": إعدامات علنية في الرقة
107	مقابر الرقة الجماعية
108	"جهّز نفسك للقصاص": الجلد والبيتر
110	"بقيت جالساً تحت الأرض فترة طويلة": احتجاز تعسفي وتعذيب
111	"هجرة المسيحيين"
112	"كانوا عبارة عن أشخاص غير قابلين للنقاش": النزوح القسري للكرد في الرقة
114	"بما أنك حامل سأجلدك 14 جلدة فقط": انتهاكات ضد النساء والفتيات في الرقة
116	"الأطفال لا يعرفون إلا أناشيد الدولة الإسلامية": انتهاكات ضد أطفال الرقة
117	"تركناهم تحت الأنقاض (لمدة) شهرين": الضحايا المدنيين خلال عمليات مكافحة تنظيم الدولة الإسلامية
119	العواقب

6. دير الزور

120	دير الزور قبل الحرب
124	الحرب في دير الزور
126	وصول داعش
127	سقوط الشحيل
128	"خذ هذا رأس ابنك المرتد": مجزرة عشيرة الشيعيات
130	"حتى إذا وجدتموه لا يسمح لكم بدفنه في مقابر المسلمين": إعدامات علنية
132	"كانوا قد جلبوا أطفالهم بعمر العشر سنوات": رجم بالحجارة وانتهاكات أخرى ضد النساء في دير الزور
134	"ثم أكمل الجلد حتى الانتهاء": العقوبات الجسدية في دير الزور
136	"وقتها بكيت بكاء لم أبكه من قبل": التعذيب في سجون داعش في دير الزور
138	دير الزور تحت الحصار
140	الباغوز وسقوط داعش
141	العواقب

1. التكلفة الاقتصادية لحكم داعش والحرب ضده في

144

شمال شرق سورية

145	المنهجية
146	اقتصاد شمال شرق سوريا قبل الحرب
148	مصادر إيرادات داعش الأساسية في شمال شرق سوريا
152	جمع الزكاة
158	بيت المال
159	الحياة بعد الحرب

2. "من أجل السيطرة على الجيل الجديد": التعليم في ظل داعش

164	الخلفية
164	المنهجية
166	تأثيرات داعش على قطاع التعليم في شمال شرق سوريا
185	تأثير دائم: أزمة التعليم المستمرة في شمال شرق سوريا
191	الخاتمة

3. الديناميكيات الجندرية في تنظيم "الدولة الإسلامية"

192	المنهجية
193	العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي
194	العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي المتقاطع
197	الآثار الاجتماعية والنفسية للعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي
200	الزواج والزواج القسري وزوجات وأطفال داعش
201	الذكورة
203	خاتمة
205	

4. الصحة العامة والصحة النفسية والاضطرابات النفسية والاجتماعية في شمال شرق سوريا في مرحلة ما بعد داعش... 207

207.....	الخلفيّة
210.....	المنهجية
214.....	الموجودات
214.....	الصحة العامة والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي أثناء وبعد حكم داعش
220.....	البعد الإنساني: حالات الضحايا والناجين من عنف داعش
232.....	الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي
238.....	خاتمة
240.....	الاستنتاجات والتوصيات

الأسماء المتخصرة

هيئة تحرير الشام	هتس
الدولة الإسلامية في العراق والشام	داعش
حزب العمال الكردستاني	بي كي كي
حزب الإتحاد الديمقراطي	ب ي د
مجلس سوريا الديمقراطية	مسد
قوات سوريا الديمقراطية	قسد
وحدات حماية الشعب	ي ب ك
وحدات حماية المرأة	ي ب ج

الأجانب	يتم الإشارة بها إلى الأكراد، إحدى فئتين من الأكراد عديمي الجنسية في شمال شرق سورية
الحسبة	شرطة الأخلاق الدينية التي استخدمها داعش لمراقبة الأماكن العامة لضمان الامتثال لتفسير داعش الصارم للإسلام والشريعة
الحدود	عقوبات شديدة يديرها تنظيم داعش مثل الرجم أو الجلد
الجزية	شكل من أشكال الضرائب تم فرضه تاريخياً على الفرد من الرعايا غير المسلمين في دولة تحكمها الشريعة الإسلامية، تم احياء هذا المصطلح من قبل داعش في الأراضي الخاضعة لسيطرته
مكتوم	غير مسجل، يشير المصطلح إلى الأكراد غير المسجلين، وهي إحدى فئتين من الأكراد عديمي الجنسية في شمال شرق سورية

لمدة أكثر من خمس سنوات، تسبب تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) في الموت والدمار في جميع أنحاء شمال شرق سورية. بين عامي 2014 و2019، في منطقة شهدت بالفعل عدة أشكال متتالية من الاضطرابات والقمع والعنف، تمت ممارسة مستوى جديد من الوحشية لا يمكن تصويره على السكان المدنيين.

لقد كتب الكثير عن سنوات حكم داعش والصراع المناهض لداعش الذي أعقب ذلك. ولكن فيما يتعلق بشمال شرق سورية، فإن قدرًا كبيرًا من المعرفة الشعبية حول هذه الفترة تتعلق بـ "الوحشية الهائلة لداعش وحقيقة أن القوات من المنطقة، بما في ذلك وحدات حماية الشعب الكردية (ي ب ك) وقوات سوريا الديمقراطية (قسد)، قاتلت بنجاح للإطاحة بالجماعة في معقلها الإقليمي في سورية.

وبالمقارنة، لم يتم سماع سوى القليل نسبيًا من النساء والرجال والأطفال العاديين الذين عانوا مباشرة على أيدي داعش. كانت هناك تقارير وأفلام وثائقية وكتب لا حصر لها حول العنف المروع لنظام داعش. غالبًا ما كانت الأقليات، مثل الازيديين الذين كانوا محور الاهتمام. ولكن حتى الآن، لم يكن هناك جهد مكثف لجمع وتحليل قصص المجتمعات في جميع أنحاء الشمال الشرقي من سورية، ناهيك عن التفكير فيما يمكن فعله لمعالجة الندوب العديدة التي أحدثتها سنوات حكم داعش. فمن اللافت للنظر أنه لم يُسمع إلا القليل من ضحايا داعش في شمال شرق سورية.

نحن نعيش في عصر يوجد فيه، على الأقل من الدول الغربية، رد فعل منعكس نوعا ما للدعوة إلى المساءلة عن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية المزعومة. قد يتبع ذلك مطالب بنوع من التحقيق وربما لجنة حقيقة ومن ثم التعويضات.

ومع ذلك، فقد تم كتم مثل هذه الدعوات للمساءلة أو تخليد الذكرى أو التعويضات عندما يتعلق الأمر بشمال شرق سورية. ليس من الصعب فهم أسباب ذلك. كانت سوريا قد اجتاحتها بالفعل ثلاث سنوات من الانتفاضة والحرب الأهلية قبل وصول داعش - وهو صراع كان، في معظم أنحاء الشمال الشرقي، متجذرًا خلال عقود من التمييز العرقي والقمع. في الوقت الحاضر، على الرغم من سيطرتها على المنطقة، لا تزال الإدارة الذاتية عالقة في خضم صراع متجمد تبدو فيه العديد من السلطات ذات الصلة مترددة أو غير متأكدة من كيفية المضي قدمًا في إجراءات المساءلة أو الإنعاش الهادفة - ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى الحساسيات السياسية التي قد تنطوي عليها هذه الجهود.

إن هذا التقرير لا يسعى إلى محاكاة تدابير المساءلة أو الاستعاضة عنها. كما أن هذا التقرير هو ليس محاولة لجمع الأدلة لدعم الملاحظات الجنائية. إذ أنه وبالأحرى يسعى إلى تقديم بداية إجابة على سؤال كيف يمكن للمجتمعات - التي تواجه «الشر الراديكالي» المستمر - أن تحاول العودة والتعافي.¹

تشير التجربة إلى ضرورة اتخاذ عدة خطوات حيث تتمثل جذور التعافي المجدي في ضرورة الاعتراف بالتجارب التي حدثت والاستجابة لها، من الناحيتين النفسية والاجتماعية والسياسية على حد سواء. يؤدي الصمت النسبي بشأن قضايا المساءلة ببساطة على تسليط الضوء على الشعور بأن شمال شرق سورية قد طُلب منه أن يعيش في نوع من الفراغ منذ هزيمة داعش، مع ارتباك المجتمع الدولي الذي يكاد أن يكون في حيرة من أمره بشأن ما يجب القيام به هناك أو كيفية القيام بذلك.

لذلك فإن التقرير هو محاولة لاتخاذ خطوة واعية نحو تسهيل التعافي. ليس الدافع وراء هذا الجهد مجرد دافع أخلاقي أو إنساني؛ إن تيسير التعافي الحقيقي أمر أساسي من وجهة نظر عملية لتنمية القدرة على التكيف وللمساهمة في الأمن ومنع العنف في المستقبل.

من بين مئات الضحايا والناجين الذين تمت مقابلتهم من أجل هذا التقرير، كان من اللافت للنظر عدد الذين أشاروا إلى الأهمية الأخلاقية لمطالبتهم بالتحدث بهذه الطريقة عن تجاربهم وأن يكون لديهم نوع من الإعداد المنظم لتقديم تلك التجارب. العملية التي يوثقها هذا التقرير هي عبارة عن ممارسة من أجل الاعتراف بكرامة وإنسانية أولئك الذين عانوا بشدة في ظل

¹ Carlos Santiago Nino, *Radical Evil On Trial* (مطبعة جامعة ييل، 1998). وتم وصف نينو على أنه أحد مهندسي سياسات العدالة والمساءلة في الأرجنتين بعد زوال المجالس العسكرية في عام 1983، جرائم البلاد السبع التي ارتكبتها قوات الدولة ضد الإنسانية بأنها «شر راديكالي».

داعش. ركزت رواية قصة الصراع حتى الآن إلى حد كبير على القضايا العسكرية والضحايا الأجانب والفضائع الجسيمة البارزة. يسعى هذا التقرير إلى استعادة بعض من السرد وشرح ما حدث للمدنيين العاديين الذين تعرضوا للمعاناة الوحشية لمدة خمس سنوات من حكم داعش.

حول هذا التقرير

يوضح الجزء الأول من هذا التقرير بالتفصيل تاريخ داعش وجذورها الأيديولوجية وطريقها إلى السلطة في سياق الصراع السوري .

وبعد ذلك، ينقسم التقرير إلى عنصرين رئيسيين. حيث يركز الجزء الثاني جغرافيًا على فصول مفصلة حول تجربة النزاع والاحتلال في ست مناطق هي: كوباني والحسكة ومنبج والطبقة والرقعة ودير الزور. الجزء الثالث هو جزء مواضيعي (محوري)، مع أربعة فصول تنظر في تأثير حكم داعش والصراع ضد داعش من خلال عدسة الاقتصاد والتعليم الجندر أو النوع الاجتماعي، والصحة النفسية، والضرر النفسي والاجتماعي.

التأثير على ست مجتمعات سكانية في شمال شرق سورية

الفصول التي توضح بالتفصيل التأثيرات في ست مناطق وهي كوباني والحسكة ومنبج والطبقة والرقعة ودير الزور. تبدأ الفصول بشكل متعمد من خلال تحديد موقع وصول داعش تاريخيًا وجغرافيًا. كما تصف الفصول المدن والمناطق المعنية بهدف تذكير القارئ بأن هذه الأماكن هي الأماكن التي تقع فيها الحياة العادية، وأن هذه الحياة الاعتيادية هي التي تحطمت. كما تشرح الفصول السياق من الناحيتين السياسية والتاريخية.

كان هناك العديد من أوجه التشابه بين المناطق المستهدفة، من الطريقة الوحشية التي سعى بها داعش إلى بسط سيطرته إلى البرنامج الاجتماعي والأيديولوجي الخانق المفروض فيها. وشهدت جميع المناطق الست انتهاكات مروعة وانتهاكات لحقوق الإنسان، بما في ذلك الإعدام العلني والمذابح والهجمات الانتحارية والتعذيب والاختطاف والاحتجاز التعسفي والانتهاكات ضد النساء والفتيات، من بين أمور أخرى. كما عرّض داعش الأقليات العديدة في المنطقة لمعاملة مروعة. تم تصنيف العديد من هذه من قبل كيانات مختلفة، بما في ذلك لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة بشأن سورية، على أنها جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

مما لا يثير الدهشة أنه كانت هناك أيضًا اختلافات كبيرة بين المناطق. لم يسبق لتنظيم الدولة الإسلامية السيطرة الكاملة على البعض، مثل كوباني والحسكة، بينما كان يسيطر على الرقعة ودير الزور لسنوات عديدة. السياسة مهمة: ليست كل المناطق لديها نفس التجارب في ظل نظامي حافظ وبشار الأسد ؛ وكان بعضها في وقت مبكر مراكز لحركة الاحتجاج المناهضة للأسد، في حين أن البعض الآخر لم ينضم إلى الموجة الأولى من المظاهرات. كيف حدثت السنوات الأولى من الحرب السورية في كل منطقة من المناطق سيؤثر لاحقًا على تأثير داعش هناك. كما أن تكوينها العرقي وعواملها الاجتماعية والاقتصادية وجغرافيتها له دور في ذلك التأثير. تسعى هذه الفصول إلى سرد هذه القصص الفريدة مسترشدة بشهادات أشخاص من جميع أنحاء المناطق الستة.

يركز الفصل الأول على **كوباني**. حاصرت داعش المدينة ذات الأغلبية الكردية لعدة أشهر خلال خريف 2014. حقق داعش مؤخرًا انتصارات مهمة في العراق وسورية، وعلى الأخص في الموصل، وأعلن نفسه «خلافة» بتعيين أبو بكر البغدادي كزعيم لها. تسبب هجومها الشامل على المدينة في نزوح واسع النطاق مع انتقال السكان إلى الحدود التركية؛ قُتل العديد ممن بقوا في الريف حول كوباني مع تقدم داعش. على الرغم من استخدام السيارات المفخخة والتفجيرات الانتحارية والقصف العنيف، قامت وحدات حماية الشعب الكردية (Yekîneyên Parastina Gel, YPG) ووحدات حماية المرأة التابعة (Yekîneyên Parastina Jin, YPJ) بصدد الهجوم، وبدعم جوي من الولايات المتحدة. بحلول بداية عام 2015، بدأ السكان ببطء في العودة إلى المدينة التي تم تدميرها إلى حد كبير، وتركت بدون كهرباء وخدمات أساسية ومليئة بالفقر والجوع. لم تنته محنتهم: في يونيو 2015، تسلل داعش إلى كوباني مرة أخرى وشن موجة قتل استمرت 24 ساعة في جميع أنحاء المدينة، مما أسفر عن مقتل أكثر من مائتي مدني فيما اعتبره السكان عملاً انتقاميًا متعمدًا. على الرغم من أن الأمر سيستغرق عدة سنوات، إلا أن كوباني وضع داعش على طريق الهزيمة عبر شمال شرق سورية.

الفصل الثاني يفصل تأثير داعش في محافظة الحسكة. وبذل داعش، الغني بالموارد، جهودًا كبيرة للسيطرة على المنطقة، التي شكلت أيضًا قاعدة عمليات للمقاومة الكردية المناهضة لداعش. يبدأ الفصل بتفصيل السياق السياسي والاقتصادي للعلاقات بين الحسكة ودمشق في الفترة التي سبقت اندلاع الحرب السورية والتمهيش التاريخي الذي يواجهه سكان المنطقة ذات الأغلبية الكردية نتيجة "الاحصاء الخاص" عام 1962 وما يسمى بمشروع "الحزام العربي". على الرغم من أن العديد من سكان الحسكة انضموا إلى الاحتجاجات المناهضة للأسد في عام 2011 إلا أن معظمهم كانوا يأملون في أن تظل منطقتهم غير متأثرة بمجرد أن تتحول الانتفاضة إلى أعمال عنف. في عام 2014، شن تنظيم الدولة الإسلامية هجومًا واسع النطاق على الحسكة، والذي كان سيسمح له بالسيطرة على الحدود السورية التركية. وسرعان ما استولت على أجزاء من المحافظة المتاخمة للعراق وشنّت منها هجمات على مناطق إيزيدية في شمال غرب العراق. بحلول عام 2015 سيطر تنظيم الدولة الإسلامية على أجزاء كبيرة من الحسكة والتي نفذ منها تفجيرات بسيارات مفخخة وهجمات انتحارية خلف خطوط وحدات حماية الشعب. كما يتضمن الفصل روايات عن هذه الهجمات. في غضون ذلك، شهدت أجزاء الحسكة التي كانت تحت سيطرة داعش تهجيرًا قسريًا واسع النطاق للأكراد - من بعض النواحي، استمرارًا وحشيًا ومتطرفًا للسياسات المعادية للأكراد التي انتهجها حكام سوريا العرب منذ فترة طويلة - وحملات مستهدفة ضد المجتمعات المسيحية والأشورية. منذ نيسان / أبريل 2015، بعد تحرير كوباني، انقلب المد ضد داعش في الحسكة. أعادت القوات داعش إلى حدود المحافظة بين الحسكة والرقّة واستعدت ببطء لهجومها على الرقة التي أعلنها داعش عاصمة له. حتى ذلك الحين، سيستغرق الأمر حتى عام 2016 قبل استعادة المحافظة بأكملها. سينتهي الأمر بالحسكة باستضافة مخيمات مختلفة لمقاتلي داعش المشتبه بهم وعائلاتهم، الأمر الذي يضمن استمرار إرث عنف داعش في المنطقة لسنوات قادمة.

احتلت **منبج** - التي يغطيها الفصل الثالث - موقعًا استراتيجيًا بالقرب من الحدود السورية التركية وكانت بمثابة بوابة إلى حلب. كانت منبج ذات الأغلبية العربية تتمتع بعلاقة مستقرة نسبيًا مع دمشق قبل الانتفاضة، ولكن لم يستفد الجميع من ذلك، فانضم العديد من سكان منبج إلى الاحتجاجات المبكرة المناهضة للحكومة نتيجة لذلك. سرعان ما انزلق هذا إلى الاقتتال الداخلي بين عشرات الفصائل المسلحة. توسّع تنظيم الدولة الإسلامية، الذي كان لا يزال متحالفًا مع جبهة النصرة وأحرار الشام، بهدوء في المدينة حتى أوائل عام 2014، عندما تمكّن تنظيم داعش من طرد جميع الجماعات الأخرى من المدينة، الأمر أدى إلى سيطرته الكاملة على المنطقة. مرت عدة سنوات قبل أن يتخلى التنظيم عن السيطرة على المدينة، وخلال هذه الفترة نفذ داعش برنامجًا اجتماعيًا قمعيًا في المدينة التي كانت ذات يوم أكثر ليبرالية في المنطقة. يفصل هذا الفصل الانتهاكات التي ارتكبتها تنظيم داعش خلال هذا الوقت: عمليات الإعدام العلنية التي اشتدت بعد هزائم داعش في كوباني والحسكة؛ والانتهاكات الجسيمة ضد النساء والفتيات، بما في ذلك الزواج القسري والاسترقاق الجنسي ووجود أسواق الرقيق اليزيدية في المدينة. تم استهداف الأكراد، وهم أقلية في المنطقة، بشكل منهجي واعتقلهم وطردهم من المنطقة. بعد المكاسب التي تحققت في كوباني والحسكة، ركزت قوات سوريا الديمقراطية والتحالف بقيادة الولايات المتحدة جهودهما على تحرير منبج. بدأ الهجوم في صيف عام 2016 وبعد شهرين من المعارك المكثفة مع العديد من الضحايا المدنيين، تم طرد داعش من المدينة.

ويغطي الفصل الرابع مدينة **الطبة**. على الرغم من أنها كانت تعتبر تاريخيًا أكثر ولاءً للنظام السوري، إلا أن الطبقة والسد الاستراتيجي خارج المدينة خضعا لسيطرة قوات المعارضة في عام 2013. بعد الخلاف مع جبهة النصرة وقوات المعارضة الأخرى، أصبح داعش القوة المهيمنة في الطبقة. في أغسطس 2014، استولى التنظيم على مطار الطبقة العسكري، مما أسفر عن مقتل أكثر من مائتي جندي سوري، ثم إعدام العديد منهم علنًا. وبمجرد السيطرة الكاملة على المنطقة، قتل تنظيم الدولة الإسلامية أعدادًا كبيرة من السجناء؛ حيث تم وبانتظام صلب الجثث أو تعليقها وكثيرا ما يتم تصوير عمليات الإعدام وتوزيعها في جميع أنحاء المدينة. تم رجم عدة نساء حتى الموت في الطبقة بتهمة الدعارة. انتهى الأمر بداعش بالسيطرة على الطبقة لما يقرب من أربع سنوات. في عام 2017، بعد استعادة منبج، أطلقت قوات سوريا الديمقراطية وقوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة حملة من أجل الطبقة. في أعقاب المعارك العنيفة، التي دمر خلالها سد الطبقة تقريبًا بسبب القصف الجوي، حيث وافق مقاتلو داعش على الانسحاب التفاوضي إلى الرقة. وبحلول أيار / مايو 2017، تم تحرير الطبقة.

الرقة هي محور الفصل الخامس. أعلن أبو بكر البغدادي الرقة -وهي مدينة ذات أغلبية عربية لها تاريخ طويل وحافل- «عاصمة» لداعش في حزيران / يونيو 2014. كانت الرقة قد نجت من الاقتتال الأولي للنزاع السوري، لكنها كانت أول

محافظة تقع بالكامل خارج سيطرة قوات الأسد في آذار / مارس 2013. أدى الاقتتال الداخلي بين أحرار الشام وجماعات المعارضة المسلحة الأخرى في النهاية إلى تمهيد الطريق أمام داعش للسيطرة على المدينة، وهو ما فعلته في تشرين الثاني / نوفمبر 2013. كونها عاصمتهم المختارة، كان هناك حافز لدى داعش للاستثمار في الخدمات العامة، حيث أنشأت الجماعة "وزارات" في المدينة، على الرغم من تلاشي الخدمات لاحقاً. فرض داعش شيء من النظام، وإن كان مدعوماً بالقمع الوحشي لأي معارضة. وكانت عمليات الإعدام الجماعية، بما في ذلك في دوار النعيم بالمدينة، تُنفَّذ بشكل شائع ضد جنود العدو الأسرى وكذلك المتهمين بالردة أو الكفر أو التجسس. وأصبحت الرقة مليئة بالمقابر الجماعية، وكان بعضها يحتوي على عدة مئات من الجثث. لقد شهدت الرقة اعتقالات تعسفية وأعمال تعذيب ربما أكثر من أي مدينة سورية أخرى. احتفظت المدينة بعشرات السجون التابعة لداعش، بما في ذلك منشأة النقطة 11 سيئة السمعة. كانت هناك أسواق للرفيق حيث تم بيع النساء والفتيات الإيزيديّات. على الرغم من أن معظم المسيحيين قد غادروا بالفعل قبل سيطرة داعش على الرقة، إلا أنه وبعد سيطرة داعش، لم يبق أي مسيحي. كما تم تهجير أكراد الرقة قسراً. بحلول حزيران / يونيو 2017، حاصرت قوات سوريا الديمقراطية وقوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الرقة. تم خوض المعركة بالتزامن مع معركة الموصل، وكانت معركة مهمة استراتيجياً لآخر مدينة رئيسية في سورية تحت سيطرة داعش بالكامل. تلا ذلك قتال مكثف استمر أربعة أشهر أسفر في النهاية عن مقتل أكثر من 1600 مدني وجعل الرقة "المدينة الأكثر تدميراً في العصر الحديث".

عانت دير الزور، وهي موضوع الفصل الأخير من هذا الجزء من التقرير، لفترة أطول من أي منطقة في الشمال الشرقي - عاشت تحت حكم داعش لمدة ست سنوات تقريباً. يوضح الفصل بالتفصيل التأثير التاريخي للقبائل في المنطقة والصعوبات الاجتماعية والاقتصادية التي يواجهها السكان ونمو جماعة الإخوان المسلمين حول دير الزور. كما يصف التقرير كيف كانت دير الزور من المدن التي انضمت إلى الانتفاضة السورية في وقت مبكر من عام 2011. قاتل تنظيم الدولة الإسلامية إلى جانب الجماعات المتمردة المسلحة حتى أبريل 2013؛ بعد ذلك، سعى التنظيم إلى الهيمنة ولعب بنجاح السياسة القبلية ضد النصر التي بلغت ذروتها في معركة مدمرة بين المجموعتين في منطقة الشحيل. خرج تنظيم الدولة الإسلامية منتصراً، الأمر الذي كانت نتائجه السيطرة على جميع دير الزور تقريباً، باستثناء أجزاء مدينة دير الزور التي لا تزال تسيطر عليها القوات الموالية للأسد. واجهت القبائل التي وقفت مع النصر - وخاصة عشيرة الشيعيات - عواقب وخيمة: قتل مئات من رجال عشيرة الشيعيات في آب / أغسطس 2014 في واحدة من المذابح الفردية الكبيرة التي ارتكبتها داعش. وفي جميع أنحاء دير الزور، شهدت المجتمعات المحلية انتهاكات مروعة، بما في ذلك رجم النساء والرجال والعقاب البدني والاستخدام المنهجي للتعذيب. عاش حوالي مئة ألف شخص في مدينة دير الزور التي تسيطر عليها الحكومة تحت الحصار لسنوات، معتمدين على الاسقاطات الجوية التي قام بها برنامج الغذاء العالمي لإبقائهم على قيد الحياة. في صيف عام 2017، تمكن الجيش السوري، بدعم جوي روسي، أخيراً من كسر الحصار. استمر الحصار حينها لمدة عامين آخرين قبل هزيمة داعش على الضفة الشرقية لنهر الفرات: بعد سقوط الرقة، تم دفع مقاتلي داعش المتبقين إلى جيبها الأخير من الأراضي، على بعد حوالي 40 كيلومتراً من هجين إلى الباغوز. على الرغم من أن داعش بدا وكأنه قوة منتهية، إلا أن هزيمة آخر المقاتلين استغرقت حتى عام 2019. تم القبض على العديد من المقاتلين والأسرى ونقلهم إلى سجون أو مخيمات في الحسكة؛ قاتل البعض حتى النهاية المريرة، بينما اختفى آخرون ليحاربوا ضمن تمرد منخفض المستوى مستمر حتى اليوم.

تحليل حكم داعش وتأثيراته

الاقتصاد

يركز هذا الفصل بشكل خاص على التأثيرات الاقتصادية وحول كيفية سيطرة داعش على اقتصاد شمال شرق سورية واستخدامه من أجل تمويل نفسه والقيام بعمليات التوسع. كما ينظر حيثما أمكن في الأثر الاقتصادي للحرب على احتمالات انتعاش المنطقة. أدى تدمير الكثير من البنية التحتية الاقتصادية والحوكمة الأساسية من قبل داعش والحملة لهزيمة التنظيم إلى جعل الإدارة الذاتية تعمل من قاعدة منخفضة للغاية. تتم هذه الجهود في سياق التوترات السياسية والعسكرية المستمرة، سواء مع حكومة الأسد في دمشق أو مع ضغوط من تركيا على الحدود الشمالية.

كانت مناطق شمال شرق سورية غير متطورة تاريخياً لعقود قبل مرحلة اندلاع الصراع في عام 2011. لأكثر من 40 عاماً، كان شمال شرق سورية أفقر بكثير من الأجزاء الأخرى، على الرغم من قطاعاتها الزراعية والنفطية المنتجة والغنية بالموارد. كانت السياسات الاقتصادية بشكل مباشر وغير مباشر سياسة تمييزية ضد السكان الأكراد. في حين شهدت أجزاء كثيرة من سورية تقدماً في التسعينيات وأوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ازداد الفقر في الشمال الشرقي، مما ساهم في أعلى معدلات الفقر في المناطق الحضرية والريفية مقارنة مع أي مكان آخر في البلاد.

في مرحلة ما بعد عام 2014، كان تنظيم داعش هو الجهة المسلحة غير الحكومية الأفضل تمويلًا في العالم، حيث فاقت موارده المالية موارد العديد من الدول القومية الصغيرة. كان قطاع النفط في كل من العراق وشمال شرق سورية من أكبر المساهمين في خزانته. تقع جميع احتياطات النفط السورية في الشمال الشرقي، وعلى الرغم من تواضعها من الناحية العالمية، إلا أنها لعبت دورًا مهمًا في اقتصاد البلاد. سيطر تنظيم الدولة الإسلامية على جميع حقول النفط الرئيسية في شمال شرق سورية قبل نهاية عام 2014، مع استثناء محدود للحقول في الحسكة التي ظلت تحت السيطرة الكردية. من الصعب تحديد مقدار ما يكسبه داعش بالضبط من أصوله النفطية من عام 2014 حتى عام 2016 على الأقل، لكن التقديرات تشير إلى ما يصل إلى 3 ملايين دولار يوميًا خلال عام 2014 و1.5 مليون دولار يوميًا في عام 2016.

في حين أن النفط كان المصدر الرئيسي للتمويل، إلا أن داعش تمكن من جمع دخل كبير طوال فترة احتلاله من خلال فرض ضرائب على كل جانب من جوانب الحياة اليومية. وشمل ذلك الضرائب الزراعية والجمركية وكذلك الضرائب على الكهرباء والغاز ومياه الشرب. وجاءت مصادر دخل إضافية من خلال الغرامات والعقوبات، والفدية عن عمليات الاختطاف، ودفع ضريبة الجزية التي استهدفت السكان غير المسلمين الذين وقعوا تحت حكم داعش.

كان لداعش تأثير مدمر على الاقتصاد المحلي. فقدت العديد من الأسر معيشتها الأساسية؛ وأصبح كثيرون منهم عاجزون بدنيًا و/أو عقليًا، غير قادرين على العمل بنفس المستويات التي كانوا عليها قبل النزاع. وبالإضافة إلى ذلك، أضاف العدد الكبير من المصابين بأمراض بدنية وعقلية عبئًا كبيرًا إلى ميزانية الرعاية الاجتماعية التي تعتمد بالكامل تقريبًا على المساعدة الإنسانية. إن تكلفة الجراحة لإعاقات الجسدية بعد الصراع تعني أن العمليات تتجاوز إمكانيات الغالبية العظمى من المصابين. كما أن تدمير الهياكل الأساسية والمساكن، بالإضافة إلى المناطق التي لا تزال تتأثر بالذخائر غير المنفجرة، يحد من القدرة على التعافي العملي.

لا يزال النفط مصدرًا رئيسيًا للإيرادات بالنسبة للإدارة الذاتية، حيث يساهم بنسبة تصل إلى 60٪ من أموالها الحالية. لم يتمكن القطاع الزراعي من التعافي نتيجة للدمار الذي خلفه داعش، كما أن آثار الجفاف أعاقَت تعافي القطاع الزراعي. والآن يعتبر حوالي 90٪ من السكان في الشمال الشرقي يعيشون في حالة من الفقر.

التعليم

يسلط الفصل الخاص بالتعليم الضوء على الضرر العميق والطويل الأمد الذي ألحقه حكم داعش الإرهابي بالمجتمعات المحلية، وخاصة بالأطفال.

أدى حكم داعش إلى قلب حياة المعلمين والطلاب بشكل جذري. تم استخدام التعليم في ظل داعش بميل أيديولوجي واضح، مما يعني أنه كان مطلوبًا من المعلمين إظهار الولاء والحماس للمواقف العقائدية. كان يُنظر إليهم على أنهم خط المواجهة في خلق جيل جديد من المؤمنين والجنود. غالبًا ما يدفع المعلمون الذين لم يظهروا الحماس اللازم حياتهم ثمنًا لذلك؛ وتعرض آخرون للتعذيب. سعى بعض المعلمين إلى عيش حياة مزدوجة، وتنظيم التعليم السري في العديد من المجتمعات، معرضين أنفسهم لخطر كبير. وبطبيعة الحال، استسلم آخرون للتهديدات والإرهاب، وقاموا بتدريس ما طُلب منهم تدريسه.

أشار الإنشاء المتعمد والسريع لمنهج داعش باللغتين العربية والإنجليزية إلى مدى إدراك داعش لأهمية التعليم في نشر أيديولوجيته وتعزيز سيطرته على المجتمعات المحلية. إلى جانب التلقين، يتعلق أحد أكثر جوانب الروايات إثارة للقلق في هذا الفصل بعسكرة المناهج الدراسية التي سعت إلى تطبيع الموت والوحشية والعنف.

كان تأثير سيطرة داعش على النظام التعليمي عميقًا. تعرضت أسر كثيرة لمخاطر جسيمة برفضها إرسال أطفالها إلى المدارس التي توجد بها الأساليب والمناهج الدراسية الجديدة. لم يكن اعتراف داعش بليوننة العقول الشابة خاليًا من النتائج: تحكي العديد من الروايات كيف هدد الأطفال بالإبلاغ عن كبار السن، بمن فيهم المعلمون، إذا رأوهم ينعفسون في الحديث المحظور أو السلوك مثل التدخين. يعلق خبراء التدريس على كيفية عدم تدمير نظام التعليم في شمال شرق سورية فحسب، بل أن جيلًا كاملًا من الشباب في المنطقة فقدوا فعليًا فرصة الحصول على تعليم ذي مغزى.

فبعد سنوات كانت إحدى القضايا الأكثر إلحاحًا لقطاع التعليم في شمال شرق سورية هي مستوى تدمير البنية التحتية التعليمية. تم تدمير العديد من المدارس. لم يتم كل الدمار من قبل داعش. فقد كانت قوات سوريا الديمقراطية والتحالف بقيادة الولايات المتحدة مسؤولين أيضًا عن إلحاق الضرر بالمباني المدرسية وتدميرها كجزء من حملتهم المناهضة لداعش.

لقد تعرّش إنعاش النظام التعليمي بشدة رغم الجهود التي يبذلها العاملون في المنطقة. إن الموارد اللازمة - ليس فقط لإعادة بناء الهياكل الأساسية المادية، ولكن أيضاً للمساعدة في معالجة الصدمة التي يعاني منها كثير من المعلمين والتلاميذ- غير كافية حتى الآن. وفي حين أنه من المرجح أن يتطلب عمل جيل، على الأقل، إلا أن الحاجة إلى التخطيط الجيد للإنعاش وإعادة الإعمار المباشرين تعتبر ذات أولوية ملحة.

الجنـدر / النوع الاجتماعي

من المعروف أن "المواقف الأيديولوجية المتطرفة لداعش كان لها تداعيات وخيمة على النساء والفتيات.

إن معاملة النساء الأسيرات في الصراع أو تحت الاحتلال كان أمراً مثيراً للقلق بشكل خاص. لقد كتب الكثير عن معاملة النساء الايزيديات وكم منهن تعرضن للعبودية الجنسية باعتبارهم "غنائم حرب". تعرضت النساء الأسيرات لمستويات لا توصف من العنف الجنسي والاغتصاب الجماعي والتعذيب. وفي حين كانت النساء الايزيديات محط تركيز خاص لمثل هذه الانتهاكات الشنيعة، فإن العديد من النساء الأخريات اللاتي تم القبض عليهن في الشمال الشرقي نفسه تعرضن أيضاً لمعاملة مماثلة.

يشير الفصل المتعلق بالجنـدر/ النوع الاجتماعي أيضاً إلى أنه في حين أن الاعتداء المنهجي والواسع النطاق على النساء من خلال العبودية الجنسية والاغتصاب والتعذيب يميز سلوك داعش في جميع المناطق التي يحتلها، فمن الصحيح أيضاً أن عدداً كبيراً من النساء يبدو أنهن قررن طوعاً الانضمام إلى المجموعة - بما في ذلك من العديد من البلدان في الخارج. يعكس الفصل الأسباب المحتملة لذلك، على الرغم من التناقض الواضح في الولاء لمجموعة معادية للنساء بشدة. كما أنه وعلى الرغم من عدد النساء اللواتي انضممن طواعية إلى داعش، فإن العديد من شهادات هؤلاء النساء تتحدث عن المعاملة المسيئة التي تلقينها من أزواج منتظمين لتنظيم داعش.

يعكس هذا الفصل أيضاً العنف الشديد الذي يُرتكب ضد النساء والفتيات، ولكن أيضاً الأساس المنطقي الكامن وراء الآراء المتطرفة لداعش التي سعت إلى تحديدها على أنها متميزة ليس فقط عن المجتمعات الغربية، ولكن أيضاً عما تعتبره مجتمعات إسلامية معيبة وفاسدة.

إن البيانات المتعلقة بالعنف الجنسي بين الرجال والفتيات محدودة أكثر بكثير، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى الوصم الذي ينطوي عليه. ومع ذلك، تشير الأدلة المتاحة إلى ارتفاع مستويات اغتصاب الرجال والفتيات الذين أسره داعش أو احتجزهم لديه.

لم تكن كراهية النساء والأيديولوجية المتطرفة للعلاقات بين الجنـدر / النوع الاجتماعي التي غرسها داعش تضر بشدة بالنساء في المنطقة فحسب، بل كان لها تأثير طويل الأمد وصدمة على العلاقات الاجتماعية. وفي بعض أجزاء المنطقة، يوجد بالفعل نهج محافظ للعلاقات ضمن الجنـدر / النوع الاجتماعي، ولا سيما في المجتمعات المحلية الريفية. لم يتم رفض تعاليم ومطالب داعش عالمياً في مثل هذه المناطق. كما استند مفهوم "الذكورة" الذي تم تطويره في عهد داعش إلى نوع من العنف البطولي مصحوباً باستحقاقات الملكية. وأدى التأثير على الأطفال والمراهقين الأكثر عرضة للتلقين العقائدي إلى نشوء عدد كبير من المشاكل في جيل يتسم بمواقف بائسة تجاه النساء والفتيات.

الصحة النفسية والضائقة النفسية الاجتماعية

تعطّلت القدرة على التعامل مع العواقب الجسدية والعقلية لسنوات حكم داعش بشدة بسبب جائحة كوفيد 19، التي كشفت بنفسها عن الحالة المزمنة لنظام الرعاية الصحية في المنطقة. كما أن النظام المستنزف تعرض بشكل كبير لتحدي آخر في عام 2022 بسبب تفشي الكوليرا.

في بعض النواحي، من الأسهل قياس تأثير داعش على الصحة العقلية والنفسية والاجتماعية للمنطقة من خلال النظر في تدمير البنية التحتية للرعاية الصحية. كما هو الحال مع قطاع التعليم وتدمير المدارس، تم تدمير العديد من مباني المستشفيات والعيادات أو إعادة استخدامها خلال الصراع. بمجرد تراجعها، قام داعش بتفخيخ عدد لا يحصى من المرافق الصحية، مما تسبب في أضرار أكبر بعد سنوات من تهدة الخطوط الأمامية. على الرغم من الجهود المبذولة للتعافي، فإن الأضرار التي لحقت بالبنية التحتية الأساسية والخدمات الحيوية تعيق تقديم الخدمات حتى يومنا هذا.

اتخذ داعش وجهة نظر أيديولوجية حول "الطب الغربي" الذي كان له تأثير سريري كارثي على حياة ورفاهية العديد من المدنيين العاديين. كان لها آثار مباشرة على تشخيصات السرطان وأمراض القلب، وعلى توافر الأدوية، وعلى تغطية التطعيم (التلقيح) للأمراض التي يمكن الوقاية منها في جميع أنحاء المنطقة – جميعها لها عواقب على المدى الطويل.

كما غير حكم داعش بشكل جذري أدوار الرعاية الصحية و "ثقافة" الخدمة. ربما كان هذا أكثر وضوحًا في الكيفية التي سمحت بها المجموعة للطببات بالتعامل مع المرضى الإنث فقط، مما يقيد الطبيبات صاحبات الخبرة من تطبيق مهاراتهم على الرجال، على سبيل المثال، في أمراض القلب وجراحة العظام. وبالمثل، مُنع أطباء أمراض النساء الذكور من علاج النساء.

يتناول الفصل أيضًا تفاصيل مهمة حول طبيعة ومدى الصحة العقلية واضطرابات ما بعد الصدمة في شمال شرق سورية. تشير المقابلات مع الضحايا والناجين إلى ارتفاع معدلات اضطراب ما بعد الصدمة الخطير في العديد من أولئك الذين نجوا أو شهدوا وحشية داعش. كما يسلط الضوء على الآثار على الصحة البدنية لأولئك الموجودين في المنطقة، إلى جانب الإعاقات المستمرة الناتجة عن الصراع. عدد كبير من أولئك الذين يعانون من إعاقات جسدية هم أكثر عرضة لمشاكل الصحة العقلية. كما يتم إيلاء الاهتمام لتأثير النزوح على الصحة العقلية والجسدية لمئات الآلاف الذين أجبروا على البحث عن الأمان في أماكن أخرى في ظل داعش، وإلى مجموعة متنوعة من الصدمات المحددة المتعلقة بأنواع مختلفة من الفظائع.

إن قدرة المنطقة على التعافي من الأضرار التي لحقت بها من قبل داعش محدودة للغاية. وفي حين أن هناك دلائل على وجود محاولات لوضع نهج أكثر استراتيجية لتلبية الاحتياجات العقلية والنفسية - الاجتماعية في المنطقة، فإن هناك شكوكا حول عمق هذه النهج وتوافر الموارد الأساسية اللازمة لتجاوز الرعاية القصيرة الأجل. نتيجة لذلك، يستكشف الفصل ويشرح بالتفصيل التكاليف الحقيقية والأضرار التي لحقت بالصحة العقلية والجسدية، والخطوات - غير الكافية على نطاق واسع - المتخذة حتى الآن لمعالجتها، والطرق الممكنة للمضي قدمًا. ويبدأ هذا بإدراك عمق الأزمة والتحديات وبذل جهد للتصدي للوصم والنفور من المناقشة وتحسين التخطيط المتكامل، والابتعاد عن المبادرات الإنسانية إلى مبادرات المرونة والمبادرات الموجهة نحو الضحايا.

التوصيات

على الرغم من أن الحرب ضد داعش قد انتهت، إلا أن الاقتصاد المحلي لم يتعاف بعد إلى درجة يتجاوز فيها إجراء الإصلاحات والمساعدة الإنسانية المباشرة. مازال دعم تعافي النظام التعليمي ونظم الصحة العامة والعقلية وإصلاح العلاقات بين الجندر / النوع الاجتماعي - التي عانت بشدة خلال حكم داعش غائبًا إلى حد كبير. وهذا لا يعني تشويه سمعة الجهود التي يبذلها أولئك الذين يسعون إلى تقديم المعونة في هذه المجالات، ولكن التحليل يشير إلى أنه في جميع المجالات ذات الصلة، لا يمكن القول إن طبيعة تلك المساعدة هيكلية أو منهجية أو مستدامة.

والنتيجة هي أنه بعد أربع سنوات من سقوط الباغوز، لا تزال المجتمعات الأكثر تضررًا بشكل مباشر من أفة داعش في هاوية أزمة اقتصادية، ولكن أيضًا بدون وسائل لمعالجة إرث من ظلمها. لقد تم ترك العائلات لمفردها تعاني من إرث الصدمات النفسية والجسدية. لقد أصيب جيل من الأطفال بالندوب. في حين أن الإدارة الذاتية ملتزمة بجدية بالمساواة الجندرية، إلا أن التراجع الكارثي في معاملة النساء والفتيات في ظل داعش - مصحوبًا بتقديس الذكورة المسيئة والعنف - سيستغرق سنوات من الجهود المركزة من أجل التخلص منها. يضاف إلى ذلك حقيقة أن داعش لم تختف تمامًا. تشير الخلايا النائمة التي تشن هجمات متواصلة ضمن شمال شرق سورية، على الأقل، إلى إمكانية ظهور محدود للتنظيم من جديد.

سيطلب التوصل إلى حل شامل لهذه المسائل وجود اتفاق سياسي دولي. وإدراكا من التقرير أن التوقعات بحدوث اختراق سياسي في الصراع في سوريا لا تزال منخفضة، فإن التقرير يسعى إلى تقديم بعض الاقتراحات العملية المتواضعة لدعم التعافي المجدي في المنطقة على المدى القصير إلى المتوسط:

- 1- ينبغي اعتماد نهج استراتيجي جديد للتركيز على التعافي والمرونة في ضوء المعلومات الواردة في هذا التقرير. وينبغي على الإدارة الذاتية عقد فرقة عمل متعددة التخصصات للتركيز على ثلاث مجالات: الصحة النفسية والدعم النفسي والاجتماعي والتعليم والقضايا الجندرية. ينبغي أن تتألف فرقة العمل أساسًا من خبراء وقادة محليين وأن تشمل أيضًا مساهمات الخبراء والمانحين الدوليين.

2- يجب أن تضم فرقة العمل الوكالات المحلية التي طورت معلومات عن الضحايا والشهداء والناجين والوفاة والخسارة والأضرار والتشاور معها. يجب أن تحتل شواغل ومصالح ضحايا عنف داعش والناجين منه مكانة بارزة في وضع استراتيجية متجددة في المجالات الثلاثة المبينة أدناه:

أ. **الصحة النفسية والدعم النفسي والاجتماعي:** الأزمة المستمرة للصحة النفسية، بما في ذلك المؤشرات على مستويات عالية للغاية من اضطراب ما بعد الصدمة، ليست مفاجئة، ولكنها بحاجة إلى معالجة. الظواهر الخاصة لقسوة وعنف داعش من التشويه والتعذيب والإعدامات العلنية والصلب، والوحشية الشاملة لمحاولات السيطرة ليس فقط على السلوك، بل الفكر أيضاً، تركت أعماق الندوب. يجب أن تكون الاستجابة لها محددة واستراتيجية إذا كان للأطفال والبالغين المتضررين فرصة معقولة لبناء حياة صحية في السنوات القادمة. وينبغي أن تركز الجهود على استعادة جوهر وظيفي من حيث الهياكل الأساسية الصحية، وإسداء المشورة وتدريب المهنيين العاملين في مجال الرعاية الصحية، وتوفير الرعاية المنهجية التي تركز بوجه خاص على أفضل الممارسات المتعلقة باضطراب ما بعد الصدمة للبالغين والأطفال.

ب. **التعليم:** كان استهداف نظام التعليم أولوية استراتيجية لداعش حيث أنه نجح فيها. ستكون العواقب على المجتمعات المتضررة من الأجيال ما لم يتم تطوير برنامج تعافي محدد لمواجهة تحديات إرث داعش. ومرة أخرى، يعني هذا ضمان وجود بنية تحتية أساسية فضلاً عن توفير الموارد التعليمية. وبالمثل، تعرض العديد من المعلمين للإرهاب أو الصدمة لدرجة أنه قد يكون من المستحسن وضع برنامج محدد يسعى إلى تقديم المشورة واستعادة قدراتهم. ويكتسب ضمان استعادة المدارس باعتبارها ملاذات آمنة أساسية للتعليم والتطوير أهمية حاسمة لتحقيق التعافي المحتمل في المنطقة، وبناء القدرة على التكيف، واستعادة قيم التسامح والمصالحة.

ت. **النساء والفتيات:** يجب تقييم تأثير داعش على النساء والفتيات ومعالجته. أشارت التقارير والشهادات والجلسات الجماعية إلى أن دور النساء والفتيات لا يزال بحاجة إلى الاهتمام، لا سيما في المناطق الريفية. وبالمثل، في حين أن جميع أجزاء المجتمع - النساء والرجال والفتيات والفتيان - تعرضوا للإرهاب والصدمة من قبل داعش وكذلك تأثروا بنهج داعش القمعي حول التعبير عن الجندر وأواره، إن التركيز الخاص على تجريد النساء والفتيات من الإنسانية يتطلب استجابة مركزة واستراتيجية لتلك الممارسات والظواهر. في الوقت نفسه، من الضروري أيضاً اتباع نهج مفصل لإزالة سموم تقديس الذكورة المسيئة والعنفية.

3- **المفقودون:** لا تزال هناك أعداد كبيرة من الأشخاص في عداد المفقودين نتيجة لاحتلال داعش في جميع أنحاء المنطقة. وبالمثل، هناك العديد من القبور المجهولة الهوية. يجب على السلطات وضع استراتيجية مدعومة لحساب أكبر عدد ممكن من المفقودين وتحديد أماكن وجودهم حيثما أمكن وتقديم الدعم المناسب للناجين.

4- **العدالة:** لا يُنظر إلى هذا التقرير كبديل للجهود المساءلة. في أعقاب الفضائع الجماعية، كان من المقبول على نطاق واسع، لا سيما من قبل الدول الغربية، أن العدالة والمساءلة قيمتان أساسيتان ضروريتان للدفاع عن حقوق وكرامة الضحايا، ولتأكيد القيم الاجتماعية التي تعرضت لهجوم عميق. إن الظروف السياسية في شمال شرق سورية وفي البلدان الأصلية لمقاتلي داعش جعلت من المستحيل حتى الآن بذل جهد موثوق ومتضافر لرؤية المسؤولين عن الجرائم في شمال شرق سورية أمام العدالة.. وبينما أبدت الإدارة الذاتية استعدادها لمقاضاة بعض من يخضعون لولايتها القضائية، إلا أنها تفتقر إلى الهياكل الأساسية، والأهم من ذلك، إلى الاعتراف المحتمل بأي إدانات في بلدان أجنبية. يمثل العدد الكبير من المحتجزين الذكور استنزافاً وتهديداً. إثبات أن قيم العدالة والمساءلة تعتبر عالمية، لا سيما في ضوء الأعمال الفظيعة بشكل خاص، ينبغي لحكومات المحتجزين التعامل مع الإدارة الذاتية لحل هذا المأزق وتسهيل عدد محدود على الأقل من المحاكمات للمسؤولين عن الجرائم الخطيرة والتوصل إلى اتفاق بشأن الاعتراف بالإدانات ومواقع الاعتقال.

5- **مخيم الهول:** يتجلى إرث داعش بشكل أكثر وضوحاً في المخيمات في شمال شرق سورية، ولا سيما مخيم الهول، حيث تم احتجاز عشرات الآلاف من الأشخاص، معظمهم من النساء والفتيات والفتيان، منذ سقوط "الخلافة". مع أعمال العنف والاستغلال التي تحدث هناك، فضلاً عن التحريض المستمر من قبل مؤيدي داعش المتبقين، تظل المخيمات كارثة إنسانية وتهديداً أمنياً عميقاً. وينبغي مواصلة الجهود والإسراع بها لدعم عودة الأشخاص الموجودين في المخيمات حيثما أمكن ذلك.

إن آفاق السلام والاستقرار في شمال شرق سورية معقدة هي آفاق معقدة على أقل تقدير. وفي حين أن المنطقة لا تزال عالقة في تصلب الحرب الأهلية السورية، فإنها تخضع أيضًا للعديد من التوترات الإقليمية والجيوسياسية.

كان الجانب الأكثر ضررًا بشكل مباشر من هذا الوضع لشعب شمال شرق سورية هو الآثار المربعة لحكم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) بعد عام 2014 والصراع العنيف للإطاحة بالتنظيم. يعرف معظم الناس شيئًا عن داعش؛ سيعرف الكثيرون أيضًا ما فعله داعش في شمال شرق سورية خلال حربها العدوانية بين عامي 2014 و2019. ومع ذلك، لم يكن هناك أي جهد تقريبًا للاستماع مباشرة إلى ضحايا فظائع داعش هناك. لسوء الحظ، أدت إحدى عشرة سنة من الصراع في سوريا إلى تضائل الاهتمام بمحنة الناس، في حين أن التوترات السياسية المتعددة المستويات التي لا تزال قائمة تجعل المناقشات الحقيقية حول الظروف داخل البلاد صعبة. في حين كان هناك تقدير عام بأن القوات من المنطقة قاتلت بشجاعة وفعالية ضد داعش وأنها قدمت مساهمات أساسية لهزيمة داعش بعد أن اجتاحت المنطقة، إلا أنه لم يتم فعل الكثير حتى الآن للحديث عن التكلفة الهائلة التي دفعها الناس العاديون في المنطقة.

ويهدف هذا التقرير إلى أن يكون خطوة نحو معالجة هذا الخلل. إنه تقرير يتمحور حول الضحايا، بمعنى أنه يحاول فهم كيف عاش الناس الموجودون في شمال شرق سورية الحرب وما هو تأثيرها عليهم. بل يتعلق الأمر بالتكلفة البشرية – الآثار المترتبة على الأسر وأطفالها وعلى التعليم وعلى فرص الحياة والتأثير على الحياة اليومية للمرأة والعواقب الوخيمة التي خلفها الصراع على الاقتصاد المحلي وعلى قدرة الناس على تلبية احتياجاتهم ببساطة في ظروف مقيدة بالفعل؛ وكذلك الجروح النفسية العميقة التي أحدثها إرهاب داعش داخل هذه المجتمعات. صحيح أن جميع الحروب لها هذه الأنواع من التأثيرات إلى حد ما. لكن هناك شينان ملحوظان في حالة شمال شرق سورية: وحشية إرهاب داعش والفضل النسبي في وصف ومعالجة تكلفته البشرية.

لماذا يعتبر هذا الشيء مهم؟ هناك عدة أسباب.

الأول هو أن هناك قيمة، بل واجب، لإضفاء الطابع الإنساني على حقائق الحرب وتكليفها، بما في ذلك التأثير طويل الأجل للفظائع التي يعاني منها المدنيون في المنطقة. إذا لم نأخذ التكلفة البشرية على محمل الجد، فمن المرجح أن نتضاءل دوافعنا لمنع تكرارها واستعادة الاستقرار. يعد سرد القصة قدر الإمكان وفهم تأثير داعش يعتبر من العناصر المهمة في هذا الجهد. لهذا السبب، لهذا السبب، يستند أكثر من نصف هذا التقرير إلى روايات شخصية وشهادات قدمها أشخاص عاديون في شمال شرق سورية من خلال عمليات المقابلات الفردية والجماعية المركزة.

ثانيًا، إن فهم أثر الصراع هو خطوة ضرورية في تحديد التدابير القصيرة والطويلة الأجل التي يمكن - حتى في إطار القيود السياسية والاقتصادية في المنطقة - أن تساعد على معالجة بعض الانقسامات الناجمة عن الصراع. في حين أن العديد من عناوين الرئيسية التي أنتجها داعش تتعلق بإعداماتهم المروعة والممارسات الوحشية الأخرى، إلا أن حملاتهم العسكرية وحكمهم على المجتمعات في سوريا والعراق تركت وراءها ندوبًا أعمق بكثير. تمثل الفصول المواضيعية التي كتبها خبراء متخصصون حول الآثار الاقتصادية والتعليمية والجنسية والنفسية والاجتماعية واحدة من أكثر الجهود تفصيلًا حتى الآن لشرح طبيعة تأثيرات داعش على المنطقة.

قد يكون من المغري الاعتقاد بأن شمال شرق سورية قد وجد السلام بعد الهزيمة العسكرية لتنظيم داعش في عام 2019. إلا أن هذا قد يكون بمثابة سوء فهم لطبيعة الصراع وتأثيره.

لم يتم القضاء على خطر داعش بالكامل. كان هذا واضحًا خلال عملية البحث التي ساهمت في إعداد هذا التقرير: كان العديد من الذين تمت مقابلتهم يخشون العنف على أيدي خلايا داعش السرية التي ضمت نفسها إلى المجتمعات المحلية أثناء وبعد الانهيار الإقليمي للتنظيم. استخدام التنظيم للخلايا النائمة والخلايا الإرهابية النشطة على المستوى المحلي هو أمر موثق بشكل جيد. يقترح البعض أن استمرار وجودهم في شمال شرق سورية يشير إلى أن داعش قد يظهر مرة أخرى كتهديد كبير مرة أخرى في المستقبل. هذا التهديد يلقي بظلاله على المجتمع.

وحتى ذلك الحين، لقد أدخلت الحرب سموم لا تزال تؤثر على المجتمعات في جميع أنحاء الشمال الشرقي. وفي المناطق الريفية بصفة خاصة، أصبحت المواقف المتعلقة بالمرأة والانفتاح على مختلف المعتقدات الدينية أكثر انغلاقاً وأقل تسامحاً بشكل ملحوظ.

بالإضافة إلى ذلك، لا يزال قدر كبير من التركيز والجهد، اقتصادياً وسياسياً، مقيداً في أعقاب صراع داعش. انتقل مخيم الهول من عدد من اللاجئين يبلغ 12 ألف نسمة إلى 76 ألف نسمة في غضون أشهر بعد سقوط الباغوز في عام 2019. يمثل المخيم كارثة إنسانية وتهديداً أمنياً مستمراً، ولا تزال سجون المنطقة تؤوي نحو 20 ألف مقاتل سابق في داعش، بينهم نحو ألفين غير سوريين.

إن الجهود المبذولة للتعرف على التكاليف البشرية لحكم داعش في شمال شرق سورية وأخذها على محمل الجد تفعل ثلاثة أشياء: 1. الاعتراف بمعاناة الناس و2. تحديد الجروح البدنية والنفسية الملموسة وغير الملموسة التي تحتاج إلى رعاية و3. توخي الحذر في الوقت المناسب بشأن الحاجة إلى اتخاذ خطوات أكثر ذكاءً وأسرع لحل الأسباب الكامنة وراء الصراع التي تحول دون حدوث تعافي حقيقي.

وبناءً على ذلك، يمثل هذا التقرير واحدة من أولى الفرص لشعب شمال شرق سورية نفسه لمناقشة أحداث وأثار الصراع رسمياً، للتذكير بأنها ليست مجرد إحصاءات أو ضحايا محرومين أو أضرار جانبية. إنهم أناس حقيقيون لديهم حياة حقيقية وأنهم عانوا بشدة.

وفي الوقت نفسه، لا يدعي هذا التقرير أنه أداة للمساءلة. ولا يسعى إلى تحديد هوية المسؤولين أو تقديم أدلة في ملاحقتهم. إن تقديم المسؤولين عن الفظائع إلى العدالة أمر بديهي. ومع ذلك، فإن آليات القيام بذلك ليست واضحة تماماً بعد. تستوعب السجون في المنطقة عشرات الآلاف من المشتبه بهم من الذكور، ولا يفسح الوضع السياسي المجال للاعتراف بالمحاكمات المحلية أو البلدان التي جاء فيها المشتبه بهم من الموافقة على استضافة الأفراد المدانين. وهذه مسائل تحتاج إلى معالجة، ولكنها لا تدخل في نطاق هذا التقرير.

في العقود الأخيرة، كان هناك اهتمام كبير بفكرة لجان الحقيقة. وكان المنطق الكامن وراء إنشاء هذه الأنواع من اللجان - جزئياً على الأقل - هو المساعدة على استعادة الثقة في السلطات التي ربما تكون قد تورطت في انتهاكات. إن سياق ما بعد داعش يربك هذا الهدف في أن الانتهاكات التي تم تناولها هنا نفذها داعش، وليس أولئك الذين أشرفوا على المنطقة في ذلك الوقت أو الذين أشرفوا عليها الآن. في الواقع، لقد عانى العديد من هؤلاء الأفراد أنفسهم بشكل مباشر على أيدي داعش.

إن القول بأن التقرير يشبه (عمل) بعض أنواع لجان التحقيق هو أمر صحيح، لكنه يحدث في سياق يكون فيه الكثير مما يمكن طرحه معروفاً بالفعل - فنحن نعرف من هم داعش ومن أين أتوا وما الذي يبدو أنهم يريدونه وما هي أهدافهم وكيف سعوا للحصول عليه. وعلى هذا النحو، يتناول التقرير هذه القضايا في فصله التمهيدي، باستخدام الأبحاث والتحليلات الراسخة بالفعل. وبنفس الطريقة التي نعرف بها من ارتكب الفظائع، فإننا نعرف أيضاً سبب ارتكابها.

العديد من الأشخاص الذين شاركوا في هذا الجهد فعلوا ذلك وهم يعلمون أنه لن يغير حياتهم بأي طريقة مباشرة. لقد عانوا من أقسى الظروف التي قد تقدمها الحياة ورأوا أن القدرة السياسية على الرد على هذه الفظائع محدودة للغاية. التوقعات منخفضة فيما يتعلق بالتغير المادي. من ناحية أخرى، لاحظ أولئك الذين عملوا في هذا المشروع التأثير الإيجابي الذي أحدثه الاعتراف البسيط بهذه الأفعال على العديد من أولئك الذين عانوا على أيدي داعش.

إن هذا التقرير ليس شاملاً. يوجد هنالك قيود في الوقت والموارد فضلاً عن القيود الأمنية التي حددت من نطاق المشروع. لم يمر العمل الصعب المتمثل في تجميع التقرير دون أن يلاحظه أحد من قبل داعش، الذين جعلوا مشاعرهم ونواياهم معروفة بشكل مباشر للعديد من الأشخاص الذين عملوا عليه.

بالتأكيد، كان من الممكن أن يشارك عشرات الآلاف من الأشخاص المتضررين من جرائم داعش في عملية أطول بكثير إذا كان ذلك ممكناً. لكن التقرير يتحدث نيابة عنهم أيضاً. يروي قصة مقنعة وقوية عن التكاليف البشرية والاجتماعية لحرب داعش في شمال شرق سورية. ويقر التقرير بأن المعاناة سببت لأناس حقيقيين لهم حياة وآمال حقيقية ولأشخاص لديهم وظائف ولأسر ولأزواج وزوجات ولأصدقاء وصديقات؛ أناس لديهم هموم وأحلام. تمزقت حياتهم وتعرضوا للمعاملة الوحشية. يسعى التقرير - على أقل تقدير - إلى الاعتراف وإلى شرح التأثير الحقيقي لما حدث في شمال شرق سورية. يأمل

التقرير أيضاً- إن أمكن - في لعب دور في تحفيز الجهود اللازمة للمساعدة في معالجة تداعيات المأساة الوحشية التي تسبب داعش في المنطقة.

يعرب المعهد الأوروبي للسلام عن امتنانه لجميع الأشخاص الذين ساهموا في هذا التقرير. أولاً وقبل كل شيء، نعرب عن امتناننا العميق وإشادتنا لجميع أولئك الموجودين في شمال شرق سورية الذين شاركوا قصصهم وشهاداتهم في مقابلات فردية أو اللقاءات الجماعية بالإضافة إلى مشاركتهم مواد حول الانتهاكات التي ارتكبتها داعش. نأمل أن يساهم - حتى لو كان ذلك بطريقة صغيرة- في الاعتراف بمعاناتكم وكرامتكم.

كما نتوجه بالشكر لأولئك الذين جمعوا وسجلوا البيانات التي استنارت بها صياغة هذا التقرير، ولا سيما الفريق في مبادرة دفاع الحقوقية (RDI) في شمال شرق سورية، بما في ذلك رئيس الفريق وموظفي التعداد وقادة الفرق والباحثون المواضيعيون وموظفو إدخال البيانات وموظفو السكرتارية وموظفو الأمن، وموظفو اللوجستيات، والمسؤولون الماليون، والإداريون.

كما نقدر مساهمات أولئك الذين حوّلوا المواد إلى هذا التقرير من خلال توفير خبراتهم في الترجمة والتحليل والبحث والكتابة، والتحرير، والتصميم، والاتصالات. وتوجه شكر خاص إلى الخبراء الموضوعيين، مارزيو بابيل ودانا سوانسون وسحر الأسد وسهى شامي وسوزان كيبلز وزيايد درويش، الذين كرسوا وقتهم وخبرتهم لإنتاج الفصول المواضيعية من هذا التقرير. كما نتوجه بنفس القدر من الشكر لنظرائهم السوريين في شمال شرق سورية، الذين نمتنع عن تسميتهم لأسباب أمنية.

القسم 1.1- مقدمة



في ذروة صيف 2014 أعلن زعيم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) آنذاك -أبو بكر البغدادي- "خلافة" تمتد من ديارى في شرق العراق إلى حلب في شمال غرب سوريا². كان تنظيم داعش، الدولة التي نصبت نفسها بنفسها، هو المنتج طويل الأمد للصراع وعدم الاستقرار في المنطقة. يمكن إرجاع أصولها إلى العراق، البلد الذي تم زعزعة استقراره بشدة بسبب الغزو الذي قاده الولايات المتحدة عام 2003، وكذلك سوريا، التي دمرتها بالفعل الحرب الأهلية بحلول الوقت الذي أصدر فيه البغدادي إعلانه.

مثلت داعش في أوجها تهديدًا لدمشق وبغداد والشرق الأوسط على نطاق أوسع. إن وحشية حملاتها العسكرية وحكمها الوحشي في الأراضي الخاضعة لسيطرتها من شأنه أن يصدم العالم. ومع ذلك، في غضون خمس سنوات، فقد داعش قدرته على استغلال الدول الإقليمية الضعيفة. قاتل أعداء التنظيم العديدين، على الرغم من مصالحهم السياسية المتعارضة تمامًا، ضد داعش بنفس الهدف - التدمير الشامل لموطئ قدم داعش الإقليمي في المنطقة. فبحلول عام 2019، فقد داعش السيطرة على جميع المساحات الشاسعة من الأراضي التي كان يسيطر عليها في السابق في العراق وسوريا، وتحولت ما تسمى بـ "الخلافة" إلى تمرد سري مرة أخرى.

² كما أنه يتم الإشارة إلى التنظيم باسم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا (داعش) أو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) أو تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) أو باسمه المختصر العربي داعش. سيتم استخدام مصطلح داعش خلال هذه الدراسة.

ارتكبت داعش انتهاكات مروعة خلال صعوده وسقوطه - انتهاكات تسببت في صدمة عميقة. كان بعض الأشخاص الأكثر تضرراً هم أولئك الذين يقيمون في شمال شرق سورية، حيث أقام داعش بحكم الأمر الواقع عاصمته الفعلية في الرقة وحيث خاضت قوات سوريا الديمقراطية حملة استمرت خمس سنوات ضد التنظيم.

النشأة

نشأ داعش لأول مرة في العراق. وكان أحد الأفراد المرتبطين ارتباطاً وثيقاً بداعش هو أبو مصعب الزرقاوي، وهو أردني وُلد باسم أحمد فاضل الخلايلة.³ قبل انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان في عام 1989، انضم الزرقاوي إلى المجاهدين الأفغان، الذين تمتعوا بدعم سعودي وباكستاني وأمريكي طوال الثمانينيات كمقاتلين مناهضين للشيوعية يكافحون الغزو السوفيتي للبلاد.⁴

وبعد التدريب العسكري في أفغانستان، عاد الزرقاوي فيما بعد إلى الأردن، حيث تم اعتقاله في آذار/مارس 1994. أصبح الزرقاوي أكثر تطرفاً في السجن وبعد إطلاق سراحه في عام 1999، حصل على تمويل من القاعدة لإقامة معسكر تدريب في مدينة هرات، غرب أفغانستان. وكانت الجماعة السلفية الجهادية المتشددة، التي يتزعمها أسامة بن لادن، قد قامت بالفعل بتفجير سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا، وسرعان ما ستكتسب شهرة عالمية بسبب دورها في الهجمات التي وقعت في الولايات المتحدة الأمريكية في 11 أيلول / سبتمبر 2001.

بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان في أواخر عام 2001، نقل الزرقاوي عملياته إلى شمال شرق العراق.⁵ بحلول صيف عام 2004، كان يُعتقد أن الزرقاوي وراء سلسلة من الهجمات الإرهابية في العراق، بما في ذلك تفجير سيارات مفخخة استهدفت السفارة الأردنية، ومقر الأمم المتحدة في بغداد، بالإضافة إلى العديد من الأضرحة الشيعية.⁶

لم يتقدم الزرقاوي بطلب العضوية الرسمية في تنظيم القاعدة حتى تشرين الأول/أكتوبر 2004. وفي رسالة موجهة إلى قيادة القاعدة، أوجز فيها الأردني تفسيره للإسلام والأهداف الاستراتيجية لتنظيم القاعدة في العراق.⁷ إن تعريف الزرقاوي الضيق لمن يمكن أن يتم اعتباره مسلماً واهتمامه بالحرمان أو التكفير، سيعزز لاحقاً أيديولوجية داعش والعنف السياسي المتطرف. التكفير السائد هو الإعلان عن أن المسلم أصبح مرتدّاً أو مهرطقاً من خلال ممارسة عبادة الأصنام أو الشرك، أو الانخراط في فعل أو معتقد إما يعتبر كفرًا في الإسلام أو يصنف الشخص بأنه كافر تظاهر فقط بأنه مسلم.⁸ التكفير يعاقب عليه بالإعدام في الإسلام ويؤدي إلى مزيد من العقوبة في الحياة الآخرة؛ ومع ذلك، نادراً ما يتم تطبيق التكفير في التاريخ الإسلامي، حيث يمكن أن يكون لهذه الممارسة عواقب وخيمة على كل من المدعي والمتهم.⁹

طبق الزرقاوي - وداعش لاحقاً - مصطلح الكفر على نطاق واسع ليشمل المسلمين الذين ارتكبوا الخطيئة، أو الحكام الذين لم يحكموا وفقاً للشريعة الإسلامية أو المسلمين الذين ينتمون إلى مجموعات أخرى غير جماعتهم أو المسلمين الذين لم يهاجروا من الأراضي غير الإسلامية إلى "الخلافة" التي أعلنها التنظيم. هذا التفسير المتشدد، الذي يتم اتّباعه بحماس منذ أيام الزرقاوي، يرى الإسلام مبتلياً بالكفر والشرك والبدعة، ويدعي أنه يجب "تطهير" الإسلام من خلال إعادة خلق عالم وعادات المسلمين الأوائل - النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ورفاقه في القرن السابع. رأى الزرقاوي المسلمين الشيعة على أنهم "عدو داخلي" للإسلام، مشيراً إليهم على أنهم "مرتدون خائنون" الذين شكلوا ما يسمى "مجتمع الانحراف المرتد" (أهل الزبغ المارقين) وكما أنهم اعتنقوا الوثنية والشرك.¹⁰

³ Toby Warrick, *Black Flags: The Rise of ISIS* (طبعة كيندل، 2015) الفصل الثاني

⁴ Michael Weiss & Hassan Hassan, *ISIS: Inside the Army of Terror* (طبعة كيندل، 2015)، الفصل الأول

⁵ Warrick, *Black Flags*، الفصل الرابع

⁶ NBC, "Terror strikes blamed on al-Zarqawi in Iraq" (14 يوليو 2004) < <https://www.nbcnews.com/id/wbna5437742> > تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

⁷ US Department of State, "Zarqawi letter" (فبراير 2004) < <https://2001-2009.state.gov/p/nea/rls/31694.htm> > تم الوصول إليه في يونيو 2003

⁸ Muhammad Haniff Hassan, "The Danger of Takfir (Excommunication): Exposing IS Takfiri Ideology" (2017) المجلد 9 اتجاهات وتحليلات مكافحة الإرهاب، الصفحة، 9.

⁹ Joas Wagemakers, *Quietist Jihadi: The Ideology and Influence of Abu Muhammad al-Maqdisi* (Cambridge University Press, 2012), p.226.

¹⁰ في المقام الأول، يعتمد الزرقاوي على تقي الدين أحمد بن تيمية (توفي عام 1323) - وهو المفضل لدى جميع الحركات السلفية الجهادية - في التبرير القانوني والتاريخي لهذا الإقصاء. ابن تيمية، مثل الزرقاوي، رأى الشيعة على أنهم "عدو من الداخل". وألقى باللوم عليهم في سقوط الخلافة العباسية أثناء الغزو المغولي، وبرر العنف ضد الشيعة بالتكفير. تم وصف ابن تيمية بأنه الأب الفكري للتكفير العرضي، وهو الآلية القانونية والأيدولوجية الرئيسية لاضطهاد داعش العنيف للطوائف الأخرى. انظر: Seyyed Vali Reza Nasr, *The Shia Revival: How Conflicts Within Islam Will Shape the Future* (نورتون، نيويورك، 2006)، الصفحة 71.

على الرغم من أن قادة القاعدة كانوا حذرين من هذا النهج الطائفي الراديكالي، إلا أنهم قبلوا تعهد الزرقاوي بالولاء وقرروا أنه سيقود فرعاً جديداً، القاعدة في العراق.¹¹ برز تنظيم القاعدة في العراق كطرف فاعل مهم في الحرب الأهلية التي أعقبت ذلك في العراق، حيث شن هجمات إرهابية خلال انتخابات عام 2005 واستهدفت صراحة المدنيين الشيعة والمواقع الدينية في جميع أنحاء البلاد التي تسببت في خسائر فادحة في صفوف المدنيين.¹² لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى يتسبب ذلك في خلاف خطير بين قيادة القاعدة وتنظيم القاعدة في العراق. وشكك أيمن الظواهري، المصنف الثاني في تنظيم القاعدة في العراق، في هجمات تنظيم القاعدة في العراق على "الشيعة العاديين" وشدد على ضرورة طرد القوات الأمريكية من العراق وتأمين دعم الجالية السنية قبل إنشاء إمارة إسلامية.¹³ تحدى الزرقاوي القيادة المركزية للقاعدة، وفي نيسان / أبريل 2006، أعلن أنه سيتم إنشاء دولة إسلامية في غضون ثلاثة أشهر.¹⁴

من تنظيم القاعدة في العراق إلى الدولة الإسلامية في العراق

تم قتل الزرقاوي في غارة شنتها القوات الخاصة الأمريكية في حزيران / يونيو 2006، ولم يعيش ليرى قيام دولته الإسلامية. بعد أشهر، أعلن خلفاء الزرقاوي، أبو عمر البغدادي (لا ينبغي الخلط بينه وبين زعيم داعش المستقبلي، أبو بكر البغدادي) وأبو أيوب المصري، قيام تنظيم الدولة الإسلامية في العراق في 15 تشرين الأول / أكتوبر 2006.¹⁵ وظل العراق غير مستقر بدرجة كبيرة؛ اندلع التمرد بعد مقتل الزرقاوي، وكان العام التالي من بين أكثر السنوات دموية من حيث الخسائر المدنية العراقية والخسائر العسكرية الأمريكية.¹⁶ ومع ذلك، فإن العنف والمحافظة الأيديولوجية التي تم إنشاؤها حديثاً من قبل الدولة الإسلامية في العراق أدى إلى نفور السكان السنة. خلال ما يسمى بـ "الصحو السنية"، تحالفت عشائر سنية من محافظة الأنبار بغرب العراق مع الولايات المتحدة بينما تمت زيادة في القوات حيث تم جلب قوات جديدة إلى العراق بلغ عددها حوالي 30 ألف لقمع العنف الطائفي المتصاعد.¹⁷ أثبت التحالف نجاحه: بحلول عام 2008، انخفض معدل الضحايا المدنيين بشكل كبير، وعلى مدى السنوات التالية، تم إنهاء قيادة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق تدريجياً.¹⁸ في نيسان / أبريل 2010، قُتل كل من أبو عمر البغدادي والمصري على يد جنود أمريكيين وعراقيين، وفي الأشهر التالية، تم القضاء على 34 آخرين من قادة تنظيم الدولة في العراق.¹⁹

فتح وفاة هؤلاء القادة الباب أمام أبو بكر البغدادي ليصبح زعيم داعش. ولد إبراهيم عواد البديري لعائلة من الطبقة المتوسطة الدنيا في سامراء بالعراق، وكان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين في التسعينيات وطالب دكتوراه في التلاوة القرآنية. بحلول وقت الغزو الذي قادته الولايات المتحدة للعراق، كان بدري قد اعتنق السلفية الجهادية، الشكل المتطرف للإسلاموية السنية الملزمة بإقامة دولة إسلامية مستمدة من التفسير الحرفي للقرآن.²⁰ بعد الغزو، قاد أبو بكر البغدادي جماعة مسلحة

¹¹ Will McCants, *The ISIS Apocalypse: The History, Strategy and Doomsday Vision of the Islamic State* (طبعة كيندل، 2006)، الفصل الأول.

¹² وبينما ألقى الجيش الأمريكي باللوم على الزرقاوي وتنظيم القاعدة في العراق باعتبارهما المحركين الرئيسيين للتمرد العراقي المتنامي، إلا أنه أجرى عمليات نفسية لتسليط الضوء على دور الإرهابي الأردني والتقليل من أهمية دور الدعم المحلي للتمرد. ولكن في واقع الأمر، كانت هناك عدة عوامل أدت إلى تاجيج نيران التمرد: الاستبعاد المتزايد بين السكان السنة في العراق (القوة السياسية المهيمنة في السابق في عهد صدام حسين)؛ المقاومة الشيعة للاحتلال الأمريكي؛ والانتهاكات التي ارتكبتها التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، مثل تدمير الفلوجة (التي أصبحت فيما بعد واحدة من أولى المدن العراقية التي غزاها داعش) والتعذيب في سجن أبو غريب؛ الفساد المستشري في جميع أنحاء العراق؛ والقرارات المشؤومة التي اتخذتها سلطة التحالف المؤقتة بحل الجيش العراقي و"اجتثاث البعث" من الحكومة، وبالتالي ضمان وجود ما بين 65.000 إلى 95.000 عراقي مسلح جيداً يمكن للجماعات المسلحة المعارضة للتحالف العمل معهم بشكل عملي.

See: Tim Dickinson, 'Hyping Zarqawi' (*Rolling Stone*, 12 April 2006) <<https://www.rollingstone.com/politics/politics-news/hyping-zarqawi-244415/>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023; Patrick Cockburn, *The Occupation: War And Resistance In Iraq* (2007); Patrick Cockburn, *Muqtada: 2023* تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023; Muqtada al-Sadr, *the Shia Revival & the Struggle for Iraq* (2008); Antony Shadid, *Night Draws Near: Iraq's People in the Shadow of America's* (2004) مجلة نيويورك نيو يوركر (نويويورك، 30 نيسان/أبريل 2004) <<https://www.newyorker.com/magazine/2004/05/10/torture-at-abu-ghraib>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023; James P. Pfifner 'US Blunders in 2023' تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023; Iraq: De-Baathification and Disbanding the Army' (2010) Vol.25 *Intelligence & National Security*, pp.76-85.

¹³ Document available here: <<https://ctc.westpoint.edu/wp-content/uploads/2013/10/Zawahiris-Letter-to-Zarqawi-Translation.pdf>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

¹⁴ McCants, *ISIS Apocalypse*، الفصل الأول

¹⁵ المرجع نفسه.

¹⁶ Sam Gollob & Michael E. O'Hanlon, *Iraq Index: Tracking variables of reconstruction in post-Saddam Hussein Iraq* (معهد بروكينغز، أغسطس 2020) <https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2020/08/fp_20200825_iraq_index.pdf> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023، الصفحات من 8 إلى 12.

¹⁷ Jon Lee Anderson, 'Inside the Surge' *New Yorker* (نويويورك، 11 تشرين الثاني/نوفمبر 2007) <<https://www.newyorker.com/magazine/2007/11/19/inside-the-surge>> accessed 7 June 2023.

¹⁸ Gollob & O'Hanlon, *Iraq Index*.

¹⁹ Weiss & Hassan, *ISIS*، الفصل الخامس

²⁰ Shiraz Maher, *Salafi-Jihadism: The History of an Idea* (أكسفورد، مطبعة جامعة أكسفورد، 2016) ; Mohamed M. Hafez, *Suicide Bombers in Iraq: The Strategy and Ideology of Martyrdom* (واشنطن العاصمة، مطبعة USIP، 2007)، ص 36، McCants, *ISIS Apocalypse*، الفصل الرابع.

في محافظة ديالى، حيث كان يعمل واعظاً، حتى تم القبض عليه في أواخر عام 2004 أثناء زيارته لأحد معارفه في الفلوجة.²¹ تم نقله إلى معسكر بوكا، معسكر الاعتقال الأمريكي حيث سيتم سجن العديد من قادة الحركة الجهادية العراقية - بما في ذلك تسعة على الأقل من كبار قادة داعش المستقبليين.²²

بعد إطلاق سراحه، انضم البدرى إلى تنظيم القاعدة في العراق عندما تم الإعلان عن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، أصبح رئيساً للجان الشرعية في المحافظات العراقية.²³ سرعان ما تمت ترقيته إلى ثالث أعلى رتبة في تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، وبعد وفاة أبو عمر والمصري، أصبح البدرى زعيماً. شبابه، المنصب السابق في مجلس الشورى والادعاء أنه من نسب من النبي جعله خياراً واضحاً.²⁴

عندما أصبح زعيم تنظيم الدولة الإسلامية، أخذ البدرى اسم أبو بكر البغدادي. شرع على الفور في تطهير قوات تنظيم الدولة الإسلامية من الأشخاص الذين كان ولاؤهم موضع تساؤل، ثم جلب ضباط الجيش والاستخبارات العراقيين السابقين إلى مناصب قيادية.²⁵ في نفس الوقت تقريباً، أدى الفشل في إحداث تحول في الجسد السياسي العراقي بعد الصحو السنية وتزايد الاستياء السني مما كان يُنظر إليه على أنه سياسة رئيس الوزراء نوري المالكي الطائفية الموالية للشيعية والانسحاب الوشيك للقوات الأمريكية إلى خلق الظروف التي تمكن تنظيم الدولة في العراق من إعادة تجميع صفوفه واستعادة قوته.²⁶

لكن الفرصة الحقيقية للتوسع جاءت في عام 2011، عندما تحولت الانتفاضة السورية ضد نظام الرئيس بشار الأسد إلى صراع مسلح.

الانتفاضة السورية

في 18 آذار / مارس 2011، على خلفية تصاعد الحركات الاحتجاجية المناهضة للاستبداد في تونس وليبيا ومصر، تجمع المتظاهرون في مدينة درعا جنوب سوريا للمطالبة بالإفراج عن عشرات المراهقين الذين تم اعتقالهم وتعذيبهم لرسم كتابات على الجدران تنتقد نظام بشار الأسد. كانت الحملة سريعة حيث قتلت قوات الأمن المتظاهرين بالذخيرة الحية، والتي، بدلاً من قمع الاحتجاجات، تسببت في انتشارهم في جميع أنحاء البلاد. واندلعت مظاهرات كبيرة في دمشق وحمص وإدلب. تشكلت الاحتجاجات من مزيج من السوريين مدفوعة بعقود من التهميش الاجتماعي والاقتصادي والبيئة السياسية القمعية، بما في ذلك أولئك الذين تم تهميشهم اقتصادياً (خاصة في الريف)، والشباب الذين لديهم تطلعات ديمقراطية والسنة المحافظين الذين عارضوا حكم وامتيازات الأقلية العلوية في الأسد.

وصل والد بشار الأسد - حافظ - إلى السلطة في عام 1970 بعد عقدين من الانقلابات، وركز منذ أيامه الأولى على تحصين حكومته ضد التمردات. تم منع الانقلاب في المقام الأول من خلال بناء جهاز أمني منتشر مبني على مراقبة واعتقال وتعذيب المنشقين المشتبه بهم، ولكن أيضاً من خلال نوبات متقطعة من العنف الوحشي على نطاق واسع. عندما حاول تمرد من الإخوان المسلمين اغتيال حافظ الأسد قبل شن تمرد مسلح في أوائل الثمانينيات،²⁷ رد النظام بعنف وحشي أسفر عن مقتل عشرات الآلاف وشهد اعتقال أو اختفاء العديد في أرخبيل معتقلات النظام. في الأيام الأولى من احتجاجات 2011، استخدم الأسد الأصغر العديد من الأساليب نفسها، وأشرف على حملات القمع القاسية على الاحتجاجات التي

²¹ Patrick Cockburn, *The Rise of Islamic State: ISIS and the New Sunni Revolution* (لندن، فيرسو بوكس، 2015)، الفصل الرابع؛ McCants, *ISIS Apocalypse*، الفصل الرابع.

²² أثناء وجوده داخل بوكا، شكل البدرى تحالفين مهمين، بما في ذلك مع أبو محمد العدناني، الذي سيصبح نائبه والمتحدث باسمه. See: Terrence McCoy, 'Camp Bucca: The US prison that became the birthplace of Isis' *The Independent* (لندن، 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2014) <<https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/camp-bucca-the-us-prison-that-became-the-birthplace-of-isis-9838905.html>> تم الوصول إليه في 7 حزيران / يونيو 2023.

²³ Aaron Y. Zelin, 'Abu Bakr al-Baghdadi: Islamic State's driving force' *BBC* (لندن، 31 تموز/يوليو 2014) <<https://www.bbc.com/news/world-middle-east-28560449>> تم الوصول إليه في 7 حزيران / يونيو 2023.

²⁴ McCants, *ISIS Apocalypse*، الفصل الرابع.

²⁵ Isabel Coles & Ned Parker, 'How Saddam's men help Islamic State rule' *Reuters* (لندن، 11 كانون الأول/ديسمبر 2015) <<https://www.reuters.com/investigates/special-report/mideast-crisis-iraq-islamicstate/>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

²⁶ Cockburn, *Rise of Islamic State*، الفصل الرابع.

²⁷ قدرت وكالة استخبارات الدفاع الأمريكية مقتل 2500 شخص، لكن منظمة العفو الدولية خلصت لاحقاً إلى وقوع 25000 ضحية. See Charles Glass, *Syria Burning: A Short History of a Catastrophe* (لندن، كتب فيرسو، 2016). الفصل الرابع.

تضمنت استخدام نيران القناصة والدبابات والمذابح ضد المتظاهرين، بينما وعد بإصلاحات سياسية رمزية وغير كافية.²⁸ وقد قبل رد فعل الحكومة السورية بإدانة دولية واسعة النطاق، وبحلول نهاية عام 2011، فرض الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وجامعة الدول العربية عقوبات.

في أقل من عام، أصبحت الانتفاضة الشعبية في سوريا عسكرية. واصل العديد من المتظاهرين مظاهراتهم السلمية، غالباً ما يكون في خطر شخصي كبير، بينما اعتقد آخرون أن المقاومة المسلحة فقط هي التي ستحدث التغيير. أنشأ المنشقون العسكريون الجيش السوري الحر وبدأت المعارضة في التنظيم السياسي. كانت استراتيجية الرئيس الأسد هي استهداف المدنيين والمرافق الطبية بشكل صريح في المناطق الناشئة التي تسيطر عليها المعارضة، معتبرة أن ذلك سيحرم المعارضة المسلحة من الدعم الشعبي.²⁹ حصل العديد من جماعات المعارضة على دعم من لاعبين خارجيين مثل قطر والمملكة العربية السعودية وتركيا؛ في غضون ذلك، شعرت الدول الغربية بالقلق بشأن كيفية دعم "المعارضة المعتدلة"، رغم أنهم قدموا أيضاً دعماً "غير قتالي" و "قتالي" للجماعات المسلحة المعارضة.³⁰ علاوة على ذلك، اعتمدت المعارضة على تدخل عسكري غربي مثل ذلك الذي ساعد في الإطاحة بمعمر القذافي في ليبيا في عام 2011، التي عملت فيها فصائل المعارضة تحت مظلة حظر طيران تابعة لحلف شمال الأطلسي بناء على إذن من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لاتخاذ "جميع التدابير اللازمة [...] لحماية المدنيين".³¹ على الرغم من الضغط من أجل تحيئة من الدول الغربية والخليج، احتفظ الأسد بالدعم الدبلوماسي من روسيا والدعم في ساحة المعركة من إيران وحزب الله.³² ونتيجة لذلك، تحولت الانتفاضة الأهلية إلى حرب أهلية، مع تدخل دولي واسع النطاق من كلا الجانبين.

على مدار عامي 2012 و 2013، أصبحت الدول الغربية تعترف بالائتلاف الوطني السوري المعارض كممثل شرعي لسوريا. ومع ذلك، مع تزايد حدة القتال، أصبحت الجماعات المتمردة الأكثر التزاماً أيديولوجياً - غالباً الإسلاميين أو الجهاديين - القوات المهيمنة المناهضة للأسد في ساحة المعركة. إحدى هذه الجماعات، جبهة النصرة "النصرة"، ظهرت كممثل صاعد في أوائل عام 2012، معلنة مسؤوليتها عن سلسلة من التفجيرات بالسيارات المفخخة في دمشق في ديسمبر 2011 والتي استهدفت أجهزة الأمن السورية.³³

اتضح فيما بعد أن النصرة تشكلت بناء على أوامر من زعيم القاعدة الطواهري إلى البغدادي.³⁴ في عام 2011، أرسل البغدادي أبو محمد الجولاني، وهو نزيل سابق آخر في معسكر بوكا، كممثل له في سوريا، مع عشرات من مقاتلي القاعدة المتشددين.³⁵ سعت النصرة إلى الحفاظ على سرية انتمائها إلى القاعدة وتعاونت بشكل وثيق مع فصائل المعارضة الإسلامية الأخرى، وشاركت في اللجان /الشرعية في المناطق التي تم الاستيلاء عليها من القوات الحكومية بينما كانت تجند بنشاط داخل المجتمعات السنية.³⁶ كما اجتذبت العديد من المقاتلين الأجانب الوافدين، وتمتعت بدعم مالي قوي من الخليج.³⁷ كانت درجة اندماج النصرة في التمرد السوري لدرجة أنه عندما صنفت الولايات المتحدة النصرة كمنظمة إرهابية في أواخر عام 2012، متهمة إياها بأنها جزء من تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، كان هناك احتجاج من 29 فصيلاً من فصائل المعارضة السنية رفعوا شعار "كلنا النصرة".³⁸

أكد تصنيف النصرة أنه وبينما أرادت الولايات المتحدة (ودول غربية أخرى) الإطاحة بالأسد، إلا أنهم كانوا قلقين للغاية بشأن الدور الحالي والمستقبلي المحتمل للنصرة. توقع تقييم أجرته وكالة استخبارات الدفاع الأمريكية في أغسطس 2012 أن "يمكن لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق [...] إعلان قيام تنظيم الدولة الإسلامية من خلال اتحادها مع المنظمات

²⁸ المرجع نفسه، الفصل الأول.

²⁹ المرجع نفسه.

³⁰ Christopher Phillips, *The Battle for Syria: International Rivalry in the New Middle East* (مطبعة جامعة ييل، 2020) الصفحات 125-146.

³¹ قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة 1973، المعتمد في 17 آذار/مارس 2011 <<https://digitallibrary.un.org/record/699777?ln=en>>، تم الوصول إليه في 7 حزيران / يونيو 2023

³² Phillips, *Battle for Syria*, الصفحات 92-99، 147-167.

³³ Weiss & Hassan, *ISIS*، الفصل التاسع

³⁴ McCants, *ISIS Apocalypse*، الفصل الرابع

³⁵ Weiss & Hassan, *ISIS*، الفصل التاسع

³⁶ Jennifer Cafarella, 'Jabhat al-Nusra in Syria' (معهد دراسة الحرب، 2014)

³⁷ accessed 7 June 2023; McCants, *ISIS Apocalypse* <<https://www.understandingwar.org/sites/default/files/JN%20Final.pdf>>، الفصل الرابع.

³⁸ Cafarella, 'Jabhat al-Nusra in Syria'.

المرجع نفسه.

الإرهابية الأخرى في العراق وسوريا وأضاف أنه "إذا انهار الوضع، فهناك إمكانية لإنشاء إمارة سلفية معلنة أو غير معلنة في شرق سوريا".³⁹ وأشار التقييم نفسه إلى أن هذا هو ما قصده بعض الدول الأجنبية المؤيدة للمعارضة، إذا أن ذلك سيعزل حكومة الأسد.⁴⁰ كان الخوف من قيام الإسلاميين بخطف الانتفاضة يعني أنه على الرغم من تعاون الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى مع جماعات المعارضة - وحتى تدريبها وتسليحها - إلا أنهم سيطبقون مزيداً من التدقيق على هذه الجماعات أكثر من الدول الأخرى التي بدت أكثر استعداداً للعمل مع العدد المتزايد من الجماعات الإسلامية العلنية على الأرض.⁴¹

إن القوة المتزايدة باستمرار للإسلاميين داخل الصفوف المناهضة للأسد صَبَّت في مصلحة الأسد أيضًا. لطالما كانت للرئيس السوري علاقة زئبقية مع التشدد الجهادي الدولي. حتى اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري في عام 2005، كان الأسد قد تعاون مع الولايات المتحدة في التسليم الاستثنائي للمشتبه في أنهم إرهابيون بالنسبة لسوريا.⁴² لكن سوريا كانت أيضًا قناة للأسلحة والأموال لحزب الله اللبناني وبعد الغزو الأمريكي للعراق، وُقِرَت محطات للمسلحين الإسلاميين في تنظيم القاعدة في العراق - حيث قدرت الحكومة الأمريكية أن ما يصل إلى 85 إلى 90٪ من جميع المقاتلين الأجانب في العراق في ذلك الوقت جاء عبر سوريا.⁴³ وهذا يعني أنه عندما قررت تنظيم الدولة في العراق تأسيس نفسه في سوريا، كانت الشبكات موجودة بالفعل.

ومما زاد الطين بلة، في الأيام الأولى للانتفاضة، أطلق الأسد سراح عدد كبير من المسلحين الإسلاميين المعروفين، مثل زهران علوش وحسن عيود، معتبرين أنهم سينضمون إلى قوات المعارضة الموجودة بالفعل على الأرض ويدفعونها نحو التطرف.⁴⁴ انتهى الأمر بالعديد من هؤلاء المعتقلين إلى أن يصبحوا قادة في داعش أو النصرة أو جماعات إسلامية قوية جديدة مثل جيش الإسلام وأحرار الشام.⁴⁵ عمل هذا على تعزيز رواية الأسد بأنه كان يواجه تمرّدًا من المتطرفين الإسلاميين وليس انتفاضة شعبية.

انقسام داعش والنصرة

أصبح انتماء النصرة لكل من القاعدة وداعش علنيًا في عام 2013. جادل البغدادي بضرورة الإعلان عن العلاقات بين النصرة وداعش؛ اعترض الجولاني وقال إنه كان في سوريا تحت إشراف زعيم القاعدة الظواهري، الذي منعه من الإعلان عن وجودهم الرسمي في سوريا. على الرغم من اعتراضات الجولاني، إلا أنه وفي 9 نيسان/أبريل 2013، أعلن البغدادي أن النصرة كانت تابعة لتنظيم الدولة الإسلامية وأنها ستشكل الآن جزءًا من الدولة الإسلامية في العراق وسوريا التي تم إنشاؤها حديثًا، أو داعش.⁴⁶ رفض الجولاني هذه الخطوة علنًا، وبدلاً من ذلك تعهد بالولاء للظواهري والقاعدة المركزية. في النهاية، دفع الخلاف الظواهري إلى طرد داعش من القاعدة تمامًا.⁴⁷ اختلف داعش والنصرة أيضًا على الأولويات، حيث تعتزم النصرة التركيز على قوات الأسد وبينما كانت داعش تسعى إلى أجندة إقليمية أوسع.⁴⁸

الخلاف مع النصرة وعدم رغبة داعش في المساومة مع أي شخص لا يشاركه أيديولوجيته السلفية الجهادية المحافظة المتطرفة وضع داعش على خلاف مع جماعات المعارضة السورية الأخرى. لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى تتحول

³⁹ الوثيقة مآحة هنا <https://www.judicialwatch.org/wp-content/uploads/2015/05/Pg.-291-Pgs.-287-293-JW-v-DOD-and-State-14-812-DOD-Release-2015-04-10-final-version11.pdf> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

⁴⁰ المرجع نفسه.

146 - 134 الصفحات ، Phillips, *Battle for Syria*⁴¹

42 Murtaza Hussain, 'Canada Charges Syrian Officer for Torture in Rendition Case — Despite U.S. Silence' (نيويورك، 1 سبتمبر 2015) <<https://theintercept.com/2015/09/01/charges-filed-case-rendition-torture-maher-arar/>> (2015 Phillips, 2023 يونيو 7 تم الوصول إليه في Battle for Syria, p.14.

Peter Neumann, 'Suspects into Collaborators' *London Review of Books* 43 (لندن، 3 نيسان/أبريل 2014)، الصفحات 19-21.

Phil Sands and others, 'Assad regime abetted extremists to subvert peaceful uprising, says former intelligence official' ⁴⁴
 <[https://www.thenationalnews.com/world/assad-regime-abetted-extremists-to-subvert-peaceful-uprising-](https://www.thenationalnews.com/world/assad-regime-abetted-extremists-to-subvert-peaceful-uprising-2014)
 العربية المتحدة، 21 يناير 2014) >
 <1.319620> says-former-intelligence-official-1.319620>تم الوصول إليه في 7 حزيران / يونيو 2023.

Richard Spencer, 'Four jihadists, one prison: All released by Assad and all now dead' ⁴⁵ (التلغراف (لندن، 11 مايو 2016)

<http://s.telegraph.co.uk/graphics/projects/isis-ijihad-syria-assad-islamic/index.html>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

⁴⁶ انظر الحاشية رقم 2. يتم استخدام داعش طوال هذه الدراسة بدلاً من أي من الأسماء الأخرى للتنظيم.

⁴⁷ Weiss & Hassan, *ISIS*; McCants, *ISIS Apocalypse*, ch.4; الفصل الثاني عشر.

المقدمة عملاً بالقرار 2170 (2014) "S/2014/815، الفقرة 7.

تلك الخلافات إلى عنف.⁴⁹ في آب / أغسطس 2013، طرد داعش النصرة وأحرار الشام من الرقة شمال شرق سورية – وهي أول عاصمة محافظة تستولي عليها المعارضة من القوات الحكومية - قبل أن يحاصر داعش قوات المعارضة حول مدينة الباب ويشتبك مع الثوار في أماكن أخرى حول دير الزور والموكلمة.⁵⁰ في أوائل عام 2014، خاضت النصرة والجيش السوري الحر والجبهة الإسلامية (تحالف يضم جيش الإسلام وأحرار الشام) حملة عنيفة استمرت شهرًا ضد داعش خلفت آلاف القتلى وفقًا لمراقبي النزاع.⁵¹ وانتهى الأمر بطرد داعش من إدلب وحلب، ولكن بالسيطرة على المواقع حول الرقة ودير الزور والمناطق الريفية في شرق سوريا.⁵² عندما قتل تنظيم داعش قائد أحرار الشام أبو خالد السوري، "مندوب" الظواهري في سوريا، قطع زعيم القاعدة أخيرًا جميع العلاقات المتبقية مع داعش.⁵³

التوسع الجغرافي

مع توسيع الأراضي الخاضعة لسيطرته، استفاد داعش من طريق مسدود في الصراع السوري. وبدعم إيراني، نجا الأسد من هجومات المعارضة الأولى في عامي 2012 و2013. بعد فشل محادثات جنيف الثانية في يناير 2014، كان من الواضح أن الجانبين ما زالا يؤمنان بحل عسكري للصراع. كشف تحقيق في عام 2014 أن جيش الأسد نفذ 90٪ من غاراته على أهداف المعارضة، وامتنع إلى حد كبير عن استهداف داعش.⁵⁴ خدم وجود داعش رواية الحكومة بشكل جيد، ولكن في تلك المرحلة، كان الثوار المعارضين يشكلون أيضًا تهديدًا أكثر إلحاحًا من داعش لمراكز القوى التي يسيطر عليها الأسد.⁵⁵ نتيجة لذلك، تم ترك داعش بمفرده إلى حد كبير - حتى وقت لاحق، وذلك عندما أصبح تهديدًا كبيرًا للغاية لا يمكن تجاهله.

في غضون ذلك، زادت قوات داعش من الهجمات عبر الحدود في العراق. وشمل ذلك هجومًا في سجن تكريت ساعد على تضخم صفوفها، تلاه هجمات على قوات الأمن العراقية والمدنيين الشيعة.⁵⁶ أدى الجمع بين الهجمات الإرهابية لداعش والرد الأمني القاسي من قبل قوات الأمن التي يهيمن عليها الشيعة التابعة لرئيس الوزراء المالكي إلى فتح الجراح الطائفية العميقة في العراق. مرة أخرى، تمكن داعش من الاستفادة من السخط السني وتحالف مع الجماعات السنية المتشددة التي كان يقاتلها في السابق.⁵⁷ في أوائل عام 2014، سيطر تنظيم الدولة الإسلامية على مدينة الفلوجة، التي كانت بؤرة التمرد ضد القوات الأمريكية قبل عقد من الزمن.⁵⁸ ثم أعلن داعش أنها أصبحت "إمارة إسلامية".⁵⁹

شهد أواخر ربيع وصيف 2014 مكاسب كبيرة لداعش على جانبي الحدود. في سوريا، اشتبك تنظيم الدولة الإسلامية مع وحدات حماية الشعب وغيرها من المجموعات الكردية، وسيطر على تل أبيبض، وفرض حصار على كوباني؛ بحلول أواخر آب/أغسطس، أخرج التنظيم الجيش السوري من مطار الطبقة العسكري، وأعدم فيما بعد ما لا يقل عن 200 جندي، الأمر الذي جعله يسيطر بشكل كامل على محافظة الرقة.⁶⁰ ومع ذلك، يمكن القول إن مكاسب أكثر أهمية قد تحققت في

⁴⁹ Al Jazeera English, 'Fighting rages between Syrian rebels and ISIL' (9 كانون الثاني/يناير 2014) <<https://www.aljazeera.com/news/2014/1/9/fighting-rages-between-syrian-rebels-and-isil>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

⁵⁰ Weiss & Hassan, *ISIS*, الفصل الرابع.

⁵¹ 'Thousands were killed and were killed during clashes with the Islamic State' (المرصد السوري لحقوق الإنسان، 2014) <https://web.archive.org/web/20140916120006/http://www.syriahr.com/index.php?option=com_news&id=20553&Itemid=2&task=displaynews#VBgmVKXP1aQ> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

⁵² Al Jazeera English, 'ISIL retreats from parts of north Syria' (28 شباط/فبراير 2014) <<https://www.aljazeera.com/news/2014/2/28/isil-retreats-from-parts-of-north-syria>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

⁵³ Weiss & Hassan, *ISIS*, ch.12; McCants, *ISIS Apocalypse*, الفصل الرابع.

⁵⁴ 'Syria: Countrywide Conflict Report #4' (مركز كارتر، 11 أيلول/سبتمبر 2014) <https://www.cartercenter.org/resources/pdfs/peace/conflict_resolution/syria-conflict/NationwideUpdate-Sept-18-2014.pdf> تم الوصول إليه في 7 حزيران / يونيو 2023.

⁵⁵ Phillips, *Battle for Syria*, الصفحة 200.

⁵⁶ Jessica D. Lewis, 'ISIS Battle Plan for Baghdad' (معهد دراسة الحرب، 27 حزيران/يونيو 2014) <<https://www.understandingwar.org/sites/default/files/ISIS-not-culminated.pdf>> حزيران/يونيو 2023، ص 2.

⁵⁷ Cockburn, *Rise of Islamic State*, ch.4.

⁵⁸ الجزيرة الإنجليزية، 'Iraq government loses control of Fallujah' (4 كانون الثاني/يناير 2014) <<https://www.aljazeera.com/news/2014/1/4/iraq-government-loses-control-of-fallujah>> see also: Weiss & Hassan, *ISIS*, ch.6.

⁵⁹ Liz Sly (2014) "Al-Qaeda force captures Fallujah amid rise in violence in Iraq," 3 يناير, <https://www.washingtonpost.com/world/al-qaeda-force-captures-fallujah-amid-rise-in-violence-in-iraq/2014/01/03/8abae2a-74aa-11e3-8def-a33011492df2_story.html>

⁶⁰ Phillips, *Battle for Syria*, pp.197-198; (قطر، 25 آب/أغسطس 2014) <<https://www.aljazeera.com/news/2014/8/25/islamic-state-captures-key-syrian-air-base>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

العراق، حيث استولت الجماعة على سامراء وتكريت. ثم، في أواخر حزيران/ يونيو، اجتاحت 1300 من مقاتلي داعش قوات الأمن العراقية من أجل السيطرة على الموصل، إحدى أكبر مدن العراق.⁶¹ مع سيطرة الموصل، سيطر تنظيم الدولة الإسلامية الآن على الأراضي بين شمال العراق وضواحي حلب. على خلفية انتصارهم الأخير، أعلن داعش أن "الخلافة قد عادت".⁶² صعد البغدادي منبر مسجد النوري في الموصل تبني دوره كـ "ال خليفة" الذي كان على جميع المسلمين اتباعه.⁶³

تمامًا كما استفاد داعش من الظروف المحلية في سوريا والعراق، فقد استفاد أيضًا من التطورات الجيوسياسية المواتية. أدى الدعم الأمريكي لقوات الأمن العراقية إلى استيلاء داعش على كميات وفيرة من الأسلحة الثقيلة، بما في ذلك الدبابات وعربات الهمفي، في الموصل. وكانت هناك حالات مماثلة تم فيها اجتياح قوات المعارضة السورية وإخراجها من المناطق؛ باع آخرون أسلحتهم لداعش ببساطة.⁶⁴ كما أنه يُزعم أن داعش استفاد أيضًا من الموارد المالية الأوسع المتاحة للجماعات المتطرفة من المانحين الخاصين في دول الخليج، بما في ذلك المملكة العربية السعودية وقطر والكويت، والتي لم يتم تقييدها حتى عام 2013.⁶⁵

بمجرد إعلان داعش خلافته، وفي ضوء تفسيره المتطرف للتكفير، كان لديه قائمة متزايدة من الأعداء في الشرق الأوسط وخارجه. رأت العديد من الدول أن داعش يمثل تهديدًا مباشرًا لمصالحها وأمنها بطريقة ما لم تكن سوريا بقيادة الأسد كذلك. تخشى المملكة العربية السعودية والأردن، وكذلك الدول الغربية وروسيا، نجاح المتطرفين الإسلاميين الذي يمكن أن يهدد مصالحهم الإقليمية، ولكنه يغذي أيضًا تطلعات الإرهابيين المحليين. كما لعبت وحشية داعش دورًا كبيرًا في ضمان أنها ستواجه قريبًا تحالفًا كبيرًا من الدول الدولية والجهات الفاعلة الإقليمية المجتمعة لمحاربتها. حظيت معاملتها للأقلية اليزيدية، والتي تضمنت القتل الجماعي والاستعباد الجنسي والتعذيب والنقل القسري، من بين انتهاكات أخرى، باهتمام دولي واسع النطاق. وقعت العديد من الفضائح في شمال شرق سورية والتي سيتم مناقشة بعضها في القسم الثاني من هذا التقرير.

بدأ التحالف العالمي ضد داعش بقيادة الولايات المتحدة في قصف مواقع داعش في العراق في آب/أغسطس 2014. في 23 أيلول/سبتمبر من ذلك العام، تم تمديد الحملة لتشمل سوريا، حيث كانت القوات الكردية تكافح من أجل مواجهة حصار داعش في كوباني على طول الحدود السورية التركية.⁶⁶ جلبت هذه الخطوة القوة الجوية الأمريكية إلى الحرب السورية - ليس بالطريقة التي كانت تأملها المعارضة المسلحة منذ فترة طويلة، ضد الأسد، ولكن بدلًا من ذلك للتعامل مع تهديد جماعة إسلامية متطرفة تتمتع بسيطرة إقليمية أكثر من أي امتياز للقاعدة.

أسلوب الحكم في "الخلافة"

كلف داعش نفسه بمسؤولية حكم الأراضي الخاضعة لسيطرته من خلال إعلان الخلافة التي كان هدفها المعلن هو "تطهير" الإسلام من خلال إعادة خلق عالم وعادات المسلمين الأوائل الذين كانوا يعيشون في الشرق الأوسط في القرن السابع.⁶⁷ في تموز/ يوليو 2014، ذكر العدد الأول من مجلة د/بق الدعائية - بعنوان "عودة الخليفة" - أن دعوة الجماعة كانت تطهير العالم من الردة والكفر من أجل تحقيق الوحدة السياسية والجغرافية والروحية (التوحيد). للمجتمع الإسلامي (الأمّة). رأى داعش أن المجتمعات السنية المتدينة خافتة ويعتقد أنها ستؤدي إلى مجتمع إسلامي "حقيقي" يقوده خليفة ويحكمه الشريعة الإسلامية. عندها فقط سيتمكن المسلمون من العيش في ظل قوانين الله الحقيقية (كما فسرها داعش).

كان الاعتقاد المتأصل في نظريته للعالم هو أن المجتمعات الأخرى (سواء كانت شيعية، أو إيزيدية أو علوية، أو درزية أو شبك أو مسيحية) وأي شخص آخر أعلن أنه أثم كان عائقًا أمام تحقيق الإمكانات الكاملة للمجتمع الإسلامي. مع تفسير الإسلام مثل تفسير الزرقاوي، اعتقد داعش أنه يمكن القضاء على مثل هذه الجماعات بشكل مبرر. إن الأشكال المتطرفة

⁶¹ Cockburn, *Rise of Islamic State*, الفصل الثاني

⁶² Quoted in McCants, *ISIS Apocalypse*, الفصل السادس.

⁶³ المرجع نفسه

⁶⁴ Conflict Armament Research, *Weapons of the Islamic State* (ديسمبر 2018) <<https://www.conflictarm.com/reports/weapons-of-the-islamic-state/>>

⁶⁵ <[islamic-state/](https://www.conflictarm.com/reports/weapons-of-the-islamic-state/)> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

⁶⁶ European Parliament, 'The Involvement of Salafism/Wahhabism in the Support and Supply of Weapons to Rebel Groups Around the

World' (البرلمان الأوروبي، حزيران/يونيه 2013) <<https://www.europarl.europa.eu/RegData/etudes/etudes/etudes/2013/457137/EXPO-2013-457137-EN.pdf>>

<[AFET ET\(2013\)457137 EN.pdf](https://www.europarl.europa.eu/RegData/etudes/etudes/etudes/2013/457137/EXPO-2013-457137-EN.pdf)> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023; Phillips, *Battle for Syria*, pp.140-141, 202-206.

⁶⁶ Cockburn, *Rise of Islamic State*, مقدمة.

⁶⁷ Cole Bunzel, 'From Paper State to Caliphate: The Ideology of the Islamic State' (معهد بروكينغز، 2015).

من العنف، إذا ارتكبت ضد طوائف أو أعراق أخرى، أو ما يسمى بالخطاة، أصبحت بالتالي عملاً من أعمال تطهير ديني يفترض أنه ضل طريقه وأصبح هرطقة.⁶⁸ روج داعش لفهم لا هوادة فيه للعقيدة السلفية، ويمكن ويجب قتل المسلمين الذين يعتقدون معتقدات خاطئة. وأشار الخبراء إلى أنه حتى بين الجماعات السلفية الجهادية، كان موقف داعش الإقصائي هو غير مسبق.⁶⁹ أدى الاستبعاد من خلال العنف إلى خلق هوية داخل المجموعة بين المسلمين من مختلف الجنسيات والأعراق الذين انضموا إلى ما يسمى بـ "الخلافة".⁷⁰

أثرت الحاجة إلى توفير الحكم الإقليمي على هيكلية التنظيم. بشكل عام، تألفت الهياكل الحاكمة لداعش من ثلاث مجموعات داخلية منفصلة.⁷¹ وترأست القيادة الأساسية برئاسة البغدادي الأذرع العسكرية والإدارية والدينية للتنظيم. كان العديد في القيادة من الضباط العسكريين البعثيين السابقين الذين عزلتهم سياسات المالكي في عراق ما بعد صدام.⁷² كانت المجموعة الثانية من السوريين العاديين والعراقيين، ومعظمهم من السنة، الذين تعهدوا بالولاء لأسباب عسكرية أو مالية أو أيديولوجية وشغلوا مناصب إدارية وعسكرية. كانت المجموعة الثالثة من المقاتلين الأجانب، وهم شباب تم إقصاؤهم اقتصادياً واجتماعياً تجذبهم قضية يفترض أنها ثورية ورومانسية. بحلول عام 2014، قدرت الولايات المتحدة أن داعش كان لديه ما بين 20 ألف و 31 ألف و 500 عضو. بحلول أواخر عام 2015، انضم إلى صفوفها ما لا يقل عن 30 ألف مقاتلاً أجنبياً من 86 بلد.⁷³ على عكس النصر، التي كانت قيادتها سورية بشكل شبه حصري، غالباً ما عين داعش مقاتلين أجانب في مناصب عليا وكافهم بمزايا غير متاحة للمقاتلين السوريين أو العراقيين العاديين.⁷⁴

بعد مراجعة شاملة للوثائق والرسائل التي صاغها قادة داعش، حقق فريق الأمم المتحدة في جرائم داعش حيث وجد أن داعش استخدم "نهجاً مركزياً عامودياً للغاية من أعلى إلى أسفل لإدارة الأراضي التي كان يسيطر عليها".⁷⁵ وتحت قيادة البغدادي، قام داعش بتقسيم الإدارة بين نائبين لعملياته في سوريا والعراق، حيث كان القائد العسكري العراقي السابق أبو علي الأنباري مسؤولاً عن العمليات في سوريا بينما كان أبو مسلم التركماني يشرف على العراق.⁷⁶ مارس التنظيم الرقابة الإدارية من قبل "اللجنة المفوضة" التابعة له، والتي تقدم تقاريرها مباشرة إلى البغدادي وتتمتع بسلطات إدارية واسعة، مثل الإشراف على المحافظات أو الولايات.⁷⁷ مع الرقة والموصل كمركزين ثقل في سوريا والعراق، تم تفويض المزيد من المسؤوليات بين المحافظين لإدارة مدن أو قرى معينة.⁷⁸

يمكن تقسيم نموذج حكم داعش في الأراضي الخاضعة لسيطرته إلى فئتين: التدابير الإدارية وتقديم الخدمات "الإسلامية". وشملت الإدارة ما يلي: الدعوة أو التوعية الدينية التي كانت من أولى الخدمات التي قدمها تنظيم الدولة الإسلامية عند دخوله أحد الأراضي؛ وإنشاء المعاهد الشرعية؛ وإنشاء الحسبة (شرطة للأخلاق الدينية) التي تقوم بدوريات في المدن لتعزيز الفضيلة ومنع الرذيلة؛ وخدمات التعليم باستخدام منهج دراسي يركز على العلوم الإسلامية ودراسة القرآن. كما أنشأ تنظيم الدولة الإسلامية محاكم إسلامية لحل النزاعات (بناءً على تفسيره المحافظ للغاية للشريعة) وإدارة/الحدود والعقوبات الشديدة

⁶⁸ Pieter Nanninga, "'Cleansing the Earth of the Stench of Shirk': The Islamic State's Violence as Acts of Purification" (2019) 68 الصفحات 57-128.

⁶⁹ Graeme Wood, *The Way of the Strangers: Encounters with the Islamic State* (نيويورك، راندوم هاوس، 2016).

⁷⁰ N. Lovrics, 'The Spectacles of Experience: Toward a New Understanding of ISIS's Performative Violence' (2015) 70 جديدة (2015) 'Off with their Heads: The Islamic State and Civilian Beheadings'; S.T. Zech & Z. Kelly, 'Off with their Heads: The Islamic State and Civilian Beheadings' (2015) 83-93 الصفحات.

⁷¹ مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، S/2014/815، الفقرة 13.

⁷² Coles & Parker, "How Saddam's men help Islamic State rule".

⁷³ *Al Jazeera English*, 'CIA says IS numbers underestimated' (12 أيلول/سبتمبر 2014) <<https://www.aljazeera.com/news/2014/9/12/cia-says-is-numbers-underestimated>> ; European Parliament, *Foreign Fighters – Member State responses and EU* (7 يونيو 2023) <<https://www.europarl.europa.eu/EPRS/EPRS-Briefing-579080-Foreign-fighters-rev-FINAL.pdf>> (بروكسل، 2016) Action (بروكسل، 2016) <<https://www.europarl.europa.eu/EPRS/EPRS-Briefing-579080-Foreign-fighters-rev-FINAL.pdf>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

⁷⁴ UN Security Council, S/2014/815, paras. 16 & 19; Charles C. Caris & Samuel Reynolds, 'ISIS Governance in Syria' in *Middle East Security Report* 22 (معهد دراسات الحرب، 2014)، الصفحة 23 <https://www.understandingwar.org/sites/default/files/ISIS_Governance.pdf>، تم الوصول إليه في 7 حزيران / يونيو 2023.

⁷⁵ UNITAD، التقرير التاسع، S/2022/836، الفقرة 48.

⁷⁶ مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، S/2014/815، الفقرة 16.

⁷⁷ Thomas Jocelyn, 'State Department adds chair of Islamic State's delegated committee to terror list' (21 نوفمبر 2018) <<https://www.longwarjournal.org/archives/2018/11/state-department-adds-chair-of-islamic-states-delegated-committee-to-terror-list.php>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

⁷⁸ مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، S/2014/815، الفقرة 15.

مثل الرجم أو الجلد. عملت قوات الشرطة المحلية كقوات تنفيذية للمحاكم المكلفة بالحفاظ على الأمن الداخلي في المدن ومراكز الاحتجاز.⁷⁹ وشملت المهام الأخرى التجنيد العسكري، بما في ذلك تدريب الأطفال بوصفهم "أشبال الزرقاوي"، والعلاقات العامة والشؤون القبلية.⁸⁰

ومن ناحية أخرى، ترتبط الخدمات الإسلامية في معظمها بتوفير المعونة والخدمات الأساسية للسكان الخاضعين لسيطرتها. وشمل ذلك مشاريع البنية التحتية، والمساعدة الإنسانية، وصيانة المخازن لتوفير الخبز المدعوم للسكان المحليين وإمدادات المياه والكهرباء.⁸¹ كما قام تنظيم الدولة الإسلامية بتشغيل خدمات الحافلات والخدمات البريدية وبرامج الرعاية الصحية والتطعيم للأطفال ومطابخ الحساء.⁸² كانت العديد من هذه الخدمات مجانية، ولكنها تعرضت لنقص حاد.

التكتيكات العسكرية

تم توجيه مبلغ كبير من الدخل الكبير لداعش - بميزانية تبلغ ملياري دولار، وكان يعتبر أغنى تنظيم إرهابي شهده العالم على الإطلاق - إلى ديوان الجند، وهو بمثابة وزارة الحرب في داعش.⁸³ خلال معظم الفترة التي يغطيها هذا التقرير، ترأس الوزارة أبو مهند السويدي - الذي خلف أبو عبد الرحمن البيلالي (والذي تم قتله في عام 2014) - حيث حافظ أبو مهند على دوره حتى وفاته في عام 2019. كلاهما كانا ضابطين سابقين في الجيش العراقي. كشفت البيانات التي تم استردادها من منزل البيلالي الأمن أنه في حوالي عام 2014، احتفظ داعش بحوالي ألف "قائد ميداني متوسط ورفيع المستوى، لديهم جميعاً خبرة فنية وعسكرية وأمنية.⁸⁴ بين القادة، تم التأكيد على الاحتراف العسكري، وتم فرض الانضباط الشديد بين جنودها المشاة، الذين لم يكن لهم رأي في القواعد الصارمة المفروضة عليهم.⁸⁵

حتى عام 2014، كان هؤلاء القادة مرتبطين بشكل فضفاض وقام داعش بتشغيل نظام لامركزي للقيادة والسيطرة العسكرية، مما سمح للقادة المحليين بدرجة عالية من الحكم الذاتي لإجراء حرب شبه تقليدية ومتنقلة للغاية. في بعض الأحيان، كان تنظيم الدولة الإسلامية يستخدم هجمات إرهابية مثل تفجير سيارات مفخخة في مناطق مدنية؛ في أوقات أخرى، يستخدم تكتيكات حرب العصابات مثل الهجمات الصغيرة والتخريب والتسلل والاعتقالات المستهدفة من خلال قوات كانت قادرة على التفرق بسرعة بعد العمليات لتجنب قدرات القوة النارية الساحقة للأعداء. في حين أن الهجمات الصغيرة، ولكن الوحشية للغاية من شأنها أن تضعف الدفاعات وتقوض الروح المعنوية لخصوم داعش، فقد تم دمجها مع هجمات متنقلة للغاية (عالية الحركة) وواسعة النطاق يتم تنفيذها بواسطة قوات مركزة تعمل على طول محاور متعددة للتغلب على قدرة خصومهم على الدفاع.⁸⁶

تم استخدام هجمات داعش المتنقلة للغاية بشكل فعال في الموصل ودير الزور، على سبيل المثال. كما أنها سهلت المكاسب العسكرية السريعة للتنظيم في العراق وسوريا في أواخر ربيع وصيف 2014. وقد أمكن ذلك بفضل الأصول العسكرية الكبيرة التي تم الاستيلاء عليها من القوات المسلحة العراقية، وبدرجة أقل من قوات الحكومة السورية والمعارضة المسلحة. واستفادت المجموعة أيضاً من الاتجار بالأسلحة، في المقام الأول عن طريق تركيا.⁸⁷ في أواخر عام 2014، أفاد فريق الرصد التابع لمجلس الأمن الدولي أن الأسلحة الموجودة في ترسانة داعش تشمل:

الأسلحة الخفيفة والبنادق الهجومية والرشاشات والأسلحة الثقيلة، بما في ذلك منظومات الدفاع الجوي المحمولة المحتملة (SA 7)، والمدافع الميدانية والمضادة للطائرات والقاذفات الصاروخية وقاذفات الصواريخ والمدفعية

⁷⁹ Caris & Reynolds, 'ISIS Governance in Syria' الصفحات 15 - 19.

⁸⁰ المرجع نفسه، الصفحة 2.

⁸¹ المرجع نفسه، الصفحات 20 - 23.

⁸² Charles Lister, *Profiling the Islamic State* (Brooking Doha Center, 2014) <<https://www.brookings.edu/research/profiling-the-islamic-state/>>

⁸³ <<https://www.brookings.edu/research/profiling-the-islamic-state/>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023، الصفحة 28.

⁸⁴ Martin Chulov, 'How an arrest in Iraq revealed ISIS's \$2bn jihadist network' (لندن 15 يونيو 2014)

⁷ <<https://www.theguardian.com/world/2014/jun/15/iraq-isis-arrest-jihadists-wealth-power>> حزيران/يونيو 2014.

⁸⁴ Ruth Sherlock, 'Inside the leadership of Islamic State: How the new 'caliphate' is run' (لندن، 9 تموز/يوليه 2014)

<<https://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/iraq/10956280/Inside-the-leadership-of-Islamic-State-how-the-new-caliphate-is-run.html>>

تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

⁸⁵ Antonio Gustozzi, *The Islamic State in Khorasan: Afghanistan, Pakistan & the New Central Asian Jihad* (لندن، هيرست، 2018).

⁸⁶ Lister, *Profiling the Islamic State*، الصفحتان 17 و19.

⁸⁷ مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، S/2014/815، الفقرة 37.

والطائرات والدبابات (بما في ذلك T 55 و T 72) والمركبات، بما في ذلك المركبات العسكرية المتعددة الأغراض عالية الحركة.⁸⁸

كانت أصول ترسانته متنوعة. أظهر تحقيق استمر ثلاث سنوات أن حوالي 90٪ من الأسلحة والذخيرة التي نشرتها قوات داعش نشأت في الصين وروسيا ودول أوروبا الشرقية.⁸⁹ كما أظهر التقرير أن "إمدادات المواد إلى الصراع السوري من أطراف أجنبية - لا سيما الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية - سمحت بشكل غير مباشر لـ [داعش] بالحصول على كميات كبيرة من الذخيرة المضادة للدروع" مثل الأسلحة الموجهة المتقدمة المضادة للدبابات.⁹⁰

بعد إعلان دولته، كان لداعش أولويات عسكرية متنافسة. فمن ناحية كان التنظيم يحتاج إلى مزيد من القوات المسلحة التقليدية للدفاع عن الأراضي الخاضعة لسيطرته؛ ومن ناحية أخرى، فإن الأسلحة والأعتدة التقليدية مثل المدفعية الثقيلة والدبابات كانت أكثر عرضة من القوات المتنقلة للهجمات الجوية المتصاعدة التي بدأت بالفعل بحلول منتصف عام 2014. ردًا على هذا التحدي، شرع داعش في إعادة هيكلة أجهزته العسكرية في ثلاثة جيوش متميزة، لإضفاء الطابع الرسمي على إدارة جيوشها التي كانت تقاتل على جبهات مختلفة.⁹¹ كانت القوة التقليدية الأساسية لداعش هي "جيش الخلافة"، الذي يعمل مع ما لا يقل عن 12 فرقة على جبهات مختلفة في جميع أنحاء سوريا والعراق والتي تشير التقديرات إلى أن لديه عدة مئات إلى عدة آلاف من الجنود في مرحلة ذروة داعش.⁹² تم استكمال جيش الخلافة بـ "جيش دابق" المكون من مجموعة فضفاضة من كتائب المقاتلين الأجانب الذين عملوا كقوات صدمة عالية الحركة تدافع ضد التهديدات الفورية و "جيش العسرة" وهو قوة كوماندوز صغيرة ومتخصصة مكلفة بالدفاع عن الموصول.⁹³ كما يمكن لحكام المحافظات التي يديرها داعش الاعتماد على القوات الخاصة "لجيش الولايات".⁹⁴ دعمت وزارة حرب داعش تنسيق جيوشها المختلفة وكذلك اللوجستيات والإدارة وشراء وتطوير الأسلحة والذخيرة وكفلت تنظيم الأنشطة وفقًا للشريعة.⁹⁵

أشرفت اللجنة المركزية "المفوضة" لداعش عن كُتب على الشؤون المالية للتنظيم ولديها سلطة على المصروفات العسكرية، بما في ذلك مكافآت ساحة المعركة للإنجازات العسكرية وشراء الأسلحة والإمدادات.⁹⁶ اختلفت تقديرات المدفوعات لجنود داعش، ولكن كان يُعتقد عمومًا أنها تتراوح بين 50 دولارًا شهريًا للمتطوعين غير المهرة وما يصل إلى 1500 دولار شهريًا للمقاتلين المهرة.⁹⁷ كانت هناك رواتب إضافية للمقاتلين مع العائلات.⁹⁸ ومع ذلك، بحلول أوائل عام 2016، استنفدت الموارد المالية لداعش تدريجيًا بسبب الخسائر الجغرافية وما نتج عنها من انخفاض في عائدات النفط. حيث اضطر التنظيم إلى خفض رواتب المقاتلين إلى النصف.⁹⁹

وبمرور الوقت، ساهمت التناقضات في نموذج داعش للحكم والسيطرة في سقوطه. في حين أن داعش كان ناجحًا في غزو الأراضي وجذب المقاتلين الأجانب لقضيته، إلا أن أساليبه تركته بدون حلفاء دوليين في نفس الوقت الذي واجه فيه حملات عسكرية متعددة ومتزامنة تمكنت من استخدام قوة جوية كبيرة لدعم الهجمات البرية. ومع افتقاره إلى القدرات الجوية ذاتها، ومن دون القدرة على الدفاع ضد الهجمات الجوية، فإن حاجة داعش للسيطرة على الأراضي وحكمها جعلته عرضة للخطر بشكل متزايد.

⁸⁸ المرجع نفسه، الفقرة 41

⁸⁹ CAR, Weapons of the Islamic State, الصفحة 5.

⁹⁰ المرجع نفسه، الصفحة 6

⁹¹ Haroro Ingram et al., The ISIS Reader: Milestone Texts of the Islamic State Movement (مطبعة جامعة أكسفورد، 2020)، الصفحات 235-248.

⁹² Craig Whiteside et al., The ISIS Files: The Islamic State's Department of Soldiers, جامعة جورج واشنطن، p.25.

⁹³ <https://isisfiles.gwu.edu/downloads/q237hr95t>

⁹⁴ المرجع نفسه

⁹⁵ المرجع نفسه، الصفحة 27

⁹⁶ المرجع نفسه، الصفحة 9

⁹⁷ UNITAD، التقرير التاسع، S/2022/836، الفقرة 48.

⁹⁸ مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، S/2014/815، الفقرة 80.

⁹⁹ المرجع نفسه

⁹⁹ The Guardian، 'Islamic State to halve fighters' salaries as cost of waging terror starts to bite' (لندن، 20 كانون الثاني/يناير 2016) تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023. <https://www.theguardian.com/world/2016/jan/20/islamic-state-to-halve-fighters-salaries-as-cost-of-waging-terror-starts-to-bite>

بالإضافة إلى ذلك، بدلاً من العمل مع الفصائل الإسلامية أو الجهادية الأخرى في سوريا لإيجاد قضية مشتركة ضد القوات الحكومية السورية، قاتل داعش بنشاط ضد الجماعات الأخرى. وعلى الرغم من أنه استفاد من موجة كبيرة من المقاتلين في وقت مبكر، إلا أنه لم يتمكن من الحصول على دعم مستمر من السكان المحليين بسبب تطبيقه الصارم للسلفية -التي كانت أكثر تشدداً من أي فرع من فروع القاعدة- بما في ذلك جبهة النصرة.

الهزيمة الأولى: كوباني

ظهرت بعض علامات القصور في داعش في وقت مبكر. في أيلول / سبتمبر 2014، استخدم خمسة آلاف من مقاتلي داعش الدبابات والمدفعية التي تم الاستيلاء عليها في الموصل لمحاصرة نصف مليون شخص في مدينة كوباني ذات الأغلبية الكردية، على حدود شمال سوريا مع تركيا. كانت وحدات حماية الشعب الكردية قد حررت المدينة من النصرة فقط في عام 2013، وبعد ذلك أنشأ حزب الاتحاد الديمقراطي مقره الرئيسي في المدينة. في تشرين الأول / أكتوبر 2014، فتحت تركيا، التي اتهمها البعض في البداية بالسلبية مع تقدم داعش في كوباني، حدودها للسماح للاجئين بدخول تركيا مع السماح للقوات الكردية العراقية بالعبور إلى سوريا للانضمام إلى القتال.¹⁰⁰ بعد أربعة أشهر من القتال المكثف في الشوارع والقصف المدفعي، تسببت القوات الكردية - مع زيادة الدعم الجوي الأمريكي - في خسائر فادحة لداعش وكسرت الحصار في النهاية.¹⁰¹

يمثل فشل داعش في الاستيلاء على كوباني أول هزيمة عسكرية كبيرة للتنظيم منذ امتداده السريع في صيف 2014. ردت القوات الكردية على داعش شرق الفرات بدعم جوي أمريكي، واستعادت الحسكة في نيسان/ أبريل 2015 وتل أبيض في تموز / يوليو من نفس العام، قبل أن تتحرك ببطء نحو العاصمة الرقة والتي اختارها تنظيم داعش عاصمة له.¹⁰²

ومع ذلك، استغرقت الحملة العسكرية الدولية وقتاً لجمع قوتها، ولكن خلال هذه الفترة استمر داعش في التوسع. في نيسان / أبريل 2015، استولى داعش على مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين في الضاحية الجنوبية لدمشق، وسيطر على مدينة تدمر القديمة وكذلك حقول الغاز في المنطقة المحيطة بها.¹⁰³ في تلك المرحلة، سيطر داعش على ما يقرب من نصف الأراضي السورية، بالرغم من أن معظم سكان سوريا بقوا في المناطق التي تسيطر عليها قوات الأسد.¹⁰⁴ كما استولى داعش على الرمادي في العراق.¹⁰⁵

حصل داعش على بعض الفوائد من الاهتمام الدولي. قدمت الحملة العسكرية دعاية جيدة: فمن خلال عملياتها الإعلامية (الاجتماعية) المتطورة، ادعى التنظيم أن هذا دليل إضافي على اضطهاد المسلمين السنة؛ كما أنه تم تصوير الخسائر في صفوف المدنيين التي وقعت أثناء الحملة الجوية التي شنها التحالف بقيادة الولايات المتحدة من خلال هذا المنظور أيضاً.

على الصعيد الدولي كذلك، تمتع تنظيم الدولة الإسلامية بالنجاح، حيث تعهد أتباعه بالولاء في نيجيريا وليبيا؛ وعقب ذلك أتباعه في بلدان أخرى مثل أفغانستان والصومال والفلبين. فبين عامي 2015 و2016، تمكن من تنظيم هجمات إرهابية رفيعة المستوى في باريس وبروكسل وسانت بطرسبرغ ومانشستر، مما أظهر قدرته على الرد. ومع ذلك، فإن هذا لم يؤدي إلا إلى تعزيز التصميم الدولي على ضرورة تدمير داعش.

¹⁰⁰ قناة الجزيرة الإنكليزية 'Turkey to let Iraqi Kurds join Kobane battle'، (قطر، 21 تشرين الأول/أكتوبر 2014) <<https://www.aljazeera.com/news/2014/10/21/turkey-to-let-iraqi-kurds-join-kobane-battle>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

¹⁰¹ الجزيرة الإنكليزية 'Syria Kurds return to "destroyed" Kobane'، (قطر، 28 كانون الثاني/يناير 2015) <<https://www.aljazeera.com/news/2015/1/28/syria-kurds-return-to-destroyed-kobane>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

¹⁰² الجزيرة الإنكليزية 'ISIL launches offensive on Syria's Hasakah'، (قطر، 31 أيار/مايو 2015) <<https://www.aljazeera.com/news/2015/5/31/isil-launches-offensive-on-syrias-hasakah>> ; Ben Hubbard & Maher Samaan, 'Kurds and Syrian Rebels Storm ISIS-held Border Town' <<https://www.nytimes.com/2015/06/16/world/middleeast/kurds-and-syrian-rebels-storm-isis-held-border-town>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

¹⁰³ الجزيرة الإنكليزية 'ISIL seizes part of Yarmouk district in Damascus'، (قطر، 2 نيسان/أبريل 2015) <<https://www.aljazeera.com/news/2015/4/2/isil-seizes-part-of-yarmouk-district-in-damascus>> ; Diana al-Rifai, 2023 تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

¹⁰⁴ الجزيرة الإنكليزية 'ISIL captures strategic Syrian city of Palmyra'، (قطر، 21 أيار/مايو 2015) <<https://www.aljazeera.com/news/2015/5/21/isil-captures-strategic-syrian-city-of-palmyra>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

¹⁰⁵ الجزيرة الإنكليزية 'ISIL "controls half" of Syria's land area'، (قطر، 1 حزيران/يونيه 2015) <<https://www.aljazeera.com/news/2015/6/1/isil-controls-half-of-syrias-land-area>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

¹⁰⁶ الجزيرة الإنكليزية 'ISIL seizes control of Iraq's Ramadi'، (قطر، 18 أيار/مايو 2015) <<https://www.aljazeera.com/news/2015/5/18/isil-seizes-control-of-iraqs-ramadi>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

تصاعد الهجمات ضد داعش

زادت مكاسب داعش والتدخل الأمريكي لدعم القوات الكردية من تعقيد فسيحاء الصراع السوري. فقد الأسد مساحات شاسعة من الأراضي لصالح داعش؛ والأهم من ذلك، غادرت قوات الشيعة العراقية والإيرانية سوريا لدعم بغداد، مما أدى إلى تفاقم نقص القوى العاملة في الأسد وساعد في تحويل الزخم مرة أخرى نحو المعارضة المسلحة.¹⁰⁶ ويتيسر من اتفاق تركي سعودي، قام تحالف مسلح إسلامي وهو جيش الفتح بالتنسيق مع النصر للسيطرة على إدلب في مارس 2015.¹⁰⁷ كانت هذه هي المرة الأولى التي تخضع فيها المدينة لسيطرة قوات المعارضة، وبحلول حزيران / يونيو 2015، سيطر جيش الفتح على كامل محافظة إدلب.

لكن على الرغم من نجاحهم، استمر الاقتتال الداخلي بين قوات المعارضة. النصر، التي استهدفتها الضربات الجوية الأمريكية منذ 2014، قاتلت في مناسبات مختلفة ضد جماعات المعارضة المدعومة من الولايات المتحدة؛ في أواخر عام 2015، انفصلت النصر عن أحرار الشام بشأن تطبيق الشريعة في الأراضي التي تسيطر عليها المعارضة وغادرت تحالف جيش الفتح.¹⁰⁸ في العام التالي، غيرت النصر اسمها (أصبحت في النهاية هيئة تحرير الشام، أو هتس في شكلها الحالي) وأعلنت أنها أنهت علاقتها مع القاعدة، على الرغم من أن النقاد شككوا في صحة الانقسام، بحجة أنها استمرت في تلقي التوجيه الاستراتيجي والعملي من القاعدة.¹⁰⁹

بعد عدة انتكاسات عسكرية للقوات الموالية للأسد والخسائر المتزايدة في إدلب، قررت روسيا التدخل عسكرياً في أيلول / سبتمبر 2015. اتخذ الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قراراً بضمان بقاء الأسد ومنع انهيار النظام، لكن هذا القرار وفر أيضاً مكاسب جيوسياسية لروسيا، التي وجدت نفسها معزولة بشكل متزايد في أعقاب أزمة أوكرانيا/ شبه جزيرة القرم عام 2014. على الرغم من وجود خطر سيطرة داعش على دمشق في حالة سقوط الأسد، إلا أن الرواية القائلة بأن الدعم الروسي تم تقديمه فقط لمحاربة داعش لم تصمد: استهدفت الحملة الروسية بشكل أساسي قوات أخرى غير داعش في المناطق الشمالية حول حماة وإدلب، وكذلك في درعا في جنوب غرب سوريا.¹¹⁰ و نتيجة للتدخل الروسي تمكن الأسد من تحقيق مكاسب كبيرة في أوائل عام 2016 حولت الزخم بعيداً عن المعارضة وأدت في النهاية إلى سلسلة من وقف إطلاق النار ووقف الأعمال العدائية التي كانت لصالح الأسد على المدى المتوسط (وتم انتهاكها مراراً وتكراراً من قبل قواته بحجة استهداف النصر). وفي محيط حلب تمكن داعش من التحرك بعد أن قصفت روسيا قوات المعارضة بشكل متكرر.¹¹¹

في تشرين الثاني / نوفمبر 2016، أعلنت قوات سوريا الديمقراطية - وهي قوة مدعومة من الولايات المتحدة تضم وحدات عربية ولكنها تتألف بشكل أساسي من مقاتلي وحدات حماية الشعب الكردية - أنها ستتحرك باتجاه الرقة.¹¹² في عهد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، الذي تولى منصبه في يناير 2017، اتخذت الولايات المتحدة عدة خطوات إضافية تهدف إلى استهداف داعش، بما في ذلك تقديم الدعم الفئك لقوات سوريا الديمقراطية.¹¹³ بحلول أوائل عام 2017، حاصرت قوات سوريا الديمقراطية حوالي أربعة آلاف مقاتل من داعش في الرقة؛ وبالتوازي مع ذلك، كانت القوات العراقية تتجه نحو استعادة الموصل - وهو هدف سيتحقق أخيراً في تموز / يوليو من ذلك العام. تبع ذلك سقوط الرقة في أكتوبر 2017،

¹⁰⁶ Phillips, *Battle for Syria*، الصفحة 202.

¹⁰⁷ المرجع نفسه، الصفحة 215.

¹⁰⁸ Alex MacDonald & Mary Atkinson, 'Reports: Al-Nusra Front leaves Jaish al-Fatah coalition in Syria' (لندن، 30 تشرين الأول/أكتوبر 2015) <https://www.middleeasteye.net/news/reports-al-nusra-front-leaves-jaish-al-fatah-coalition-syria> <تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023>.

¹⁰⁹ Hay'at Tahrir al-Sham' (n.d.) Stanford Center for International Security and Cooperation

<https://cisac.fsi.stanford.edu/mappingmilitants/profiles/hayat-tahrir-al-sham#_ftn39> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023 ; Hassan Hassan,

'Jabhat Al Nusra and Al Qaeda: The Riddle, the Ruse and the Reality' *The National* (الإمارات العربية المتحدة، 1 نوفمبر 2017) ; Abdul Raheem Attun, 'A Comprehensive History—How Jabhat al Nusra Broke its Ties with Al Qaeda' (1 كانون الأول/ديسمبر 2017).

¹¹⁰ Phillips, *Battle for Syria*، الصفحتان 214 و 223.

¹¹¹ Anne Barnard & Thomas Erdbrink, 'ISIS Makes Gains in Syria Territory Bombed by Russia' (نيويورك تايمز (نيويورك، 9 تشرين الأول/أكتوبر 2015) <https://www.nytimes.com/2015/10/10/world/middleeast/hussein-hamedani-iran-general-killed-in-syria.html> <تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023>.

¹¹² Al Jazeera English, 'Syrian rebels announce offensive to retake Raqqa' (قطر، 6 تشرين الثاني/نوفمبر 2016)

<<https://www.aljazeera.com/news/2016/11/6/syrian-rebels-announce-offensive-to-retake-raqqa>> تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

¹¹³ Charlie Savage & Eric Schmitt, 'Trump Administration Is Said to Be Working to Loosen Counterterrorism Rules' (نيويورك تايمز (نيويورك، 12 آذار/مارس 2017) <<https://www.nytimes.com/2017/03/12/us/politics/trump-loosen-counterterrorism-rules.html>> <تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023>.

مما وجه ضربة لـ "الخلافة" التي لن تتعافى منها أبدًا - على الرغم من أنها جاءت مع خسائر فادحة بين قوات سوريا الديمقراطية وحتى خسائر أكبر بين السكان المدنيين في المدينة.¹¹⁴ بينما استعادت قوات الأسد، بدعم من الجماعات المدعومة من إيران والمليشيات المتحالفة معها، دير الزور ومناطق واسعة من شرق سوريا، مستفيدة من خسائر داعش. وتراجع باقي مقاتلي داعش إلى المناطق الحدودية حول البوكمال. كان داعش على وشك الهزيمة، لكن الغزو التركي لعفرين في أوائل عام 2018 أبعد القوات الكردية عن الحملة المناهضة لداعش. ونتيجة لذلك، استغرقت قوات سوريا الديمقراطية حتى شباط / فبراير 2019 لتتمكن من هزيمة داعش أخيرًا في آخر معقلها، الباغوز الفوقاني. ولم تعد "الخلافة" قائمة بشكلها الجغرافي.

بدا داعش وكأنه قوة متهالكة. لقد فقد السيطرة على جميع أراضيهِ لصالح القوة الساحقة لأعداء متعددين على عدة جبهات متزامنة. بينما تمكن "الخليفة" البغدادي من الفرار من الباغوز، لن يمر وقت طويل حتى يلاقي نهايته، حيث قام بتفجير سترته الناسفة خلال غارة أمريكية في محافظة إدلب في تشرين الأول / أكتوبر 2019.¹¹⁵ ظلت إدلب تحت سيطرة هيئة تحرير الشام وحافظت الجماعة التابعة لتنظيم داعش التي تحولت إلى منافس وحافظت على ما بين 12000 إلى 15000 مقاتل في المنطقة.¹¹⁶

العودة إلى التمرد

أدى سقوط داعش إلى تدمير شمال شرق سورية. هناك القليل من المصادر التي تثبت بشكل رسمي العدد الإجمالي للأشخاص الذين قتلوا على يد داعش. ووثق تقرير للمفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان 17868 حالة وفاة مباشرة مرتبطة بالنزاع بين مقاتلين ومدنيين على أيدي تنظيم داعش خلال عقد من الحرب في سوريا.¹¹⁷ واعتبر إجمالي عدد الوفيات الحقيقي أعلى بكثير، حيث أن العديد من الوفيات ربما تكون غير موثقة. ولم يشمل الإحصاء أيضًا عدد الأشخاص المشوهين أو الجرحى. وكما أشارت المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، "فمن المرجح أنه بسبب كثافة الجرائم والأعمال الإرهابية التي يرتكبها [داعش]، أصبحت جهود التوثيق أقل تمثيلًا لحجم الأعمال العدائية التي كانت تحدث".¹¹⁸ في الحسكة والرقّة ودير الزور، حيث عمل داعش لسنوات، كان العدد التقديري للمدنيين الذين قتلوا هو ضعف العدد الموثق على الأقل.¹¹⁹ كما أن هذا الرقم لا يشمل "الوفيات غير المباشرة" الناجمة عن فقدان الوصول إلى السلع والخدمات الأساسية، وهو ما حدث بوضوح في جميع أنحاء المناطق الخاضعة لسيطرة داعش.¹²⁰ هكذا كان إرث داعش.

بحلول عام 2022 لا يزال هناك 120 ألف فرد في 11 مخيم و20 منشأة سجن في المنطقة - كثير منهم من النساء والأطفال الذين يعيشون في ظروف قاسية في المخيمات بين مؤيدي داعش المتشددين. وظل احتمال عودة ظهور داعش يشكل تهديدًا آمنًا خطيرًا على المدى الطويل.¹²¹

¹¹⁴ <<https://raqqa.amnesty.org/briefing.html>> Amnesty International, 'War in Raqqa: Rhetoric versus Reality' تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023.

¹¹⁵ '48 at Dead' Rukmini Callimachi & Fahil Hassan, 'Abu Bakr al-Baghdadi, ISIS Leader Known for His Brutality, Is Dead at 48' (نيويورك، 27 أكتوبر 2019) <<https://www.nytimes.com/2019/10/27/world/middleeast/al-baghdadi-dead.html>> (تم الوصول إليه في 7 يونيو 2023).

¹¹⁶ فريق المراقبة التابع لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، التقرير العشرين، S/2017/573 (15 تموز/يوليه 2019)، الفقرة 24.

¹¹⁷ United Nations High Commissioner for Human Rights, "Civilian Deaths in the Syrian Arab Republic", A/HRC/50/68 (حزيران 2022)، الجدول A6.

¹¹⁸ المرجع نفسه، الفقرة 27.

¹¹⁹ المرجع نفسه، الشكل 2.

¹²⁰ المرجع نفسه، الفقرة 4.

¹²¹ فريق المراقبة التابع لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، التقرير الثلاثون، S/2022/547 (15 تموز/يوليه 2022)، الفقرة 89.

الإعداد والمسؤوليات

تم إعداد هذا التقرير بشكل مشترك من قبل المعهد الأوروبي للسلام (المعهد)، وهو منظمة لحل النزاعات مقرها بروكسل، ومبادرة دفاع الحقوقية، وهي منظمة لحقوق الإنسان مقرها القامشلي.

تم إجراء البحث الميداني من قبل مبادرة دفاع الحقوقية والتي جمعت ثمان فرق لجمع الشهادات الفردية واستضافة اللقاءات الجماعية. خضع جميع أعضاء الفريق لتدريب مفصل بشأن جميع جوانب العمل ذات الصلة. كان يقود كل فريق قائد الفريق ويعمل به ثلاثة من مسؤولي الشهادات المجتمعية بالإضافة إلى ميسر الدعم النفسي والاجتماعي لتقديم الدعم المباشر للضحايا الذين يشاركون شهاداتهم. قسم السكرتارية في مبادرة دفاع الحقوقية مسؤولة عن إدخال البيانات الأولية ومعالجتها. أجرى رؤساء الفرق ورئيس الموظفين في مبادرة دفاع الحقوقية عملية ترميز أولية للبيانات، وبعد ذلك تم تبادل بيانات تقريبية مع المعهد لإجراء مزيد من التحليل.

كان يقود كل فريق قائد الفريق ويعمل به ثلاثة من مسؤولي الشهادات المجتمعية بالإضافة إلى ميسر الدعم النفسي والاجتماعي لتقديم الدعم المباشر للضحايا الذين يشاركون شهاداتهم.

قام المعهد بتقديم المشورة والدعم التقنيين إلى مبادرة دفاع الحقوقية حول مجموعة متنوعة من المسائل، بما في ذلك التصميم المنهجي وجمع الشهادات ووضع الاستبيانات والمبادئ التوجيهية الأخلاقية والتوعية والتواصل. ثم أجرى المعهد تحليلًا للبيانات، وبينما كانت عملية التحرير تعاونية بين المنظمين، كما كان المعهد مسؤولاً عن عملية التحرير الشامل للتقرير وتنسيقه وترجمته ونشره.

النطاق والاختيار

إن الفصول الرئيسية في هذا التقرير منظمة على أساس الخطوط الجغرافية والمواضيعية.

في القسم الثاني من التقرير، تصف الفصول الجغرافية قصة سيطرة داعش وانتهاكاته وهزيمته في مناطق جغرافية محددة في شمال شرق سورية. وبعد مداولات مستفيضة بين المعهد ومنظمة مبادرة دفاع الحقوقية، تم اتخاذ قرار بالتركيز على ست مناطق جغرافية هي: كوباني والحسكة ومنبج والطبقة والرقّة ودير الزور. تم اختيار هذه المناطق نظرًا لأهميتها الاستراتيجية والديموقراطية والرمزية في فهم الآثار والمعاناة المتنوعة التي أحدثها داعش في شمال شرق سورية. إنهم يقدمون تنوعًا ثريًا من الأعراق والأديان، مما يسمح بفحص شامل لكيفية تأثر المجتمعات المختلفة بحكم داعش. بالإضافة إلى ذلك، سمح اختيار هذه المناطق بإجراء تحليل مقارنة لمختلف أساليب ومنطقيات العنف التي استخدمها داعش في سياقات مختلفة - سواء بين المناطق الحضرية والريفية أو بين مختلف المجتمعات الطائفية والدينية والعرقية الموجودة في المنطقة. مع تقدم البحث، أصبح من الواضح بشكل متزايد وجود تباين كبير في كيفية تأثير داعش على كل منطقة. واختيار هذا العدد المحدود من المناطق الجغرافية يعني بطبيعة الحال استبعاد العديد من المناطق الأخرى. وهذا يعكس الوقت والموارد المحدودة المتاحة ولا يعني بأي حال من الأحوال إلى تجاهل المعاناة التي تعاني منها مناطق أخرى في شمال شرق سورية.

في القسم الثالث من التقرير، تحاول الفصول المواضيعية فهم أوجه التشابه الشاملة لحكم داعش المتكررة في شمال شرق سورية. سمح التركيز على أربع مجالات مواضيعية - الاقتصاد والجندر (النوع الاجتماعي) والتعليم والرعاية الصحية العامة والصحة النفسية والاجتماعية - بإجراء تحليل أعمق للتأثير المحدد على هذه المجالات، والذي من غير المرجح أن يستحوذ عليه التركيز الجغرافي المحدود بالكامل. تم اختيار الموضوعات الأربعة لأهميتها الكبيرة في فهم ليس فقط أيديولوجية داعش، ولكن أيضًا ملامح نموذج التنظيم للعنف والحكم في شمال شرق سورية.

العينة والتواصل

استخدمت فرق البحث طريقة أخذ العينات الهادفة، وهي شكل من أشكال أخذ العينات غير المحتملة حيث تم اختيار الأشخاص الذين تمت مقابلتهم بسبب خصائصهم الفريدة، على سبيل المثال، لأنهم عانوا بشكل مباشر أو شهدوا انتهاكات ارتكبتها داعش. تم التعرف على الضحايا من خلال الشبكات المحلية عبر مبادرة دفاع الحقوقية وفرق البحث نفسها، ومن خلال أخذ عينات بواسطة أسلوب "كرة الثلج"، حيث يقوم الضحايا أو أفراد المجتمع إما بتحديد الأشخاص المعنيين الذين

تمت مقابلتهم أو التواصل مع فرق البحث بعد التواصل الأولي حول مشروع البحث. ووضع المعهد ومبادرة دفاع الحقوقية خطة للتواصل من أجل تيسير مشاركة الضحايا غيرهم من الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات وإدارة التوقعات على مستوى المجتمع المحلي وتوقع الأسئلة والتصورات الخاطئة لتجنب إعاقه جمع البيانات.

المقابلات الفردية واللقاءات الجماعية

تم جمع الإفادات من خلال مجموعة من اللقاءات الفردية والجماعية، وبدأت جميع المقابلات بإجراءات الموافقة المستنيرة.¹²²

بين آذار / مارس وأيار / مايو 2023، تم جمع ما مجموعه 425 شهادة، منها 165، أو 39٪، أجريت مع النساء. وحضر ما مجموعه 581 شخصا اللقاءات الجماعية لمجموعات التركيز.

سمحت المقابلات الفردية بإدلاء الضحايا والناجين بشهادات مفصلة، وجمع تفاصيل وذكريات تجاربهم الفردية مع عنف داعش.

كان الهدف الأساسي من لقاءات مجموعات التركيز المجتمعية - التي تتكون من مجموعات تتراوح بين 15 و 25 شخصًا - هو تحديد الآثار المجتمعية لحكم داعش في مكان معين. هدف الباحثون إلى توثيق "القصة" الشاملة لموقع جغرافي معين من خلال تفصيل الحياة قبل اندلاع الصراع، والمراحل الأولى من الصراع ووصول داعش، والآثار على المجتمعات المحلية والصراع ضد داعش وما بعده.

كشفت جلسات مجموعات التركيز الفردية والجماعية عن اختلافات إقليمية متميزة من حيث تجارب الضحايا، ولكن أيضًا عن مدى ارتياح الضحايا للمشاركة بنشاط والتعبير عن أنفسهم في جلسات جماعية - سواء بسبب ديناميكيات الأمن المحلية أو الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والجغرافية للمشاركين أنفسهم.

الرعاية النفسية

يقع مقر مبادرة الدفاع في القامشلي ويعمل بها مع موظفين من جميع أنحاء شمال شرق سورية حيث تتمتع المبادرة بمعرفة عميقة بالصراع. ضمن هذا الأمر أن تكون المنظمة وفرق البحث التابعة لها حساسة على الفور تجاه السياق منذ بداية المشروع، وكان هناك اعتراف بأن الصدمات النفسية العميقة التي تسبب فيها داعش والصراع ضد داعش هي أمور يجب التعامل معها بعناية شديدة ودقة. ولهذا السبب، استثمر المعهد ومبادرة دفاع الحقوقية موارد كبيرة خلال المرحلة التحضيرية للمشروع لضمان حصول جميع الموظفين على التدريب الكافي حول أفضل الممارسات في إجراء المقابلات الحساسة للصدمات.

علاوة على ذلك، وبدعم من المعهد، كفلت مبادرة دفاع الحقوقية الامتثال لأفضل الممارسات في المقابلات الحساسة للصدمات. هذه طريقة لإجراء مقابلات حساسة ومهنية.¹²³ تهدف إلى تمكين الضحايا والشهود الآخرين وإعطائهم إحساسًا بالقوة والسيطرة. تطبق هذه الطريقة بروتوكولات لتجنب إعادة صدمة الضحايا والشهود وتعريضهم لمخاطر إضافية، مما قد يؤثر أيضًا على جودة وموثوقية المعلومات المقدمة ويشوه ذكرى الضحايا والشهود للحدث (الأحداث). تم إصدار إرشادات واضحة للموظفين القائمين على التعداد وتدريبهم على تحديد علامات الصدمة. تم وضع بروتوكولات لمقاطعة المقابلة وتقديم الدعم النفسي عندما بدا الأشخاص الذين تمت مقابلتهم حزينين أو غير ذلك من عدم الراحة.

¹²² يضمن جميع الموظفين المسؤولين عن التعداد الحصول على الموافقة المستنيرة لجميع المشاركين الذين تمت مقابلتهم. وأوضحوا دورهم في المشروع (سواء كموظفين أو متطوعين)، والغرض من المقابلة وحقيقة أنها ستكون سرية، وما لم يوافق الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات على وجه التحديد، على ألا يتم إدخال أي معلومات شخصية مثل الاسم أو العمر أو مكان العمل. سيتم استخدام الأصل. تم إبلاغ المشاركين بأن مشاركتهم كانت طوعية وأنه لن تكون هناك مكافأة مالية مقابل المشاركة وأنه ليس هناك أي التزام بالإجابة على أي سؤال. كما قيل لمن أجريت معهم مقابلات إن بإمكانهم الانسحاب في أي وقت دون تقديم أي مبرر. ويمكن أيضًا تدمير البيانات إذا طلب أي مشارك ذلك.

¹²³ S.F. Ribeiro and Danae van der Straten Ponthoz, *International Protocol on the Documentation and Investigation of Sexual Violence in*

Conflict Best Practice on the Documentation of Sexual Violence as a Crime or Violation of International Law (الأمم المتحدة)

<[https://www.un.org/sexualviolenceinconflict/wp-content/uploads/2019/06/report/international-protocol-on-the-documentation-and-investigation-of-sexual-violence-in-conflict/International Protocol 2017 2nd Edition.pdf](https://www.un.org/sexualviolenceinconflict/wp-content/uploads/2019/06/report/international-protocol-on-the-documentation-and-investigation-of-sexual-violence-in-conflict/International%20Protocol%202017%202nd%20Edition.pdf)>

الوضع الأمني

نظرًا لأن خلايا داعش لا تزال تعمل وتشن هجمات في جميع أنحاء شمال شرق سورية، صاغ فريق البحث بروتوكولًا لتقييم المخاطر والأمن لتقييم وإدارة المخاطر المتعلقة بإجراء البحث في بيئة عالية الخطورة. حدد بروتوكول المخاطر هذا، الذي صاغه المعهد وتم تكييفه مع السياق المحلي بواسطة مبادرة دفاع الحقوقية المسؤليات الأمنية وتحديد التهديدات وتقييمها والمخاطر والبروتوكولات الأمنية والتخطيط للطوارئ، وكفل موافقة قادة الفرق على البروتوكولات المعتمدة. كان مدير مبادرة دفاع الحقوقية وموظفو الأمن مسؤولين عن مراجعة جميع تقييمات المخاطر الفردية.

وعلى الرغم من عدم وقوع حوادث أمنية كبيرة أثناء البحث وجمع البيانات، فقد كان الأشخاص المحتملون الذين تمت مقابلتهم حساسين لوجود خلايا داعش في منبج والرقّة ودير الزور (وخاصة في المناطق الريفية حول المدن في هذه المواقع). كان الناس يخشون تداعيات خلايا داعش إذا شاركوا قصصهم. لمعالجة هذا الأمر، اعتمدت فرق البحث نهجًا مرئيًا وبذلت جهدًا كبيرًا لبناء الثقة مع الناس. ومع ذلك، كفلت مبادرة دفاع الحقوقية أن تبقى نوعية البيانات عالية أثناء جمع الشهادات عند استخدام الأساليب المرنة المناسبة.

معالجة البيانات

تم تخصيص رقم تعريف فريد لكل شهادة فردية أو مشارك في لقاءات فريق التركيز، مما سمح بإخفاء هوية البيانات لأغراض الخصوصية والسلامة. وفقًا للوائح اللائحة العامة لحماية البيانات، وافق الأشخاص الذين تمت مقابلتهم على وجه التحديد على استخدام بياناتهم. وقد أحييت البيانات إلى قسم السكرتارية في مبادرة دفاع الحقوقية قبل تسجيلها ثم تخزينها بصورة آمنة بواسطة المبادرة. كان رئيس موظفي المبادرة مسؤولًا عن الاختيار المسبق للشهادات ذات الصلة، والتي تُرجمت من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية ثم تم مشاركتها مع المعهد.

القسم 2 - التأثير على ست مجتمعات سكانية في شمال شرق سوريا

يوضح هذا الجزء من التقرير تأثير عنف داعش وسيطرته على الأراضي في ستة مجتمعات في شمال شرق سوريا. تم تنظيم الفصول مع أخذ التسلسل الزمني التقريبي للحملة ضد داعش في الاعتبار، بدءًا من كوباني، حيث تلقى داعش أول هزيمة رمزية كبرى بعد الانتصارات الأولية والتوسع. يتبع ذلك الروايات الواردة من الحسكة ومنبج والطبقة، ثم العاصمة الفعلية لداعش في الرقة، ودير الزور، حيث اتخذوا منها مكانهم النهائي.

كان هناك الكثير من أوجه التشابه بين المجتمعات. وكان لكل مجتمع قصص من الانتهاكات وانتهاكات حقوق الإنسان، بما في ذلك الإعدامات العلنية والمجازر والتعذيب والاختطاف والاعتقال التعسفي. كان العنف القائم على النوع الاجتماعي أو العنف الجنسي، والانتهاكات ضد الأقليات العرقية والدينية أمرًا شائعًا في شمال شرق سوريا. ولكن كان هناك أيضًا العديد من الاختلافات والفروق الدقيقة في الطريقة التي أثر بها داعش على كل مجتمع. بعضها لم يكن مشغولًا بالكامل أبدًا؛ عانى آخرون سنوات من السيطرة الاجتماعية الخائفة. خلقت التركيبة العرقية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية المختلفة للمناطق فروقًا مرتبطة بكيفية تطور الحرب السورية في السنوات الأولى في كل منطقة أيضًا.

مسترشدة بإفادات الناس في هذه المناطق، تحكي هذه الفصول القصص الفريدة لتأثير داعش في هذه المناطق. يعرض كل فصل الخلفية التاريخية، والأيام الأولى للحرب السورية، وكيفية سيطرة داعش على هذه المجتمعات. ثم تحكي هذه الفصول قصة مدى سوء الذي ستصبح عليه الحياة تحت سيطرة داعش وكيف أن المعاناة التي حدثت سوف تستغرق سنوات لكي تتشفي.

1. كوباني (عين العرب)

أصبحت مقاومة كوباني ذات الغالبية الكردية على الصفحات الأولى من الاخبار الدولية في عام 2014 عندما حاصر مقاتلو داعش المدينة لعدة أشهر، بعد حملة الانتصار التي اجتاحت وقتها العراق وسوريا. فيما سيصبح لاحقاً نقطة تحول رئيسية في الحرب ضد داعش، تمكنت القوات ذات الأغلبية الكردية من كسر الحصار المفروض على كوباني وصد مقاتلي داعش بعيداً عن المدينة.

ومع ذلك، فإن التكلفة البشرية للصراع المحلي في كوباني – الذي اتسم بالحصار وقصف المدفعية والمذابح – كانت هائلة.

كوباني قبل الحرب

تقع على الحدود مع تركيا في قلب الأراضي الزراعية في سوريا - رسمياً، ولكن بشكل أقل شيوعاً، عُرفت باسمها العربي عين العرب - على سهل سروج على بعد حوالي 30 كيلومتراً إلى الشرق من نهر الفرات وحوالي 150 كيلومتراً شمال شرق مدينة حلب. بلغ إجمالي عدد سكان المنطقة حوالي 450.000 نسمة، 95٪ منهم من الكرد الذين يعيشون إلى جانب الأقليات العربية والأرمنية والتركمانية. أشار احصاء عام 2004 في سورية إن أن حوالي 192.500 نسمة يعيشون في مناطق وسط كوباني وفي كل من ناحيتي الشيوخ وصرين.¹²⁴

اسم كوباني مشتق من كلمة "كوباني" (شركة) في إشارة إلى شركة السكك الحديدية الألمانية التي بنت جزءاً من سكة حديد قونية - بغداد في عام 1911.¹²⁵ على الرغم من أن المدينة تأسست وبنيت لأول مرة في عام 1892، إلا أنه من خلال بناء مشروع سكة حديد بغداد بين عامي 1911 و1912 أصبحت مستوطنة مهمة. استخرجت الشركة الألمانية الحجارة السوداء من تلة مشتي النور القريبة واستخدمتها لتوسيع خط السكة الحديد بين برلين والبصرة في العراق. تم تحويل خط السكك الحديدية هذا لاحقاً إلى الحدود بين سوريا وتركيا. بعد تشكيل الدولة السورية الحديثة، اعتبرت كوباني جزءاً من محافظة حلب.

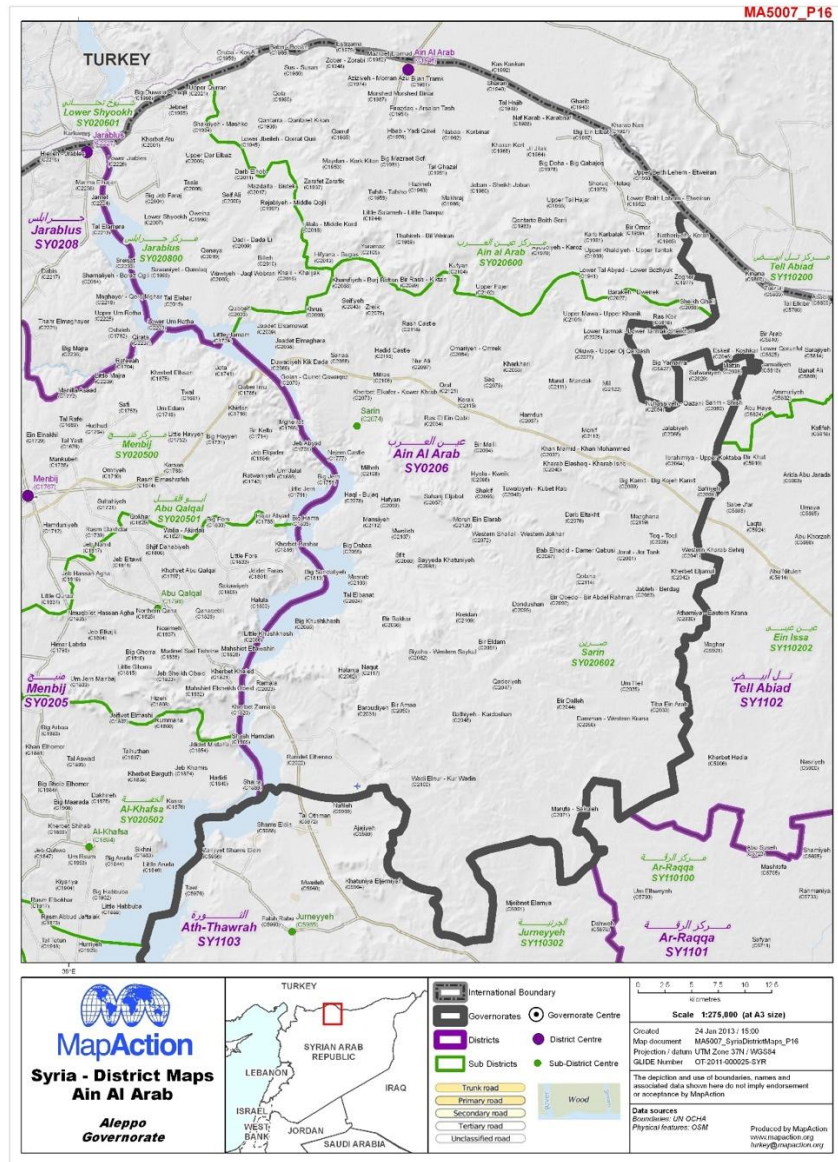
بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، لجأ الأرمن الفارين من المذابح (التي اعترفت بها العديد من الدول على أنها إبادة الجماعية للأرمن) للعيش بالقرب من محطة سكة حديد كوباني، استمروا في الاندماج في القرية حتى بعد عام 1915. ترك ترسيم الحدود مع تركيا على طول خط السكك الحديدية، وهو نتاج الحدود الاستعمارية الحديثة المرسومة من خلال اتفاقية سايكس بيكو، جزءاً من المدينة على الجانب التركي. في الوقت الحاضر، تسمى هذه قرية مرشد بنار، والتي يوجد فيها معبر حدودي بين البلدين يحمل نفس الاسم.

نفذت سلطات الانتداب الفرنسي الكثير من تخطيط مدينة كوباني أثناء احتلال فرنسا لسوريا؛ لا تزال بعض المباني ذات الطراز الفرنسي موجودة، وللمدينة شوارع واسعة ومستقيمة مبنية على طراز مخطط شبكي مثل رقعة الشطرنج. كان المسجد الكبير، الذي بني في عام 1957، أحد أهم المعالم الأثرية في المدينة، على الرغم من وجود كنائس كاثوليكية وأرثوذكسية وأرمنية في كوباني، بصرف البصر عن حقيقة أن معظم الأرمن عادوا إلى الاتحاد السوفيتي في الستينيات. تم تقسيم كوباني سابقاً إلى خمسة أحياء كبيرة تتضمن كانيه مرشد في الشمال الغربي، وكانيه عربان في الشمال الشرقي، بالإضافة إلى حي بوتان وحي مقتلة وحي القناة القديمة.

¹²⁴ Syrian Central Bureau of Statistics, 'Syria Population Census, 2004' (Ar.) (n.d.)

¹²⁵ <https://web.archive.org/web/20151208115353/http://www.cbssyr.sy/General%20census/census%202004/pop-man.pdf> <شوهدي في 17 آب/أغسطس 2023>

¹²⁵ 'Hurriyet Daily News, 'Explained: Kobane or Ayn al-Arab?' (اسطنبول، 28 تشرين الأول/أكتوبر 2014) <<https://www.hurriyetdailynews.com/explained-kobane-or-ayn-al-arab-73591>> <شوهدي في 15 آب / أغسطس 2023>



الشكل 1: مديرية كوباني (عين العرب) في محافظة حلب¹²⁶.

المجتمع الكردي في كوباني هو مجتمع قبلي وله عادات وتقاليد قوية. هناك العديد من القبائل الكردية في كوباني التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقبائل الكردية على الجانب التركي من الحدود. العديد من العائلات كبيرة الحجم، وتتكون في المتوسط من سبعة أشخاص، وذلك بسبب الطبيعة القبلية التي تعتمد على العدد الأكبر من الأبناء، بالإضافة إلى كون المجتمع في كوباني وفي المناطق المحيطة به مجتمع زراعي وذلك بمرر حجم الافراد في كل عائلة. يشكل الشباب غالبية السكان في كوباني.

تاريخياً، كان المجتمع في كوباني في المقام الأول مجتمعاً زراعياً. فالتربة الصالحة للزراعة وفرة المياه والمناخ المعتدل - التي يتميز بمزيج من الحرارة والأمطار والرطوبة - تدعم الزراعة جيداً. في البداية، كانت المنطقة معروفة بشكل خاص بالحبوب مثل القمح والشعير؛ في وقت لاحق، بدأ الناس في زراعة المحاصيل الصناعية مثل القطن بالإضافة إلى البقوليات والخضروات. يوجد في كوباني أشجار طبيعية عالية الجودة بالإضافة إلى أشجار الفاكهة. لدى السكان أيضاً ثقافة تدجين الحيوانات التي يعود تاريخها إلى مئات السنين. تقليدياً، كان هناك القليل من الاهتمام بالوظائف المهنية والحرف اليدوية.

¹²⁶ Map Action, 'Syria District Maps: Ain al-Arab' (4 تموز/يوليو 2016) <<https://maps.mapaction.org/dataset/217-2791/resource/445fbacd-87c3-4ce8-9a99-98531eb22df2>> شوهدي في 15 آب / أغسطس 2023.

كان الأرمن الذين جاءوا إلى كوبياني محترفين مشهورين بعملهم في الصناعة، وأبرزها حفر الآبار الارتوازية وغيرها من الحرف التجارية. عندما غادر العديد من الأرمن المدينة في الستينيات - هاجروا إلى الاتحاد السوفيتي - أصبح من الواضح أن كوبياني باتت تفتقر إلى العمال المهرة في الصناعات التي تركها الأرمن وراءهم. بمرور الوقت، تولى سكان كوبياني تدريجياً هذه المهنة، وأصبحوا في النهاية مساهمين رئيسيين في الإنتاج والخبرة.

لطالما نظرت النخبة الحضرية في سوريا إلى المناطق الشرقية من سوريا - المناطق الواقعة شرق نهر الفرات، بما في ذلك كوبياني - على أنها "مناطق نامية" توفر بشكل أساسي المواد الأساسية مثل السلع الزراعية والخضروات ومشنقات النفط والغاز والكهرباء إلى المناطق الساحلية والداخلية "المتقدمة" حول العاصمة دمشق. تم تصنيف شمال شرق سوريا من بين أكثر المناطق حرماً في البلاد من حيث الوصول إلى الخدمات الأساسية، بما في ذلك الرعاية الصحية والتعليم.

كانت هناك أيضاً قيود سياسية وأمنية شديدة فرضتها السلطات المركزية: كما هو حال العديد من مناطق سوريا، عانت كوبياني من المراقبة الواسعة النطاق في أعقاب/الانقلابات المختلفة التي هزت سوريا في منتصف القرن العشرين، والتي بلغت ذروتها باستيلاء حافظ الأسد عسكرياً على السلطة في عام 1970. في الوقت نفسه، شهدت كوبياني، مثل المناطق الأخرى ذات الأغلبية الكردية، بعداً إضافياً للتمييز المنهجي في السنوات التي سبقت اندلاع الانتفاضة السورية والحرب التي أعقبتها.

"سياسة الإقصاء": القمع ضد الكرد في كوبياني

بعد استقلال سوريا عن الاحتلال الفرنسي عام 1946، تم تهميش المناطق الكردية في البلاد بشكل منهجي من قبل السلطات في دمشق.

ما يسمى بـ "إحصاء الحسكة"، الذي أجرته الحكومة السورية "حكومة الانفصال" في كوبياني والحسكة في أكتوبر 1962،¹²⁷ طلب من الكرد إثبات أنهم يعيشون في سوريا منذ عام 1945 على الأقل، بالإضافة إلى وجودهم التاريخي القديم في المنطقة؛ وإلا فإنهم سيفقدون جنسيتهم السورية. واشتكى كثيرون من أن السلطات لم تقدم معلومات كافية عن العملية أو الوقت اللازم لإعداد الوثائق. في الواقع، قسم الإحصاء الكرد إلى ثلاث فئات: أولئك القادرين على إثبات الجنسية السورية؛ والذين لا يحملون جنسية، ولكنهم مسجلون في السجل المدني الرسمي بوصفهم "أجانب"؛ وأولئك الذين هم في وضع أكثر خطورة، دون جنسية أو تسجيل، والذين أصبحوا يعرفون باسم مكتومين القيد (غير مسجلين). نتيجة لذلك، حُرِمَ 120 ألف من الكرد السوريين - 20% من إجمالي السكان الكرد في سوريا - من الجنسية السورية وكذلك الحقوق المدنية والسياسية،¹²⁸ وهي قضية أثرت على الأجيال القادمة لعقود وفشلت الحكومات السورية المتعاقبة في حلها.¹²⁹ اعتبرت جماعات حقوق الإنسان الدولية وكذلك الكرد أنفسهم، وكثير منهم تركوا عديمي الجنسية بسبب التعداد السكاني، أنه إجراء تمييزي يهدف إلى استهداف الكرد عمداً في كوبياني والحسكة.

أصبح انعدام الجنسية أمراً وراثياً. وبحلول عام 2011، بلغ عدد المسجلين كأجانب لدى مديرية السجل المدني في سوريا 242 346 شخصاً.¹³⁰ في حين أن الأجانب كانوا مسجلين على الأقل وصدرت لهم "بطاقة حمراء"، وهو ما يشبه الحالة المدنية، كان المكتومون أسوأ حالاً، ولا يحملون الجنسية ولا ورقة التسجيل. مع تحول أطفال مكتومين أنفسهم إلى مكتومين أيضاً زاد عدد الأشخاص المتأثرين بمرور الوقت فقط. بالاعتماد على سجلات المختارين المحليين (قادة المجتمع)، قدر المسؤولون أن هناك أكثر من 171300 مكتومين قبل انتفاضة 2011 والحرب التي أعقبتها.¹³¹ بحلول الوقت الذي بدأت فيه الاحتجاجات تنتشر في جميع أنحاء البلاد بعد آذار / مارس 2011، سعى الرئيس بشار الأسد إلى استرضاء المجتمعات

¹²⁷ تشكلت "الحركة الانفصالية" (التي أطلقت على نفسها اسم "القيادة الثورية العربية العليا للقوات المسلحة") مباشرة بعد انهيار الجمهورية العربية المتحدة المصرية السورية. ولذلك تم إجراء الإحصاء خلال فترة الانقلابات المتعاقبة والانقلابات المضادة التي تركزت على القضايا المتعلقة بالجمهورية العربية المتحدة والوحدة العربية. واستولى حزب البعث على السلطة في العام التالي.

¹²⁸ على سبيل المثال، أدى الإحصاء السكاني والآثار الناتجة عنه أيضاً إلى الحد من وصول الأكراد إلى الصحة والتعليم والتوظيف والملكية أو ملكية الأراضي.

¹²⁹ Human Rights Watch (HRW)، 'Syria: The Silenced Kurds' (تشرين الأول / أكتوبر 1996) <<https://www.hrw.org/reports/1996/Syria.htm>> شوهدي في 31 تموز / يوليو 2023.

¹³⁰ المرجع نفسه.

¹³¹ مقابلات مع مسؤولي مديرية السجل المدني في الحسكة، أبريل/نيسان ومايو/أيار 2023.

¹³¹ المرجع نفسه.

الكرديّة في سوريا من خلال منح الجنسية لأولئك المسجلين على أنهم أجانب من خلال المرسوم 2011/49. 132 قدر المسؤولون أنه بحلول أيار / مايو 2018، وصل عدد الأجانب الذين حصلوا على الجنسية إلى 326489، بينما لم يحصل 19753 عليها. كما تمكن بعض المكتومين من الحصول على الجنسية بعد تصحيح وضعهم القانوني، لكن العديد منهم - يُفترض أنهم أكثر من 100000 شخص - ظلوا بدون تسجيل. 133 كان اقتراح الأسد عبارة عن وضع ضمانة على الجروح العميقة التي ثبت أنها قليلة جدًا ومتأخرة جدًا بالنسبة للسكان الكرد الذين عانوا خمسة عقود من التمييز، والإقصاء السياسي، والاقتصادي والاجتماعي.

على العموم لقد حكمت الحكومة السورية كوباني ذات الأغلبية الكرديّة بقبضة من حديد، وقامت باعتقالات وقيدت أي مساحة للنشاط السياسي الكردي بالإضافة إلى التعبيرات عن الهوية الكرديّة وملكية الممتلكات والحقوق التعليمية. غالبًا ما رفضت السلطات تسجيل الأشخاص رسميًا بأسمائهم الكرديّة، على الرغم من أن هذا لم يمنع العائلات من استخدام هذه الأسماء في الحياة اليومية. تذكر أحد الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، والذي عاش في ريف كوباني، كيف:

كان ممنوعًا حتى أسماء أطفالنا حين يولد طفل ونريد أن نسميه باسم كردي باعتبار قريتنا تابعة لصرين [قرية في جنوب كوباني] حينها كان الموظفين في سجل المدني كلهم عرب وكانوا يستهزؤون بنا وبأسمائنا ويفرضون تسجيلنا كنا مجبرين على تسمية أطفالنا بأسماء عربية بدلا من ذلك. 134

كما غيرت السلطات الأسماء الكرديّة التاريخية لمئات القرى والبلدات والتلال ومواقع أخرى في مختلف أنحاء كوباني وبقية شمال شرق سوريا، واستبدلتها بأسماء عربية. تم حظر الموسيقى والأغاني الكرديّة، وقامت السلطات بمقاضاة أولئك الذين احتفلوا بذكرى عيد النوروز - الاحتفال الكردي برأس السنة الجديدة- بالإضافة إلى الأعياد الكرديّة الأخرى. إن مسألة الملكية وملكية الأراضي هي حساسة بشكل خاص. حدد المرسوم 1964/1360 شريط أرض بطول 25 كيلومترًا على طول الحدود السورية التركية باعتباره "منطقة حدودية"، حيث تم تقييد الملكية الكرديّة. اعتبر أحد الأشخاص من الذين تمت مقابلتهم وهو من ريف كوباني هذا الجزء كان من ضمن تمييز النظام الأوسع ضد المجتمعات الكرديّة.

النظام لم يسمح لأصحاب العقارات والأموال الكرد بتسجيل ملكيتهم بأسمائهم، وكانوا يستخدمون المنطق السياسي لتبرير ذلك. وللأسف العديد من العائلات الكردية في كوباني ليس لديهم أي سجل مدني ويعاملون كـأجانب، ولكن طالبا بحقوقنا الإنسانية والفكرية وعانينا من قلة الدعم والمساندة التي نحتاجها. لم يتحدث أحد عن السبب وراء حرماننا من حرياتنا ولغتنا الأم. 135

في وقت لاحق، في عام 2008، بنى الرئيس بشار الأسد على هذا من خلال إصدار المرسوم 49 والذي يُخضع جميع الممتلكات في المناطق الحدودية لتراخيص أمنية. 136 وقد حال هذا دون بيع وشراء الأراضي داخل المنطقة الحدودية إلى أن يتم الحصول على موافقة أمنية، مما حد بشكل كبير من إمكانيات ملكية الكرد حيث تم منح التصاريح للعرب بسهولة أكبر من الكرد. كما حظر القانون تسجيل ممتلكات الكرد في كل من الرقة وتل أبيض.

واجهت كوباني التهميش الاقتصادي أيضًا. وقد عانى الكثيرون من الفقر، مع تنفيذ مشاريع إنمائية قليلة أو معدومة في المنطقة وعدم تقديم أي دعم للمزارعين أو مجموعات الشباب في كوباني. وهناك عدد قليل من المصانع أو مشاريع التنمية الزراعية التي قامت بها السلطات المركزية في المنطقة. على الرغم من قرب نهر الفرات من المدينة، إلا أن منطقة كوباني كانت تفتقر إلى مياه الشرب في نفس الوقت الذي أنشأت فيه الحكومة السورية قنوات ري واسعة النطاق تصل إلى البلدات

¹³² <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹³³ مقابلات مع مسؤولي مديرية السجل المدني في الحسكة، أبريل/نيسان ومايو/أيار 2023. <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹³⁴ الإفادة الفردية رقم 64، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3. المرجع نفسه.

¹³⁵ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹³⁶ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹³⁷ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹³⁸ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹³⁹ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁴⁰ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁴¹ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁴² <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁴³ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁴⁴ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁴⁵ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁴⁶ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁴⁷ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁴⁸ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁴⁹ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁵⁰ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁵¹ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁵² <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁵³ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁵⁴ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁵⁵ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁵⁶ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁵⁷ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁵⁸ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁵⁹ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁶⁰ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁶¹ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁶² <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁶³ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁶⁴ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁶⁵ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁶⁶ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁶⁷ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁶⁸ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁶⁹ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁷⁰ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁷¹ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁷² <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁷³ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁷⁴ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁷⁵ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁷⁶ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁷⁷ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁷⁸ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁷⁹ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁸⁰ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁸¹ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁸² <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁸³ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁸⁴ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁸⁵ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011) <<https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship>> ¹⁸⁶ <https://www.france24.com/en/20110407-France24-Assad-seeks-to-appease-Kurds-by-granting-citizenship> (باريس، 7 نيسان/أبريل 2011

والقرى العربية على بعد مئات الكيلومترات من نهر الفرات. لم تحصل كوباني على الكهرباء إلا لبضع ساعات فقط في اليوم. استاء الناس من إجبارهم على دفع الضرائب للحكومة على الرغم من سوء الخدمات.

ونتيجة لذلك، هاجر العديد من الشباب، ولا سيما ذوو المؤهلات العالية، بسبب نقص فرص العمل. تسبب هذا في هجرة الأدمغة. وتناول أحد سكان كوباني بالتفصيل الصعوبات التالية:

لم تكن هناك فرص عمل ولا مشاريع اقتصادية حتى عندما كنا نحاول فتح مشروع كانوا يخلقون لنا صعوبات وأعداء لم يكن بوسعك فتح معمل أو مشروع حتى انه لم تكن تستطيع حفر بئر ماء في أرضك جميع هذه الضغوطات كانت تتعرض لها المنطقة لتهجير أهلها وسكانها حصلت هجرة داخلية وخارجية تهجر أبناء المنطقة الى دول الخليج العربي وشمال افريقية ودول أخرى مثل لبنان والعراق ففي كل منزل يوجد فرد أو أكثر من أبنائها خارج البلد.¹³⁷

اتبع التعليم في كوباني منهج الحكومة السورية، والذي بموجبه يُحظر تدريس اللغة الكردية أو حتى التحدث بها في الصفوف الدراسية.¹³⁸ في الواقع، كان التعليم باللغة الكردية يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون، وتم إحضار المعلمين والموظفين من مناطق أخرى من البلاد للتدريس في المنطقة- باستثناء نسبة صغيرة من المعلمين الكرد الذين طُلب منهم الانضمام إلى حزب البعث قبل السماح لهم بالدخول إلى الفصول الدراسية.

واجه العديد من الأطفال الكرد صعوبات في المدرسة بسبب حاجز اللغة: كان تعلم اللغة العربية صعباً لأن العديد من الآباء غالباً ما يتحدثون اللغة العربية بشكل سيء. زاد إهمال السلطات أو تسييس نظام التعليم الأمور سوءاً: كانت الصفوف مكتظة، وفي بعض الأحيان كان عدد الطلاب يصل إلى 40 طالباً في الفصل الدراسي الواحد، في حين تم تطوير المناهج الحكومية بما يتماشى مع الأيديولوجية العسكرية الشديدة لحزب البعث.

وكان هذا الاتجاه أكثر وضوحاً في قرى كوباني؛ ولم يكن في كل قرية مبنى مدرسة، مما يعني أن التلاميذ اضطروا للسفر إلى القرى التي بها مدارس. أدت جميع هذه العوامل إلى ارتفاع معدلات التسرب بين الأطفال الذين ذهبوا بدلاً من ذلك للعمل في أعمال صناعية أو يدوية.

كما عانى القطاع الصحي في كوباني من الإهمال. ولم يكن هناك مستشفى عام في المدينة، بل توجد عيادة تطعيم واحدة فقط. أدى النقص في الطاقم الطبي إلى وجود طبيب عام واحد وممرضة واحدة فقط، بالإضافة إلى مستشفى خاص يسمى مستشفى علوش، يخدم أكثر من 450 ألف شخص. بخلاف ذلك، كان المرضى الذين يعانون من ظروف صعبة ويحتاجون إلى رعاية متخصصة يضطرون إلى السفر لمسافات طويلة إلى حلب أو دمشق لتلقي العلاج.

قال قروي من ريف كوباني: "فرضت الحكومة السورية سياسة الإقصاء على مناطقنا لعقود"، مضيفاً:

لم تكن هناك خدمات في المناطق الكردية نهائياً بشكل عام من دون استثناء وحتى من الناحية الصحية لم تكن هناك خدمات لم تكن هناك مستشفيات حينها في كوباني. لم يكن هنالك تعليم باللغة الكردية. حتى الطرقات المؤدية الى القرى لم تكن معبدة كانت ترابية لم يكن لدينا مدارس بأقسامها الابتدائية والإعدادية والثانوية وحتى مياه الشرب لم تقدمه الحكومة لنا.

لا اتحدث عن قريتي برخ بوتان فقط، بل كوباني وقرائها بدون استثناء كانوا يعاملوننا كمستعمرة ونحن كأسرى لديهم من دون قيمة حتى مختار القرية كان بتجبر ويتسلط علينا كان سلطة لم يكن بوسعنا نقاش معه ولا حتى أن نطالبه بحقوقنا.¹³⁹

¹³⁷ الإفادة الفردية رقم 75، الجلسة الجماعية المركزة رقم 4.

¹³⁸ HRW, 'The Silenced Kurds'.

¹³⁹ الإفادة الفردية رقم 64، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3.

وكما هو الحال في كثير من الأحيان، لم تكن آثار هذا النظام محسوسة بالتساوي بين السكان؛ غالبًا ما تواجه النساء وقتًا أكثر صعوبة من الرجال. قالت إحدى النساء اللاتي تمت مقابلاتهن:

المرأة سابقًا كانت تعاني ولم يكن لديها حقوق، مثلًا من ناحية التعليم لم تكن تستطيع أن تدرس بسبب القيود العشائرية وفي ظل نظام البعث كان صعبًا إرسال بناتنا إلى مدن مثل حلب ودمشق وللدراسة الجامعية لعدم توفر الأمان وقلة قليلة كانوا يدرسون في الجامعات معظم الفتيات من المدينة أما بالنسبة للقرى كان يعتبر شيئًا معييبًا على الفتاة الخروج. النساء كانت تعاني من هذه الناحية، كانوا يعانون عند ذهاب النساء الكرد إلى مدينة حلب بزيها التقليدي الكردي حيث كانوا يتعرضون للاستهزاء.¹⁴⁰

منذ الأيام الأولى للنظام في السلطة، كانت العلاقة بين الحكومة المركزية في دمشق والكرد متوترة، مما أدى إلى احتجاجات واضطرابات متكررة في كوباني ومناطق أخرى ذات أغلبية كردية، فضلًا عن اعتقالات واعتداءات استهدفت القادة والنشطاء الكرد.¹⁴¹ ومع ذلك، زادت التوترات بمرور الوقت. في عام 2004، خرج عشرات الآلاف من الكرد إلى الشوارع في المدن الكردية وكذلك في حلب ودمشق بعد احتدام بدأ في مباراة كرة قدم في قامشلي - القامشلي. خلال ما يسمى بـ "انتفاضة قامشلي - القامشلي" فبعد ذلك، ثارت كوباني، كبقية المدن الأخرى ذات الأغلبية الكردية، ضد الحكومة السورية وطردت قوات الأمن من المدينة.¹⁴² ردًا على ذلك، أرسلت الحكومة السورية تعزيزات عسكرية، واعتقلت وسجنت المئات، معظمهم من الشباب، لسنوات في كل مرة. - لا يزال بعضهم مفقودًا حتى يومنا هذا. تم القبض على مئات الطلاب الكرد في السكن الجامعي في جميع أنحاء البلاد، بينما تم فصل آخرين وطردهم من الجامعات بشكل نهائي.

الحرب في كوباني

كان الوضع في كوباني متوترًا بالفعل قبل اندلاع الانتفاضة السورية في مارس 2011، لكنه سرعان ما تصاعد مع تحول الانتفاضة إلى نزاع مسلح وظهرت عشرات الجماعات المسلحة في جميع أنحاء البلاد.

لم تكن المناطق ذات الأغلبية الكردية في شمال شرق سوريا مختلفة، على الرغم من أن وتيرة العسكرة كانت أبطأ. كان الناس في البداية غير مستعدين لحمل السلاح. في أواخر عام 2011، تم تشكيل اللجنة الكردية العليا، المؤلفة من المجلس الوطني الكردي وحزب الاتحاد الديمقراطي.¹⁴³ أقامت الأحزاب الكردية نقاط تفتيش عسكرية مشتركة لحماية المناطق الكردية، وأعلن حزب الاتحاد الديمقراطي بعد فترة وجيزة عن تشكيل جناح عسكري تحت اسم وحدات حماية الشعب (YPG).¹⁴⁴

وفي 19 تموز/يوليو 2012، سيطرت وحدات حماية الشعب على المباني الأمنية والمؤسسات الحكومية؛ تم إعلان "تحرير" كوباني وأعيد تسميتها تحت اسم "كانتون كوباني".¹⁴⁵ رأى الكثيرون في كوباني أن هذا نجاح للحركة الشعبية الكردية التي طالبت لسنوات بتغيير الظروف السياسية والمعيشية في المنطقة وأكثوا على الحقوق والحريات الأساسية للكرد. بعد ذلك بوقت قصير، شكل حزب الاتحاد الديمقراطي هياكل خدمة في المنطقة والتي من شأنها أن تشكل العمود الفقري للإدارة الذاتية في وقت لاحق من الصراع.

تحدث العديد من فصائل المعارضة المسلحة التي تقاوم قوات النظام - بدءًا من الجيش السوري الحر إلى المزيد من الجماعات الإسلامية مثل جبهة النصرة وأحرار الشام ولواء التوحيد - سيطرة وحدات حماية الشعب على المنطقة الخاضعة

¹⁴⁰ الإفادة الفردية رقم 55، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3.

¹⁴¹ Robert Lowe, 'The Syrian Kurds: A People Discovered' (Chatham House, January 2006)

¹⁴² <https://www.chathamhouse.org/sites/default/files/public/Research/Middle%20East/bsyriankurds.pdf> <شاهد في 15 آب / أغسطس 2023>.

¹⁴³ Carnegie Middle East Center, 'The Kurdish National Council in Syria' (الديوان، 15 شباط/فبراير 2012) <<https://carnegie-mec.org/diwan/48502>> <شاهد في 15 آب / أغسطس 2023>.

¹⁴⁴ صرح أعضاء وحدات حماية الشعب لاحقًا أن وحدات حماية الشعب تشكلت بالفعل في خضم انتفاضة القامشلي في عام 2004، على الرغم من أنها خرجت من الحركة السياسية الكردية السرية بعد اندلاع انتفاضة ما بعد عام 2011.

See: Danny Gold, 'Meet the YPG, the Kurdish Militia That Doesn't Want Help from Anyone' Vice News (31 تشرين الأول/أكتوبر 2012) <<https://www.vice.com/en/article/yv5e75/meet-the-ypg>> <شاهد في 16 آب / أغسطس 2023> ; Uppsala Conflict Data Program (UCDP), 'Syria: 2023' <<https://www.uctd.org/rojava-kurdistan>> (n.d.) <شاهد في 15 آب / أغسطس 2023>.

¹⁴⁵ Charles Lister, *The Syrian Jihad: Al-Qaeda, the Islamic State and the Evolution of an Insurgency* (مطبعة جامعة أكسفورد، 2015)، ص 154.

لسيطرتها. في كوباني، كانت هناك اشتباكات متفرقة، ولكنها متكررة بين وحدات حماية الشعب والجماعات الإسلامية بما في ذلك النصرة.¹⁴⁶ سعت فصائل المعارضة المسلحة للاستيلاء على كوباني وفرضت حصاراً على المدينة من الشرق، الغرب والجنوب، ومع الحدود السورية التركية كحدود أخرى في الشمال. أغلقت فصائل المعارضة الطرق المؤدية إلى المدينة والخروج منها. وكجزء من الحصار، قامت فصائل المعارضة بإغلاق الطرق المؤدية إلى المدينة وخارجها بشكل كامل، مما حاصر أكثر من نصف مليون من سكان كوباني والنازحين الذين فروا من الصراعات العسكرية المستمرة في دمشق ودرعا وحمص. انقطعت إمدادات المياه والكهرباء والغذاء عن المدينة. تحمل المدنيون وطأة العنف حيث استهدفت الجماعات المسلحة المدنيين بعمليات اختطاف للحصول على فدية وأرسلت مراراً وتكراراً سيارات مفخخة إلى المدينة.

وصول داعش

في أواخر عام 2013 وأوائل عام 2014، برز داعش كلاعب رئيسي في الحرب الأهلية السورية. بعد فترة وجيزة من الانفصال عن النصرة وإعلان "الخلافة" التي نصبت نفسها تعطي مناطق من العراق وشمال شرق سوريا، بدأ تنظيم الدولة الإسلامية في الاستعداد لمهاجمة المناطق الكردية - بما في ذلك ريف الحسكة وسري كانيه / رأس العين، حيث واجه مقاومة من وحدات حماية ووحدات حماية المرأة. لطالما كانت المدينة في مرمى نيران داعش، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن مقر وحدات حماية الشعب كانت في كوباني. إن النصر في كوباني سيسمح لتنظيم داعش بتطهير السكان الكرد والانتشار في المناطق الكردية الأخرى وتأكيد سيطرته على الحدود السورية التركية لتأمين الجناح الغربي للجماعة وكذلك مرور المقاتلين الأجانب والإمدادات اللوجستية.

جاء تقدم داعش "من الجنوب الغربي. في 13 آذار / مارس 2014 سيطر تنظيم الدولة الإسلامية على جسر قره قوزاق الذي يربط المناطق الواقعة شرق وغرب نهر الفرات بين كوباني وحلب. باستخدام الأسلحة الثقيلة التي تم الاستيلاء عليها من الموصل في صيف عام 2014، استولى تنظيم الدولة الإسلامية في 2 تموز / يوليو 2014 على قرية زور مغار الواقعة غرب كوباني المطلة على جرابلس.¹⁴⁷ بعد هزائم جزئية في الحسكة حول جزة وربيعة وبعد طردهم من جبال سنجار في العراق، استعاد داعش قوته وتوجه إلى كوباني.

بدأ الهجوم الشامل على كوباني في 15 أيلول / سبتمبر 2014، عندما شن داعش هجوماً ثلاثياً على المدينة. وفي تكرار لنمط الحصار السابق، هاجم داعش المدينة من الشرق والغرب والجنوب،¹⁴⁸ بينما تعمد مقاتلوه قطع المياه والكهرباء قبل هجومهم.¹⁴⁹ قام مقاتلو وحدات حماية الشعب بإجلاء السكان من أحياء الخطوط الأمامية بالإضافة إلى 400 قرية في ريف كوباني.¹⁵⁰ تم إعدام العديد من أولئك الذين كانوا كبار السن أو المرضى أو المعوقين الذين لم يكن بإمكانهم الفرار أو أولئك الذين اختاروا البقاء من قبل داعش في قرى مثل ببنارد وتل شعير وقورتك وقرمو وتل حيدر ودونكيز وبيليق.¹⁵¹ أصبحت حوادث الخسائر الجماعية الركيزة الأساسية لهجوم داعش على المدينة.

عندما وصل مقاتلو داعش إلى ضواحي المدينة، فر السكان شمالاً ودخلوا الأراضي التركية بالقرب من المعبر الحدودي مع سروج. واجه المدنيون والمقاتلون الذين بقوا في الخلف مستويات لا يمكن تصورها من العنف. تسبب القصف العشوائي من قبل داعش في خسائر فادحة في صفوف المدنيين.¹⁵² بين 15 أيلول / سبتمبر وأوائل نوفمبر 2014، تم قتل أعداد كبيرة من مقاتلي داعش، لكن المئات من وحدات حماية الشعب ووحدات حماية الشعب فقدوا حياتهم أيضاً دفاعاً عن المدينة. في 13 تشرين الأول / أكتوبر 2014، نفذ تنظيم الدولة الإسلامية تفجيراً انتحارياً ثلاثياً، بما في ذلك متفجر واحد عند

Harald Doornbos & Jenan Moussa, 'The Civil War Within Syria's Civil War' (Foreign Policy, 28 August 2013) ¹⁴⁶

< <https://foreignpolicy.com/2013/08/28/the-civil-war-within-syrias-civil-war/> > شوهد في 15 آب / أغسطس 2023.

¹⁴⁷ < Ahmed Ali and others, 'Iraq Situation Report: September 29, 2014' (Institute for the Study of War, 29 September 2014) > شوهد في 15 آب / أغسطس 2023.

آب / أغسطس 2023. < <https://www.iswresearch.org/2014/09/> > شوهد في 15 آب / أغسطس 2023.

¹⁴⁸ Ayla Albayrak and others, 'Thousands of Syrian Kurds Flee Islamic State Fighters Into Turkey' (نيويورك، 9 أيلول/سبتمبر 2014) < <https://www.wsj.com/articles/thousands-of-syrian-kurds-flee-islamic-state-fighters-into-turkey-1411151657> > شوهد في 15 آب / أغسطس 2023.

¹⁴⁹ United Nations Human Rights Council (UNHRC), '9th Report of the Independent International Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic' A/HRC/28/69 (5 شباط/فبراير 2015)، المرفق الثاني، الفقرة 270.

¹⁵⁰ المرجع نفسه، الفقرة 279.

¹⁵¹ المرجع نفسه، الفقرة 84.

¹⁵² المرجع نفسه، الفقرة 67.

المعبر الحدودي في الساعة 2:00 صباحًا. على الرغم من أن وحدات حماية الشعب صدت بعض الهجمات، إلا أن داعش تمكن من السيطرة على حوالي نصف المدينة.¹⁵³

لكن في الأسابيع التالية بدأ أن المد قد انقلب. وبينما استمرت تفجيرات السيارات المفخخة المختلفة، بدأ التحالف العالمي بقيادة الولايات المتحدة ضد داعش غارات جوية في أوائل تشرين الأول / أكتوبر ومع زيادة الدعم الجوي، صد المقاتلون الكرد داعش. تم اعتبار داعش بأنه "يتراجع" عن أجزاء من كوباني.¹⁵⁴ بعد ذلك، في أواخر تشرين الأول / أكتوبر 2014، مع تهديد داعش لحدودها المباشرة، سمحت تركيا لقافلة من قوات البيشمركة من إقليم كردستان العراق بعبور الأراضي التركية للوصول إلى كوباني بأسلحتهم الثقيلة.¹⁵⁵ واصل تنظيم الدولة الإسلامية هجماته الشديدة، بما في ذلك تفجير أكثر من 63 سيارة مفخخة في كوباني، حيث سعى التنظيم، دون جدوى، لكسر المقاومة الكردية.

"الجميع عانى": التهجير القسري والاعتقالات التعسفية

خلال هجوم داعش على كوباني، أخلت القوات الكردية على عجل معظم قرى كوباني النائية. تدفق أكثر من 200 ألف مدني عبر الحدود التركية إلى مدينة سروج.¹⁵⁶ وأولئك الذين فروا تركوا وراءهم جميع ممتلكاتهم تم إجبارهم على عبور حقول الألغام المزروعة بالقرب من الحدود السورية التركية. فقد العشرات النساء والأطفال والمسنين حياتهم نتيجة انفجار الألغام الأرضية، بينما فقد آخرون أطرافهم أو أصيبوا بجروح خطيرة أخرى.

تذكر هذه المحنة أحد اللاجئين الذين سلكوا هذا الطريق الغدار إلى تركيا قائلًا:

جميع الناس توجهوا الى الحدود. كان ذلك بمثابة حمل ثقيل [...] خاصة على من كان مسؤول عن عائلته ومن لديهم مسنين وعجز واطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة. كانوا يعانون كثيرا، فمنهم من كان يحمل امهاتهم أو آباءهم المسنين على ظهره ويجتاز الحدود فالأوضاع كانت كارثية. الجميع كان يعاني، فالألغام المتواجدة في الحزام الحدودي كانت تحصد أرواح [العديد] المدنيين. كل يوم أو اثنين ينفجر لغم [ليقتل] النساء أو الاطفال أو المسنين. أحيانا تنفجر الألغام ببعض السيارات التي تحاول العبور الى الطرف الآخر فالمعابر التي كانت مفتوحة حينها مرج اسماعيل من الجهة الشرقية وتل الشعير غربي كوباني كان كل شيء امامنا بينما الجيش التركي كان يمنع الدخول المواشي والسيارات فأصبح الناس في حيرة من أمرهم وبقيت اعداد كثيرة من الناس في الحزام الحدودي بسبب مواشيهم وسياراتهم وبعد الدخول الى الطرف الآخر من تركيا ذهبت كل عائلة الى اماكن متفرقة للعمل أو الالتجاء الى المخيمات كانت حياه النازحين على الحزام الحدودي حياة عناء وشقاء والبقاء في العراق كان الناس يخرجون من مدينتهم ويتركون كل شيء خلفهم وبينما انت تحاول الخروج وتنتظر خلفك لألاف المرات [خلفك] أملا ان لا يحدث شيء لمدينتك وان تعود مجددا، هذا كان في مخيلة كل شخص نازح.¹⁵⁷

تذكرت إحدى النازحات كيف قرر الناس الفرار من داعش إلى الحدود التركية فقط عندما أصبحت الظروف غير مقبولة خلال الحصار الذي فرضه داعش:

¹⁵³ Reuters, 'Three suicide attacks hit Kurdish town on Syria-Turkey border' (13 تشرين الأول/أكتوبر 2014) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-bombing-idUSKCN0I20R120141013>> شوهد في 15 آب / أغسطس 2023.
¹⁵⁴ BBC, 'Islamic State "retreating" in key Syria town of Kobane' (16 تشرين الأول/أكتوبر 2014) <<https://www.bbc.com/news/world-middle-east-29629357>> شوهد في 15 آب / أغسطس 2023.
¹⁵⁵ Humeyra Pamuk and Raheem Salman, 'Kurdish peshmerga forces enter Syria's Kobani after further air strikes' (1 تشرين الثاني / نوفمبر 2014) <<https://www.reuters.com/article/uk-mideast-crisis-idUKKBN0IK15I20141101>> شوهد في 15 آب / أغسطس 2023.
¹⁵⁶ United Nations Human Rights Council (UNHRC), '9th Report of the Independent International Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic' A/HRC/28/69 (5 شباط/فبراير 2015)، المرفق الثاني، الفقرة 279 'Most US Airstrikes in Syria Target a City That's Not a 279' ; Jenna McLaughlin, 'Mother Jones' "Strategic Objective" (23 كانون الثاني/يناير 2015) <<https://www.motherjones.com/politics/2015/01/airstrikes-syria-kobani-statistics-operation-inherent-resolve/>> شوهد في 15 آب / نيسان 2023.
¹⁵⁷ الإفادة الفردية رقم 56.

قام داعش بالهجوم علينا بالأسلحة الثقيلة، أجبرنا على اللجوء، قبل اللجوء كنا في حصار كان الناس يعدون الطعام على الحطب أفقدت أجرار الغاز والكهرباء وأنا قمت بإعداد علبه سمن وجعلتها كدلو لإخراج الماء من البئر، لم يكن هناك دلو جاهز للبيع تمنينا أن نعيش في تلك الظروف ولم نلجأ إلى تركيا.¹⁵⁸

في الريف المحيط بكوباني، أقام المئات من السكان في قراهم ومنازلهم. كان العديد منهم من السكان المسنين الذين لم يتمكنوا من الفرار بسبب سرعة البرق في تقدم داعش. اعتدى مقاتلو داعش على العديد منهم وقتلهم، بينما اختطفوا آخرين ونقلوهم إلى البلدات والمدن المجاورة مثل الرقة وتل أبيض والشيوخ. وقتل العديد من هؤلاء في وقت لاحق في الساحات العامة، بينما لا يزال مصير حوالي مائتي مدني آخر مجهولاً، وفقاً للشهادات التي تم جمعها لهذا الفصل. ونظراً لأهمية كوباني بالنسبة للحركة السياسية الكردية وكذلك الحرب ضد داعش، فإن مجرد كونك من كوباني كان سبباً كافياً للاضطهاد على أيدي مقاتلي داعش.

تذكرت إحدى الضحايا التي احتجزها داعش بشكل تعسفي تجربتهم قائلةً:

عندما كنت أنا وأخي عبد الكريم قادمين من الجزيرة على متن سيارة خاصة لنا في الطريق أوقفونا عناصر داعش حوالي الساعة السابعة مساءً وبمجرد إنهم عرفوا أننا من كوباني، طلبوا منا نقودنا إلا أننا رفضنا ذلك وقلنا لهم إن تلك النقود هي تعبنا. ومن ثم أخذونا إلى/ميرهم ليصدر حكمه علينا ولدى وصولنا إلى مقره قالوا لنا "سوف نفرج عنكم بعد ساعة" إلا أنه مرت ساعة وساعتين ولم يطلقوا سراحنا ولم نر/ميرهم، وبعدها جاء إلينا أحدهم وربطوا أيدينا ووضعوا قماش على عيوننا ومن ثم ضربونا كثيراً

بعدها أخذونا إلا أننا لا نعرف إلى أين وكان ذلك ليلاً ووضعونا تحت الأرض وفوقه محطة محروقات وكانوا يأتون إلينا كل خمس دقائق تقريباً ويضربوننا واستعملوا معنا مختلف أساليب التعذيب. لقد استخدموا أساليب مختلفة في التعذيب كانوا يضعون السكين في رقبته بغية تخويفنا، وكذلك كانوا يضربوننا بأخمص الروسية أو بالكابلات. قاموا بتعذيبنا عن طريق التيار الكهربائي.¹⁵⁹

في النهاية، تم إطلاق سراح رجلين. اختفى آخرون ببساطة دون أثر. ظل قريب أحد المختطفين، والدهم، بقي يحاول للحصول على معلومات عنه، لكن "هاتفه كان مغلقاً":

بعد عدة محاولات والسؤال مراراً وتكراراً عنه أخبرونا بأنه عند صوامع في تل تمر [بعد أن] قام عناصر تنظيم داعش على أحد الحواجز التابعة لداعش بخطفهم هم جميعاً كان مع اصدقائه وسائق الميكرو لم تكن سيارة واحدة مسافرة حينها هناك، بل كانوا عدة سيارات وقتها خطف داعش قرابة 80 شخصاً وقاموا بأخذهم إلى تل أبيض، وبعد ذلك لم نسمع عنهم شيئاً.¹⁶⁰

ورافق تقدم داعش عمليات سرقة واسعة النطاق لممتلكات المدنيين وكذلك الماشية والأثاث والآلات الزراعية والسيارات والمحاصيل وأي شيء آخر يمكن لمقاتلي داعش وضع أيديهم عليه. تم تدمير وسرقة المرافق الخدمية والمنازل، واستولي مقاتلو داعش على أي شيء ذي قيمة كمحولات الطاقة وشبكات الكهرباء ومضخات تحويل المياه من نهر الفرات. بالإضافة إلى تدمير المدارس والمرافق الأخرى.

تسبب هجوم داعش - الذي تميز باستخدام السيارات المفخخة والتفجيرات الانتحارية والقصف العنيف - والقتال لوقفه، بما في ذلك من خلال الضربات الجوية للتحالف بقيادة الولايات المتحدة، في دمار كبير في كوباني. وفقاً للإدارة الذاتية، تم

¹⁵⁸ الإفادة الفردية رقم 55.

¹⁵⁹ الإفادة الفردية رقم 64.

¹⁶⁰ الإفادة الفردية رقم 68.

تدمير أكثر من 70٪ من كوباني أثناء الحصار، بما في ذلك منازل المدنيين والبنية التحتية،¹⁶¹ بينما تضررت المناطق المتبقية أيضًا بشدة.

في الريف حول داعش المدارس إلى مراكز عسكرية لمقاتليه مما أدى إلى انقطاع طويل الأمد للتعليم المحلي وحرمان آلاف الأطفال من الوصول إلى المدارس أثناء الهجوم وبعد ذلك بوقت طويل. بالنسبة للآخرين، منعهم التهديد بالاختطاف من قبل داعش من مغادرة كوباني للذهاب إلى الجامعة. وفقًا لأحد الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، على سبيل المثال:

ابنتي كانت طالبة جامعية، وصهري وابني خسروا تعليمهم بسبب داعش الذين كانوا يقومون بخطف الطلاب أو قتلهم، وأولادي كانوا يخافون الذهاب إلى الجامعة لأن داعش قبل ذلك احتجز ثلاث عشرة سيارة ركاب مع ركابها كلهم من كوباني، وإلى الآن التعليم يكاد يكون معدومًا، في كوباني توجد جامعة تابعة للإدارة الذاتية، ولكنها غير معترف بها رسميًا.¹⁶²

كان التهديد بالاختطاف حقيقيًا جدًا: في 29 أيار / مايو 2014، اختطف داعش 153 تلميذًا كرويًا تتراوح أعمارهم بين 13 و 14 عامًا في منبج أثناء عودتهم من حلب إلى كوباني.¹⁶³ تعرض الأولاد للضرب بالخرطوم، ومُنِعُوا من التحدث بالكرديّة، وتلقنوا أيديولوجية داعش.¹⁶⁴ تم الاحتفاظ بالصبيّة كرهائن لداعش حتى أيلول / سبتمبر 2014. بعد أشهر من اختطافهم. خلال الهجوم اللاحق لداعش على كوباني، وثق مراقبو النزاع استخدام داعش للجنود الأطفال لمهاجمة كوباني (على الرغم من أنه لم يتضح على الفور متى تم تجنيد هؤلاء الأطفال بالقوة في صفوف داعش).¹⁶⁵

من الناحية الأيديولوجية، كانت هجمات داعش على الكرد مدعومة بفتاوى أو مراسيم دينية صادرة عن السلطات الدينية لداعش. هذه تبرر استهداف الكرد، الذين قيل إنهم "ملحدون" أو "غير مؤمنين" أو حتى "خنازير"، مع نشر هذه الرسائل أيضًا من خلال البث الصوتي والمرئي. كانت تكتيكات داعش للقمع والترهيب والقتل تهدف أيضًا إلى نشر الرعب وإخضاع السكان؛ كما اعتبر التنظيم تطبيقه الوحشي للعنف وسيلة لجذب المقاتلين الجدد، وخاصة المقاتلين الأجانب، للانضمام إلى داعش على وعد بالثوب والسرقة والغزو الجنسي. اعتبرت الممتلكات الكرديّة، وفي بعض الأحيان النساء الكرديات، "غنائم الحرب" وبالتالي يمكن الاستيلاء عليها بشكل شرعي. اعتبرت "الثوب" الكرديّة غير مقبولة، في تناقض صارخ مع مناطق أخرى مثل الرقة ودير الزور، حيث اعتبر داعش سكانها مسلمين، حتى لو كان لا بد من تصحيح تفسيرهم الديني من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية كما فسرها داعش.

"العودة إلى نوع الحياة البدائية": الدمار في كوباني ما بعد الحصار

استمرت الاشتباكات العنيفة بين وحدات حماية الشعب ووحدات حماية الشعب والبيشمركة والجيش السوري الحر من ناحية ومقاتلي داعش من ناحية أخرى. بحلول منتصف شباط / نوفمبر 2014، سيطرت وحدات حماية الشعب ووحدات حماية المرأة على الجبهتين الشرقية والجنوبية داخل كوباني ونفذت عمليات ضد داعش خارج المدينة. في هذه المرحلة، أعلنت وحدات حماية الشعب ووحدات حماية المرأة عن عمليات عسكرية هجومية لتحرير كوباني، بينما تم إجبار داعش على اتخاذ موقف دفاعي. ونتيجة لهذه الهزيمة، لجأ تنظيم داعش إلى قصف الأحياء السكنية في محاولة أخيرة لاستعادة الأرض المفقودة، بما في ذلك من خلال استخدام التفجيرات الانتحارية وتفجير السيارات المفخخة عن بعد.

على مدار شهري تشرين الأول / نوفمبر وكانون الأول / ديسمبر من ذلك العام، استعادت وحدات حماية الشعب وقوات التحالف المدينة، وقاتلت من منزل إلى منزل ومن شارع إلى شارع ثم من حي إلى حي. أخيرًا، في 26 كانون الثاني /

¹⁶¹ Olivier Laurent, 'Inside Kobani and the Kurdish War Against ISIS' (TIME, 27 August 2015), <https://time.com/4003737/kobani-isis-photos/>.

¹⁶² photos/ شوهدي في 15 آب / أغسطس 2023. <https://www.france24.com/en/20180609-years-after-syrian-kurds-rebuild-kobane-alone> (باريس) 9 حزيران / يونيو 2018.

¹⁶³ <after-syrian-kurds-rebuild-kobane-alone> شوهدي في 15 آب / أغسطس 2023.

¹⁶⁴ الإفادة الفردية رقم 63، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3.

¹⁶⁵ UNHRC, 9th report, الفقرة 102 من المرفق الثاني.

¹⁶⁶ المرجع نفسه، الفقرة 167.

¹⁶⁷ المرجع نفسه، الفقرة 70.

لا يزال الخوف والقلق يخيم علينا فتأثرنا من الناحية الاقتصادية تأثيرًا كبيرًا تضررنا بسبب ... اعتمادنا الاساسي على الزراعة في المنطقة. (لكن) منذ سنوات عدّة والمواسم الزراعية انتاجها سيء جدا اثناء هجوم داعش على كوباني قام عناصر داعش بالاستيلاء على اراضي الزراعية ونهبوا وسلبوا كل شيء من محاصيل وحصادات وجرارات واستولوا على كل شيء في القرية وسيطروا على الاراضي على اعتبار انها عائدة إليهم وتعتبر املاكهم على اعتبار انها غنائم حرب لم يتركوا شيئاً في القرية الا واخذوه حتى السيارات اخذوها اخذوا كل شيء.¹⁷¹

عودة داعش

مع عودة السكان إلى المدينة، بدأت جهود التنظيف بإزالة الأنقاض وتوفير مساكن مؤقتة وخيام للعائدين. وسط هذه الجهود، على اعتبار أن كوباني تعيش مرحلة ما بعد الحرب، شن داعش هجومًا آخر على المدينة. في الساعات الأولى من صباح يوم 25 حزيران / يونيو 2015، هاجم مقاتلو داعش مرة أخرى فيما وصف لاحقًا بأنه "هيجان قتل"¹⁷² على مدار 24 ساعة. تذكرت شابة، تبلغ من العمر 11 عامًا فقط، عند وقوع الهجوم، ذلك الصباح:

ذهب أبي وعمي الذين استشهدوا وجارنا إلى البوابة الحدودية ليعرفوا ماذا حدث، عاد أبي راضيًا نحونا ليخبرنا أن نختبأ في المنزل، لم يكن مسلحًا، وكان عناصر داعش واقفين بعيدًا، وأطلقوا عليه الرصاص. بعد أن دخلنا إلى المنزل وسمعنا صوت إطلاق الرصاص على أبي، أخبرنا عمي بنبأ مقتل أبي على يد داعش، وكانت أمي حينها قد جهزت الحليب لأخي الذي يبلغ من العمر تسعة أشهر، فتركته في حضني وركضت باتجاه أبي، وأنا وقفت عند باب المنزل رأيت أمي وهي تحاول سحب أبي لكنها لم تستطع سحبه، تركته لتعود على فورها إلينا، لكن داعش أطلق عليها الرصاص. أدخلني عمي إلى المنزل، وبدوري قمت بإدخال أختي إلى الغرفة وأغلقت الباب عليهم، وذهبت إلى أبي وأمي وكنا على قيد الحياة حينها... (مستلقين)... بمسافة تبعدهما مترين عن بعضهما البعض، أمسكت بيد أمي لكنها أخبرتني بأن أعود إلى أختي.¹⁷³

سرعان ما أصبح واضحًا أن مقاتلي داعش تمكنوا من تفادي قوات وحدات حماية الشعب (ثم انشغلوا على الخطوط الأمامية في صرين وتل أبيض) عبر قرية برخ بوتان، حيث قتلوا 23 مدنيًا، من بينهم نساء وأطفال وكبار السن.¹⁷⁴ وقالت وحدات حماية الشعب في وقت لاحق إن "مجموعة من المرتزقة تتكون من 80 إلى 100 [مقاتل]" دخلوا كوباني "بهدف ارتكاب مذبحه للمدنيين" بعد وصولهم إلى المدينة في مجموعات صغيرة يقال إنها متتكرة في زي مقاتلي الجيش السوري الحر.¹⁷⁵ كما زعم البيان، نقلًا عن مصادر محلية مجهولة، أن بعض مقاتلي داعش دخلوا كوباني عبر تركيا.¹⁷⁶

بمجرد دخولهم كوباني، انتشر مقاتلو داعش في جميع أنحاء أحياء المدينة ووضعوا أنفسهم على أسطح المباني الشاهقة. تذكر أحد الناجين الفوضى التي أحدثها قناصة داعش في المدينة قائلاً:

نزلت الى الاسفل لأذهب الى الفرن...وبعد أن مشيت مسافة خمسين مترًا جاءت رصاصة باتجاهي، فعلمنا أن هناك قناصة تطلق النار على كل من تقع عينه عليه.

¹⁷¹ الإفادة الفردية رقم 49.

¹⁷² Al Jazeera English, 'ISIL on 24-hour "killing rampage" in Syria's Kobane' (Qatar, 27 June 2015)

¹⁷³ <https://www.aljazeera.com/news/2015/6/27/isil-on-24-hour-killing-rampage-in-syrias-kobane> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

¹⁷⁴ الإفادة الفردية رقم 5.

¹⁷⁵ HRW, 'Syria: Deliberate Killing of Civilians by ISIS' (3 تموز/يوليو 2015) <https://www.hrw.org/news/2015/07/03/syria-deliberate-killing-civilians-isis> شوهد في 15 آب / أغسطس 2023.

¹⁷⁶ AANES Canton of Kobane, 'Executive council issues statement revealing circumstances of the Kobane massacre' (Ar.) (13 كانون الأول/ديسمبر 2015) <https://cantonakobane.wordpress.com/2015/12/13/%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%ac%d9%84%d8%b3-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d9%86%d9%81%d9%8a%d8%b0%d9%8a-%d9%8a%d8%b5%d8%af%d8%b1-%d8%a8%d9%8a%d8%a7%d9%86-%d9%8a%d9%83%d8%b4%d9%81-%d9%81%d9%8a%d9%87-%d9%85%d9%84%d8%a7/> شوهد في 15 آب / أغسطس 2023.

¹⁷⁶ المرجع نفسه

وجاءت الثانية بعدها مباشرة وأصابني يدي فرأيت الدم ينزف (منها) وحينها حاولت جاهداً الوصول إلى إحدى السيارات التي كانت مركونة أمام الفرن، حينها أدركت أن الطلقات كانت آتية من مدرسة ثانوية البنين الواقعة على تل مرتفع والتي تبعد عن منزلي حوالي مئة وخمسين متراً... ولم تصبني بشكل مباشر لأنني كنت أسير بسرعة.¹⁷⁷

رأى الأشخاص الذين تمت مقابلتهم أن عمليات القتل على أنها انتقام متعمد من الكرد لكسر حصار كوباني قبل عام. يتذكر الضحايا كيف قتل مقاتلو داعش أي شخص واجهوه:

قامت عناصر داعش في داخل كوباني بنصب حاجز، واستهدفوا كل من يقابلهم ويصادفهم بإطلاق الرصاص عليهم بشكل مباشر، ولم يسلم أحدٌ من شرهم، وكأنهم يصيدون العصافير، ويتمتعون ويتلذذون بقتل المدنيين الأبرياء .
لم يتركوا أحداً على قيد الحياة. قتلوا الرجال والنساء والأطفال وكبار السن. لقد قتلوا الجميع بدون استثناء.

في بداية الامر لم نكن نعرف بأنهم عناصر داعش لأنهم كانوا يرتدون لباس القوات الكردية، بل وكانوا يطرقون الأبواب، ويقتلون على الفور كل من يفتح لهم، بعضهم من كان يتقن اللغة الكردية، ويتحدث بها عندما كانوا يطرقون الابواب، لذلك كان الناس يقومون بفتح الباب لهم، ومن عناصر داعش من كان يستخدم اسلحه كاتمة للصوت.¹⁷⁸

احتل داعش المباني وارتكبت مذابح في عدة مواقع في جميع أنحاء المدينة، واستهدفت مبنى الإدارة الذاتية والطرق المؤدية إلى حلب وشيران وحي الجمارك في شمال كوباني، ووسط المدينة، والقريتين المجاورتين ترميك بيجان وبرخ بوتان.¹⁷⁹

لكن مقاتلي داعش تسللوا أيضاً إلى منازل الناس. وصف رجل شاهد زوجته وهي تقتل أمامه وأطفالهما الصغار بشكل مأساوي وكيف دخل مقاتلو داعش:

عندما حاولت النهوض من الفراش أطلقوا الرصاص علي من الخلف.... حيث كان عنصرين من داعش واقفين بجانبنا. حسب ما أتذكر أنني حاولت الوصول للباب لأصل للسلاح رغم إطلاقهم للرصاص علي لم افقد الوعي حينها،
إلا أنني فقدت الوعي بعد ذلك وقتلوا زوجتي أيضاً ورموا أطفالي الى داخل المنزل، أعمار اولادي سبع سنوات، ومنهم أربع سنوات وأصغرهم كان عمره فقط خمسة أشهر أو ستة أشهر تقريباً، حينها كان يزحف الى جثة أمه ليضع من صدرها ظناً منه انها نائمة الى الساعة 11:00 صباحاً كان في حضن أمه ويرضع من صدرها وهي ميتة.¹⁸⁰

في مجزرة كوباني، تعدد داعش استهداف وإعدام المدنيين،¹⁸¹ وهو شكل من أشكال الانتقام يهدف إلى قتل أكبر عدد ممكن من المدنيين للانتقام من هزيمته خلال حصاره السابق لكوباني. ووفقاً لبيانات وحدات حماية الشعب والمجلس التنفيذي لكانتون كوباني التابع للإدارة الذاتية، تم قتل 233 مدنيًا في المجزرة (بما في ذلك 210 في كوباني نفسها و23 آخرين في قرية برخ بوتان، بالإضافة إلى إصابة 273 شخصاً).¹⁸²

العواقب

¹⁷⁷ الإفادة الفردية رقم 1.

¹⁷⁸ الإفادة الفردية رقم 2.

¹⁷⁹ الإدارة الذاتية لشمال شرق سوريا كانتون كوباني

¹⁸⁰ الإفادة الفردية رقم 62.

¹⁸¹ HRW, 'Deliberate Killing of Civilians by ISIS'.

¹⁸² AANES Canton of Kobane.

مع انتهاء القتال في كوباني والمناطق المحيطة بها، عادت الحياة تدريجيًا إلى المدينة. ومع ذلك لقد كانت الآثار الإنسانية والنفسية لعنف داعش عميقة. في كوباني ما بعد داعش، يعيش الضحايا والناجون وعائلات القتلى بحزن وبأس. وصف أحد الأشخاص الذين تمت مقابلتهم هذا الشعور بوضوح:

عندما نذهب إلى المقبرة في ليلة العيد ونشعل الشموع نتذكر ونحس بالألم وكأن اليوم هو يوم المجزرة وتحيا من جديد تلك المشاهد المروعة لا نستطيع نسيانها، كلما تكبر تكبر معنا هذه الذكريات الأليمة التي لا نستطيع نسيانها
أستطيع سرد قصتي لك، ولكن لا أستطيع سردها إلى أحد أفراد عائلتي، أخي كان بمثابة صديق لي وتمنيت أن أموت عوضًا عنه، فهو كان أكبر مني بسنتين لكن هذا كان قدره.¹⁸³

انقلبت حياة عائلة أخرى تمامًا بسبب الحرب. تم تدمير منزلهم ونهب المتجر الذي يمتلكونه بعد أن تهدم جزئيًا. وصف أحد أفراد الأسرة الشعور "بالكسر":

وضعنا المادي أصبح صفرًا ولم يبق أي شيء لنا. تم حرق محاصيلنا في حرب كوباني. (أصيبت) أمي بمرض عصبي وأصبحنا مرضى نفسيين جميعًا أختي الصغيرة تغمى عليها.
لم تعد أمي تتذكر كل شيء دائمًا كانت ترد "ذهب.. ذهب..." لم تكن تعرف أحدًا حتى أولادها. تلفت أعصابها جميعًا حتى دخلت فراش الموت، كانت تتألم ولا تخبر الأطباء وبعدها توفيت بعد ثلاثة أعوام من المعاناة لا نستطيع نسيان الصدمة
أهلي كانوا في تركيا وذهبوا إلى ألمانيا أنا وأخي فقط في كوباني وفتحنا محل أبانا مجددًا. أنا الآن مصاب بإعاقة في يدي وساقاي ورغم ذلك فانا مجبر على العمل اعمل جابي لشركه الكهرباء لكي أستطيع توفير معيشة اطفالي فالظروف المعيشية صعبة جدا.
بين الحين والآخر واطمنن على وضعي واقوم بمراجعة الطبيب، التكاليف الطبية التي تجعل حياتي صعبة. أستمّر دائمًا بتناول الأدوية لأن يدي وساقاي بهما نقص في الحركة، زوجتي ايضا تتعالج بشكل مستمر فأنا احتاج لأجراء عملية لصفحة البلاتين وبعد ان تواصلت مع اطباء في دمشق أخبروني بانها مكلفة جدا تقدر ب 10 ملايين (حوالي 700 يورو).¹⁸⁴

لا تزال الكثير من صدمات الناس - وخاصة أعراضهم النفسية - دون علاج حتى يومنا هذا. وصفت إحدى الأمهات كيف أثر هجوم داعش على منزل عائلتهم على الأسرة وتسبب في إصابة أحد أبنائها بالصرع:

أولادي خافوا كثيرًا بعضهم تبول على نفسه وحينها ابنتي نظرت من ثقب الباب وقالت لي لقد قتلوا أبي، زوجي وابن عمي قتلوه أمام عيني.... أولادي كانوا مرتعبين كثيرًا وابني وقتها وقع فجأة.
ومن حينها مرض، أصيب بصرع، أصبح (هذا المرض) ملازمه إلى هذه اللحظة كان يقع بين الحين والآخر على الأرض ويفقد (الوعي بشكل كامل). بعد (تطور الصرع معه)، أخذته لعدة أطباء عصبيين ونفسيين، ولكن (لم يتمكنوا من المساعدة).¹⁸⁵

تعيش هذه الصدمات لدى الأطفال الذين شهدوا فظائع داعش، مما أثر على جيل آخر من الحياة في المدينة. ووصف ساكن آخر في كوباني كيف أصيب ابن أخيهما البالغ من العمر سبع سنوات بحالة نفسية خطيرة "لأنه شاهد داعش يقتل والده".¹⁸⁶

¹⁸³ الإفادة الفردية رقم 47.

¹⁸⁴ الإفادة الفردية رقم 41.

¹⁸⁵ الإفادة الفردية رقم 57.

¹⁸⁶ الإفادة الفردية رقم 47.

استمرت المعارك بعد تحرير مدينة كوباني، واستغرق الأمر شهرًا قبل طرد داعش من المنطقة بأكملها. كانت هزيمة داعش في كوباني خطوة حاسمة في الهزيمة النهائية للتنظيم بعد حوالي أربع سنوات، وهي نقطة تحول رئيسية من شأنها أن تشكل ملامح الحرب ضد داعش التي أعقبت ذلك.

كانت كوباني بمثابة اختبارًا أوليًا للشراكة الأمريكية (والتحالف بقيادة الولايات المتحدة) مع القوات المسلحة الكردية، والتي سيقع العديد منها لاحقًا تحت مظلة قوات سوريا الديمقراطية المدعومة من الولايات المتحدة. ستستمر هذه القوات التي يقودها الكرد، والتي تشكلت في أواخر عام 2015، في السيطرة على منبج في منتصف عام 2016 والتقدم لاحقًا في معقل داعش في الطبقة والرقعة في عام 2017.

2. الحسكة

تقع الحسكة في أقصى المثلث الاستراتيجي بين الحدود السورية والعراقية والتركية ويقطعها نهران، الخابور وجقجق (جججج)، كسبت محافظة الحسكة أهمية حيوية لكل من الحكومة السورية وقوات سوريا الديمقراطية واللعبين الإقليميين خلال الحرب ضد داعش.

ونظرًا لكثرة مواردها الطبيعية، بذل تنظيم داعش جهودًا كبيرة للسيطرة على الحسكة. وكانت الحسكة موطنًا لقاعدة عمليات المقاومة التي يقودها الكرد ضد داعش في شمال شرق سوريا، وكانت أيضًا هدفًا عسكريًا مهمًا للتنظيم. وأدى ذلك إلى قتال عنيف بين داعش والجماعات التي يقودها الكرد مثل وحدات حماية الشعب منذ عام 2014 وما بعد. ورغم أن داعش لم يتمكن قط من السيطرة الكاملة على المنطقة، إلا أنه ألحق أضرارًا جسيمة بها.

الحسكة قبل الحرب

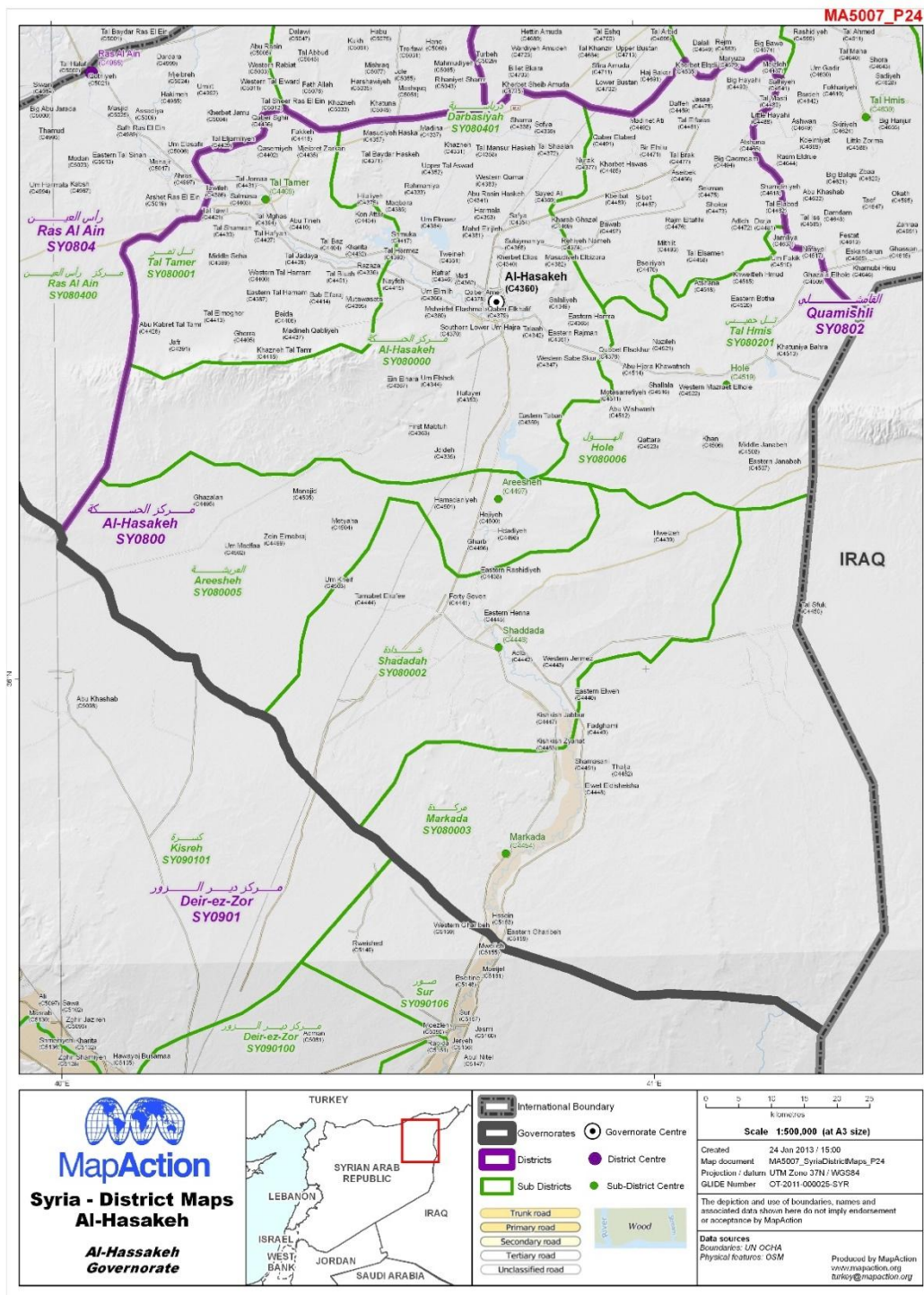
تقع محافظة الحسكة على بعد 600 كيلومتر شرق دمشق ونحو 200 كيلومتر شمال دير الزور. كما أنها تحدها تركيا والعراق، اللتين تقعان في شمالها وشرقها على التوالي.

تبلغ مساحة المحافظة 23334 كيلومترًا مربعًا، أي ضعف مساحة لبنان، وتضم 1717 قرية. الحسكة غنية بالمياه إذ تحتوي على ما يصل إلى 52% من إجمالي موارد المياه في سوريا، وتعتبر تاريخيًا "سلة غذاء" سوريا. وبسبب وفرة المياه والزراعة، تُعرف المنطقة أيضًا باسم "الجزيرة"، إلى جانب الرقة ودير الزور.

تنقسم محافظة الحسكة إلى أربع مناطق.¹⁸⁷ وتقع الحسكة على حدود دير الزور، وهي أقصى جنوب مديريات المحافظة الأربع، وتحتوي على عاصمة المحافظة التي أعطت القضاء اسمها. ويعزو البعض اسمها الذي يعني "الشوكة" (شوك الحسك) إلى كثرة النباتات الشائكة في المنطقة. لكن المؤرخين الكرد يعزونها إلى اسم إحدى العشائر الكردية المحلية الايزيدية، وهي عشيرة هسكان، التي كان أفرادها يعيشون في المنطقة الممتدة من سنجار العراق إلى سلسلة جبال عبد العزيز (المعروفة باللغة الكردية بجبال كزوان). يسكن مدينة الحسكة الكرد والعرب، والسريان والآشوريون والأرمن. ومن المدن المهمة في المنطقة: تل تمر والهول والشداي والعريشة ومركدة وبئر الحلو. بالإضافة إلى ذلك، هناك 595 قرية في المنطقة.

يعتبر الكرد القامشلي أو قامشلو بالكردية (وبيت زالين بالسريانية) عاصمة لهم في سوريا. تقع المدينة على الحدود مع تركيا وفي سفوح جبال طوروس، بالقرب من مدينة نصيبين التركية. وهي مدينة حديثة، أنشأتها سلطات الانتداب الفرنسي في عام 1925، يُفترض أن موقع قامشلو/القامشلي قد تم اختياره بحيث يمكن وضع قاعدة عسكرية فرنسية في موقع استراتيجي يمتد على نهر جقجق (جججج) وسكة حديد حلب - نصيبين "طوروس". على عكس المدن الأخرى في المنطقة المحيطة، تم التخطيط لقامشلو/القامشلي بشوارع مستقيمة وموازية وتخطيط المدينة المنظم جيدًا. تُعرف محليًا باسم "باريس الصغيرة". وكان الكرد والسريان من أوائل من سكنوا المدينة قبل وصول الأرمن والعرب؛ واليوم، تعيش هذه الجماعات جنبًا إلى جنب مع مجتمعات الأقليات الصغيرة مثل الآشوريين والكلدان والمحميين والمردليين. على الرغم من أن غالبية السكان إما مسلمون أو مسيحيون، إلا أن قامشلو/القامشلي لديها أيضًا أقلية يهودية صغيرة هاجرت مسبقًا إلى الولايات المتحدة وإسرائيل.

¹⁸⁷ وقد قامت الحكومة السورية في دمشق بتسمية هذه المناطق، ولكن أعادت تسميتها من قبل الإدارة الذاتية لشمال شرق سوريا (AANES) بعد فرض سيطرتها الفعلية على المنطقة خلال الصراع السوري. وأعادت الإدارة الذاتية تسمية الحسكة إلى "روج آفا". علاوة على ذلك، قسمت الإدارة الذاتية المنطقة إلى مقاطعتين رئيسيتين: مقاطعة قامشلو، وتضم مقاطعة قامشلو/القامشلي وناحية ديريك/المالكية؛ ومقاطعة الحسكة، التي تضم الحسكة وسري كانيه/رأس العين. تتم الإشارة إلى المناطق ذات الأغلبية الكردية وأسماء الأماكن بأسمائها الكردية والعربية في جميع أنحاء النص.



الشكل 2: خريطة منطقة الحسكة ضمن محافظة الحسكة 188

Map Action, 'Syria District Maps: Al-Hasakeh' 188 (4 تموز/يوليو 2016) <<https://maps.mapaction.org/dataset/217-2795/resource/398dcb1b-3367-43a9-87f7-5ab51229cc85>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

الاسم الأصلي للمالكية هو ديريك أو دريك، مشتق من الكلمة السريانية ديروني والتي تعني "الدير الصغير" في إشارة إلى الكنيسة التي كانت تقع سابقاً في شرق القرية الأصلية. تقع مدينة ديريك/المالكية على سهل هسانان المسطح في الطرف الشمالي الشرقي للمثلث الحدودي بين سوريا والعراق وتركيا ويحدها من الشمال نهر دجلة ومن الجنوب نهر الرّد، ومن الشرق جبل جودي. وتحتوي على عدة بحيرات صناعية، من بينها بحيرة سد السفان على نهر صفيّين أحد روافد نهر دجلة. المنطقة ذات أغلبية كردية (يشكل الكرد 75٪ من السكان)، ويسكنها أيضاً السريان والأشوريون والكلدان والعرب والأرمن.

المنطقة الرابعة من محافظة الحسكة، وتقع في الشمال الغربي، هي رأس العين (باللغة الكردية سري كانيه). مدينة قديمة لها تاريخ يمتد لآلاف السنين، كانت سري كانيه / رأس العين من بين الحضارات الأولى في المنطقة وكانت تسمى واشوكاني، عاصمة إمبراطورية ميتاني الحرة، والتي برزت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد. تقع مدينة سري كانيه / رأس العين عند نقطة عبور نهر خابور إلى سوريا من تركيا، على بعد حوالي مائة كيلومتر غرب قামشلو/القامشلي. ويشمل سكانها الكرد والعرب والأيزيديين والأشوريين والسريان والأرمن والشيشان والتركماني والمردلية.

اتسمت العلاقات بين السلطات المركزية في سوريا والمجتمعات المحلية في الحسكة، وخاصة المجتمعات الكردية، بالاضطراب والصراع لعقود من الزمن. وهي سياسة طويلة الأمد، تبناها حزب البعث لاحقاً بعد عام 1963، وكانت تهدف إلى استيعاب الكرد في بوتقة القومية العربية. وتم قمع الحركات السياسية الكردية واعتقال الناشطين، في حين تم استبدال أسماء الأماكن الكردية بأسماء عربية. منعت السلطات استخدام اللغة الكردية في الأماكن الرسمية، ومنعت التعبير عن الهوية أو الثقافة الكردية وقمعت الحقوق المدنية الكردية والأحزاب السياسية من خلال أجهزتها وفروعها الأمنية، التي كانت تنظر إلى المنطقة باعتبارها منطقة عسكرية حساسة.

تم التعبير عن السياسة الكردية للنظام البعثي في وقت سابق من قبل محمد طلب هلال، رئيس الفرع الإقليمي للأمن السياسي في محافظة الحسكة، في الستينيات. وادعى هلال أنه لا يوجد شيء اسمه الشعب الكردي أو الأمة الكردية،¹⁸⁹ واصفاً المسألة الكردية بأنها "ورم خبيث" واقترح أن يتم "تطهير الحسكة من العناصر الأجنبية".¹⁹⁰ ولمعالجة هذه القضية، اقترح مجموعة من الحلول. التدابير المتشددة لتهجير الكرد ونزع ممتلكاتهم: النزوح الداخلي القسري الذي يعقبه إعادة السكان إلى المجتمعات العربية الموالية وإلغاء الجنسية وإصدار تشريعات جديدة لتقييد قدرة الكرد على العمل أو امتلاك الممتلكات و/أو الأراضي.¹⁹¹ تم لاحقاً تنفيذ رؤية هلال من خلال حدثين، كلاهما لهما آثار بعيدة المدى على المجتمعات الكردية في شمال شرق سوريا.

الأول كان إحصاء عام 1962 الذي تم إجراؤه في كوبياني والحسكة بموجب المرسوم رقم 1962/93.¹⁹² طُلب منهم إثبات إقامتهم داخل سوريا منذ عام 1945 على الأقل دون معرفة كافية بعملية إعداد وثائقهم، وتم حرمان 120 ألف كردي سوري فعلياً من جنسيتهم بين عشية وضحاها. تم تصنيف الأشخاص الذين أصبحوا عديمي الجنسية لاحقاً على أنهم إما أجانب أو مكتومين (غير مسجلين).

وجاءت السياسة الثانية التي تستهدف المجتمع الكردي في الحسكة في شكل مشروع "الحزام العربي". كان هذا مصطلحاً يستخدم لوصف مصادرة الحكومة السورية لعدة آلاف من الهكتارات من الأراضي الزراعية الخصبة، المملوكة للمزارعين الكرد في الحسكة، والتي مُنحت بعد ذلك للمزارعين العرب. في السبعينيات، أثناء الانتهاء من السد، أعدت الحكومة السورية قائمة بأسماء الفلاحين العرب الذين سيتم نقلهم من منطقة الطبقة في الرقة إلى محافظة الحسكة.¹⁹³ منحت الحكومة هؤلاء المغومرين أو المستوطنين العرب الذين غمرت أراضيهم أثناء بناء سد الطبقة - مناطق زراعية بناءً على معدل هطول الأمطار. بين مدينة ديريك/المالكية الحدودية والحدود العراقية التركية مع سوريا، كانت هذه المناطق 150 دونماً (وحدة

¹⁸⁹ Mohammad Talab Hilal, A Study on the Aljazeera Governorate from National, Social, and Political Aspects (Ar.) (Erbil, 2001), ص 8-9

¹⁹⁰ المرجع نفسه، ص 4-10

¹⁹¹ المرجع نفسه.

¹⁹² استند مرسوم إجراء الإحصاء في الحسكة إلى المرسوم التشريعي رقم 1962/1 تاريخ 30 نيسان/أبريل من ذلك العام، وعلى القرار الصادر عن مجلس الوزراء القرار رقم 1962/106. وتضمن المرسوم الذي يعرف الآن باسم "مرسوم إحصاء الحسكة عام 1962" في مادته الأولى ما يلي: "يجري الإحصاء العام للسكان في محافظة الحسكة في يوم واحد، ويحدد تاريخه بقرار من مجلس النواب". وزير التخطيط بناءً على اقتراح وزير الداخلية.

¹⁹³ تم تنفيذ أمر النقل بناءً على قرار صادر عن القيادة الإقليمية لحزب البعث. وكلفت الحكومة كلاً من مساعد أمين سر الإقليم لحزب البعث محمد جابر بحبوح، وعضو قيادة الإقليم عبد الله الأحمد، بمتابعة عمليات التوطين وتأمين السكن للعوائل التي سيتم نقلها إلى محافظة الحسكة.

قياس عثمانية تعادل فداناً) ؛ في مدينة سري كانيه الحدودية / رأس العين، أعطت الحكومة كل أسرة 300 دونم. وفي خريف عام 1974، تم نقل هذه الأسر لأول مرة إلى مخيم مؤقت بالقرب من مطار القامشلي الدولي؛ بعد أن شددت الحكومة الإجراءات الأمنية المحلية (للحماية من هجمات أصحاب الأراضي الكرد النازحين)، تم بناء قرى جديدة، ثم تم نقل عائلات المغمورين إليها. انتهت إعادة التوطين في ربيع عام 1975. تم نقل أكثر من أربعة آلاف أسرة عربية (تضم ما يصل إلى 40 ألف نسمة) من محافظة الرقة إلى منطقة الحزام العربي، وتشكل ما يصل إلى ستة في المائة من إجمالي سكان محافظة الحسكة. وفي نهاية المطاف، تأثرت مئات القرى الكردية وما يصل إلى 150 ألف شخص من جراء نقل السكان.¹⁹⁴

وإلى جانب هاتين السياستين، كانت هناك تحديات هيكلية. اعتمد سكان الحسكة على الزراعة البعلية والمروية بسبب توافر الأراضي الزراعية الخصبة والأنهار والسود. تشتهر المنطقة المعروفة باسم سلة سوريا الغذائية - والتي تمثل 29٪ من إجمالي المساحة المزروعة في سوريا- بالقمح والقطن والخضروات والبقوليات والفواكه وكذلك تربية الماشية وإنتاج الصوف ومنتجات الألبان وغيرها من المنتجات الحيوانية. ومع ذلك، أدى فشل الحكومة السورية في دعم الاقتصاد الإقليمي والتمهيش المتعمد للصناعة والفشل في بناء مصانع كبيرة وشركات إنتاج توفر فرص عمل للسكان إلى التدهور الاجتماعي وزيادة البطالة. تم نقل موارد الحسكة الطبيعية، بما في ذلك النفط والفوسفات والمياه الجوفية، بشكل منهجي إلى مناطق أخرى من سوريا. بينما خدم أهالي الحسكة وعملوا في المدن الداخلية السورية كعمال - غالبًا بدون حقوق سياسية أو اقتصادية- جلبت الحكومة المواليين من المدن المركزية والساحل ودمشق لإدارة حقول النفط في الحسكة من خلال الشركة السورية للنفط. وتشمل هذه الحقول الجبسة في الشدادي وكذلك حقول السويدية وحقول كراتشوك وعليان وحقول عودة النفط في مدينة ترابه سبيه / القحطانية وحقول الرميلان وحقول معشوق وباباسيه وحقول زاربه الذي يواجه الحدود التركية. لم تساهم عائدات استغلال النفط بشكل أساسي في تحسين الظروف المعيشية في الحسكة أو في أي مكان آخر في شمال شرق سوريا.

كما واجهت المجموعات العرقية الأخرى تحديات. أما الأماكن ذات الأغلبية العربية - مثل جنوب الحسكة، الذي يضم بلدات وقرى تل حميس والهول والشدادي والعريشة وتل كوجر - فقد تم تهيمشها سياسيًا واقتصاديًا. كانت هناك معدلات البطالة مرتفعة أيضًا، ويرجع ذلك جزئيًا إلى التفاعل الاقتصادي المحدود مع مناطق أخرى في سوريا وغياب الأنشطة السياسية أو الحريات العامة (بخلاف تلك التي توفرها المشاركة مع حزب البعث بشكل مشكوك فيه). قلة فرص العمل والقيود الأمنية وحالة الفقر دفعت الكثيرين إلى مغادرة سوريا حيث هاجر عشرات الآلاف من المسيحيين في نهاية المطاف.

الحرب في الحسكة

اشتد اضطهاد السياسيين والناشطين الكرد في أعقاب انتفاضة القامشلي في مارس 2004.¹⁹⁵ اندلعت الاحتجاجات بعد مباراة كرة قدم في المدينة، عندما ردد بعض المشجعين العرب من فريق الفتوة هتافات عنصرية على مشجعي الفريق الكردي المضيف، فريق الجهاد. تدخلت قوات الأمن بسرعة في المشاجرات العنيفة التي تلت ذلك، لكن الاضطرابات امتدت إلى بقية المناطق الكردية في عفرين وحلب وكوباني وحتى دمشق. في الأيام الستة التي استمرت فيها الاحتجاجات، أحرق المتظاهرون الكرد المكتب المحلي لحزب البعث وأطاحوا بتمثال حافظ الأسد وقامت قوات الأمن المدعومة بالمدادات والمروحيات بقمع المتظاهرين. مع مقتل ما بين 25 و 40 واعتقال ألفي متظاهر كردي، اعتبرت الأحداث من بين أسوأ الاضطرابات السياسية التي وقعت في شمال شرق سوريا. أي حتى اندلعت الانتفاضة السورية بعد عدة سنوات.

أدى عدم الاستقرار السياسي والسياسات الأمنية القاسية والظروف الاجتماعية والاقتصادية المتدهورة باستمرار إلى انضمام العديد من سكان الحسكة إلى المظاهرات المبكرة ضد بشار الأسد بمجرد انتشار الانتفاضة من مدينة درعا جنوباً في آذار / مارس 2011. مدفوعة بتنسيق الشباب مع المتظاهرين في مناطق أخرى من البلاد، استمرت هذه المظاهرات حتى بداية عام 2012، عندما تغيرت الأحداث من احتجاجات شعبية في المقام الأول تدعو إلى التغيير إلى صراع عنيف محلي تشارك فيه القوات المسلحة وأجهزة الأمن السورية، والمعارضة الإسلامية المسلحة الناشئة والقوات الكردية المنظمة بشكل متزايد.

¹⁹⁴ HRW, 'The Silenced Kurds'.

¹⁹⁵ Hugh Macleod, 'Football fans' fight causes a three-day riot in Syria' (لندن، 15 آذار/مارس 2004)

<<https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/football-fans-fight-causes-a-three-day-riot-in-syria-5354766.html>> شوهد في 16

آب / أغسطس 2023.

على الرغم من التحديات الهيكلية التي يواجهها سكان الحسكة، يتذكر الكثيرون الوقت الذي سبق اندلاع الحرب باعتباره الوقت الذي تعيش فيه المجتمعات في حالة وئام على الرغم من الثقافات والأديان واللغات المتنوعة الموجودة هناك. قالت امرأة من تل تمر:

كنا كلنا نعيش مع بعضنا البعض بسلام ومكونات وشعوب مختلفة عرب وكرد وسريان وكل هذه الشعوب كانت متعايشة مع بعضها بحرية. كل شخص كان يحترم ديانة الآخر وكل إنسان كان له تقاليده ولباسه الخاص بثقافته... ولا يتدخل في شؤون [الآخرين].¹⁹⁶

وذكر شخص آخر من سكان المنطقة أيضا أنهم عاشوا حياة مريحة حتى اندلاع الحرب: ولكن بعد دخول داعش والجيش الحر وقتها للمنطقة عمت الفوضى وانقلب الأوضاع رأساً على عقب... قبل ظهور داعش كان أبناؤنا يذهبون إلى مدارسهم ونحن نذهب إلى أعمالنا... وبالمحصلة كنا مرتاحين وكانت أمورنا ميسورة.¹⁹⁷

ومع انتشار الاضطرابات، انقسمت الأحزاب السياسية الكردية حول كيفية الرد على الانتفاضة. وكان المجلس الوطني الكردي، الذي يتألف من 15 حزباً سياسياً كردياً، داعماً للمعارضة السياسية والمسلحة الناشئة في سوريا. وهناك مجموعة ثانية من الأحزاب، تسمى "الجان التنسيق"، اعتبرت نفسها أكثر ثورية ودعت إلى تسليح المعارضة المناهضة للأسد ومواجهة النظام بالقوة لإحداث التغيير. أما الخط الثالث فقد اتخذه حزب الاتحاد الديمقراطي، الذي انضم إلى لجنة التنسيق الوطنية، لكنه دعا إلى تجنب الصراع المسلح مع أي حزب والتركيز على إنشاء إدارة لحماية المناطق الكردية من تصاعد العنف. في 12 تموز / يوليو 2012، اتفق حزب الاتحاد الديمقراطي والمجلس الوطني الكردي على تشكيل اللجنة الكردية العليا، وهي هيئة حاكمية للمناطق ذات الأغلبية الكردية في سوريا، تحت رعاية الرئيس السابق لحكومة إقليم كردستان العراق، مسعود بارزاني.

كانت الخلافات السياسية ضامنة بأن لا يدوم الاتفاق طويلاً. كذلك فشلت الاتفاقيات اللاحقة مثل اتفاقية هولير. بالتوازي - منذ عام 2011 فصاعداً - بدأ حزب الاتحاد الديمقراطي في تنظيم كتائب مسلحة صغيرة تحت مظلة وحدات حماية الشعب. ستقوم هذه الوحدات - إلى جانب بعض مقاتلي الحزب الكردي الآخرين - بإقامة نقاط تفتيش مشتركة في المناطق الكردية في الحسكة وكذلك كوباني وعفرين. ورغم أنها كانت موجودة قبل عام 2011، إلا أنه تم الإعلان عن تشكيل وحدات حماية الشعب رسمياً في عام 2012 بمجرد انهيار الاتفاق بين حزب الاتحاد الديمقراطي والمجلس الوطني الكردي.¹⁹⁸

وبدأ الصراع العسكري في الحسكة عندما سيطرت هذه القوات على المناطق الكردية في تشرين الثاني/نوفمبر 2012، عقب انسحاب قوات الحكومة السورية.¹⁹⁹ وفي الفترة نفسها، شنت جماعات المعارضة المسلحة هجوماً على القوات الحكومية في سري كانيه/رأس العين في 8 تشرين الثاني/نوفمبر 2012. وقامت عدة كتائب، بما في ذلك كتائب غرباء الشام الإسلامية وجبهة النصرة، والجيش السوري الحر وكتائب أحفاد الرسول باقتحام المدينة، داخلين عبر المعبر الحدودي من الأراضي التركية.²⁰⁰ واشتكت وحدات حماية الشعب مع الكتائب الإسلامية. وبعد أشهر من القتال تخللها أكثر من وقف لإطلاق النار، أعلنت وحدات حماية الشعب في 17 تموز/يوليو 2013، سيطرتها على سري كانيه/رأس العين وتحريرها من الإسلاميين.²⁰¹

¹⁹⁶ الإفادة الفردية رقم 50، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3.

¹⁹⁷ الإفادة الفردية رقم 52، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3.

¹⁹⁸ <<https://ucdp.uu.se/additionalinfo/13042/1>> 'Syria: Rojava Kurdistan' (n.d.) Uppsala Conflict Data Program (UCDP)، شوهدي في 15 آب / أغسطس 2023.

¹⁹⁹ Charles Lister, *The Syrian Jihad: Al-Qaeda, the Islamic State and the Evolution of an Insurgency* (مطبعة جامعة أكسفورد، 2015)، ص 96.

²⁰⁰ 'Kurd-jihadist firefights rage in northern Syria' Al-Arabiya News، وكالة فرانس برس (18 كانون الثاني / يناير 2013) <<https://english.alarabiya.net/News/2013/01/18/Kurd-jihadist-firefights-rage-in-northern-Syria>> شوهدي في 16 آب / أغسطس 2023.

²⁰¹ 'Syrian Kurds Expel Radical Islamists From Town, Activist Says' Donna Abu-Nasr، *بلومبرغ* (17 تموز / يوليو 2013) <<https://www.bloomberg.com/news/articles/2013-07-17/syrian-kurds-expel-radical-muslims-from-town-activist>> شوهدي في 16 آب / أغسطس 2023.

وصول داعش

عمل حزب الاتحاد الديمقراطي في الوقت نفسه على إنشاء هيئات حكم في المناطق الخاضعة حديثاً للسيطرة الكردية، وسرعان ما أنشأ الإدارة الذاتية في شمال شرق سوريا لحكم ثلاثة كانتونات رئيسية: الجزيرة وكوباني وعفرين.²⁰² استمرت الاشتباكات بين حزب الاتحاد الديمقراطي وجماعات المعارضة السورية المسلحة في جميع أنحاء محافظة الحسكة – في مناطق مثل تل حميس وفي بلدتي تل كوجر وتل تمر – حتى نهاية عام 2013.

بحلول أوائل عام 2014، توسع داعش في محافظتي الرقة ودير الزور، وسيطرت على مناطق واسعة من العراق. مع زيادة سيطرته على الأراضي، كان حال العديد من الكتائب التي قاتلت وحدات حماية الشعب إما مبايعة داعش أو أنه تم القضاء عليها من قبل داعش. وحتى ذلك الحين، كان الكثيرون في الحسكة لا يزالون يأملون في أن تظل منطقتهم غير متأثرة إلى حد كبير. تذكرت امرأة كيف، في ذلك الوقت:

لم نكن نتوقع أبداً أن يحصل مثل هكذا تفجير ونفقد بسببه أناساً أبرياء مدنيين بلا أي سبب. وهم لم يكونوا مسلحين. كانوا فقط مدنيين قائمين على أعمالهم ويشرفون على رعاية أسرهم وتربية أبنائهم وهكذا. عندما كنا نتابع نشرات الأخبار عما يجري حولنا كنا نقلق ونتوتر كثيراً ولكن كنا نعيد محاوره أنفسنا ونواسيها بأننا بأمان وبعيدون عن هذه الأحداث.²⁰³

هذا لن يستمر لفترة طويلة. في عام 2014، توسع داعش في الحسكة - التي أطلق عليها ولاية البركة ("المحافظة المباركة") في إشارة إلى الموارد في المنطقة – من أجل السيطرة على تل حميس وتل براك. بعد ذلك، شن داعش هجوماً واسع النطاق يهدف إلى السيطرة على المنطقة والقضاء على الوجود الكردي والسيطرة على الحدود السورية التركية. من خلال اتباع أسلوب علامته التجارية في الحرب (هجمات متعددة ومتزامنة) من تل أبيب ومحافظة الرقة باتجاه سري كانيه/رأس العين وبلدة تل تمر ومن ريف دير الزور إلى مدن الشدادي والهول والصور وصولاً إلى مدينة الحسكة؛ ومن الأراضي العراقية باتجاه ريف قامشلو/القامشلي ودير بك/المالكية، عند أبعد حدود المثلث الحدودي السوري التركي العراقي.

علاوة على ذلك، في آب / أغسطس 2014، استخدم داعش المناطق التي استولى عليها في الحسكة على طول الحدود السورية العراقية كمنصة انطلاق لهجماته على منطقة سنجار في الموصل العراقية بعد انسحاب القوات العراقية من المنطقة. نجح داعش في مهاجمة المناطق الأيزيدية، مما تسبب في نزوح مئات الآلاف من الأيزيديين وأسر آلاف العائلات. استجابت وحدات حماية الشعب وتمكنت من فتح ممر إنساني لإجلاء أكثر من 120,000 إيزيدي ونقلهم إلى المناطق التي تسيطر عليها وحدات حماية الشعب ونقلهم لاحقاً إلى إقليم كردستان العراق. وبقي آخرون في مخيم نوروز للنازحين بالقرب من دير بك/المالكية حتى تم تحرير مناطقهم من داعش بعد سنوات.

بحلول أوائل عام 2015، أدى تقدم داعش إلى سيطرته على مناطق واسعة من محافظة الحسكة، بما في ذلك القرى المحيطة بمدينة سري كانيه/رأس العين (ولكن ليس المدينة نفسها) والمنطقة المحيطة بتل تمر (بما في ذلك أكثر من 35 قرية قريبة، القرى الآشورية). كما سيطر داعش على بلدات الصور والشدادي والهول، وصولاً إلى الأحياء الجنوبية لمدينة الحسكة، حيث لا تزال القوات الحكومية متواجدة، إضافة إلى عشرات القرى المحيطة بتل حميس وجنوب الرد. بقي الطرف الشمالي الشرقي من دير بك/المالكية تحت سيطرة وحدات حماية الشعب، في حين حافظت وحدات حماية الشعب وقوات الحكومة السورية على وجودها في وسط قامشلو/القامشلي. ومع ذلك -كما سيتضح بعد وقت قريب- فإن هذا لا يعني أن داعش كان غير قادر على الضرب هناك.

²⁰² Lister, Syrian Jihad، الصفحة 154.

²⁰³ الإبادة الفردية رقم 6.

"كانت النيران تشتغل في ظهره": القصف خلف خطوط وحدات حماية الشعب

ترافقت الحملة العسكرية لداعش مع هجمات جماعية خلف خطوط وحدات حماية الشعب، والتي كانت تهدف إلى زعزعة استقرار المنطقة وإحباط معنويات السكان المحليين. شن داعش مرارًا وتكرارًا هجمات انتحارية أو تفجير سيارات مفخخة عن بعد، وغالبًا ما كان المدنيون هم الهدف الرئيسي. استهدف العديد منها قامشلو/القامشلي، التي كانت ذات أهمية رمزية كعاصمة كردية في سوريا.

ففي صباح يوم 19 آب / أغسطس 2015، على سبيل المثال، استهدف تنظيم داعش مقر قوات الأمن التابعة للإدارة الذاتية (الأسايش) في منطقة الصناعة، مما أدى إلى مقتل ثلاثة عشر شخصًا، بينهم عشرة مدنيين، وإصابة 50 مدنيًا آخرين. وبعد أشهر، في 30 كانون الأول / ديسمبر 2015، استهدف داعش حيين في المدينة: حي الوسطى ذي الأغلبية المسيحية والسياحي مما أسفر عن مقتل ستة عشر وإصابة 22 آخرين.²⁰⁴

وفي العام التالي، في 27 تموز/يوليو 2016، انفجرت دراجة نارية وشاحنة تحملان متفجرات داخل سوق مزدحم في غرب قامشلو/القامشلي.²⁰⁵ وسوّت الانفجارات المتتالية مباني بالأرض ودمرت سيارات. وشوهدت سحابة كبيرة من الدخان تتصاعد فوق المدينة من مسافة بعيدة مثل بلدة نصيبين التركية عبر الحدود، بينما سمع السكان الانفجار على بعد عدة كيلومترات. وأعلن تنظيم داعش مسؤوليته عن الانفجارات بعد فترة وجيزة، مدعيًا أنها كانت تهدف إلى الانتقام من الهجمات الكردية على قوات داعش في منبج. ولقي أكثر من 60 مدنيًا كرويًا حتفهم وأصيب أكثر من 170 مدنيًا آخرين.

يتذكر أحد شهود قصف السوق الدمار والرائحة والدخان قائلاً:

لقد تشكلت حفرة كبيرة وعميقة في الشارع العام بسبب حجم السيارة المفخخة الكبير جدًا. كانت رائحة الموت والأجساد المحترقة تملأ المكان ولقد بقي الأهالي لأيام كثيرة يعثرون على بقايا قطع من أجساد الناس الأبرياء الذين ماتوا في التفجير لقد بدا دخان التفجير أسود اللون وكأن مواد غريبة أضيفت للشظايا فقط اتسبب أكبر قدر من الدخان الأسود ليرتعب الناس ويموتوا خنقًا بسبب الدخان.²⁰⁶

وصف أب فقد ابنه في تفجير السوق المشهد الكارثي:

وصلت أخيرا الى الورشة وجدت (ابني الآخر) يبكي ويصرخ وحينما سألته عن أخيه قال لي لا "أعرف أين هو" وبينما نحن نتحدث لمحت شخصا يزحف على بطنه ويصارع للخروج من الركام ... كان عاجزا عن الزحف، كان (فقط) ملقى على وجهه.

كانت النيران تشتغل في ظهره كانت تلك مادة الفلين البطيئة الاحتراق الموجودة في البرادات، كل ظهره وساقاه كان يشتعل بهذه المادة ... وكان يضرب الأرض.

وقفت عند رأسه، "يا إلهي (إنه ابني!)"

وكننت أبكي بحرقة وقلت له: "انهض انهض ... يا (بني!!) ما الذي تفعله؟"

كانت هناك فتحة في رأسه أما ظهره فكله كان يشتعل باللهب.²⁰⁷

يتذكر أحد العمال فقدان عمه والعديد من الزبائن داخل متجر عمه لحظة وقوع الانفجار في السوق:

عندما وصلت إلى المحل باشرت في العمل وأنا أمارس عملي وفجأة حدث التفجير كان صوته مرعبا ومخيفا ... خرجت من المحل لا إراديا، قتل عمي () كما قتل الطفل الذي كان يعمل عنده وأسمه ()

²⁰⁴ Reuters, 'Twin suicide bombs in northeast Syria kill or wound dozens - Kurds, monitoring group' (30 December 2015) <<https://www.reuters.com/article/mideast-crisis-syria-kurds-idINKBN0UD1VC20151230>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

²⁰⁵ France24, 'Scores killed after deadly blast rocks Kurdish-majority Syrian city' (Paris, 27 July 2016) <<https://www.france24.com/en/20160727-syria-kurdish-gamishli-bomb-blasts-islamic-state>>

²⁰⁶ الإفادة الفردية رقم 1. <<https://www.france24.com/en/20160727-syria-kurdish-gamishli-bomb-blasts-islamic-state>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

²⁰⁷ الإفادة الفردية رقم 7.

وكان عمره حوالي ثمانية سنوات وأيضًا قتل الشخص الذي كان يعمل عند (عمي) هذا الشاب كان متزوجًا قبل أن يحدث التفجير بستة أشهر كما قتل شخصان آخران كانا متواجدين في محل عمي أثناء حدوث التفجير.²⁰⁸

تم قتل العشرات. ركضت زوجة أحد الضحايا نحو موقع الانفجار بحثًا عن زوجها:

رأيت الخراب والدمار والاشلاء كان منظرًا مروّعًا للغاية قمت بالبحث عن زوجي لمدة طويلة، ولكن لم أستطع العثور عليه، ولكن رأيت حذائه وعليه آثار الدماء بالإضافة إلى مفاتيحه التي كانت امام الصيدلية. اتصلت بأخي وذهبتا إلى المشافي بحثًا عن زوجي ()، ولكني لم أستطيع التعرف عليه لأن الجثث كانت مقطعة ومشوهة (تحولت لأشلاء)، لم تكن الجثث واضحة المعالم.²⁰⁹

وروى شقيق ضحية أخرى القصة المأساوية لابنة عمه، وهي أم حامل، ماتت مع توأم في رحمها:

عندما وصلت إلى مشفى الرحمة (في قامشلو/ القامشلي) في يوم التفجير حيث كانت الجثث قد وصلت إلى هناك أخبرني الطبيب أن أبناء أخي ما زالوا أحياء يتحركون في بطن أمهم المتوفية، كان يريد معرفة رأيي فقلت له: "عمرهم ستة شهور الآن، فإذا أجرينا عملية الآن لإخراجهم هل سيتمكنون من البقاء على قيد الحياة؟" فقال لي الطبيب: "لا، لن يستطيعوا البقاء على قيد الحياة". فقلت له "إذا سألهم مع والدتهم فهذا أفضل لهم وقمنا بلف الكفن عليهم وهم في بطن أمهم. أسأل الله دائمًا ألا يضع أحدًا في موقف مثل موقعي.²¹⁰

كان للتفجيرات عواقب وخيمة على الناس، حيث تسببت في تدمير واسع النطاق للممتلكات المدنية والبنية التحتية العامة. نزحت مئات العائلات بسبب تدمير منازلهم أو فقدان ورشهم أو متاجرهم أو مطاعمهم. وأدت حالة الرعب والخوف المستمرة إلى تفاقم معاناة الذين قرروا البقاء. واجهت بعض العائلات الفقر المدقع بعد أن فقدت معيشتها من الأسر المعيشية، وكثيرا ما كانوا رجالا. قالت امرأة فقدت زوجها وهي من السكان المحليين:

زوجي كان سائق سيارة أجرة من بلدة هيمو. كان معه داخل السيارة ركاب، وعندما وصل إلى مكان التفجير كانت الشاحنة الكبيرة قد أغلقت الطريق كان خلفها مباشرة. انفجرت الشاحنة فمات هو وراكبين بنفس اليوم والاثنتان الآخران ماتا بعد ذلك. الآن ولدي يعمل ويتحمل مسؤولية تسعة أشخاص وتأمين قوتهم اليومي. بعد أن فقدت زوجي والسيارة التي كان يكسب دخله بواسطتها بالكاد نستطيع تأمين أدنى مقومات المعيشة في هذا الغلاء الفاحش.²¹¹

لم يكن الانفجار في قامشلو/القامشلي لمرة واحدة؛ استهدفت عدة هجمات أخرى محافظة الحسكة بين عامي 2014 و2019. في 14 حزيران / يونيو 2016، على سبيل المثال، تم قتل خمسة عشر مدنيا وأصيب 24 آخرون في تفجير انتحاري استهدف المدخل الشرقي لتربه سبيه /القحطانية. وفي 11 كانون الأول / ديسمبر 2015، استهدفت ثلاث شاحنات مسلحة بالمفجرات منطقة تل تمر التي كانت قريبة من سوق الجمعة المزدهم ومستشفى ميداني محلي. لقي أكثر من 60 شخصًا مصرعهم - معظمهم في السوق - بينما أصيب 80 آخرون على الأقل.²¹²

²⁰⁸ الإفادة الفردية رقم 24.

²⁰⁹ الإفادة الفردية رقم 6.

²¹⁰ الإفادة الفردية رقم 8.

²¹¹ الإفادة الفردية رقم 17، الجلسة الجماعية المركزة رقم 2.

²¹² 'Islamic State truck bombs kill up to 60 people in Syrian town: Kurds' Reuters, (11 كانون الأول/ديسمبر 2015) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-northeast-idUSKBN0TU0NS20151211>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

نفذ تنظيم داعش في مدينة الحسكة تفجيرًا مزدوجًا في 20 آذار/مارس 2015، عشية الاحتفالات السنوية بعيد النوروز. قُتل أكثر من 50 شخصًا من الحاضرين، وأصيب أكثر من 150 آخرين. وبعد ذلك بعام، استهدف انتحاري من داعش حفل زفاف لعائلة كردية على مشارف المدينة، مما أسفر عن مقتل أكثر من 50 من أفراد الأسرة والحاضرين.²¹³ وقد لخصت إحدى النساء التي كانت هناك ما يشعر به كثيرون في المنطقة حتى اليوم: "أنا متعبة نفسيًا... مجرد ذكر داعش [...] يعيدني إلى تلك الأحداث".²¹⁴

صدمة عنف داعش لا تتعافى بسهولة. أحد الضحايا وهو صحفي، تحدث عن الآثار النفسية للعنف الذي عانى منه الناس:

بعد وفاة ابنتي حياتنا تغيرت كليًا زوجتي ... إلى الآن نذهب إلى القبور كل اسبوع حيث أننا نجد الراحة هناك بجوار (ابنتنا).

أكثر ما يحزنني هو أن ابنتي كانت مدنية. لم تكن تعلم بأي أسلحة أو تحمل أي أسلحة في أي وقت من حياتها. كانت تحلم بتطوير البلدية وإيجاد طرق جديدة للقيام بالعمل العام وبناء البلديات حتى يمكن توظيف النساء هناك .

ولكن مع وفاتها كل هذه الأمور قد ذهبت وأنا أيضًا فقدت الشغف في عملي وفي حياتي، والكثير من أمور عملي قد توقفت بسبب حزني ويأس من الحياة بعد وفاة ابنتي وحتى زوجتي عانت من الحزن على أبنيتها الوحيدة التي قتلت بطريقة وحشية.

وحتى أنني قمت بإرسال أبنائي إلى دولة أوروبية خوفًا عليه بعد ما حصل مع أخته مع أنه كان يدرس الطب البشري في دمشق لكن الخوف عليه دفعني لذلك ، أنا وزوجتي فقدنا طعم الحياة ووفاة أبنيتي خلق لي ردة فعل عكسي تجاه كل الأديان وخاصة الإسلام.²¹⁵

"بقيت بعض القرى فارغة تمامًا": نزوح الأقليات في الحسكة

الحسكة هي موطن خليط متنوع للغاية من المجتمعات العرقية والدينية والطائفية، غالبًا ما كان داعش يستهدف المجتمعات المسيحية على طول الخطوط الأمامية وفي البلدات والقرى التي لا تخضع لسيطرته.

قال رجل مسيحي من ريف قامشلو/القامشلي: "كانت قريتنا مكونة من 24 عائلة":

هنالك الآن ثلاث بيوت فقط مأهولة بالسكان والبقية هاجروا كلهم. استهدف (داعش) (ل) المسيحيين والكرد كان بشكل أعنف وأشد. وإحدى القرى الآشورية لم يبق لها أثر (بقي) على الإطلاق. قرية قلعة الهادي فيها بيت مسيحي واحد الآن بعد أن كان يوجد فيها مئة بيت، وقرية تل علو كان يوجد فيها مئة بيت، والآن لا يوجد فيها بيت.

داعش دمر عائلتنا، وبسببه هاجر الجميع وبقينا فقط ثلاث أشخاص فقط في قريتنا الآن، وقد بقيت بعض القرى فارغة تمامًا، بصراحة الجميع عانى من داعش، ولكن نحن المكون السرياني والمسيحي عانينا أكثر من الجميع لأن وجودنا في خطر الآن، منذ عام 2015 (خلال المذبحة العثمانية للمسيحيين السوريين) حتى الآن هذه أول هجرة كبيرة من قرانا، وحتى في عام 1915 لم نتأثر لهذه الدرجة.²¹⁶

كانت قرية الرجل من بين أولئك التي هاجمها داعش. بينما فر بعض سكان القرية، لم يتسنى لآخرين الفرار في الوقت المناسب أو أنهم قرروا البقاء:

²¹³ United Nations Human Rights Council (UNHRC), '10th Report of the Independent International Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic' A/HRC/30/48 (13 آب/أغسطس 2015)، الفقرة 125.

²¹⁴ الإبادة الفردية رقم 62، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3.

²¹⁵ الإبادة الفردية رقم 30.

²¹⁶ الإبادة الفردية رقم 11.

كنا جالسين في القرية كعادتنا في بيوتنا ... فجأة جاءت مجموعة من عناصر داعش بسيارات دفع رباعي بيك آب وكانوا مسلحين جميعًا وملثمين وبدأوا بإطلاق الرصاص لترويع أهالي القرية ثم بدأوا بالدخول إلى البيوت وإخراج الأهالي منها لقد شعرنا بخوف شديد.

في الحقيقة بعض الأهالي هربوا، ولكن الأغلبية لم يكن لديهم الوقت الكافي للهروب وهكذا بدأت عناصر داعش بسلب ما خف وزنه وغلا وثمنه من البيوت، وخطفوني مع مجموعة من أصدقائي وكنت المستهدف من الخطف لأنني من المكون المسيحي في المنطقة وسرقوا سيارتي لي وسرقوا أيضًا كل شيء في منزلي ولم يتركوا شيئًا حتى أنهم قاموا بفك الأبواب والشبابيك ووضعوها في سياراتهم وأخذوها.

بقينا محجوزين لديهم لمدة اثني عشر يومًا وقاموا بتعذيبنا خلال تسعة 9 أيام متواصلة وبالإضافة إلى الضرب والشتم. كان لديهم أسلوب التخويف والتهديد بقطع العنق وفي كل يوم فجرًا حوالي الساعة الثانية فجرًا كان هناك رجل تونسي يدخل إلى الزنزانة ويضع السيف على رقبتني ويهددني بقطع رأسي.²¹⁷

كانت هجمات مماثلة شائعة في منطقة تل تمر. بين 23 و26 شباط / فبراير 2015، على سبيل المثال، شن تنظيم الدولة الإسلامية هجومًا واسع النطاق على مجموعة من القرى الآشورية على طول الضفة الجنوبية لنهر الخابور - بالقرب من تل تمر - باستخدام حوالي ثلاثة آلاف مقاتل وعدة دبابات. تم الاستيلاء على ما يقرب من اثنتي عشرة قرية، وتم اختطاف 220 من السكان المسيحيين الآشوريين خلال الحملات، على الرغم من أن المصادر المحلية أفادت باختطاف ما يصل مجموعه إلى أربعمائة شخص.²¹⁸

في ريفي تل تمر و قامشلو/القامشلي، استهدف تنظيم الدولة الإسلامية الكنائس بشكل منهجي. من خلال مهاجمة دور عبادة غير المسلمين، سعى داعش إلى تهجير السكان الذين عاشوا تاريخيًا في المنطقة. في 15 نيسان / أبريل 2015، فجر مقاتلو داعش كنيسة مريم العذراء، التي تم تشييدها في عام 1934، في قرية تل نصري الآشورية في ريف تل تمر الغربي.²¹⁹ كما أحرق تنظيم الدولة الإسلامية كنيسة تل هرمز التاريخية، إحدى أقدم الكنائس في سوريا، ودمر كنيسة قبر شامية وكنيسة تل الجزيرة واستهدف كنيسة القديس مار توما في قرية أم الكيف.²²⁰

روت إحدى النساء المسؤولات عن كنيسة في غردوقة، في ريف قامشلو/القامشلي، كيف داهم داعش قريتها. استقر داعش في قرية مجاورة ونفذ الهجوم من هناك:

تم تدمير الكنيسة بالكامل والبيوت التي حولها، وسرقة محتوياتها الثمينة، وثم حرقها وسرقة الصلبان، وأخبرت القس عن ذلك، قال لا يمكننا أن نفعل شيئًا، وذهبنا وصورنا الضرر الكبير، لقد سرقوا حتى أبواب وشبابيك الدير والبيوت التي حولها، ولأننا مسيحيون فعلوا هذا بنا. وبعد أيام خطفوا ابن مختارنا (...) الذي مات بعد خروجه... كان بصحة جيدة وقوي البنية لكنه مات بسبب التعذيب والضرب.²²¹

تم التعامل مع الكرد في المناطق التي يسيطر عليها داعش في البداية بتساهل أكبر لأن معظم الكرد مسلمون سنة؛ تغيرت هذه السياسة مع خروج المقاومة الكردية لداعش من كوباني.

²¹⁷ المرجع نفسه.

²¹⁸ 'ISIS has now abducted 220 Christian Assyrians, activists say' CBC, (26 شباط/فبراير 2015) <<https://www.cbc.ca/news/world/isis-has-now-abducted-220-christian-assyrians-activists-say-1.2973069>> شوهد في 18 آب / أغسطس 2023.

²¹⁹ 'Demolished Assyrian village by ISIS becomes a refuge for IDPs' Reem Chamoun and Sargon Yousef, وكالة الصحافة الشمالية (10 ديسمبر 2019) <<https://npasyria.com/en/38302/>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

²²⁰ Sam Sweeney, 'The Village Church of Tel Hormiz: A story of Syrian Christianity in adversity' (22 يناير 2021) <<https://catholicherald.co.uk/the-village-church-of-tel-hormiz-a-story-of-syrian-christianity-in-adversity/>> شوهد في 28 أيلول / سبتمبر 2023.

²²¹ الإفادة الفردية رقم 75، الجلسة الجماعية المركزة رقم 1.

في وقت لاحق، وعلى عكس المسيحيين، تم استهداف الكرد لأن داعش اعتبرهم "ملحدين" وبسبب الجماعات الكرديّة "المقاومة المسلحة ضد حكم داعش. استهدفت تفجيرات داعش بشكل متكرر المدن ذات الأغلبية الكرديّة، كما هاجم أيضًا القرى الكرديّة. وكانت النتيجة، في بعض النواحي، استمرارًا وحشيًا ومتطرفًا لذلك النوع من السياسات التمييزية المناهضة للكرد التي انتهجها حكام سوريا العرب لعقود من الزمن. أحد سكان القرى الكرديّة في ريف قامشلو/القامشلي يتحدث عن النزوح:

قرينتنا كانت محاطة بقرى من الأتلياف الكرديّة والعربيّة ... القرى الكرديّة في ناحية تل حميس تدمرت بالكامل بالإضافة أنها نُهبت وسُرقت لأنها من الطائفة الكرديّة، قرينتنا لم تدمر بالكامل لأنه ... بعض الأهالي من الطائفة العربيّة (كانت تعيش هناك).²²²

يتردد صدى تأثير العنف حتى يومنا هذا. وأشار الضحايا إلى أنه لم تكن هناك "تعويضات حقيقية" لتغطية خسائر الناس.²²³

وفي الوقت نفسه، لم تلتئم الجراح الناجمة عن العنف المجتمعي الطائفي للغاية الذي يمارسه تنظيم داعش. ووفقًا للرجل المسيحي من ريف قامشلو/القامشلي، فإن الهجمات على المسيحيين كانت ذات طابع أيديولوجي عميق. وقال إن هذه الأيديولوجية، التي غرسها داعش منذ الصغر، لا تزال تشكل العلاقات في الحسكة إلى اليوم:

كان لديهم مدارس أو مراكز يقومون بتدريس مناهج دينية متطرفة خالصة لا علاقة لها بالتعليم ... الأطفال تأثروا فيهم كثيرًا لأن معسكراتهم كانت تدربهم على الجهاد ... وهكذا تغير فكر أطفالنا وحتى اليوم أبناء المنطقة يكرهون الآشوريين والمكون المسيحي ويعتبرونهم كفارًا.²²⁴

رأى آخرون أن استمرار وجود العنصرية التي يغرسها داعش يقف في طريق المصالحة. فوفقًا لأحد القرويين الكرد:

تمكن داعش من زرع الفتنة وفكرة العنصرية بين أهالي المنطقة بشكل عام حيث إن هناك أشخاص لم يكونوا ينتمون إلى له ويسكنون في أراضينا ومنازلنا تحت اسم داعش ويقومون ب استغلال (أراضيها) الزراعية ... هذا قتل وهذا دمر وهذا الأمر خلق حقًا كبيرًا بينهم ولغى فكرة التسامح والعفو في المنطقة.²²⁵

"إن لم يعد سيكون قد قتل": اختفاء قسري وتعذيب وإعدامات في الشدادي

كانت الاعتقالات والاختفاء القسري والاختطاف والتعذيب من السمات الشائعة للحياة في ظل حكم داعش في الحسكة. ووفقًا لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، فإن استخدام داعش للتعذيب كجزء من الهجمات ضد السكان المدنيين في الحسكة يرقى إلى مستوى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.²²⁶ وفي حين كان داعش أكثر تساهلاً تجاه القرى العربية، فإن أي عربي لا يُظهر الدعم الكافي لإيديولوجية داعش سيتعرض لعقوبات قاسية.

وكان النظام الاجتماعي المفروض على السكان صارما وشاملا، كما وصف رجل من بلدة الشدادي ذات الأغلبية العربية قائلا:

الوضع الأمني () مرعبًا جدًا وكان هناك العديد من حالات الإعدام والخطف والقتل حتى أنهم لم يكونوا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ولا يوجد أسباب واضحة لأفعال داعش تجاه الأهالي وأحيانًا كانوا يقتحمون بعض المنازل ويأخذون الأشخاص ولا أحد يعلم إلى أين يأخذونه. لم يعودوا أبدًا.

²²² الإفادة الفردية رقم 30.

²²³ الإفادة الفردية رقم 1.

²²⁴ الإفادة الفردية رقم 11.

²²⁵ الإفادة الفردية رقم 30.

²²⁶ UNHRC, '9th Report of the Independent International Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic' A/HRC/28/69 (5 February 2015), الفقرة 171.

الكثير من أهالي مدينة الشدادي مفقودون إلى يومنا هذا وعوائلهم لا تعلم أي خبر عنهم مقتولون أم على قيد الحياة.

لم يكن يستطيع أحد التحدث مع التنظيم ولا تستطيع ترك أطفالك يخرجوا ليلعبوا في الحي من الخوف والرعب الذي كنا فيه. لم نكن نستطيع حتى التحدث مع أنفسنا عن التنظيم لشدة خوفنا ودائمًا كنا معرضين للاعتقال بدون سبب.²²⁷

وأضاف رجل آخر من البلدة:

كان داعش يجبر الجميع على الصوم والصلاة وعدم التحدث عن أحد والتقييد باللباس الشرعي وكانوا يأخذون الزكاة من المحلات وكل من يمتلك الحيوانات من أغنام وإبقار والإبل والمزروعات ومن كان مطلوبًا لهم.²²⁸

قد يكون للانتهاك البسيط عواقب وخيمة. وفقا لأب اختطف ابنه في الشدادي:

كان ابني ذاهبا إلى السوق وهو يلبس شورت قصير حيث قاموا باعتقاله أي الدواعش واتهمه بأنه يلبس ثوب الكفار وهو مختفي حتى هذه اللحظة ولم اترك اي مكان الا وبحثت عنه، ولكن لم أجده حتى هذه اللحظة وبعد ذلك أخبروني بأنه متهم بالانتماء إلى الجيش السوري وبأنه عميل للنظام.²²⁹

ولا يزال المئات في عداد المفقودين حتى اليوم. على الرغم من أن العديد من الأقارب يعرفون أن فرصة عودة أحبائهم المختطفين ضئيلة للغاية، إلا أنهم لا يفقدون الأمل تمامًا دون تأكيد. وقال شقيق أحد المختطفين:

لا نعلم أي خبر عن أخي ... نحن نعلم بأنه من يتم خطفه من قبل التنظيم ويبقى أكثر من 15 يوم لن يعود، ولكن ... نحن على أمل أن يعود أخي سالمًا. إن لم يعد سيكون قد قتل كما قتل العديد من الطائفة الكردية على يد التنظيم في العراق وسورية.²³⁰

فقد آخرون أحبائهم في عمليات الإعدام العلنية، التي استخدمها داعش لغرس الإرهاب وإخضاع السكان. وروى رجل من الشدادي كيف قتل داعش ابنه:

صرخ جاري بصوت عالي: "أبو عيود اليوم يوجد قصاص اليوم." وهنا كأي أصبت بالشلل لا أعلم ماذا أفعل، فعدت إلى المنزل وأخبرت زوجتي وهي صرخت خائفة ودعت الله وهي تقول أتمنى ألا يكون ابني من بينهم وقالت لي اذهب وتأكد من اسمه.

وفي حوالي الساعة الحادية عشر نهارًا وأنا أصلي في المنزل وإذ بالباب يدق بصوت قوي وكانت جارتنا تقول لي وتصرخ: "لقد أعدموا عبيد فقد أعلنوا عن اسمه وسمعتهم يقولون عبيد من بيت أبو عيود".

لقد قاموا بقص راس ابني بالسيف. وحتى هذه اللحظة لم أر جثة ابني. فداعش من عادتهم أن يعلقوا الجثة في الساحة أما ابني فقد أعدموه وأخذوه معهم إلى مكان مجهول

أصابنتي حالة من الذهول والصدمة وحتى هذه اللحظة أعاني من اضطرابات في النوم وأرى كوابيس مزعجة وأخاف كثيرًا.²³¹

²²⁷ الإفادة الفردية رقم 46.

²²⁸ الإفادة الفردية رقم 66.

²²⁹ الإفادة الفردية رقم 64.

²³⁰ الإفادة الفردية رقم 43.

²³¹ الإفادة الفردية رقم 37.

" ومن يصبح عمرها فوق السابعة عشر لا أحد يريدها ": الانتهاكات ضد النساء والفتيات

ومثل غيرها من المناطق الخاضعة لسيطرة داعش، شهدت الحسكة انتهاكات مروعة ضد النساء والفتيات. كانت العبودية والزواج القسري بما في ذلك زواج الفتيات القاصرات أمور شائعة:

عندما كنا في الشدادي داعش أحضر النساء الإيزيديات والأشوريات وباعهم هناك أو أعطاهم للأمراء وبعدها كانوا يقومون بنقل ما تبقى إلى مدينة الرقة، كان داعش يعرضهم على من يريد امرأة وكانت تؤخذ تلك النساء بهدف المتعة ... القليل من كان يتم تزويجهم على الطريقة الإسلامية. بالإضافة إلى ذلك، عندما مات زوج امرأة من سكان المدينة، يقومون بتزويج (الأرملة) بعد سبعة أيام بحجة أنهم في حالة حرب. وفي أحد الأيام قام شخص بعمر الخمسون سنة بالزواج من طفلة بعمر الحادية عشر بسبب طمع والدها بالمقابل المادي الذي أعطاه له العريس وبحجة أن الطفلة تريد الزواج من الرجل ذو الخمسون سنة، كانوا دائماً يقومون بتزويج القاصرات ومن يصبح عمرها فوق السابعة عشر لا أحد يريدها.²³²

تمت مقابلة زوجة أحد أعضاء داعش خلال إعداد هذا التقرير. وفي حديثها من منزلها في أحد المخيمات العديدة في شمال شرق سوريا للنساء والأطفال المنتمين إلى داعش، زعمت أنها أُجبرت على الزواج ضد إرادتها:

وكان زوجي الداعشي يضربني دائماً، طوال السنتين (كنا متزوجين) كان يضربني باستمرار وفي أحد المرات أراد تفجير الحزام الناسف بي وقام بضربي بالبندقية أيضاً وأحد المرات أيضاً قام بأطلاق رصاصتين علي لكنه لم يصبني كان كل ذلك لأنني أقوم بزيارة عائلتي، وأصبحت أرى عائلتي بطريقة سرية.

هو كان متزوجاً وفي الـ 29 من عمره عندما أتى لخطبتي، كنت في السوق عندما لمحني وبدء بتتبعي إلى أن عرف منزلنا وطلبني من أخي لكنه لم يوافق وأن الموافقة يجب أن تؤخذ مني. خاطرت بحياتي لأجل عائلتي وعدم إصابتهم بمكروه، كان مقاتلاً في داعش ويستطيع فعل أي شيء. عندما كنا في الرقة أخبرني أن أفجر نفسي أن أتت قوات سوريا الديمقراطية وأجبتته بالرفض وأني لا أستطيع إيذاء أحد، لم أتأثر بهم ولا حتى بأفكارهم ومشروعهم، أنا كردية وجميع أهلي متزوجون من الكرد وأخوات أمي من جرابلس، نحن معروفون بكرديتنا (على الرغم من) أننا لا نستطيع تحدث اللغة الكردية.²³³

إرث داعش لا يزال حياً في المخيمات

بعد نيسان/أبريل 2015، انقلب المسار لصالح داعش في الحسكة. واستعادت الميليشيات الكرديّة والمسيحية وكذلك بعض المجموعات القبلية العربية مثل قوات الصناديد،²³⁴ السيطرة على أجزاء كبيرة من ريف تل تمر وسري كانيه / رأس العين، بدعم من الغارات الجوية من التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة.²³⁵ وبحلول نهاية الشهر، كانت وحدات حماية الشعب قد وصلت إلى الحدود الإقليمية بين الحسكة والرقة، وبدأت الاستعدادات ببطء للهجوم على العاصمة التي أعلنها داعش.

لكن حتى ذلك الحين كانت هناك معارك ضارية لتحرير كافة مناطق محافظة الحسكة. لا يزال تنظيم داعش يحتفظ بمواقع قريبة من مدينة الحسكة، وأدى هجوم بسيارة مفخخة في 30 أيار/ مايو 2015 في الحسكة إلى مقتل 50 جندياً مالياً

²³² الإفادة الفردية رقم 66.

²³³ الإفادة الفردية رقم 68.

²³⁴ وقوات الصناديد هي ميليشيا عشائرية مرتبطة بقبيلة شمر العربية، تشكلت أصلاً لمحاربة تنظيم داعش في شمال شرق سوريا.

²³⁵ 'Advances for regime forces in Idlib and Tal Tamir countryside' (9 أيار/مايو 2015)

<<https://web.archive.org/web/20150518094651/http://www.syriahr.com/en/2015/05/advances-for-regime-forces-in-idlib-and-tal-tamir-countrysides/>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

للحكومة.²³⁶ وصدت القوات الحكومية هجومًا شنه تنظيم داعش على مدينة الحسكة في أوائل يونيو/حزيران.²³⁷ شن داعش هجومًا آخر في وقت لاحق من ذلك الشهر، مما أدى إلى تدمير عدة أجزاء من المدينة، على الرغم من صده أيضًا من قبل القوات الحكومية وقوات وحدات حماية الشعب. وأخيرًا، في أوائل شهر آب / أغسطس، أعلنت وحدات حماية الشعب تحرير مدينة الحسكة بالكامل.²³⁸

بعد إنشاء قوات سوريا الديمقراطية في تشرين الأول / أكتوبر 2015، تم شن هجوم آخر لاستعادة جميع الأراضي المتبقية التي يسيطر عليها داعش في جنوب الحسكة.²³⁹ وفي تشرين الثاني/نوفمبر، خضعت المنطقة المحيطة بالهول لسيطرة قوات سوريا الديمقراطية.²⁴⁰ في أوائل عام 2016، سيطرت قوات سوريا الديمقراطية على الشدادي ومعها معظم محافظة الحسكة. في وقت لاحق من عام 2016 اشتبكت قوات سوريا الديمقراطية مع القوات الموالية للأسد في مدينة قامشلو/القامشلي والحسكة. الأمر الذي جعل للسلطات الكردية سيطرة متزايدة على كلتا المدينتين.²⁴¹

ولن تكون هذه نهاية مشاكل الحسكة مع داعش. أصبحت المحافظة تستضيف عديد من المخيمات يسكن بها مقاتلي داعش المشتبه بهم وعائلاتهم، والتي تديرها الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية. استضاف أكبر هذه المخيمات وهو مخيم الهول ما يصل إلى 53 ألف شخص من 60 جنسية بحلول نهاية عام 2022 (من إجمالي 76 ألفًا في أوائل عام 2020).²⁴² اتسع المخيم جزًا نزوح النساء والأطفال من المناطق التي يسيطر عليها داعش في سوريا والعراق وخسارة داعش تدريجيًا المزيد والمزيد من الأراضي.

في حين أن معظم سكان المخيم هم من سوريا والعراق، فمن المحتمل أن يكون هناك في الوقت الحاضر حوالي 10 آلاف شخص من مواطني دول ثالثة. تشير التقديرات إلى أن ما يصل إلى 64% من سكان المخيم هم من الأطفال.²⁴³ ويواصل أنصار داعش المتشددون دفع الناس إلى التطرف في المخيم، الذي يعج بالجريمة ويفتقر إلى الرعاية الطبية الكافية والخدمات الأساسية وفرص التعليم.

هناك مخيم آخر في محافظة الحسكة هو مخيم الروج، بالقرب من بلدة كاري راش، شرق الطريق الرئيسي الذي يربط بين قامشلو/القامشلي ودير بك/المالكية. تم إنشاء مخيم الروج في عام 2015 لإيواء النازحين السوريين الفارين من هجمات داعش، وبدأ باستقبال الإيزيديين وغيرهم من اللاجئين العراقيين الفارين من عنف داعش على الجانب الآخر من الحدود؛ ومع ذلك، تم تحويله لاحقًا إلى مركز للمواطنين الأجانب المنتمين إلى داعش في عام 2017. ازداد عدد سكان المخيم بشكل مطرد. فبعد هزيمة تنظيم داعش على يد قوات سوريا الديمقراطية والتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة في الباغوز عام 2019، قامت الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية بتوسيع منطقة الروج لاستيعاب المزيد من الأشخاص. وتشمل المخيمات الأخرى في المنطقة تلك الموجودة في العريشة وواشو كاني.

SOHR, 'At least 50 members of the regime forces and allied militiamen killed and wounded in an attack launched by IS on the city of al-Hasakah' (30 أيار/مايو 2015) <<https://www.syriahr.com/en/18895/>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

<<https://english.alarabiya.net/News/middle-east/2015/06/07/Syria-army-pushes-is-back-from-Hassakeh>> (7 حزيران/يونيو 2015) Al-Arabiya News, 'Syria army pushes ISIS back from Hasaka' شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

YPG, 'August 1: Strong Resistance Finally Results in Full Liberation of the City Hasakah from the ISIL Terrorists' (2 أغسطس 2015) <<https://web.archive.org/web/20160302164405/http://dckurd.org/2015/08/02/august-1-strong-resistance-finally-results-in-full-liberation-of-the-city-hasakah-from-the-isil-terrorists/>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

John Davison, 'New U.S.-backed Syrian rebel alliance launches offensive against Islamic State' (31 تشرين الأول / أكتوبر 2015) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-idUSKCN0SP0EA20151031>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

AFP, 'Syrian Kurdish-Arab alliance captures nearly 200 villages from IS' (16 تشرين الثاني/نوفمبر 2015) <<https://web.archive.org/web/20151118111144/http://www.france24.com/en/20151118-syrian-kurdish-arab-alliance-captures-nearly-200-villages>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

japan times, 'Under fresh truce, Kurd forces look to keep areas taken from Syria regime' (25 نيسان / أبريل 2016) <<https://www.japantimes.co.jp/news/2016/04/25/world/fresh-truce-kurd-forces-look-keep-areas-taken-from-syria-regime/>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

Médecins Sans Frontières, 'A lost generation live in fear inside Syria's Al-Hol Camp' (7 تشرين الثاني / نوفمبر 2022) <<https://www.msf.org/generation-lost-danger-and-desperation-syria%E2%80%99s-al-hol-camp>> شوهد في 16 آب / أغسطس 2023.

Kathryn Achilles and others, 'Remember the armed men who wanted to kill mum': The hidden toll of violence in Al Hol on Syrian and Iraqi Children (2022) <https://resourcecentre.savethechildren.net/pdf/children_conflict_al_hol_camp_syria_2022.pdf> شوهد في 28 أيلول / سبتمبر 2023.

العواقب

في مرحلة ما بعد داعش، لم تكن الحسكة بمنأى عن المزيد من الصراعات والنزوح. نزح ما يصل إلى 180 ألف شخص من منطقة سري كانيه/رأس العين خلال هجوم "نبع السلام" عام 2019 الذي شنته تركيا والجيش الوطني السوري المدعوم من تركيا ضد وحدات حماية الشعب وقوات سوريا الديمقراطية،²⁴⁴ حيث سحبت القوات الأمريكية قواتها مؤقتاً من المنطقة.²⁴⁵ وفي أواخر تشرين الثاني/نوفمبر 2022، شنت تركيا حملة جوية موسعة ضد أهداف قوات سوريا الديمقراطية في الحسكة؛²⁴⁶ وتعهد الرئيس التركي أردوغان بغزو بري، على الرغم من أن ذلك لم يتحقق بعد.²⁴⁷ ومع ذلك، فإن التهديد المستمر للتوغل الذي تقوده تركيا في شمال شرق سوريا قد أدى إلى تحويل انتباه قوات سوريا الديمقراطية الكامل عن إدارة المخيمات والسجون التي يتم احتجاز مقاتلو داعش فيها.

وفي الوقت نفسه، أظهر داعش قدرته على الاستمرار في القيام بعمليات جديّة في الحسكة. وفي 20 كانون الثاني/يناير 2022، هاجمت مجموعات تابعة لتنظيم داعش سجن "غويران" أو الصناعة الواقع على الأطراف الجنوبية لمدينة الحسكة، والذي كان يؤوي الآلاف من مقاتلي داعش السابقين. وانتهى الهجوم الذي استمر تسعة أيام بمقتل العشرات من مقاتلي داعش ومعتقليه داخل السجن، رغم تمكن ما بين 30 إلى 100 من قادته من الفرار. وبحسب بيان لقوات سوريا الديمقراطية، فقد 117 عنصرًا من قوات سوريا الديمقراطية وحامية سجنها حياتهم.²⁴⁸ وانضمت القوات الأمريكية، التي بقيت في محافظة الحسكة لمحاربة داعش على الرغم من احتجاجات الحكومة السورية وحلفائها، إلى قوات سوريا الديمقراطية لإخماد انتفاضة السجون.²⁴⁹

يوجد ما مجموعه 20 سجنًا آخر في شمال شرق سوريا، العديد منها في الحسكة (بما في ذلك مرافق سجون في قامشلو/القامشلي والشدادي).²⁵⁰ وبما أن مقاتلي داعش المتشددين يظلون محتجزين إلى أجل غير مسمى دون آفاق لحل طويل الأمد، فإن هؤلاء سيقون أهدافًا لخلايا داعش التي تتطلع إلى إعادة بناء قواتها في المستقبل.

²⁴⁴ United Nations, 'Nearly 180,000 displaced by northeast Syria fighting as needs multiply: UN refugee agency' (22 تشرين الأول / أكتوبر 2019), <https://news.un.org/en/story/2019/10/1049761>, شوهده في 15 آب / أغسطس 2023.

²⁴⁵ BBC, 'Trump makes way for Turkey operation against Kurds in Syria' (لندن، 7 تشرين الأول / أكتوبر 2019) <<https://www.bbc.com/news/world-middle-east-49956698>> شوهده في 16 آب / أغسطس 2023.

²⁴⁶ Ali Kucukgocmen and Suleiman al-Khalidi, 'Turkish air strikes target Kurdish militants in Syria, Iraq after bomb attack' (20 تشرين الثاني / نوفمبر 2022) <<https://www.reuters.com/world/middle-east/turkish-air-strikes-hit-villages-northern-syria-sdf-2022-11-19/>> شوهده في 16 آب / أغسطس 2023.

²⁴⁷ PBS, 'Erdogan vows ground invasion of Syria, Kurds prepare response' (23 تشرين الثاني / نوفمبر 2022) <<https://www.pbs.org/newshour/world/erdogan-vows-ground-invasion-of-syria-kurds-prepare-response>> شوهده في 16 آب / أغسطس 2023.

²⁴⁸ Mohammed Hassan and Samer al-Ahmed, 'A closer look at the ISIS attack on Syria's al-Sina Prison' (معهد الشرق الأوسط، 14 شباط/فبراير 2022) <<https://www.mei.edu/publications/closer-look-isis-attack-syrias-al-sina-prison>> شوهده في 16 آب / أغسطس 2023.

²⁴⁹ Jane Arraf and others, 'U.S. Troops Join Assault on Prison Where ISIS Holds Hostage Hundreds of Boys' (مدينة نيويورك تايمز، 24 يناير 2022) <<https://www.nytimes.com/2022/01/24/world/middleeast/syria-prison-isis-hasaka.html>> شوهده في 16 آب / أغسطس 2023.

²⁵⁰ Hassan and Ahmed.

3. منبج

تتمتع منبج بموقع استراتيجي للغاية: تقع بالقرب من الحدود السورية التركية والطريق السريع الدولي M4 ونهر الفرات وسد تشرين الذي ينتج ما يصل إلى 630 ميغواط من الكهرباء ويروي الأراضي الزراعية المحيطة بها. ولهذا السبب، كانت المدينة دائماً بمثابة محدد رئيسي لميزان القوى في شمال شرق سوريا - وهو دور تكرر خلال الحرب الأهلية السورية الحرب ضد داعش.

منبج قبل الحرب

تقع منبج على بعد 80 كيلومترا من حلب و30 كيلومترا غرب الفرات ضمن محافظة حلب. قُدِّر عدد السكان في مدينة منبج وفي 285 قرية في من قرى المنطقة بحوالي 400,000 نسمة في الإحصاء الذي جرى في سوريا عام 2004.²⁵¹ وعلى الرغم من عدم وجود إحصاءات موثوقة، تشير التقديرات إلى أن المنطقة تستضيف اليوم نحو 600 ألف شخصاً، نصفهم تقريباً هم نازحون من أجزاء أخرى من سورية.²⁵² وسكانها هم في المقام الأول من العرب، مع أقليات كردية وتركمانية وشركية وشيشانية؛ ويمارس بعض سكانها التصوف النقشبندية.²⁵³ منبج هي موطن لأكثر من 30 عشيرة عربية وتلعب الثقافة القبلية دوراً مهماً في العلاقات الاجتماعية، وتتفوق أحياناً على نفوذ السلطات السياسية.

منبج هي واحدة من أكبر المدن في سوريا ويعود تاريخها إلى السلالات القديمة التي انتشرت في شمال شرق سوريا. اسم المدينة مشتق من الكلمة الحثية مابوغ، التي تطورت عدة مرات عبر التاريخ، إلى نامبيجي باللغة السريانية ونابيجو باللغة الآرامية. أطلق عليها لاحقاً اسم مابج ومابوج، والتي تعني "النبع". أصل النطق الحالي من اللغة السريانية الكلاسيكية.

بعد نهاية الانتداب الفرنسي في سورية في عام 1946، شهدت منبج فترة من الاستقرار النسبي تميزت بالنقاش السياسي المفتوح والنقاش حول الديمقراطية. انتهت هذه الفترة في عام 1963، عندما استولى حزب البعث على السلطة وفرض دكتاتورية الحزب الواحد العسكرية في جميع أنحاء سوريا. أدار النظام البعثي في دمشق المدينة من خلال حزب البعث وجهازه الأمني، الذي فرض السيطرة على جميع جوانب الحياة العامة. وصلت فروع الحزب إلى مستوى القرية، بينما قامت المخابرات بإدخال المراقبة في كل جانب من جوانب الحياة. ومع ذلك، تمتعت منبج بعلاقة مستقرة مع السلطات المركزية في دمشق، على عكس المدن والمناطق الأخرى في شمال شرق سوريا (بسبب اختلاف تركيباتها العرقية أو الطائفية أو السياسية، كما كان الحال في المناطق ذات الأغلبية الكردية مثل كوباني والحسكة).

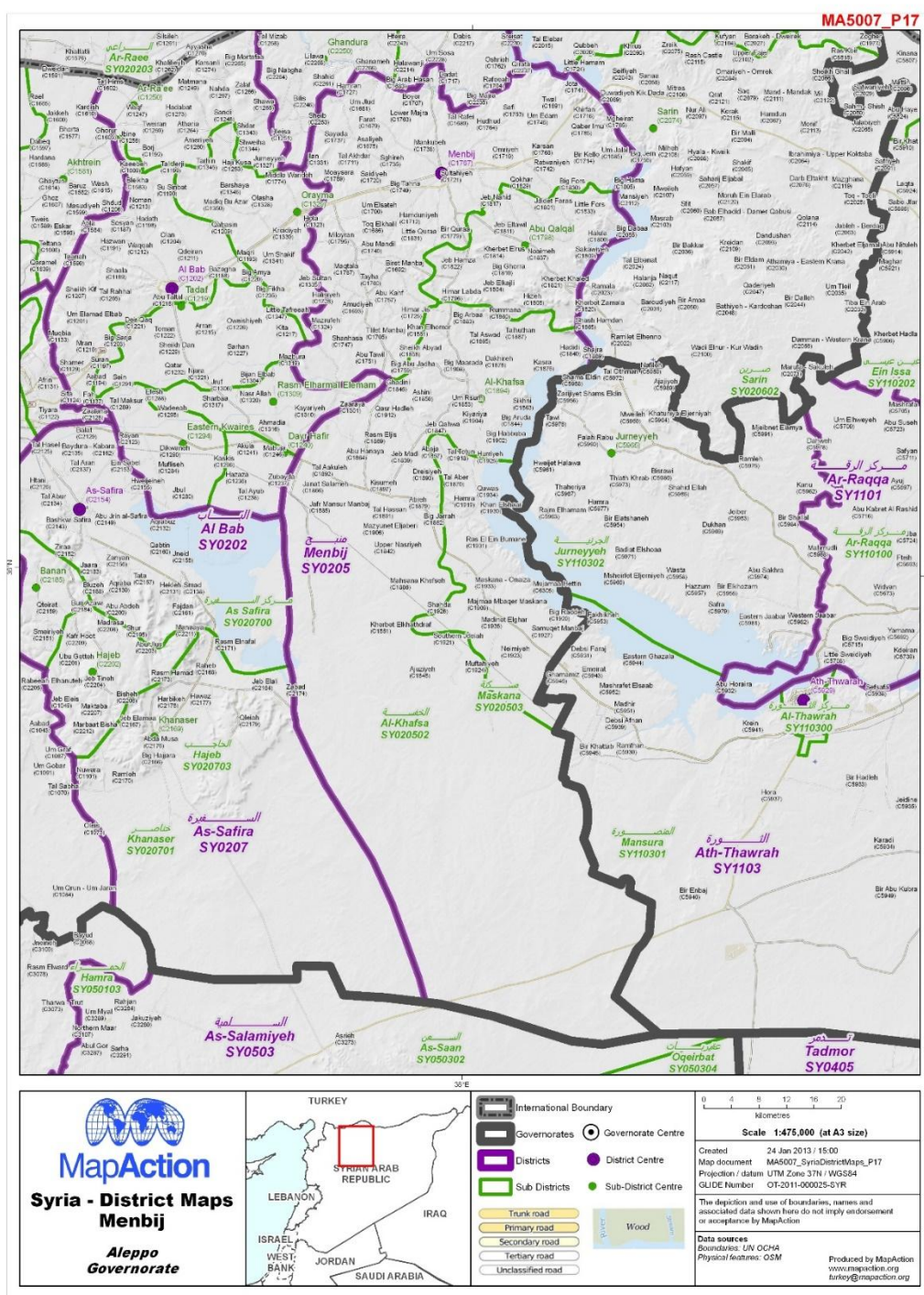
تتميز منبج بأنها ريفية وزراعية بفضل وفرة مواردها المائية وقربها من نهر الفرات ورافده نهر الساجور الذي يفصل منبج عن مدينة جرابلس. ونظراً لمناخ المنطقة وملاءمتها للزراعة، قام العديد من السكان بتربية الأغنام والأبقار والواجن والمحاصيل (البعلية والمروية) مثل القمح والشعير، بالإضافة إلى محاصيل الأشجار مثل الزيتون والفسق. كانت الحكومة السورية تقوم بشراء المحصول من المزارعين نهاية كل موسم، وبأسعار تحددها مديرية المصرف الزراعي في مدينة منبج. تحدث أحد المزارعين عن كيفية كسب عيشه من الزراعة قبل النزاع قائلاً:

كانت الحكومة السورية تقدم لنا كل المساعدة في الزراعة، فتؤمن لنا البذور والأسمدة وبالأقساط المريحة، وتسوق لنا المحاصيل، وإذا كان هناك جفاف أو قحط يتم تأجيل الأقساط مراعاة لوضع الفلاحين، فكان الفلاح مخدمًا بشكل كبير وجيد من قبل الحكومة السورية، وكان الوضع جيداً جداً

²⁵¹ Syrian Central Bureau of Statistics, 'Syria Population Census, 2004' (Ar.) (n.d.) <<https://web.archive.org/web/20151208115353/http://www.cbssyr.sy/General%20census/census%202004/pop-man.pdf>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

²⁵² مقابلات مع مسؤولي الإدارة الذاتية، نيسان/أبريل وأيار/مايو 2023. ²⁵³ MERIP Middle East Report 269 (2013) 'The Struggle for Syria's Regions' Kheder Khaddour and Kevin Mazur (شتاء 2013) <<https://merip.org/2014/01/the-struggle-for-syrias-regions>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

قبل مجيء تنظيم داعش.²⁵⁴



الشكل 1: منطقة منبج في محافظة حلب²⁵⁵.

254 الإفادة الفردية رقم 84، الجلسة الجماعية المبرّكة رقم 2.

<<https://maps.mapaction.org/dataset/217-2790/resource/11cb9a20-63d1-448f-9a4e-21ec63379781>> (4 تموز/يوليو 2016) Map Action, 'Syria District Maps: Membij'²⁵⁵
 > شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

تذكر أحد القرويين من منطقة منبج أيضًا الحياة في المنطقة قبل اندلاع الاضطرابات عام 2011، واصفًا الوضع بـ "المريح":

كانت الحياة جيدة حيث كان التعليم متاحًا للجميع، وكان إلزاميًا حتى المرحلة الإعدادية، وكانت هناك نهضة علمية فلدينا طلاب وطالبات في الجامعات وعلى مستوى قريتنا كان لدينا 15 خريجًا من الجامعة.

وبالنسبة للوضع المادي كان الوضع المادي جيدًا ومريحًا، وكانت الأسعار رخيصة ومستقرة وغير متقلبة، فأنا كنت طالبًا في الجامعة وأدرس الأدب الإنجليزي، كنت أعمل يومًا واحدًا في الأسبوع فيكفيني العمل ليوم واحد لتأمين مصروف الأسبوع بأكمله، الاقتصاد كان جيدًا ومستوى المعيشة كان جيدًا.²⁵⁶

كانت المرأة تعمل بحرية إلى جانب الرجل، سواء في قطاع الزراعة أو في المهن الأخرى. كان بإمكان النساء الدراسة، ومواصلة التعليم، والسفر دون قيود، إذا توافرت لديهن الإمكانات، للتعليم أو العمل أو العلاج الطبي. وكانت للنساء في منبج الحرية في ارتداء ما يحلو لهن، دون أي قيود سوى تلك التي تفرضها العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية. عند مناقشة العلاقات الجندرية (العلاقات القائمة على النوع الاجتماعي) قبل النزاع، قالت امرأة من منبج:

كنا نعيش بأمان ونتجول بأمان، نذهب للتسوق ونلبس أي شيء نحب، عند حدوث مرض لا نخاف ولا نحمل همًا؛ لأن الطب متوفر، وكل شيء متوفر، امرأة أتاها موعد الولادة إذا كان معها زوجها أو لا، لا نحمل همًا؛ لأننا نستطيع إصالتها إلى المشفى، كنا نحن النساء نفعل ما يحلو لنا، كنا المسؤولين عن كل شيء في البيت عند غياب أزواجنا عن المنازل، من تسوق أو أي شيء المنزل بحاجة له أو الأولاد.²⁵⁷

اختفت ممارسات الزواج القسري تقريبًا من منبج، وتم إقرار قوانين جديدة للتخفيف من الظلم الذي عانت منه المرأة على مدى أجيال. تم إجراء إصلاحات على المادة التي كانت في السابق والتي تبرئ الرجل من تهمة "جرائم الشرف" عند قتل زوجته أو ابنته أو أخته إذا تم القبض عليه متلبسًا بالزنا،²⁵⁸ قبل أن يتم إلغاء هذا القانون تمامًا. وكانت هناك أيضًا تغييرات في الأعراف الاجتماعية أدت إلى تحسين وضع النساء، مما سمح لهن بالانضمام إلى الشرطة والقوات المسلحة. وتم تشكيل منظمات للدفاع عن حقوق المرأة مثل الاتحاد النسائي العام.

ومع ذلك، ما زالت النساء محرومات من ميراث الأب والأم؛ وفي معظم الحالات، تمت تصفية ممتلكاتهن بموجب القانون، ومما زاد الطين بلة أنه كان على النساء إكمال إجراءات صعبة ومكلفة لتأكيد حقوقهن.

ومع ذلك، لم يستفد الجميع في منبج من حالة ما قبل الصراع. خلال حكم حافظ الأسد، ثم ابنه بشار، كانت الحياة العامة أمنية بشكل كبير، ولعبت أجهزة المخابرات دورًا في قمع النشاط السياسي المناهض للحكومة. قام حزب البعث من خلال فرعه في منبج بإدارة التعليم، ولا يمكن للمعلمين في كل من المدينة والريف العمل إلا إذا كانوا أعضاء عاملين في الحزب يحملون بطاقات العضوية في الحزب. فرض الحزب أيديولوجيته من المدرسة الابتدائية فصاعدًا، حيث كان التلاميذ الأصغر سنًا يطلق عليهم اسم طلائع البعث؛ انضم طلاب المدارس الثانوية إلى الشبيبة، أو شباب البعثي. يمكن للطلاب الذين يتقدمون لامتحانات القبول في الجامعات أن يحصلوا على الأفضلية إذا خضعوا أولاً لبرنامج تدريبي بعثي لمدة شهر (الصاعقة). كما هو الحال في بقية مناطق سورية كان لدى مدينة منبج الكثير من المدارس والمدرسين، بينما كان الريف يفتقر إلى مثل هذه الخدمات..

²⁵⁶ الإفادة الفردية رقم 84، الجلسة الجماعية المركزة رقم 2.

²⁵⁷ الإفادة الفردية رقم 11، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3.

²⁵⁸ "‘honour killings’ reignites the debate about so-called ‘honour killings’ in Syria" (Open Democracy، 13 يوليو 2021) <<https://www.opendemocracy.net/en/north-africa-west-asia/a-murder-in-syria-reignites-the-debate-about-so-called-honour-killings/>>

شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

كانت منبج أيضًا جزءًا من مشروع "الحزام العربي"، عندما منحت الحكومة السورية الأراضي الخصبة المملوكة للکرد على طول الحدود السورية التركية للمستوطنين العرب. في عام 1974، تم نقل الآلاف من الأسر العربية من منبج إلى 43 مستوطنة تمتد من سري كانيه / رأس العين إلى قرية عين ديوار داخل منطقة دريك/المالكية الإدارية. في عام 1999، نفذت الحكومة عملية تهجير أخرى، حيث نقلت سكان القرى التي كان من المقرر أن يغمرها سد تشرين إلى مدينة مسكنة.

علاوة على ذلك، فإن طبقة التجار الكبيرة في منبج - والتي ازدهرت منذ فترة طويلة بسبب قربها من حلب، المركز التجاري السوري- فقدت الأرض في ظل نظام الأسد. وقد أفاد الإصلاح الزراعي القاعدة الشعبية الريفية، لكنه انتزع السلطة من طبقة التجار السنية الحضرائيين (سكان المدن) وأعضاء قبيلة البو سلطان الثرية والقوية، الذين انجذبوا بشكل متزايد نحو الرسائل المحافظة المناهضة للبعث التي أطلقها الإخوان المسلمون بعد السبعينيات.²⁵⁹ شكّلت هذه الجماعات نواة المسلمين السنة في منبج الذين انضموا إلى تمرد جماعة الإخوان المسلمين بعد عام 1979، والذي تم قمعه بوحشية في حماة عام 1982. ومثل حماة، تعرضت منبج أيضًا لهجوم بالدبابات خلال حملة القمع التي شنها النظام، مما أدى إلى رعب سكان المدينة لسنوات بعد ذلك.

وفي السنوات الأخيرة التي سبقت الموجة الكبرى من الاضطرابات المناهضة للنظام في عام 2011، تم إهمال منطقة منبج حيث شهدت القليل من التنمية الاقتصادية. وفي ظل الإصلاحات التي نفذها بشار الأسد في منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، خسر التجار والتجار الحضرائيون من منبج أمام نظرائهم في حلب ودمشق.²⁶⁰ وبعد احتفاظهم بعلاقاتهم مع جماعة الإخوان المسلمين، أصبحوا قادة في المعارضة المناهضة للأسد بمجرد اندلاع الانتفاضة السورية في آذار / مارس 2011.

الحرب في منبج

لم يدم الاستقرار في منبج. في أوائل عام 2011، انضمت المنطقة إلى الاحتجاجات المناهضة للحكومة، ونظمت أول مظاهرات في غضون شهر من اندلاع الاحتجاجات في درعا. سرعان ما شهدت المدينة احتجاجات كل ليلة تقريبًا بالإضافة إلى إنشاء مجلس ثوري، سيطر عليه الليبراليون والأسلاميون الحضرائيون والبو سلطان الذين تربطهم صلات وثيقة بجماعة الإخوان المسلمين.²⁶¹

وفي حزيران /يونيو وتموز / يوليو 2012، عندما زودت قطر الجماعات المرتبطة بالإخوان المسلمين، مثل لواء التوحيد، بأسلحة ليبية المصدر تم تسليمها عبر الأراضي التركية، سقطت بلدات في محافظتي إدلب وحلب في أيدي المعارضة²⁶². وأصبحت منبج، حيث أنشأ المجلس الثوري جناحًا مسلحًا في أوائل عام 2012- أصبحت تحت سيطرة الجيش السوري الحر في تموز / يوليو من ذلك العام. وانسحبت قوات الأسد دون إطلاق رصاصة واحدة.²⁶³

من ناحية أخرى، أدى استيلاء المعارضة السورية المسلحة على منبج إلى فترة من التجارب على الديمقراطية التشاركية وشهدت إنشاء مجلس محلي. ظهرت ما يقرب من اثنتي عشرة صحيفة مستقلة في نفس الوقت تقريبًا.²⁶⁴ نظرًا لاختلاط سكانها وهياكلها الاجتماعية، عملت منبج كمجتمع أكثر انفتاحًا وليبرالية من المدن الأخرى ذات الأغلبية السنية القريبة (مثل الباب)، وشوهدت النساء بانتظام في الشارع وشعرهن مكشوف.²⁶⁵

²⁵⁹ Anand Gopal and Jeremy Hodge, *Social Networks, Class, and the Syrian Proxy War* (نيسان / أبريل 2021) أمريكا الجديدة، ص 37، https://d1y8sb8igg2f8e.cloudfront.net/documents/Social_Networks_Class_and_the_Syrian_Proxy_War.pdf <شاهد في 17 آب / أغسطس 2023>

²⁶⁰ المرجع نفسه.

²⁶¹ المرجع نفسه، ص 38.

²⁶² المرجع نفسه، ص 32.

²⁶³ المرجع نفسه، ص 38.

²⁶⁴ المرجع نفسه، ص 39.

²⁶⁵ وبالمقارنة، في مدينة الباب القريبة، أشرفت فصائل المعارضة المسلحة على نظام ديني صريح، حيث كان ارتداء المرأة للنباتيل يعتبر انتهاكًا. انظر: See: Khaddour and Mazur, 'The Struggle for Syria's Regions'.

بمرور الوقت، أصبحت المنطقة موقعاً للفوضى والافتتال بين الفصائل بين جماعات المعارضة المسلحة.²⁶⁶ ظهرت أكثر من 70 جماعة مسلحة بعد انسحاب الحكومة (ووجدت الأبحاث المحلية التي أجريت لهذا التقرير أن أكثر من 90 فصلاً مسلحاً كانوا موجودين في المنطقة). قام أولئك الذين يفتقرون إلى إمكانية الوصول إلى الأسلحة والصلات مع الممولين الخارجيين أو شبكات الحضريين (سكان المدن) المرتبطة بالإخوان بشن غارات مستقلة على مراكز الشرطة للحصول على الأسلحة؛ كما أن عمليات الاختطاف والنهب شائعة.²⁶⁷ في غضون ذلك، أدت المنافسة المتزايدة بين المملكة العربية السعودية وقطر إلى زيادة دعمها للجماعة السلفية الجهادية المسلحة أحرار الشام، التي أعلنت وجودها في منبج في أوائل عام 2013.²⁶⁸ بحلول نيسان / أبريل، كانت القوات التي تقودها أحرار الشام تسيطر على المدينة وحذر لواء التوحيد المجلس الثوري من مقاومة حكام المدينة الجدد.²⁶⁹

وصول داعش

تحالفت جبهة النصرة مع أحرار الشام في الاستيلاء على منبج، ثم انشقت عن داعش. في ذلك الوقت، شهدت منبج احتجاجات مناهضة لداعش الذي قام بدوره بإجراء حملات توعية دينية من خلال لقاءات الدعوة (التوعية).²⁷⁰ وبحسب المقابلات التي أجريت لهذا التقرير، أسس "الأمير الأردني أبو الحارث الأردني" أول خلية لداعش في المنطقة عام 2013 مع بضع عشرات من المقاتلين في منبج في ذلك الوقت. كان بعضهم أمراء محليين أو أعضاء في أجهزة الأمن والاستخبارات التابعة لداعش، لكن الغالبية كانوا أجانب دخلوا سورية عبر الحدود التركية - بعضهم بمفردهم، والبعض الآخر مع عائلاتهم - من مختلف الدول العربية والأوروبية وكذلك أوزبكستان والشيستان.²⁷¹

لقد كان وقتاً مضطرباً بالنسبة لمنبج، وكان العديد من السكان غير راضين عن الاتجاه الذي تسير فيه المدينة:

قبل دخول داعش كان يحكمنا "الجيش الحر" كنا نعيش حالة فوضى وعصابات، ولم نكن نشعر بالأمان، وفي مجال العمل كل إنسان يعمل في مجاله، أما التعليم فلم يعد هناك تعليم، أصبحت المدارس مقرات عسكرية، فعمل "الجيش الحر" كله على تخريب هذه المنشأة، دمرنا المدارس والمباني الحكومية ونهبوها.

قبل داعش كنت أسافر إلى الأردن، كنت عامل بناء، ومنذ أن ذهب النظام أصبحت المليشيات والعصابات تتحكم بكل شيء، فالتزمت المنزل، ولم أعد أستطيع السفر، فلم نعد نأمن على منازلنا وعائلاتنا.²⁷²

في البداية، لم يتدخل تنظيم داعش بشكل كبير في حياة سكان منبج. واحتل المقاتلون الأجانب المركز الثقافي في وسط المدينة وقاموا بدوريات في الأسواق العامة حاملين أسلحتهم.²⁷³ ولكن بحلول تموز/يوليو 2013، قامت أحرار الشام وتنظيم الدولة الإسلامية بممارسة لعبة القوة، حيث أوقفتا جميع شحنات الحبوب من مسكنة والرقعة إلى منبج، مما تسبب في ارتفاع أسعار الخبز بشكل كبير.²⁷⁴ نظم تنظيم الدولة الإسلامية احتجاجات ضد مجلس الثورة؛ وبقيت أحرار الشام على الحياد.²⁷⁵

وبحلول كانون الثاني/يناير 2014، كان المجلس الثوري قد فقد الدعم الشعبي، وعندما اجتاحت تنظيم داعش مساحات شاسعة من شمال شرق سوريا، في عملية قادها أبو عمر الشيشاني، "وزير الحرب" المستقبلي لداعش، تمكن من السيطرة على

²⁶⁶ Gopal and Hodge، ص 39.

²⁶⁷ المرجع نفسه، ص 42-44.

²⁶⁸ Yasser Munif، 'Participatory Democracy and Micropolitics in Manbij: An Unthinkable Revolution' (مؤسسة القرن، 21 فبراير 2017) <<https://tcf.org/content/report/participatory-democracy-micropolitics-manbij/>> شوهد في 22 آب / أغسطس 2023.

²⁶⁹ Gopal and Hodge، ص 49.

²⁷⁰ Aymenn Jawad al-Tamimi، 'The Islamic State of Iraq and ash-Sham Expands Into Rural Northern Syria' (Syria Comment، 18 تموز/يوليو 2013) <<https://www.joshualandis.com/blog/the-islamic-state-of-iraq-and-ash-sham-expands-into-rural-northern-syria/>> (شوهد في 17 آب / أغسطس 2023).

²⁷¹ تم جمع المعلومات من المقابلات التي أجريت في منبج، أبريل/نيسان ومايو/أيار 2023.

²⁷² الإفادة الفردية رقم 73.

²⁷³ Gopal and Hodge، ص 47.

²⁷⁴ المرجع نفسه، ص 49.

²⁷⁵ المرجع نفسه.

منبج بسهولة نسبية.²⁷⁶ وتم طرد أحرار الشام، التي كانت قد انفصلت عن داعش في ذلك الوقت، وانخرطت مع جبهة النصرة والجيش السوري الحر، في صراع عنيف ضد داعش، وتم طرده من المدينة. واستقر في منبج حوالي 100 مقاتل من داعش، كثير منهم بريطانيون، وأكسبوا لقب "الندن الصغيرة".²⁷⁷

استمر القتال في المنطقة لفترة من الوقت، حيث اتهمت الحكومة السورية باستخدام ذخائر عنقودية محظورة دوليًا ضد داعش وقوات المعارضة الأخرى في المنطقة.²⁷⁸ إلا أنه مرت عدة سنوات قبل أن يضطر داعش إلى التخلي عن السيطرة على المدينة.

"عيونهم تنتشر في كل مكان": البرنامج الاجتماعي الخائف لداعش في منبج

بعد الاستيلاء على منبج، شن داعش حملة اعتقالات واسعة النطاق استهدفت أعضاء فصائل الجيش السوري الحر التي كانت تسيطر على منبج وكذلك المدنيين الذين دعموهم. وبينما هاجر الأعضاء السابقون في المجلس الثوري في منبج إلى تركيا أو المناطق التي لا تزال تحت سيطرة المعارضة المسلحة،²⁷⁹ تم القبض على أولئك الذين لم يخرجوا في الوقت المناسب وتم نقلهم إلى مراكز الاحتجاز أو إعدامهم في الأماكن العامة. وكثيرًا ما تُركت جثثهم معلقة لعدة أيام. وتم نقل آخرين إلى مدينة الباب القريبة، حيث كان لداعش مقر استخباراتي.

كان لسياسات داعش تأثير اجتماعي خائف في منبج. تم استبدال الفوضى بخوف عميق. وصف أحد سكان منبج كيف أجبر داعش أفراد أسرته أو على التجسس على بعضهم البعض:

كانت داعش تحاول أن تستميل الشباب والأطفال للانخراط في صفوفها والانتساب إليها، مستخدمة في ذلك الإغراءات المادية بالمال والنساء والوعد بالحواريات في الجنة، وبالنسبة للأمن الاجتماعي وقت داعش فقد فقد الأمن والأمان الاجتماعي بين الناس، وانعدمت الثقة ضمن المجتمع ومع الجوار، بل ضمن أفراد العائلة الواحدة، حيث إن جواسيس داعش وعيونهم تنتشر في كل مكان، وأصبح الشخص لا يستطيع أن يتحدث حتى أمام أبنائه الصغار، ولا يستطيع أن يدخل أمامهم؛ وذلك لأن داعش تأتي إلى الشوارع وتساءل الأطفال الصغار بعد أن تعطيهم الحلوى أو النقود عما إذا كان أحد من ذويهم يدخل، وإذا قال الأطفال بأن أحدًا يدخل يتم اعتقاله، فأصبحت الناس تخاف من بعضها البعض.²⁸⁰

وذكر آخر أن المجتمع أصبح "متفكك" بسبب الخوف: "أصبح الناس يخافون من بعضهم البعض ... وصرت تخاف من ابن جارك، فقد يتسبب في قتلك".²⁸¹

كما هو الحال في المناطق الأخرى الخاضعة لسيطرتهم، فرض داعش برنامجًا اجتماعيًا صارمًا بناءً على تفسيره الرجعي للقرآن والشريعة. وصفت امرأة من منبج آثاره قائلة:

منعت داعش بيوت العزاء وضيق كثيرًا على الناس في مجال الأعراس حتى أنهم ألزموا العروس بارتداء اللباس الأسود الكامل، فلم تعد تظهر في المجتمع مظاهر الأعراس وضيق داعش على الرجال والنساء في مجال اللباس، ففرضت على المرأة اللباس الأسود المغطى لكامل الجسد وألزمته بتغطية وجهها وعينيها وكفيها ومنعتها من ارتداء الألبسة الملونة.

²⁷⁶ المرجع نفسه، ص 49.

²⁷⁷ تم جمع المعلومات من المقابلات التي أجريت في منبج، أبريل/نيسان ومايو/أيار 2023.

²⁷⁸ Human Rights Watch (HRW), 'Syria: Evidence of Islamic State Cluster Munition Use' (1 September 2014) <<https://www.hrw.org/news/2014/09/01/syria-evidence-islamic-state-cluster-munition-use>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

²⁷⁹ Gopal and Hodge، ص 49.

²⁸⁰ الإفادة الفردية رقم 63.

²⁸¹ الإفادة الفردية رقم 72.

كما فرضت على الرجال ارتداء الثوب القصير ما فوق الكعبين، وفرضت عليهم إطلاق لحاهم وحفّ شواربهم وكل من يخالف معايير اللباس الذي تفرضه داعش يتعرّض لمصادرة هويته والسجن والجلد والدورة الشرعية والتنكيل والإهانة من قبلهم.²⁸²

لم يكن هناك مجال للأديان الأخرى، وفي وسط مدينة منبج قام تنظيم داعش بتحطيم شواهد القبور في المقبرة لاعتبارها وثنية.²⁸³ وفي الوقت نفسه، سهّل تنظيم داعش عمليات استخراج ونهب الآثار في منبج والمواقع الأثرية الغنية في ريفها.²⁸⁴ وكان داعش متورط أيضاً في بيع المخدرات. وفي الوقت نفسه، تم إيقاف الأنشطة الاقتصادية التي لا تخدم مصالحه، وإصدار قوانين تحد من النشاط الاقتصادي بين السكان. وأغلقت الشركات الفردية وفرض قيوداً خانقة على مختلف المهن. وقد أدى ذلك إلى ارتفاع معدلات البطالة وزرع الفقر بين جميع الطبقات الاجتماعية. وروت نفس المرأة من منبج كيف كان ذلك:

بالإضافة إلى ترك المعلمين لعملمهم قامت داعش بإغلاق الدوائر الرسمية وأصبح جميع الموظفين الحكوميين عاطلين عن العمل وطلاب المدارس أيضاً، وأجبر كثيرًا من الناس على تغيير مهنتهم كالمحامين وأطباء النسائية الذين حظرت داعش عليهم العمل في مهنتهم باعتبارها ترى أن عملهم يخالف الشريعة الإسلامية وقد يصل إلى حدّ الكفر، فساء الوضع المعيشي للمجتمع.²⁸⁵

بذل داعش جهوداً خاصة لتجنيد الأطفال، مستفيداً من إمكانية التلاعب بهم بسهولة وتلقينهم الولاء التام للتنظيم. وقد تم تحقيق ذلك من خلال التعليم الديني واستغلال الفقر وكسب النفوذ على السكان من خلال الصدقات النقدية، ومن خلال تجنيد الأطفال في شبكات التجسس. وقال أحد سكان منبج:

داعش أغلق المدارس، وسخر منابرها وإعلامها لاستقطاب الشباب وجرّهم إلى تنظيمه الإرهابي الحاقق، وتطعيمهم بالأفكار المتشددة والتكفيرية، فلم يعد لدينا تعليم، والمدارس مغلقة توقف التعليم بالنسبة لطلاب الجامعات فلم يكن يجرؤ أحد على السفر إلى حلب أو دمشق لمتابعة تحصيله العلمي، وذلك بسبب داعش وخوفاً منها لأن السفر إلى "بلاد الكفر" ممنوع عند داعش.²⁸⁶

"قاموا بتثبيت رأسه على الخشبة": الإعدامات العامة.

حافظ داعش في البداية على بعض المسافة بينه وبين سكان المدينة، معتمداً على الهياكل القبلية المحلية عندما يتعلق الأمر بالحكم. كان الحفاظ على الدعم الشعبي في منبج أمراً حيوياً بالنسبة له؛ وكانت المنطقة بمثابة بوابتها الرئيسية إلى العالم الخارجي، عبر الحدود التركية. مع انخراط داعش في معارك طويلة الأمد في أماكن أخرى في عام 2014، نجت منبج من أسوأ انتهاكات التنظيم.

لكن تغير هذا بعد هزائم داعش في كوباني والحسكة. ومع بدء داعش في خسارة الأراضي، سيطر على منبج بشكل متزايد بقبضة من حديد وانتقم من السكان في المناطق الخاضعة لسيطرته وشنّ حملات اعتقال واسعة النطاق. بث داعش الخوف بين الناس من خلال تنفيذ عمليات إعدام في الساحات العامة بتهمة مختلفة، مثل الكفر أو وجود علاقات مزعومة أو حقيقية مع الحكومة السورية أو الجيش السوري الحر أو حزب العمال الكردستاني. كما استهدف تنظيم داعش أقليات دينية وعرقية أخرى - بما في ذلك المسيحيين والصوفييين في منبج - معتبراً أن طردهم هو واجبه المشروع في بناء دولة إسلامية "طاهرة".

²⁸² الإفادة الفردية رقم 76.

²⁸³ Patrick Cockburn, 'In the small city of Manbij in Syria, we could see US and Turkish troops shooting at each other if tensions continue' ²⁸³

²⁸⁴ <https://www.independent.co.uk/voices/syria-us-turkey-troops-fighting-manbij-kurdish-assad-civil-war> (لندن، 2 مارس 2018) <8236201.html> شوهود في 17 آب / أغسطس 2023.

²⁸⁵ (Adnan Almohamad, 'The destruction and looting of cultural heritage sites by ISIS in Syria: The case of Manbij and its countryside' (2016) ²⁸⁴

المجلة الدولية للملكية الثقافية 28 (2).

²⁸⁵ الإفادة الفردية رقم 76.

²⁸⁶ الإفادة الفردية رقم 72.

في 4 نيسان / أبريل 2015، أعدم تنظيم داعش أربعة أشخاص من قرية الرمانة بالقرب من منبج. ووقعت الحادثة بعد أن اشتكت امرأة من القرية للمجموعة بأن زوجها تزوج من امرأة علوية. واتهمته المرأة بالتعامل مع الكفار والنصيريين، وهو مصطلح طائفي مهين لأبناء الطائفة العلوية. ورد مقاتلو داعش بإعدام الرجل على دوار الدلة في حارة الحزاونة في منبج. وفي وقت لاحق، قُتل أحد أبناء الرج وكان منتسباً لتنظيم داعش. ثم اتهمت المرأة مجموعة من الشباب بالقتل. اعتقلهم تنظيم داعش وقاموا بقطع رؤوسهم علناً بالسيف أمام مسجد القرية بعد صلاة الجمعة أمام أعين عائلاتهم.²⁸⁷

وصف رجل من عائلة أخرى تجربتهم مع وحشية داعش قائلاً:

جئنا إلى مركز داعش لاستلام سيارتنا التي احتجزوها، ولكن العنصر [في المكتب] أجّل والدي مرة أخرى، ثم قال له: "اجلس قرب هذه السيارة وانتظر".

فغضب والدي وحصلت مشادة كلامية بينه وبين عنصر داعش، ولكن العنصر أكد على والدي الجلوس قرب السيارة، وبالفعل وقف والدي قرب السيارة وبعد دقائق قليلة انفجرت السيارة وأنا كنت على بعد ما يقارب 10 أمتار عن والدي، ولكنني كنت جالساً على الأرض بينما كان والدي واقفاً فأنته شظية كبيرة نتيجة الانفجار وأصابته في بطنه، وشاهدته قد اتكأ على جدار أو درج وتلفظ بالشهادة وتوفي.

أما أنا فأصببت بشظايا في كتفي وتحت الإبط، وكان هناك مجموعة من المدنيين الذين أصيبوا نتيجة الانفجار وبينهم امرأة أذكر أن لباسها كاملاً قد تمزق، وأكد أن تفجير السيارة كان بفعل داعش وليس بقصف طيران كما ادّعت داعش.²⁸⁸

بعد وفاة والده كان الرجل يأمل في إطلاق سراح أعمامه الذين تم اعتقالهم. ومع ذلك، اكتشفوا في يناير 2016 أن داعش أعدم الثلاثة بتهمة دعم الجيش السوري الحر والتعامل مع الجماعات الكردية.²⁸⁹

نُفذت العديد من عمليات الإعدام العلنية بقسوة شديدة إما بإطلاق النار أو بقطع الرأس بالسيوف. حتى أن داعش صلب الضحايا علناً وتركهم معلقين على الصليبان لعدة أيام ومنع عائلاتهم من دفنهم لبث الرعب بين المعارضين. وكانت عمليات الإعدام تُنفَّذ عادةً في الساحات العامة أو أمام المساجد، خاصة قبل صلاة الجمعة أو بعدها، لجمع أكبر عدد ممكن من الناس.

وصف شاهد تم قطع رأس شقيقه التجربة المروعة قائلاً:

بعد هذا السجن والتعذيب في صبيحة يوم الجمعة وقبل الصلاة جاءت قوات داعش مدججة بالسلاح إلى القرية ومعهم ١٢ سيارة عسكرية وعناصر مرتزقة ملثمين، ومعهم إخوتي، وتم جمع سكان القرية كلهم أمام الجامع في الساحة وظهر السيّاف المرعب.

وأخذ يستعرض قواه وحركاته الإجرامية أمام الناس لبث الرعب في قلوب الناس، ومن ثمّ قاموا بتثبيت رأسه على الخشبة، وبضربة فصل رأسه عن جسده على مرأى أهل القرية. لم يسلمونا الجثة بعد ذبحه، إنما حملوا الجثث وصلبوا وعلقوها لمدة ثلاثة أيام على دوارات منبج ومن بعد مضي ثلاثة أيام تم تسليمنا الجثث.²⁹⁰

وصف شاهد عيان آخر صدمة مشاهدة قطع الرأس أمام مسجد قريتهم:

²⁸⁷ الإفادة الفردية رقم 17 و22.

²⁸⁸ الإفادة الفردية رقم 65.

²⁸⁹ المرجع نفسه.

²⁹⁰ الإفادة الفردية رقم 17.

جلبوا شخصًا مسنًا عمره أكثر من 50 عامًا، وقالوا بأنه ساحر وأنهم سيطبقون فيه حكم الشرع، وقاموا بفصل رأسه عن جسده بالسيف.

قد حاولت ألا أرى هذا المشهد، ولكن في النهاية رأيت رأسه مفصولًا عن جسده، وقد تأثرت كثيرًا بهذا المشهد المرعب ولم أستطع الأكل ولا النوم ليلتها، خاصة أن ولدي [...] كان معتقلًا عند داعش.

في بداية القصاص كنت قد اختبأت خلف الناس كيلا أرى داعش تقوم بقتل هذا الشخص، وقد كان مشهد قتل الرجل قرب المسجد مرعبًا للجميع أهالي القرية صغارًا وكبارًا، وقد ترك مشهد القصاص هذا أسوأ الآثار في نفسي وفي نفس جميع أهالي القرية.

"كانوا ينتظرون حتى تصبح في عمر ١٠ سنوات": الانتهاكات ضد النساء والفتيات في منبج

اعتمد مقاتلو داعش عدة طرق إما للحصول على زوجات أو استغلال النساء جنسيًا، لتبرير ممارساتهن بذرائع دينية مختلفة. أنشأ داعش "مكاتب زواج" لترتيب نوعين من الزواج. من خلال النوع الأول، ما يسمى بزواج رضائي، كان مقاتلو داعش يتزوجون من امرأة ليست من داعش أو "العوام"، وغالبًا ما يبحثون عن نساء جميلات بشكل خاص ويستغلون الظروف الاقتصادية المزرية للأسر الفقيرة. كان النوع الثاني من الزواج قسريًا بشكل صريح: كانت المجموعة تتهم أحد أفراد الأسرة بالكفر أو الردة وتجبر الأسرة على قبول الزواج مقابل إسقاط التهم.

تحدث أحد الشهود عن سياسات تنظيم داعش ضد النساء أثناء سيطرته على منبج:

كان هناك شخص جاهل مجرم عمره حوالي ٧٠ عامًا، كان قاضيًا في داعش أخذ فتاتين من القرية، وتزوج بهنّ عنوة في مساكن سدّ تشرين، ولديهم عادة سيئة جدًا عندما يكون عنصر داعش له زوجات يقوم بتوصية زوجاته إلى أمراء وعناصر آخرين في حال موته، وفي حال موته بشكل مباشر يأخذون نساءه وتقاسمونهن بدون رأي المرأة أو تطبيقها العدة²⁹¹ (فترة ما بعد وفاة الزوج وهي حوالي 3 أشهر حسب الدين الإسلامي)، وكل هذا يأتي عن طريق تعليمات من الأمراء والقيادات.²⁹²

وهناك ممارسة أخرى، تُعرف باسم "جهاد النكاح"، حيث يتم "تزويج" النساء بمقاتلي داعش لتقديم الجنس ورفع معنوياتهم. وكان هذا عبودية جنسية بالكاد تكون مقنعة، وعادة ما كان ينطوي على شكل من أشكال الإكراه.

إن هذا التنفيذ الصارم ولكن الغريب للسياسات الدينية لا يؤثر على النساء فقط: فالرجال أيضا يمكن أن يواجهوا عواقب وخيمة إذا اتهموا بسلوك غير أخلاقي أو غير طاهر. وتم رجم رجل واحد على الأقل حتى الموت في منبج بتهمة ارتكاب الزنا. وتحدثت والدّة ضحية الرجم عن كيفية مقتل ابنها بسبب هذه التهمة الملققة:

حضرت دورية من داعش وقامت باعتقال ابني علاء، وعندما راجعته في مركز داعش أخبروني أن تهمة علاء هي الزنا، وأنهم أرسلوا تحليلًا ليكتشفوا أنه كان متورطًا في الزنا مع امرأة خرساء وهي حامل بالشهر الرابع.

فقلت لهم: "إن ابني ما يزال عريسًا حديث الزواج، فما له وللنساء إن كان متزوجًا؟" ولكنهم لم يفتنعوا بذلك، وبقيت لمدة شهر وأنا أراجعهم، وابني في السجن ولا يعلم التهمة الموجهة إليه.

وبعد مضي شهر على اعتقاله وبتاريخ 10 تشرين الأول / أكتوبر جاءت إلينا دورية من داعش تحمل جثته، وأوصلوه إلى بيتنا، وقالوا لنا: "إنهم أقاموا حدّ الزنا عليه، ورجموه بالحجارة حتى الموت".²⁹³

²⁹¹ ثلاثة أشهر، وعلى المرأة أن تنتظر قبل أن تتزوج مرة أخرى بعد أن أصبحت أرملة، كما نصت الشريعة.

²⁹² الإفادة الفردية رقم 75.

²⁹³ الإفادة الفردية رقم 77.

ومع ذلك، من المؤكد أن النساء عانين من بعض أسوأ الانتهاكات. كما هو الحال في المناطق الأخرى الخاضعة لسيطرة داعش، في منبج جلب داعش مئات النساء والفتيات الإيزيديات من منطقة سنجار في العراق وباعوهن في "أسواق الجواري". كما أنه عامل هؤلاء النساء كسلعة جنسية يمكن شراؤها أو بيعها أو التخلص منها حسبما يراه المقاتلون والأفراد مناسباً. معظم أفكار داعش وقوانينه المتعلقة بالمرأة كانت تنتظر إليها على أنها عورة، أو كائن غير نظيف أو مخجل. شرح أحد سكان منبج بالتفصيل كيف يتاجر داعش بالنساء قائلاً:

رأيت أنهم أتوا بنات من خارج البلد بعمر ٩ أو ١٠ سنوات ... بحجة أن التي أبوها يقاتل داعش يأخذونها سبية، كان هناك بنت عمرها ٩ سنوات كانوا ينتظرون حتى تصبح في عمر ١٠ سنوات لكي يتزوجها (أدهم)، وكان لديهم مكتب الزواج للقاصرات، لا يقبلون عمرًا كبيرًا (فقط اللواتي أعمارهن كانت من ١٢ إلى ١٧ سنة).²⁹⁴

وكان معظم المشتريين من مقاتلي داعش وأقاربهم الذين وصلوا مع التنظيم من مدن سورية أخرى أو من الخارج. لم تجد الأبحاث التي أجريت لهذا التقرير أي حالات قام فيها سكان منبج بشراء هؤلاء النساء كعبيد؛ ومع ذلك - في عشرات المناسبات- اشترى سكان منبج فتيات ونساء إيزيديات لإنقاذهن، مما يعكس ممارسة تم توثيقها في أماكن أخرى في سورية والعراق.²⁹⁵ تم تنفيذ ذلك بالتنسيق مع قوات سوريا الديمقراطية ووحدات حماية الشعب ووحدات حماية المرأة التي يقودها الكرد، والتي تواصلت مع سكان منبج وأرسلت لهم الأموال حتى يتمكنوا من "شراء" الإيزيديات وإحضارهم إلى ضفاف نهر الفرات، حيث يمكنهم الهروب إلى كوباني التي تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية.²⁹⁶ وردًا على ذلك، قام تنظيم داعش باعتقال وقتل العديد من السكان العرب المتهمين بمساعدة الإيزيديين على الهروب أو تهريب الكرد أو الممتلكات المملوكة للكرد إلى المناطق التي تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية شرق الفرات.

الانتهاكات الموجهة ضد الأقليات العرقية

كما استهدف داعش بشكل منهجي أكراد منبج. وبما أنه كان يخوض معركة طويلة مع قوات سوريا الديمقراطية التي يقودها الكرد، والتي يدعمها التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، كان داعش ينظر إلى جميع الكرد في منبج بعين الريبة الشديدة ويعاملهم بازدراء مطلق. تم استخدام عمليات الاختطاف والقتل وغيرها من الانتهاكات لاستهداف السكان الكرد في ريف منبج على وجه التحديد؛ وشمل ذلك أيضًا الكرد الذين تزوجوا من عشاير عربية لتجنب غضب المجموعة. وتجنب الكرد في المناطق الريفية الذهاب إلى المدينة خوفاً من الاعتقال. كان يتم اتهام أي شخص يتم القبض عليه وهو يحاول المغادرة بمحاولة الهروب والانضمام إلى قوات سوريا الديمقراطية أو حزب العمال الكردستاني لمحاربة داعش.

وصف والد ضحية كردية كيف قُتل ابنه بتهمة العمل مع القوات الكردية:

تهمة ابني كانت أنه وشم على يده اسم (دلبرين) قال لي عنصر من داعش: "إن هذا الاسم هو الذي قضى على ابنك". أمسكوه على الحدود وجاءوا به إلى منبج، ووعدوني أنه بعد خمسة عشر يومًا يمكنني أن أراه، ولكنهم قتلوه. وقالوا لي: "قتلنا ابنك، بحجة أنه منتسب لحزب العمال الكردستاني"، وأعلم أنه غير منتسب وكان قد وشم على يده اسم دلبرين، وهو اسم كردي، وهذا الشيء الذي قضى عليه، كان ابني عربيًا صار له أربعون يومًا متزوجًا، تزوج ثم رحل.²⁹⁷

وصف ضحية كردية أخرى لقاء أحد أقاربها المروع مع داعش:

²⁹⁴ الإفادة الفردية رقم 69.
²⁹⁵ انظر: Kristen Chick, 'With Mosul under siege, an unlikely chance to save ISIS-enclaved Yazidis', كريستيان ساينس مونيتور (3 كانون الأول / ديسمبر 2016) <<https://www.csmointor.com/World/Middle-East/2016/1203/With-Mosul-under-siege-an-unlikely-chance-to-save-ISIS-enclaved-Yazidis>>.

²⁹⁶ تم جمع المعلومات من المقابلات مع أفراد المجتمع والمسؤولين المحليين، نيسان / أبريل وأيار / مايو 2023.
²⁹⁷ الإفادة الفردية رقم 74.

زوج أختي المدعو [...] الذي كان يعمل في بيروت وقدم لرؤية أهله وأسرته إلى مدينة منبج، (عندما كان هناك، تم اعتقاله من قبل داعش) ... جاء عناصر داعش إلى بيت أهله لاعتقال شقيقه، فقاموا باعتقال (زوج أختي) وشقيقيه والتهمة طبعاً أنهم من حزب العمال الكردستاني كونهم أكراداً. استمرّ توقيفهم ثلاثة أشهر وطبعاً كانوا قد اعتقلوا معهم مجموعة من الأشخاص، وبعد ثلاثة أشهر تم الإفراج عن جميع هؤلاء الأشخاص إلا (زوج أختي) وشقيقيه. وبعد مضي ثلاثة أشهر، كنت في حلب وسمعت أن داعش أعدم زوج أختي وعلقه على دوار السبع بحرات في منبج، فذهبت إلى الدوار هناك وشاهدت بالفعل جثة زوج شقيقي معلقة بعد أن قتله داعش وكان منظرًا مرعبًا ومروّعًا. قمت بمراقبة المكان وبعد ثلاثة أيام حضر عناصر من داعش في سيارة وحملوا الجثة فقامت بمراقبتهم لمعرفة المكان الذي سيضعون فيه الجثة وكنت أقود دراجة نارية ولاحقتهم دون أن يشعروا بي وقد وصلوا إلى دوار المطاحن فقاموا بلف الدوار مرتين في محاولة منهم للتمويه، وبعد ذلك توجهوا إلى المقبرة الشرقية في مدينة منبج ووضعوا الجثة أمام المقبرة حيث حوّلوا رصيف المقبرة إلى حفرة طولها بحدود الـ 100 م وعمقها حوالي مترين ونص، ويضعون الجثث فوق بعضها ويقومون بطمرها بالتراب يساعدهم في ذلك عنصرين من عناصر داعش لهم مركز قريب من المكان عبارة عن خيمة يجلسون فيها وعند حضور السيارة يقتربون من المكان يقومون باستلام الجثة وطمروا في المكان.²⁹⁸

فرّ جميع الشباب الكرد تقريباً في المنطقة. وكان الكرد الباقون في منبج محاصرين، حيث استولى داعش على نحو متزايد على المنازل والممتلكات المملوكة للكرد. أقام تنظيم داعش مزادات عامة في مستودعات كبيرة في مدينة منبج لبيع العقارات والأثاث والسيارات وغيرها من الأشياء الكرديّة التي استولى عليها. بدأ السكان المسنون وغيرهم ممن بقوا ينامون في المزارع أو في الهواء الطلق لتجنب المdahمات الليلية وحملات الاعتقال التي يقوم بها داعش، كانوا فقط يذهبون خلسة إلى منازلهم قبل الفجر.

"يقتلون الرجال، وإذا صرخت النساء يقتلون النساء": مجزرة البوير

بعد صد حصار كوباني وتحقيق مكاسب في الحسكة، استعدت قوات سوريا الديمقراطية والتحالف بقيادة الولايات المتحدة لهجومهم على منبج.²⁹⁹ استعادوا سد تشرين في أواخر عام 2015 ثم بلدة صرّين في أوائل عام 2016. في نهاية أيار / مايو، بدأ الهجوم وكان التقدم سريعاً في البداية: بحلول 10 حزيران / يونيو، طوقت قوات سوريا الديمقراطية مدينة منبج.³⁰⁰ وبحسب ما ورد شاركت القوات الخاصة الفرنسية بشكل كبير في القتال على الأرض.³⁰¹

ومع ذلك، فقد استغرق الأمر أكثر من شهرين من القتال المطول قبل أن يتم طرد داعش أخيراً من منبج. وسخر تنظيم داعش قوته البشرية وموارده للدفاع عن المدينة، التي اعتبرها ممراً استراتيجياً حيوياً ومركز اتصالات يربط مراكز قوة داعش في جميع أنحاء سوريا والعراق. على الرغم من أن قوات سوريا الديمقراطية قد اكتسبت موطئ قدم في المدينة بحلول نهاية حزيران / يونيو، إلا أن داعش شن أول هجومين مضادين كبيرين لكسر الحصار في الشهر التالي.³⁰² وتم صدهم وتقدمت قوات سوريا الديمقراطية أكثر. وفي 10 تموز / يوليو، تم قتل أمير داعش في منبج (أبو خالد التونسي) خلال القتال.³⁰³

²⁹⁸ الإفادة الفردية رقم 62.

²⁹⁹ سميت العملية فيما بعد باسم فيصل أبو ليلى، وهو قائد عسكري رئيسي في تحرير كوباني، والذي قُتل في وقت مبكر من معركة تحرير منبج. انظر: <<https://www.rudaw.net/english/middleeast/syria/050620162>> Rudaw, 'Hero of Kobane dies from ISIS sniper wound' (5 June 2016) شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

³⁰⁰ Reuters, 'U.S.-backed forces cut off all routes into IS-held Manbij: Syrian Observatory' (10 حزيران/يونيو 2016) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-manbij-idUSKCN0YW0T1>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

³⁰¹ Vincent Nouzille, *Les Tueurs de la République* (Fayard, 2015).

³⁰² Reuters, 'U.S.-backed militias face second Islamic State counter attack - official, monitor' (4 تموز/يوليو 2016) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-manbij-idUSKCN0ZK0S1>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

³⁰³ ARA News, 'ISIS Emir killed under SDF fire north Syria' (10 تموز/يوليو 2016) <<https://web.archive.org/web/20160713063334/http://aranews.net/2016/07/isis-emir-killed-sdf-fire-north-syria/>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

خلال ما تبقى من الشهر، خسر داعش المزيد من الأرض. حاول القيام بهجوم مضاد آخر لكسر الحصار المفروض على غرب منبج في أواخر تموز/يوليو. كان ذلك عندما استيقظ أهالي قرية البوير على هجوم داعش.

تسلل مقاتلو داعش إلى القرية وداهموا المنازل وبدأوا في إطلاق النار بشكل عشوائي على الرجال والنساء والأطفال. قتلوا الرجال أولاً، ثم عدد من أطفال والنساء. روى أحد شهود العيان، وهو طفل في ذلك الوقت، كيف:

قُتل الدواعش شخصين كانا لاجئين ويعيشان في المدرسة، وعدد الدواعش الذين قتلوا أبي وأمي وأعمامي ثلاثة أشخاص، يقتلون الرجال، وإذا صرخت النساء يقتلون النساء أيضاً.

تذكر ناج آخر - أصيب بالعمى بسبب انفجار - الأحداث التي أعقبت المجزرة مباشرة قائلاً:

سمعت صوتاً قوياً جداً ففقدت وعيي فوراً، ولا أعلم ما الذي حدث، بقيت غائبة عن الوعي لمدة 3 ساعات وعندما استيقظت سمعت أصوات الناس أتى (المسعفون) وأتى شخص لجانبي من شدة التفجير لم يعرفني، هو ابن عمي "محمد خير"، قال للناس "تعالوا، احمّلوا هذا الشخص إنه حي". حملوني إلى السيارة وأخذوني أنا وكثير من الناس إلى منبج، وصلنا منبج، قالوا: إني ميت لم يصدق الناس أنني حي،

أتى أحد إخوتي ليسأل عني قالوا: "إنه ميت". في هذه الأثناء جلست أنا واستفرغت دمًا قالوا: "إن الميت لا يستفرغ"، إذا فهو حي وسيموت إن لم تسعفه، وأسعفوني إلى القامشلي لعدم توفر الأطباء في منبج ونقلوني إلى مشفى القامشلي، إصابتي كانت في عيني. فقدت بصري بعد العملية، أوقفوا النزيف واستأصلوا عيني الاثنين. 304

أصيب طفل بالشلل الرباعي وغير قادر على الكلام أو الحركة. 305 أهرب داعش رجلاً آخر، وأشعل فيه النار عدة مرات، وهي تجربة تركته يعاني من مشاكل عقلية خطيرة، بما في ذلك فقدان الذاكرة. 306

أسفر هجوم داعش على البوير عن مقتل حوالي 30 شخصاً وإصابة العشرات، 307 وكان مثلاً آخر على نوع العنف الشديد الذي ارتكبه داعش في شمال شرق سوريا حيث بدأت قوته تتضاءل.

"أصبنا بنيران صديقة": ضحايا مدنيون أثناء تحرير منبج

خلال الأيام الأخيرة من معركة منبج، تحصّن عدد من عناصر داعش في مقرهم الأمني في وسط منبج وانسحبوا تدريجياً إلى حي السرب في الضواحي الشمالية للمدينة. 308 بحلول 12 آب / أغسطس، سيطرت قوات سوريا الديمقراطية بالكامل على منبج.

كانت حصيلة الضحايا المدنيين أثناء القتال مرتفعة. قتل تنظيم داعش المدنيين الذين حاولوا الفرار واستخدم السيارات المفخخة بشكل متكرر. واستخدم آخر مقاتلي داعش المتبقين، بحسب قوات سوريا الديمقراطية، المدنيين كدروع بشرية. 309 كما قاموا بتحويل منازل وممتلكات المدنيين إلى منشآت عسكرية، أو حتى إخفاء منازل المدنيين كقواعد لداعش، لتحويل الضربات الجوية بعيداً عن البنية التحتية الفعلية للتنظيم.

304 الإفادة الفردية رقم 11.

305 الإفادة الفردية رقم 32.

306 الإفادة الفردية رقم 41.

307 تم الوصول إلى هذا العدد من خلال الشهادات التي تم جمعها في منبج وما حولها بين أبريل/نيسان ومايو/أيار 2023. وأفاد المرصد السوري لحقوق الإنسان في البداية أن 24 مدنيًا قد قتلوا.

انظر: 'IS executes 24 civilians 10km away from Manbij city' SOHR, (29 تموز/يوليو 2016) <<https://www.syriahr.com/en/48877/>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

308 مقابلات مع سكان منبج، أبريل/نيسان ومايو/أيار 2023.

309 Suleiman al-Khalidi and Lisa Barrington 'U.S.-backed forces wrest control of Syria's Manbij from Islamic State' Reuters (12 August 2016) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-islamic-state-idUSKCN10N178>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

وصف أحد شهود العيان، الذي انتهى الأمر بمنزله على خط المواجهة بين مقاتلي داعش وقوات سوريا الديمقراطية، العواقب المدمرة التي خلفها ذلك على عائلته:

أثناء عمليات التحرير جاء أربعة من عناصر داعش قرب بيتي، قاموا بالاشتباكات مع القوات المحررة ثم انسحب ثلاثة منهم وبقي عنصر واحد من عناصر داعش يشتبك مع القوات المحررة من جوانب متعددة حول بيتي، وكان قريباً من البيت جداً، بعد حوالي نصف ساعة من الاشتباك توقف إطلاق النار وخرجت من البيت لأستطلع الوضع، وقلت: "الحمد لله لقد انتهى الاشتباك ومرّ الأمر على خير". وفي الليل جاءني أخي وصهري، وكانت الجلسة عائلية وعدد الأشخاص الموجودين في البيت حوالي كانوا 18 شخصاً، وعندما همّ أخي وصهري بالذهاب كنا نودعهم على باب المنزل فوجئنا بقذيفتين صاروخيتين من طائرة حربية تضرب بيتي أدت إلى مقتل ابنتي فوزية البالغة من العمر 14 عاماً، وابنة ابنتي نعيمة وهي طفلة عمرها سنة ونصف.

هربنا من البيت وحملنا جثتي فوزية ونعيمة، وتعرضنا لإطلاق النار من الطيران، فتوفيت ابنتي عبيد البالغة من العمر 13 عاماً، وابنة بنتي نادية البالغة من العمر ثلاث سنوات، وكانت زوجتي وابني وبنتي قد سلكوا طريقاً غير الطريق الذي مشينا فيه ليلاً، وعندما وصلنا إلى بيت أخي لم نجدهم، ولكن عند طلوع الشمس صباحاً شاهدت جثتي زوجتي وابني الذي بُترت قدمه وابنتي المتزوجة، شاهدت جثتهم ملقاةً على الأرض حيث تعرضوا للقصف من الطيران الحربي، أما بيتي فقد تولى طيران التحالف قصفه وتدميره بالكامل،

كان قصف بيتي وتدميره وقتل عائلتي بسبب الدواش الأربعة الذين فتحوا جبهة اشتباك مع القوات المحررة قرب بيتي، حيث قاموا بإطلاق النار على القوات المحررة من شرق بيتي ومن غربه، وبالتالي فإن القوات المحررة وطيران التحالف [اعتقدوا] أن الدواش متمركزين بشكل دائم في بيتي، قاموا بالقصف بنية تصفية الدواش والقضاء عليه، فكان الضحايا عائلتي و ... منزلي، ولم ينتسب أحد [على الإطلاق] من عائلتي... لتنظيم داعش.³¹⁰

هذه الحادثة لم تكن لمرة واحدة. في أواخر تموز / يوليو ، أدت غارات جوية يُزعم أن التحالف بقيادة الولايات المتحدة نفذتها في توخار، بالقرب من منبج، إلى مقتل عائلات بأكملها، بما في ذلك أطفال صغار، معتقدين أنهم كانوا يفرون من مقاتلي داعش.³¹¹ أدت حوادث مثل هذه إلى قيام مجموعة الناشطين المناهضين لداعش من حملة الرقة تذبج بصمت باتهام التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة بتطبيق "سياسة الأرض المحروقة" والتعامل مع المدنيين في منبج "كما لو كانوا إرهابيين أو مؤيدين لداعش".³¹² وقال الجيش الأمريكي، بعد تحقيق داخلي، إن 24 مدنياً "اختلفوا مع المقاتلين"، وأنه لا يوجد دليل على الإهمال أو ارتكاب مخالفات. وخلص تحقيق ميداني أجرته صحيفة نيويورك تايمز إلى مقتل أكثر من 120 مدنياً في هجمات لم يكن هناك دليل على أن مقاتلي داعش كانوا بالقرب من أي من الأهداف.³¹³

وبحلول منتصف آب / أغسطس 2016، وثق المرصد السوري لحقوق الإنسان التابع للمعارضة مقتل ما لا يقل عن 444 مدنياً، بينهم 106 أطفال، خلال معركة تحرير منبج. ومن بينهم، قُتل 203 أشخاص في غارات جوية على منبج والمناطق المحيطة بها، بينما قُتل آخرون في معارك بالأسلحة النارية والقصف ومحاولات عبور حقول الألغام التي زرعها داعش.

³¹⁰ الإفادة الفردية رقم 72.

³¹¹ Max Bearak, 'An airstrike in Syria killed entire families instead of Isis fighters' (لندن، 22 تموز/يوليو 2016) <https://www.independent.co.uk/news/world/an-airstrike-in-syria-killed-entire-families-instead-of-isis-fighters-a7149771.html> <شاهد في 17 آب / أغسطس 2023.

³¹² Lizzie Dearden, 'War against Isis: US-led coalition accused of killing civilians using "scorched earth policy" in Syria' (لندن، 5 آب/أغسطس 2016) <https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/war-against-isis-used-coalition-accused-of-killing-civilians-a7174736.html> <شاهد في 17 آب / أغسطس 2023.

³¹³ Lizzie Dearden, 'War against Isis: US-led coalition accused of killing civilians using "scorched earth policy" in Syria' (لندن، 5 آب/أغسطس 2016) <https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/war-against-isis-used-coalition-accused-of-killing-civilians-a7174736.html> <شاهد في 17 آب / أغسطس 2023.

وفقدت قوات سوريا الديمقراطية أكثر من 300 مقاتل خلال حملتها لتحرير المدينة، فيما خسر تنظيم داعش أكثر من 1019 من مقاتليه.³¹⁴

العواقب

كان سقوط منبج أكبر خسارة لداعش منذ تحرير كوباني في عام 2015. في أعقاب الهزيمة مباشرة، انسحب العديد من مقاتلي داعش المتبقين إلى جرابلس على الحدود السورية التركية. ثم عبرت الدبابات التركية إلى سوريا لطرد داعش من المدينة الحدودية، ودخل الجيش السوري الحر المنطقة كجزء من عملية "درع الفرات" بقيادة تركيا.³¹⁵ لكن بعد وقت قصير من هزيمة داعش، اندلعت اشتباكات بين الجماعات المسلحة المدعومة من تركيا وقوات سوريا الديمقراطية.³¹⁶ في النهاية، شهدت صفقة بوساطة روسية قيام قوات سوريا الديمقراطية بتسليم القرى إلى القوات الحكومية، لتهديد مخاوف تركيا والقوات التابعة لها.³¹⁷

سرعان ما أعرب سكان منبج - وهي مدينة ذات أغلبية عربية - عن عدم ارتياحهم إزاء احتمال أن تحكمهم السلطات التي يقودها الكرد. وقد سمح إنشاء مجلس منبج العسكري المتحالف مع قوات سوريا الديمقراطية، وهو هيكل حكم محلي متعدد الأعراق يهدف إلى الاعتراف بالتركيبة السكانية في منبج، بعودة بطيئة للنازحين إلى ديارهم. وعلى الرغم من أن منبج لم تعاني من نوع الدمار الذي شهدته كوباني، إلا أن العديد من السكان النازحين وجدوا صعوبة في العودة. تم إطلاق عمليات لإزالة الأنقاض في المدينة، ولكن كما هو الحال مع المناطق الأخرى التي تم تحريرها مؤخرًا من داعش، تسببت الألغام والذخائر غير المنفجرة بين الحطام في مقتل وإصابة مئات آخرين بعد انسحاب التنظيم.³¹⁸ وفي الوقت نفسه، كان لدى مجلس منبج العسكري موارد محدودة ويفتقر إلى المتخصصين الذين تشتد الحاجة إليهم في معظم القطاعات الإدارية والمدينة، في حين كان هناك دعم دولي محدود لتلبية الاحتياجات الأساسية للسكان من خلال التعافي المبكر والمساعدة في سبل العيش والرعاية الصحية. ومع ذلك، كانت الاحتياجات هائلة: فقد كشفت المقابلات التي أجريت مع العشرات من الضحايا في منبج أنه لم يتلق أي أحد أي دعم في مجال الصحة النفسية على الإطلاق منذ نهاية النزاع.

بحلول عام 2018 ووفقًا لبعض الروايات، كانت منبج في طريقها إلى التعافي. ووصفها أحد الزوار بأنها "مدينة مزدهرة" توافد عليها رجال أعمال من حلب للاستفادة من التجارة مع المناطق التي تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية.³¹⁹ غير أن هذه التقارير تخفي انعدام الأمن الاقتصادي الذي تعاني منه الأسر العادية. قالت إحدى النساء، التي ترملت أثناء النزاع:

ابني عمره 13 عامًا وهو بعمر خطر وخرج ومع ذلك يذهب إلى العمل من أجل لقمة العيش فهل هذا عادي؟!، أحيانًا أقوم بالاستدانة من جيراني ومن أصحاب المحالّ الغذائية حتى يرجع ابني من عمله ويجلب المال من أجل أن نأكل رغيف الخبز ونعيش، أتمنى أن تصل رسالتي وصوتي لكل العالم ولكل المنظمات وهذا ليس حالي وحدي بل حال الكثيرات مثلي.³²⁰

³¹⁴ SOHR, 'The third US citizen fighter is killed in Manbij area and casualty number rises to about 1800 civilians and fighters' (17 آب / أغسطس 2016) <<https://www.syriahr.com/en/49446/>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

³¹⁵ Lizzie Dearden, 'Syria war: Turkish tanks cross border in huge operation to drive Isis out of key stronghold' *The Independent* (London, 24 August 2016) <<https://www.independent.co.uk/news/world/europe/syria-isis-latest-news-turkey-tanks-offensive-attack-syrian-civil-war-jihadist-us-jarablus-north-a7206826.html>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

³¹⁶ Samuel Osborne, 'Turkey threatens more Syria strikes if Kurdish forces do not retreat' *صحيحة الاندبندنت* (لندن، 29 آب/أغسطس 2016) <<https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/turkey-in-syria-latest-news-syrian-civil-war-isis-attack-offensive-kurds-a7215241.html>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

³¹⁷ Lizzie Dearden, 'Isis defeat in northern Syria opens deadly new phase in civil war as rebel groups turn on each other' (لندن، 3 آذار/مارس 2017) <<https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/isis-northern-syria-defeat-civil-war-new-phase-rebels-bashar-al-assad-regime-sdf-turkey-us-russia-iran-a7610231.html>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

³¹⁸ HRW, 'Syria: Improvised Mines Kill, Injure Hundreds in Manbij' (26 تشرين الأول/أكتوبر 2016) <<https://www.hrw.org/news/2016/10/26/syria-improvised-mines-kill-injure-hundreds-manbij>> شوهد في 17 آب / أغسطس 2023.

³¹⁹ Cockburn, 'In the small city of Manbij in Syria.'

³²⁰ الإبادة الفردية رقم 53.

وفقا لسكان منبج، لم يتم إحراز تقدم يذكر في تحقيق العدالة والمحاسبة للعديد من ضحايا داعش في المنطقة. بالنسبة للبعض، ينبغي أن يكون ذلك اقتصاديا، على شكل جبر الأضرار أو تعويضات عن الخسائر المادية التي تكبدوها أثناء النزاع، بما في ذلك الخسائر المرتبطة بالمعركة أو تدمير الممتلكات والمصادر من قبل داعش.

أحد مطالب الكثيرين في منبج هو أن تقوم السلطات المحلية أو المجتمع الدولي بإجراء محاكمات لأعضاء داعش المحتجزين حاليًا لدى الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية. ولخصت امرأة أعدم داعش زوجها وصلبه مطالبها بالآتي:

لم تقم أي منظمة حقوقية قبل مبادرة دفاع الحقوقية بتوثيق انتهاكات داعش كما لم تقم أي منظمة إضافية بتقديم أي شيء لنا رغم أننا نسمع أن المنظمات تساعد الناس، ولكن لم يساعدنا أحد، ولم يُقدّم لنا العون من أحد، وإن رسالتي ومناشدتي للمجتمع الدولي وأجهزة العدالة الدولية وللشرفاء في العالم هي محاسبة عناصر وإمراء داعش الموجودين في السجون ومساعدة الأطفال المتضررين من الانتهاكات وذوي الضحايا ومحاولة جبر الضرر الذي لحق بهم جزاء انتهاكات داعش وممارساتها الإجرامية الإرهابية.³²¹

حتى عندما كان الناس لا يزالون يحاولون التعايش مع الصدمات التي تعرضوا لها في أعقاب حكم داعش مباشرة، أظهر داعش أنه لا يزال من الممكن أن يشكل تهديدًا. في 16 تشرين الأول/أكتوبر 2016، تسلس أربعة انتحاريين من داعش إلى قرية الماشي وفجروا أنفسهم وسط مجموعة من السكان، مما أسفر عن مقتل 11 شخصًا. بعد شهر واحد فقط من تحرير الماشي من داعش، كان من الواضح أن خلايا داعش لا تزال تشكل تهديدًا في المنطقة.

خشي العديد من ضحايا المجموعة الذين تمت مقابلتهم من أجل هذا التقرير أن يتمكن داعش من العودة وإعادة تشكيل نفسه. من الواضح أن سكان منبج كانوا يخشون التحدث عن التنظيم أو انتقاده أو أي شيء يتعلق به. اختاروا أماكن المقابلات بعناية، وتحدثوا بسرعة لإكمال المقابلات في أقرب وقت ممكن، خاصة في المناطق الريفية.

كما ظلت منبج في مرحلة ما بعد داعش عالقة في توترات جيوسياسية أكبر. يقول المراقبون إن الانقسام بين تركيا ومجلس منبج العسكري التابع لقوات سوريا الديمقراطية كرر خطوط الصدع التي ابتليت بها المدينة بعد الستينيات: حيث هناك نخبة ثرية متحالفة مع المعارضة المدعومة من تركيا وتتنافس مع الأعضاء الأفقر من القبائل العربية المتحالفة مع قوات سوريا الديمقراطية.³²² وفي هذه الأثناء، هدد الرئيس التركي أردوغان مرارًا وتكرارًا بمهاجمة منبج.³²³ وبعد انسحاب القوات الأمريكية من منبج في عام 2019، حذت وحدات حماية الشعب حذوها. وفي انقلاب واضح لمصير منبج، عادت قوات الحكومة السورية، التي طردت من المنطقة في عام 2012، إلى المدينة برفقة القوات المسلحة الروسية.³²⁴ وبحلول صيف عام 2022، أدى تجدد الحديث عن الغزو التركي لمنبج إلى زيادة التحالف بين القوات الموالية للأسد وقوات سوريا الديمقراطية في المدينة.³²⁵

³²¹ الإفادة الفردية رقم 78.

³²² Gopal and Hodge، ص 50.

³²³ Al Jazeera English، 'Erdogan threatens to extend Afrin operation to Manbij' (قطر، 24 كانون الثاني/يناير 2018)

³²⁴ Arab News، 'Syrian and Russian troops sweep into Manbij as US withdraws' (15 نيسان / أبريل 2019)

³²⁵ Reuters، 'Erdogan says Turkey to rid Syria's Tal Rifaat, Manbij of terrorists' (1 حزيران / يونيو 2022)

³²⁶ Khaled al-Khatib، 'Syrian Kurds, Arabs join forces to defend Manbij ahead of Turkish military operation' (24 حزيران / يونيو 2022) <<https://www.al-monitor.com/origins/2022/06/syrian-kurds-arabs-join-forces-defend-manbij-ahead-turkish-military-operation>>;

backed Syrian Kurds to turn to Damascus if Turkey attacks' (لندن، 7 حزيران/يونيو 2022) <<https://www.independent.co.uk/news/world/americas/us-politics/recep-tayyip-erdogan-ap-turkey-ankara-damascus-b2095634.html>>

شوهده في 17 آب / أغسطس 2023.

4. الطبقة

كان سكان الطبقة قبل الحرب يعيشون في ظروف مستقرة نسبياً مقارنة بالمناطق الأخرى في شمال شرق سوريا. ومع ذلك، فإن سنوات الانتفاضة والحرب، التي أعقبتها أربع سنوات من حكم داعش بين عامي 2014 و2017، تركت ندوباً عميقة.

ومن نواحٍ عديدة، فإن محنة الطبقة لم تنتهِ بعد.

الطبقة قبل الحرب

تقع منطقة الطبقة على الضفة الشرقية لنهر الفرات. مبنية على تلة صخرية تطل على بحيرة الفرات (المعروفة أيضاً ببحيرة الأسد) والتي يبلغ طولها 80 كيلومتراً، إلى الجنوب مباشرة من سد الطبقة أو الثورة الذي يبلغ ارتفاعه 60 متراً. تتبع منطقة الطبقة إدارياً لمحافظة الرقة. تقع مدينة الرقة على بعد حوالي 55 كيلومتراً إلى الشرق، بينما تقع مدينة حلب على بعد 188 كيلومتراً إلى الغرب.

كان عدد سكان الطبقة قبل الحرب حوالي 70 ألف نسمة، وفقاً للإحصاء السكاني السوري لعام 2004.³²⁶ ومع ذلك، بحلول عام 2021، ارتفع عدد السكان إلى 131,500 شخص، بسبب حالات النزوح في زمن الحرب من أجزاء أخرى من البلاد.³²⁷ كان العرب السنة أكبر مجتمع في الطبقة، على الرغم من أنه عاشت إلى جانبهم مجموعات متنوعة من الأرمن والكرد وما يقرب من ألف من الآشوريين والإسماعيليين. وكان هناك أيضاً العلويون والدروز والشركس والشيشان والفلسطينيون والعراقيون وحتى بعض السكان الألمان.

كانت المدينة تُعرف باسم الثورة، وهو الاسم الذي يحيي ذكرى الانقلاب (المعروف بثورة 8 آذار/مارس) الذي أوصل حزب البعث إلى السلطة في سوريا عام 1963. وفي أعقاب الانقلاب، تغيّرت الكثير من الأمور. تم تأميم البنية التحتية الصناعية والتجارية في سوريا، وواصل النظام الجديد إصلاح الأراضي.³²⁸ وسرعان ما أدت هذه السياسات إلى تقليص القوة الاقتصادية للبرجوازية القديمة وخلقت تفاوتاً بين التجار -الذين كان أداؤهم جيداً- والصناعيين، الذين تأثروا بشدة عندما أصبحت الصناعات الرئيسية تحت سيطرة الحكومة ونخبة الدولة الجديدة المرتبطة بشكل وثيق بحزب البعث.³²⁹ أدى تدفق أموال النفط والمساعدات الخارجية إلى جعل برامج التنمية المهمة ممكنة في الطبقة.³³⁰

كان أحد المشاريع التنموية الرئيسية التي قام بها نظام البعث مقره في الطبقة: تم اختيار المدينة كموطن لسد الفرات الذي تبلغ تكلفته 340 مليون دولار، والمعروف باسم سد الطبقة أو الثورة، والذي تم تشييده بين عامي 1968 و 1973 بمساعدة الاتحاد السوفيتي (إلا أنه لم يتم الانتهاء من بناء محطة توليد الكهرباء للسد حتى عام 1978).³³¹ ويعد السد أحد أكبر مصادر الكهرباء في سوريا، إذ يضم ثمان توربينات تولد نحو 824 ميغواط؛ كما أنه مصدر رئيسي لمياه الشرب لمدن بعيدة مثل حلب، ويروي حوالي مليون هكتار من الأراضي الزراعية حول السد ويحمي القرى الواقعة على أطرافه من فيضانات الربيع. خلال العقود التي سبقت الحرب السورية، خضعت الطبقة لمشاريع تنمية حضرية كبرى لتحسين البنية التحتية للطرق والكهرباء والمياه والصرف الصحي. واستفادت المدينة أيضاً من المستشفيات الوطني ومراكز الرعاية الصحية الأخرى التي تخدم السكان مجاناً. كان للمدينة مركز ثقافي بارز وكانت أيضاً موطناً لموقع أثري محلي مهم، قلعة جعبر.

³²⁶ Syrian Central Bureau of Statistics, 'Syria Population Census, 2004' (Ar.) (n.d.)

³²⁷ <https://web.archive.org/web/20151208115353/http://www.cbssyr.sy/General%20census/census%202004/pop-man.pdf> <شاهد في 17 آب / أغسطس 2023>

³²⁸ Rojava Information Center, *Beyond Rojava: North and East Syria's Arab Regions* (حزيران / يونيو 2021)

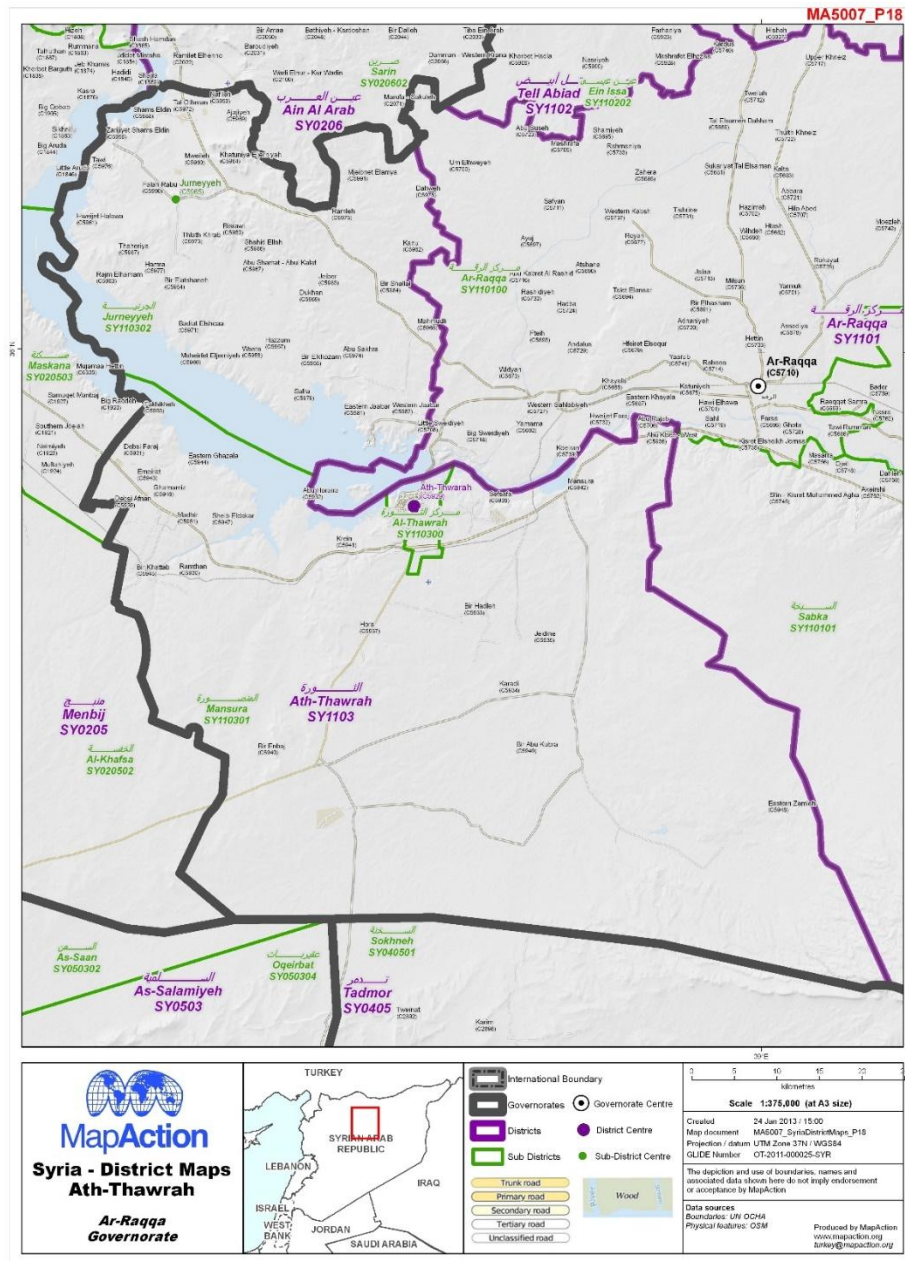
³²⁹ <https://rojavainformationcenter.com/storage/2021/06/RIC-Dossier-Arab-regions.pdf> <شاهد في 17 آب / أغسطس 2023>

³³⁰ Ziad Keilany, 'Land Reform in Syria' (1980) *دراسات الشرق الأوسط* 16 (3) <<https://www.jstor.org/stable/4282794>> <شاهد في 18 آب / أغسطس 2023>

³³¹ Volker Perthes, 'The Bourgeoisie and the Baath: A look at Syria's Upper Class' (1991) *MERIP* 170 <<https://merip.org/1991/05/the-bourgeoisie-and-the-baath/>> <شاهد في 18 آب / أغسطس 2023>

³³⁰ Volker Perthes, *Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970-1989* (كتابات معهد المشرق الألماني، 1990)، الصفحة 82.

³³¹ دفع العديد من العمال حياتهم ثمناً لاستكمالها: فقد توفي ما يقدر بنحو 91 شخصاً أثناء بناء السد.



الشكل 3: منطقة الثورة داخل محافظة الرقة السورية. 332

أدى بناء سد الطبقة إلى توسيع مدينة الطبقة وتحديثها بشكل كبير. كان العديد من سكان الطبقة قد هاجروا في الأصل من مناطق أخرى من البلاد للعمل في السد، وهم يعيشون في الجزء الشمالي من المدينة في منطقة حيوية مختلطة عرقيًا تضم مخازن ومتاجر ومطاعم تُعرف باسم "الأحياء" وتقع بجوار نهر الفرات وبحيرة الأسد. ما يميز هذا القسم من مدينة الطبقة والذي ميز المدينة عن المدن السورية الأخرى- هو التخطيط الحضري الذي قام به خبراء روس، حيث أحاطت النباتات الخضراء المورقة بالبيوت والمنازل الخرسانية في المدينة.

³³² Map Action, 'Syria District Maps: Ath-Thawrah' (4 تموز/يوليو 2016) <<https://maps.mapaction.org/dataset/217-2789/resource/c3b5fbb7-9a5f-4bff-a517-5d7e25502ee9>> شوهد في 18 آب / أغسطس 2023.

تم فصل الجزء الجنوبي من المدينة عن الأحياء بواسطة السكة الحديد التي تم إنشاؤها لنقل المواد والإمدادات اللازمة لبناء السد. وهذا الجزء هو قرية الطبقة الأصلية، والتي نشأت من قرية زراعية صغيرة غير مخططة على ضفاف نهر الفرات. وكانت الطبقة تحتوي على مراكز لتربية الأسماك والدواجن والأراضي الزراعية المروية من نهر الفرات، يتم فيها زراعة القطن والشعير، والقمح وقصب السكر والخضروات. كما قدمت الحكومة أدوات للإنتاج الزراعي. كان القطاع العام أيضًا بمثابة مشغل مهم في المدينة.

كانت الحياة في الطبقة ممتعة بالنسبة لمعظم الناس. وقال أحد الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، وهو يعبر عن مشاعر سائدة على نطاق واسع حول الحياة في المدينة قبل عام 2011:

قبل الأزمة في سوريا كنا نعيش بخير، وكانت لدينا ممتلكات كثيرة من أشجار زيتون وأراضٍ زراعية وسيارات، وكنت أملك مع إخوتي سيارة أجرة، وأنا كنت موظفًا في سد الفرات، الواقع التعليمي كان جيدًا جدًا في الطبقة، وكذلك كانت لدى المرأة حرية في ارتداء أي شيء من اللباس والعمل في كافة المجالات، والوضع الصحي كان جيدًا، والخدمات مجانية ورخيصة ومتوفرة، وكان في المدينة مستشفى جيد.³³³

وأضاف آخر:

قبل العام 2010 - 2011 كان الوضع جيدًا ولا نفكر في الحياة اليومية من تأمين مأكّل ومشرب، وغيرها من احتياجات الحياة، فالموظف كان أجره الشهري يصل إلى 200 أو 300 دولارًا، والخدمات الصحية متوفرة وجيدة، والكثير من الناس يذهبون إلى المشافي الحكومية لا إلى المشافي الخاصة، أما الأسعار فكانت رخيصة، كان كل شيء جيدًا ومتوفرًا، الجميع يحبون مساعدة بعضهم ويستضيفون بعضهم.

لكن الشخص الذي أجريت معه المقابلة أضاف بحزن: "أما الآن فلا توجد كلّ هذه الأشياء".³³⁴

الحرب في الطبقة

بسبب الظروف المعيشية الإيجابية عمومًا والمستوى العالي من الخدمات في الطبقة، كان معظم سكان المدينة يُعتبرون عمومًا موالين للنظام السوري في فترة ما قبل الحرب. لكن رغم ذلك، لم تكن المدينة محصنة ضد التغلغل الأمني وعدم المساواة السائدة في كل مكان في البلاد.

ونظرًا لأهمية المدينة الاستراتيجية والاقتصادية، كانت الحكومة السورية مقتنعة بأن القادة السياسيين والإداريين والاقتصاديين في الطبقة يجب أن يظهروا موثوقيتهم السياسية، إن لم يكن الولاء المطلق للنظام. في حين سُمح لعدد قليل من الأحزاب السياسية اليسارية - وبالتحديد الحزب الشيوعي السوري وأحزاب الجبهة الوطنية التقدمية - بالمشاركة في السياسة إلى جانب حزب البعث الحاكم، كانت الإدارات السياسية والاقتصادية الرئيسية خاضعة لسيطرة أعضاء حزب البعث والأجهزة الأمنية. وشمل ذلك الهيئة العامة لسد الطبقة وكذلك حقل الثورة النفطية، حيث حصل الموظفون الإداريون على أجور أعلى وتمتعوا بمزايا إضافية. تم حرمان العديد من الأشخاص من المنطقة المحيطة من هذا النوع من الوظائف المرموقة في الأقسام الصناعية الإستراتيجية والتي تم تقديمها لأولئك الذين كانوا يهاجرون من أماكن أخرى.

وهذا يعني أنه بمجرد اندلاع المظاهرات في جميع أنحاء سوريا بعد 18 آذار/مارس 2011، شارك بعض الناس في الطبقة بينما لم يشارك آخرون. ردت الحكومة المركزية على الاحتجاجات الشعبية بالاعتقالات التعسفية والاخفاء القسري التي

³³³ الإفادة الفردية رقم 14، الجلسة الجماعية المركزة رقم 1.

³³⁴ الإفادة الفردية رقم 90، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3.

استهدفت السكان المحليين، مع زيادة تواجد أجهزة الأمن والمخابرات ضمن المجتمعات المحلية. خلقت وحشية الأجهزة الأمنية حلقة مفرغة ومتصاعدة من الاحتجاجات التي قوبلت بالقمع، مما أدى إلى مسيرات تشييع واحتجاجات أكبر، ولم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى ظهرت فصائل المعارضة المسلحة في المنطقة وسط حالة عدم الاستقرار التي أعقبت ذلك.

في أواخر عام 2012، سيطرت فصائل المعارضة المسلحة على سد الطبقة،³³⁵ ومع بداية عام 2013، انتزعت الفصائل السيطرة على الطبقة نفسها من الحكومة السورية.³³⁶ وضم تحالف فصائل المعارضة التي سيطرت على الطبقة جبهة النصرة وأحرار الشام وعدداً من الكتائب الأصغر. وفي حين روج العديد من هؤلاء لأنفسهم باستخدام الشعارات والعروض الثورية لحماية المجتمعات المحلية، فقد أصبح من الواضح أن أهدافهم الأيديولوجية كانت إقامة دولة إسلامية تتماشى مع التفسيرات الإسلامية للشريعة الإسلامية. طوال عام 2013، وقعت اشتباكات عنيفة بين الموالين للأسد والمعارضة في المدينة وحولها وبالقرب من السد. وشنت طائرات حربية تابعة للقوات الجوية السورية غارات جوية متكررة من مطار الطبقة العسكري القريب إلى جنوب شرق المدينة.³³⁷

وصول داعش

عندما اندلعت التوترات بين زعيم النصرة أبو محمد الجولاني وزعيم تنظيم الدولة الإسلامية آنذاك، أبو بكر البغدادي، وتحولت إلى انقسام شامل وأعلن البغدادي وجود داعش، انقسم مقاتلو النصرة المتمركزون في الطبقة إلى معسكرين. وتعهد أبو عيسى، قائد النصرة في الطبقة، بالولاء للجولاني مع العديد من الأعضاء المحليين في المجموعة؛ واختار آخرون - بما في ذلك من يسمون بـ "مهاجري" جبهة النصرة والذين لم يكونوا من الطبقة - الانضمام إلى داعش.³³⁸ وأدى ذلك إلى اندلاع القتال بين الجانبين، وانضمت جماعات المعارضة المسلحة إلى جبهة النصرة ضد داعش. وتلا ذلك معركة قصيرة، ولكن شرسة للسيطرة على المدينة، استخدم فيها داعش على نطاق واسع السيارات المفخخة والانتحاريين. وسرعان ما تحولت المعارك لصالح داعش، وفي أوائل عام 2014، سيطر داعش على معظم المنطقة المحلية، بما في ذلك المنصورة شرقاً، وكذلك مدينة الطبقة والمناطق الريفية المحيطة بها.³³⁹

وبحلول أواخر حزيران / يونيو 2014، عندما أعلن تنظيم داعش ما يسمى بـ "الخلافة" بقيادة البغدادي، قام التنظيم بتقسيم الأراضي الخاضعة لسيطرته إلى ولايات. تقع الطبقة بالقرب من العاصمة التي أعلنها التنظيم في الرقة، وكان يطلق عليها اسم "القطاع الغربي" وتم تعيين حاكمها الإقليمي، عواد الخليفة (المعروف باسم أبو حمزة).³⁴⁰ وتحت حكمه، أجبر أعضاء داعش السكان المحليين على التعهد بواجباتهم. ومبايعة "الخلافة" و"الخليفة" خلال صلاة الجمعة في الطبقة والمناطق المحيطة بها، كما تم إجبار زعماء العشائر على مبايعة "الخلافة" و"الخليفة"، أما أولئك الذين رفضوا كانوا يعرفون مصيرهم مسبقاً.

في آب / أغسطس 2014، بدأ داعش الاستعدادات للاستيلاء على مطار الطبقة العسكري. وكانت المجموعة قد استولت بوحشية على قواعد الجيش السوري للفرقة 17 في الرقة واللواء 93 في ريف عين عيسى بريف الرقة، مما أسفر عن مقتل الجنود الأسرى وقطع رؤوس جثثهم.³⁴¹ بقيادة أبو عمر الشيشاني، وهو مواطن أوزبكي ويسمى "وزير الحرب" في داعش، كان داعش يهدف إلى محاصرة المطار من جميع الاتجاهات باستثناء الجنوب، مما يمنح القوات السورية ممراً يمكنهم الفرار من خلاله.³⁴²

³³⁵ Alison Tahmizian Meuse, 'Syria rebels seize dam' AAP (26 نوفمبر 2012)

<<https://web.archive.org/web/20121129050853/http://www.perthnow.com.au/news/breaking-news/syria-battle-reaches-damascus-outskirts/story-e6frg13l-1226523898402>> شوهد في 18 آب / أغسطس 2023.

³³⁶ BBC, 'Rebels "take control of key north Syria airbase"' (لندن، 11 كانون الثاني/يناير 2013) <<https://www.bbc.com/news/world-middle-east-20984142>> شوهد في 18 آب / أغسطس 2023.

³³⁷ Al-Bawaba, 'Fierce Syria clashes on Lebanese border force government to launch tighter border policies' (عمان، 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2013) <<https://www.albawaba.com/news/syria-535295>> شوهد في 18 آب / أغسطس 2023.

³³⁸ مقابلات مع سكان الطبقة، نيسان / أبريل وأيار / مايو 2023.

³³⁹ المرجع نفسه.

³⁴⁰ المرجع نفسه.

³⁴¹ United Nations Human Rights Council (UNHRC), '9th Report of the Independent International Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic' A/HRC/28/69 (5 شباط/فبراير 2015)، المرفق 2، الفقرة 22

³⁴² مقابلات مع سكان الطبقة، نيسان / أبريل وأيار / مايو 2023.

بدأت المعركة في 10 آب/ أغسطس 2014. ولم تنجح الهجمات الأولية التي شنها داعش، وشنت طائرات القوات المسلحة السورية ضربات انتقامية وعشوائية إلى حد كبير على الرقة ودير الزور، مما تسبب في وقوع خسائر كبيرة في صفوف المدنيين في كلتا المدينتين. واستمر القتال لأكثر من أسبوعين. ولكن بعد جلب تعزيزات عسكرية، اقتحم المئات من مقاتلي داعش المطار أخيرًا بعد تفجير انتحاري مزدوج استهدف مدخل المطار، واستولوا على عليه في 24 آب / أغسطس. ويقدر المراقبون أن 346 مقاتلاً من داعش وأكثر من 170 جندياً من الجيش قتلوا في معركة المطار.³⁴³

وبمجرد دخولهم المطار، قتل مقاتلو داعش أكثر من 200 جندي سوري خلال هذه المجزرة. وقال تقرير للأمم المتحدة إن الرجال "جردوا من ملابسهم، ما عدا ملابسهم الداخلية وأجبروا على السير في الصحراء"، في حين أظهر شريط فيديو بثه داعش في وقت لاحق "مئات الجثث ملقاة على الرمال، وعليها آثار طلقات نارية في الرأس".³⁴⁴ بينما وفر كثيرون آخرون وتمت ملاحقتهم، وتم أسر ما يقدر بنحو 300 جندي وإعدامهم بعد ذلك من خلال قطع رؤوسهم في الطبقة أو في غيرها من المناطق التي يسيطر عليها داعش. وبعد بث شريط فيديو للمجزرة، وهي من أكبر المجازر التي ارتكبتها تنظيم الدولة الإسلامية من حيث عدد القتلى والجرحى، قام التنظيم بحفر مقبرة جماعية لجثث ما يقرب من 500 جندي. وروى من أجريت معهم المقابلات رؤية أطفال يلعبون برؤوس الجنود المقطوعة في الشوارع بعد ذلك بوقت قصير.³⁴⁵

"لا أحد يعلم ماذا فعلوا به": التعذيب والإعدامات في الطبقة

بمجرد سيطرة تنظيم داعش بشكل كامل على منطقة الطبقة، بدأت مرحلة جديدة من الإرهاب، تميزت بعمليات القتل في الشوارع والإعدامات العلنية والقصاص.

بعد فترة وجيزة من الاستيلاء على مطار الطبقة، أحضر أعضاء داعش الأشخاص الذين اتهموهم بالردة إلى دوار السوق الرئيسي في الطبقة. وبالأستناد إلى شهادات الأهالي وأدلة الفيديو، تمكن فريق البحث من التأكد من أنهم جمعوا معظم سكان المدينة لتوضيح ما سيحدث لمن يخالف تعاليم داعش. وأجبر عناصر داعش الأسرى على الركوع، وكان خلف كل واحد منهم عنصر ملثم من داعش. وبعد أن أصدر أمير المجموعة الأمر، أطلقوا النار عليهم بأسلوب الإعدام من الخلف. حيث سألت الدماء في الشوارع.

كما ارتكب تنظيم داعش مجزرة أخرى في 16 تشرين الثاني/نوفمبر 2014، عندما قُتل التنظيم 13 شخصاً من قرية الصفصاف بعد صلاة العصر.

وروت والددة أحد الضحايا قصة ابنها الذي قُتل في عملية إعدام جماعية خلال هذه الفترة:

بعد مضي ستة أشهر قام عناصر داعش بتنفيذ حكم القصاص على ولدي وسبعة أشخاص معه من أبناء المنطقة، ومن عشائر مختلفة غالبيتهم من عشيرة "البو خميس"، وكانت معالم التعذيب بادية وظاهرة عليهم.

كان يوم القصاص يوم السبت في تمام الساعة العاشرة صباحاً، وأمام أعين الناس في المنطقة، قتلوهم رمياً بالرصاص ... وأبقوهم معلقين ليكونوا عبرة للناس ... هم كانوا يقتلون الناس لبث الخوف والذعر في نفوسنا أكثر.³⁴⁶

قُتل أشخاص بتهمة أنهم عملاء للنظام: بعد الاستيلاء على مطار الطبقة، بدأ تنظيم داعش حملة اعتقالات داخل المدينة وريفها على أساس أنهم عثروا على وثائق في المطار تذكر أسماء عملاء النظام العاملين داخل المدينة. وبطريقة مشابهة، في عام 2016، قتل تنظيم داعش عدداً من المدنيين في الطبقة، بدعوى أنهم يعملون كعملاء للأتراك.

³⁴³ Sylvia Westall, 'Hundreds dead as Islamic State seizes Syrian air base: monitor' ³⁴³ رويترز (24 آب / أغسطس 2014) <https://www.reuters.com/article/cnews-us-syria-crisis-idCAKBN0G00C520140824> <شوهده في 18 آب / أغسطس 2023>

³⁴⁴ UNHRC, '9th report', الفقرة 24.

³⁴⁵ مقابلات مع سكان الطبقة، نيسان / أبريل وآيار / مايو 2023.

³⁴⁶ الإفادة الفردية رقم 49.

وآخرون تم قتلهم بتهمة الإلحاد والكفر. وفقًا للمعلومات التي تم جمعها لهذا التقرير، تم قتل ما لا يقل عن 800 من سكان الطبقة على يد عناصر داعش بموجب أحكام أصدرتها ما تسمى بالمحكمة الشرعية التابعة للتنظيم. ومع ذلك، في كثير من الأحيان، صدرت الأحكام دون ما يشبه تدخل المحكمة أو الإجراءات القانونية الواجبة. وتم وضع من تم تحديدهم للإعدام في سجن فيه برج أمّني، وهو ما يعرف لدى أهالي الطبقة باسم "سجن الموت".

وصفت امرأة كيف قُتل والدها بمائلي:

استمر غياب والدي لأكثر من 40 يومًا، وعلّمنا فيما بعد أنه تم تنفيذ حكم القصاص على والدي، ولا نعلم أين ومتى. ثم علّمنا بعدها من شهود عيان بأنه تم تنفيذ حكم الإعدام وصوت والدي مسموع للجميع بقوله أنه بريء، حيث تم قطع رأسه، ومن ثم لفه داخل غطاء، ولا أحد يعلم ماذا فعلوا به. بعد مرور شهرين عاد الأمنيون لمصادرة بيت وأملاك والدي، وإخراجنا بالقوة وإغلاق المنزل بسلاسل حديدية.³⁴⁷

وروت امرأة أخرى قصة ابنها -م- الذي اعتقل بعد اشتباكه مع مقاتل أجنبي من داعش. بينما كانت هي وابنها الآخر -ي- عائدتين إلى المنزل، توقفت سيارة مليئة بأعضاء داعش بجانبهما. وتذكرت المرأة أنها كانت "خائفة جدًا منهم"، لدرجة أنها سارعت للعودة إلى المنزل دون أن تصاب بأذى. ولم تعلم إلا لاحقًا أن م. كان بالفعل في السيارة لأنه أراد رؤية والدته وشقيقه للمرة الأخيرة. وبعد ذلك بوقت قصير، تم إعدامه بطريقة مروّعة:

شعرت أن شيئًا ما حدث لولدي، فطلبت من أخيه الصغير أن يذهب إلى ساحة القصاص ويسأل الناس من هو الذي سوف ينفذ به الحكم وارجع وأخبرني. لم يذهب ولدي وقتها وأنا الهيئت نفسي لعمل البيت إلى أن أتى نفس الأشخاص الذين رأيتهم في السجن من عناصر داعش، وأخبروني أن أدخل إلى المنزل، وأنهم يريدون التكلم مع ولدي الصغير [ي] فإذا بعناصر داعش يخبرونه أنه تم تنفيذ حكم القصاص على "م"، وجاء ولدي وأخبرني فلم أملك نفسي من البكاء وأخبرتهم أنني أريد رؤيته. وقالوا "تعال معنا" لكي يسلموني جثته لم أكن في حالة أستطيع الاستيعاب والفهم، فخرجت إليهم وفهمت منهم أنهم ألقوا به من ارتفاع شاهق من الطابق الخامس، فلم يمت مباشرة، وأكملوا عليه بضربه بالحجر على رأسه.³⁴⁸

وكان يتم تعليق الجثث أو صلبها بانتظام، ويتم منع الناس، بما في ذلك أفراد الأسرة، من الاقتراب منها. وقد تم قطع رؤوس البعض بالسيوف، والتي كان يتم تعليقها بشكل منفصل عن أجسادها. كما شجع عناصر داعش الأطفال على الاقتراب من جثث القتلى وضربها بالأحذية؛ كما سلموا الأطفال مسدسات للتصويب على الجثث وإطلاق النار عليها. وكثيرًا ما تم تصوير عمليات الإعدام ونشرها على قنوات التواصل الاجتماعي التابعة لداعش. أطلقوا على مقاطع الفيديو هذه اسم "الإصدارات"، والتي تم نسخها على محركات الأقراص الثابتة وعرضها على شاشات كبيرة في الساحات العامة. وقد خدم هذا غرضين: تخويف السكان وتشجيعهم على التجنيد ضمن التنظيم.

بالنسبة لمقاتلي داعش، كانت عمليات الإعدام في كثير من الأحيان عملاً صالحًا للتطهير الديني. وأما بالنسبة للبعض الآخر كان ذلك يغرس الفرح والسعادة لديهم. شهد أحد الضحايا ذلك بعد إعدام أقاربه، حيث علم بالأخبار المأساوية من زنزانة السجن حيث كان محتجزًا لدى داعش:

³⁴⁷ الإفادة الفردية رقم 47.

³⁴⁸ الإفادة الفردية رقم 37.

بعد ما يقارب 3 ساعات جاء عناصر داعش حوالي الساعة الواحدة إلى سجن البرج، وهم فرحون ومسرورون، وكأنهم أحرزوا انتصارًا عظيمًا، والفرح يعم المكان، إلى أن دخل إلينا شخص منهم وبدأ بمخاطبة أخي احمد، حيث أخبره أنه تم تنفيذ حكم القصاص بأولاده، وأنه على حد تعبيره تم الانتهاء من "الكفرة المرتدين".

حيث نزل علينا الكلام كالصاعقة، ولكن اعتقدنا أنهم يريدون تخويفنا، وكانت وجوههم مبتسمة وفرحة. القصاص بأبناء أخي والذين كانوا معهم، وعددهم 13 شخص جميعًا في ساحة السوق الرئيسي لمدينة الطبقة.

بقينا على أمل عودتهم، وفي الساعة 1 بعد منتصف الليل جاء إلى الزنزانة شخص سعودي الجنسية لا أعلم اسمه، وقال: ... "تعال معي"

وعند خروجي معه بدأ بتشغيل مقطع فيديو على هاتفه المحمول، وإذا بالمقطع المسجل هو لحظة تنفيذ حكم وإذا بالمقطع المسجل هو لحظة تنفيذ حكم القصاص بأبناء أخي والذين كانوا معهم، وعددهم 13 شخص جميعًا في ساحة السوق الرئيسي لمدينة الطبقة [بالإضافة إلى ابن أخي].³⁴⁹

إن الاتهام بارتكاب جريمة، بغض النظر عن مدى زيف الاتهامات، يمكن أن يكون له عواقب وخيمة. وكان النفاق متفشيًا أيضًا، وكثيرًا ما استخدم مقاتلو داعش الاتهامات لأصرف الانتباه عن أفعالهم التي تتعارض مع تفسيرهم للشريعة. وروى أحد الضحايا من الطبقة كيف قُتل شقيقه على يد داعش لأنه كان يبيع السجائر لوالدة أحد أعضاء داعش.³⁵⁰ وفي قضية أخرى في المنصورة عام 2015، أعدمت شرطة الحسبة التابعة لداعش ثمانية أشخاص بتهمة السرقة بعد أن افترض أحد الرجال أموالاً من شخص - كان مقرَّباً من أجهزة داعش الأمنية في الطبقة- وفشل في سداد المبلغ في الوقت المناسب. وبعد شكوى من هذا الشخص اعتقل داعش الرجل الذي استدان المبلغ وسبعة آخرين، وأعدمهم جميعًا في نفس اليوم وعرض جثثهم في الشارع لساعات كتحذير للآخرين.

وفي حالات أخرى، لجأ داعش إلى فرض عقوبات محددة على جرائم محددة. على سبيل المثال، كانت العقوبة القياسية للسرقة هي قطع يد المتهم. روت أم فقدت أحد أطفالها بسبب داعش كيف فقد ابنها الآخر - والذي كان يبلغ من العمر 15 عامًا في ذلك الوقت - يده بهذه الطريقة:

"ولدي الثاني [ع]: قامت داعش بقطع يده اليمنى بتهمة السرقة ... وحدث ذلك أنه في يوم من الأيام بين عام 2015-2016 كان يلعب كرة القدم هو وابن خالته، فسقطت الكرة في منزل عنصر أوزبكي من عناصر التنظيم، فقام ابن اختي بتسليق الحائط والنزول للمنزل دون أخذ إذن منهم، وولدي لم يتسلق الحائط، بل تسلق ابن خالته للدخول للمنزل، فأمسك عناصر داعش بهم واتهموهم بالسرقة وليطبقوا عليهم قطع اليد اليمنى."³⁵¹

وتحد ضحية أخرى، وهو نفسه فقد يده بسبب النظام الجزائي الوحشي لداعش، عن حالته النفسية بسبب ما مر به: "بعد قطع داعش يدي، أحدث هذا التصرف مرضًا نفسيًا كبيرًا بداخلي، ولم أتمكن من العمل ولا الخروج من المنزل بسبب خوفي من السنة الناس، ولأنها ستقوم بتذكيري بالحادثة."³⁵²

"لا كرامة لهن": الانتهاكات ضد النساء والفتيات

كانت معاملة داعش للنساء والفتيات، اللاتي أجبرن على تغطية أجسادهن والحد من حريتهن في الحركة، صارمة في الطبقة كما هو الحال في مناطق أخرى في شمال شرق سوريا. روت إحدى النساء كيف كان ذلك:

³⁴⁹ الإفادة الفردية رقم 34.

³⁵⁰ الإفادة الفردية رقم 48.

³⁵¹ الإفادة الفردية رقم 29.

³⁵² الإفادة الفردية رقم 56، الجلسة الجماعية المركزة رقم 2.

[جارتني] كبيرة في السن ضربوها في السوق أمام كل الناس لأنها لم تغط عينيها، وقال لها عنصر الحسبة (من الذكور) لماذا لا تغطي عيني؟ فردت: "أنت لماذا تنظر إلى عيني؟" فضربها في السوق أمام الناس.³⁵³

وبالإضافة إلى القيام بدوريات في الشوارع، يمكن لوحدة الحسبة النسائية أيضاً تنفيذ أحكام تشمل الغرامات أو السجن أو العقوبات الجسدية مثل الجلد، وأحكام الإعدام مثل الرجم. وتم رجم امرأتين على الأقل حتى الموت في مدينة الطبقة، إحداهما بالقرب من مسجد الفرقان والأخرى بالقرب من محطة الميكرو باصات في المدينة. وكانت شمسة عبد الله من بين الضحايا، التي قُتلت في 18 تموز / يوليو 2014.³⁵⁴ وكان أعضاء الحسبة يجمعون الناس بالقوة من الشوارع والمساجد قبل ساعة من تنفيذ الأحكام لحضور عمليات الإعدام. وكان يتم بعد ذلك إصدار الأمر بإلقاء الحجارة حتى تموت المرأة، على الرغم من أن التقارير تفيد بأن سكان الطبقة رفضوا المشاركة، إلا أن أعضاء داعش كانوا يقومون بتنفيذ الفعل بدلاً من ذلك.³⁵⁵

كما تحدث فريق البحث مع شقيقة إحدى النساء من الطبقة التي تم رجمها علناً حتى الموت. وروت كيف اتصلت بها شقيقتها المتهمة بالدعارة قبل يوم من وفاتها وأخبرتها أن تنظيم داعش حدد موعد رجمها. وكانت قد قالت أختها: "ادعوا لي جميعكم بالرحمة والمغفرة، وقولي لأمي بأن تسامحني وتدعو لي".³⁵⁶ حيث تم قتلها في اليوم التالي.

وكما هو الحال في مناطق أخرى، تم بيع النساء الأسيرات المعروفات باسم السبايا - ومعظمهن من النساء والفتيات الإيزيديات من منطقة سنجار في العراق - في أسواق العبيد في الطبقة. وصفت امرأة من الطبقة كيف أن زوجها، الذي أجبرت هي نفسها على الزواج منه، أحضر سبائاً إلى المنزل:

داعش وأعادتنا للعصور القديمة، وكانت معاملة السبايا لا تمت للإنسانية بشيء، ولا كرامة لهن، يتم [اغتصاب وبيع النساء] في الأسواق، وعلى غرف خاصة على التلغرام، وكانت ... تعمل كخادمة لنساء ورجال داعش، ويتم دمجها في مجالس الرجال، لخدمتهم بالرغم من منع الاختلاط بدون ارتداء حجاب أو لباس شرعي،
قد قام زوجي الداعشي بجلب سبية لي واسمها سارة عمرها 13 عاماً، وصلته هدية، ثم هو بدوره أهداني إياها، وكنت محتارة هل أعاملها كطفلة أم كسبية، لكنني عاملتها كأطفالي واعتنقت الإسلام على يدي، وأعتقتها بعد أن أسلمت وزوجتها وهي بعمر 14 سنة.³⁵⁷

تم تزويج نساء أخريات قسراً. وهم أيضاً تعرضوا في كثير من الأحيان لاعتداءات جنسية خطيرة. أخبرتنا إحدى الضحايا من الطبقة كيف تم إجبارها على الزواج من مقاتل بريطاني في داعش. لقد أخضعها للعنف الجسدي والجنسي، بما في ذلك أثناء فترة حملها:

كان الحمل الثاني بابنتي "س". من شدة الضرب (من قبل زوجي) على منطقة البطن أثناء الحمل أصيبت "س" في رأسها بكسر وهي في رحمي، وبعد ولادتها بساعتين توفيت نتيجة الكسر الموجود في الرأس، حيث أنه وقت الولادة كان رأسها مقسوماً قسمين.³⁵⁸

"هل يداي موجودتان": الاختفاء القسري والاحتجاز التعسفي والتعذيب

³⁵³ الإفادة الفردية رقم 29، الجلسة الجماعية المركزة رقم 1.

³⁵⁴ "Women stoned to death in Syria for adultery" Al-Arabiya News، 9 آب / أغسطس 2014

<<https://english.alarabiya.net/perspective/features/2014/08/09/Women-stoned-to-death-in-Syria-for-adultery>> شهود في 18 آب / أغسطس

2023

³⁵⁵ المرجع نفسه.

³⁵⁶ الإفادة الفردية رقم 27.

³⁵⁷ الإفادة الفردية رقم 29، الجلسة الجماعية المركزة رقم 1.

³⁵⁸ الإفادة الفردية رقم 41.

أنشأ داعش العشرات من السجون السرية ومراكز التعذيب في المنطقة المحيطة كجزء من نظام مرافق الاحتجاز الأوسع، بما في ذلك سجن البرج في مدينة الطبقة وسجن السد في مجمع سد الطبقة وسجن الاستاد في الرقة وسجن السد في مجمع سد الطبقة وسجن الاستاد في الرقة. النقطة 11، والذي كان يعتبر سجن "الموت والإعدام" التابع لتنظيم داعش في الرقة.

يتذكر كيف تعرض أحد الضحايا للتعذيب قائلاً:

فأدخلوني في غرفة التعذيب، وتم ربط يدي بطريقة عكسية من خلف ظهري، وهذه الطريقة تسمى "الشبح"، وهي من أبشع أنواع التعذيب مما سبب لي الألم الشديد، استطعت المقاومة لمدة ساعة ونصف تقريباً ثم دخلت في حالة من الإغماء، عند أذان المغرب أنزلوني وفي نفس اليوم تم نقلي إلى المهجع، عندها لم أستطع الإحساس بوجود يدي، وأذكر أنني سألت أحدهم هل يداي موجودتان؟ قالوا نعم.

بعد صلاة المغرب تم طلبي للتحقيق مرة أخرى، وتم أخذي إلى غرفة التحقيق، ولكن هذه المرة مشيت لمسافة أطول من المرة الأولى، وتم إدخالني إلى غرفة، وكنت معصوب العينين ومكبلى اليدين، أحسست بوجود أشخاص (كانوا معتقلين معي) طلب (المحقق) من الموظفين عنده تغطية وجوههم بالأقنعة وإعطاءهم الأمر بتجهيز أسلحتهم، مما سبب لي انهياراً وخوفاً لا يوصف... لم يحدث إطلاق نار، ولكن مرت أكثر من دقيقتين في صمت مرعب وحالة ذعر شديد. أعطى المسؤول الأمر لنا بالرفع عن عيوننا، ولكني لم أستطع الرفع عن عيني لأنني ... لا أستطيع تحريك يداي من ألم التعذيب، ولا أستطيع الإحساس بوجودها أساساً. سألني: "لماذا لم ترفع عن عينيك؟" أجبت: "لا أستطيع تحريك يدي". بالتالي أمر شخصاً (... برفع الغطاء عن عيني، وإذا بالموجودين في الغرفة هم إخوتي الاثنين وابن أختي.³⁵⁹

وذكر ضحايا آخرون أنهم تعرضوا للتعذيب بالتعليق (الشبح)، حيث تُرك بعضهم معلقين في السقف لمدة ستة أيام متتالية.³⁶⁰ كما عانوا من وضعهم وضربهم في الدولاب، وهو أسلوب تعذيب سيئ السمعة في سوريا يتم من خلاله إجبار السجين على الدخول إلى إطار سيارة ثم ضربه. ووصف ضحية أخرى تعذيبه داخل مركز احتجاز تابع لداعش بمايلي:

... (ضربوني) على قدمي، ومن ثم تم اقتيادي إلى المنفردة حيث أجلسوني بطريقة القرفصاء لمدة طويلة، ما تسبب بتخدير جسدي. بعدها جاء أحد عناصر التنظيم ونقلني إلى غرفة التعذيب، وقام بتقييد جسمي على كرسي خشبي وضربني على قدمي حتى فقدت القدرة على التحرك. ناديت بصوت عالي: "أنا داخل على محمد (صلى الله عليه وسلم)". فقالوا لي: "لقد أشركت بالله بقولك هذا ويجب إعدامك حتى لو كنت بريئاً من التهمة التي تم اقتيادك من أجلها".

تمنيت الموت في كل دقيقة تمر علي. أعادوني إلى المنفردة، وفي المساء تم اقتيادي للتعذيب لكن هذه المرة بطريقة مختلفة، حيث أنهم أدخلوني إلى غرفة تحتوي شاشة صغيرة لعرض الإصدارات وطرق القتل والتعذيب.

كان لديهم طرق قاسية في التعذيب وأذكر منها أنهم كانوا يقيدون يدي على حائط السجن واقفاً ثم يقوم أحدهم بربط قطعة حديد تزن ما يقارب 2 كيلو غرام بأعضائي التناسلية مما سبب فقدان الحس والحركة، وفقدت الوعي وقد تم تكرار هذه العملية أكثر من مرة، وهذا ما سبب تعطل أعضائي التناسلية إلى اليوم.

³⁵⁹ الإبادة الفردية رقم 34.

³⁶⁰ الإبادة الفردية رقم 35.

بعد ضربني نقلوني إلى المنفردة لأنني من شدة الضرب لم أكن أستطيع الوقوف على قدمي، كان السجان يطلب مني أن أبقى جالسًا بطريقة القرفصاء، حيث كانت هناك كاميرا تسجل حركاتي في الغرفة، وهددني إن تحركت وغيّرت طريقة الجلوس بإعادتي إلى غرفة التعذيب.³⁶¹

الانتهاكات ضد أقلّيات الطبقة

دمر داعش فسيفساء المجتمعات العرقية في الطبقة قبل الحرب. فر البعض من القصف العشوائي والسيارات المفخخة التي نشرها داعش في المناطق السكنية أثناء تقدمه العسكري، أو من عمليات الإعدام العلنية والتعذيب التي استخدمها بعد إخضاع المنطقة. إلا أن العديد من أقلّيات الطبقة اضطروا للهجرة لاحقًا تحت تهديد السلاح أو بسبب مصادرة ممتلكاتهم. وأجبر آخرون على اعتناق الإسلام أو أجبروا على دفع الجزية مقابل "حمائهم". يتذكر أحد سكان ريف الطبقة:

قامت داعش بمصادرة الأراضي الزراعية، وأرغمونا على دفع الجزية عن الأراضي الزراعية، وكان عليك تحويل نقودك إلى دراهم ودنانير من أجل دفع الضرائب التي يفرضونها عليك. كانت لي جارة ذات أصول مسيحية قاموا بتغريمها جزية سنوية كبيرة بقيمة 25 غ ذهب من أجل إبقائها في منزلها ومنطقتها، مع السماح لها بالبقاء على دينها (بدون إجبارها على اعتناق الإسلام)، ولكن مع دفع الضريبة السنوية.³⁶²

وكان من بين المتضررين مسيحيو الطبقة والآشوريون، الذين كانوا يمارسون شعائرهم الدينية في كنائسهم في المنطقة حتى بداية الصراع. كما تعرض العلويون والكرد والشيعة، الذين كانوا يعيشون في السابق جنبًا إلى جنب مع المسلمين السنة، للضغط والترهيب. وقد نزحت ما لا يقل عن 600 عائلة مسيحية من مدينة الطبقة وحدها، كجزء من سياسات داعش الإقصائية والطائفية. لقد حرض داعش القبائل والمجموعات العرقية ضد بعضها البعض وزرع الفتنة والصراعات داخل المجتمع.

وبشكل عام، تحولت المدينة إلى "مركز اعتقال كبير"، بحسب أولئك الذين عاشوا تحت حكم داعش. أنشأ التنظيم دوائر حكومية مختلفة في الطبقة كانت مرتبطة بهيكل الحكم الشاملة لداعش. وشمل ذلك مكاتب الضرائب والتعليم، والتوظيف والتواصل الديني والمساجد. ومنع تنظيم داعش الناس من مشاهدة القنوات التلفزيونية والفضائية، وأي شخص لا يسلم أجهزة الاستقبال الفضائية يعاقب بأشد العقوبات والغرامات. لقد تم تدمير البنية التحتية واستغلالها من قبل داعش لخدمة أجندته. عانى الاقتصاد المحلي من مصادرة ممتلكات الناس ومنازلهم وسبل عيشهم وإغلاق المشاريع الصغيرة والضرائب والإتاوات مثل الزكاة.

وصف أحد الضحايا كيف تغيرت حياتهم بعد سيطرة داعش على الطبقة بالقول:

تراجع الاقتصاد في فترة وجود داعش، وأصبح السفر ممنوعًا ومستحيلًا لأنك لو قررت السفر فستكون معرضًا للكثير من الأخطار، وكذلك تتبع طرقات تهريب طويلة جدًا، فتتعرض للعصابات وقطاع الطرق، إضافة إلى خوفك أن تمسك بك داعش.

وكذلك التعليم تراجع جدًا، وأصبحنا لا نرسل أطفالنا إلى المدارس التي فتحتها داعش خوفًا عليهم من القصف أو المناهج التي تعلمها داعش، والتي تحض على العنف والكراهية، وبالنسبة للمشافي فهي لهم ولنسائهم وأطفالهم فقط.

وكان الخروج من المنزل ليس ميسورًا، ولا تستطيع أن تمشي مع زوجتك دون أخذ إثبات أنها زوجتك، الحياة صعبة بكل تفاصيلها، وقام الكثيرون ببيع أراضيهم وممتلكاتهم، لكي يسافروا خارج المنطقة أو ليعيشوا ويأمنوا مستلزماتهم اليومية، ولم نعد نرغب بالخروج من منازلنا بسبب الخوف والرعب الذي نعيشه في حال خروجنا.³⁶³

³⁶¹ الإفادة الفردية رقم 58.

³⁶² الإفادة الفردية رقم 48، الجلسة الجماعية المركزة رقم 2.

³⁶³ المرجع نفسه.

كان للفقر الناجم عن داعش عواقب وخيمة. اضطر سكان الطبقة، الذين غالبًا ما يكونون متعلمين جيدًا مقارنة بالمدن الأخرى في شمال شرق سوريا، إلى العمل مع داعش بصفتهم العسكرية أو المدنية، إما تحت التهديد المباشر بالعنف أو لأنهم اضطروا إلى القيام بذلك بدافع الواقع الاقتصادي البحت. قالت امرأة من الطبقة:

كنت (موظفة)، أقبض راتبًا فتم إيقافني عن العمل، المرأة في زمن داعش لا تستطيع الخروج والحياة صعبة.

ابنتي تجاوزت في أحد الأيام أربع بيوت من فوق الأسطح هربًا من داعش، وعندما أمسكوا بها أخذوا زوجي وابني وسجنوهما، وفرضوا عليهما دورة شرعية وجلدوهما، كان مغلوبًا على أمرنا، وعطينا تأمين اللباس الشرعي لبناتنا حتى ولو لم نكن نملك المال.³⁶⁴

عانى النظام التعليمي أيضًا. وقال الناس لقد تم "سرقة" المدارس وأن الأطفال تركوا المدارس. أفاد أحد الأشخاص الذين تمت مقابلتهم أن شقيقه، وهو عضو في داعش، أجبر أخته على ترك المدرسة. وهي لا تزال أمية حتى اليوم.³⁶⁵

عانى أطفال الطبقة من النظام القمعي المفروض عليهم. وحول تنظيم داعش المدارس في الطبقة إلى مجمعات عسكرية، بعضها يحتوي على أنفاق.³⁶⁶ استهدف الأطفال بالدعاية المتطرفة، لتربية الجيل القادم على العنف والتطرف. قال السكان الذين تمت مقابلتهم إن داعش ساهم في الأمية أو منع الناس من إكمال تعليمهم. وصفت إحدى الأمهات كيف أثر ذلك على ابنها:

في أحد الأيام كان ابني يتابع مقاطع الذبح وكان عمره 5/سنوات، فأمسك سكينًا ويريد أن يجرب ذبح أخيه الذي لا يبلغ من العمر بضعة أشهر، فدخلت الغرفة في الوقت المناسب ورأيت هذه الحادثة واستطعت مساعدة طفلي الصغير.³⁶⁷

تم تجنيد الأطفال ووضعهم في معسكرات تسمى "أشبال الخلافة"، حيث تم تعليمهم عن العنف. وأفادت التقارير أن بعض الأطفال شاركوا في عمليات الإعدام الميدانية التي نفذها تنظيم داعش بعد سيطرته على مطار الطبقة. وأظهرت تسجيلات داعش لعمليات الإعدام، والتي راجعها فريق البحث، أطفالًا يقفون خلف السجناء ويحملون مسدسات، ويقومون بالقتل عندما يتلقون الأمر. ويُزعم أن بعض الأطفال كانوا في السادسة من العمر أثناء مشاركتهم في أعمال العنف هذه. واضطر أطفال آخرون في الطبقة إلى أن يكبروا دون آباء، مما ترك أفراد الأسرة يسارعون لرعايتهم:

الآن لدي خمسة أطفال أيتام الأب والأم، هم أبناء إخوتي الذين أعدمتهم داعش هم ونسأؤهم، والدي مريض ووالدتي مريضة، ولدي اثنان من أولادي معاقان، وأختي كفيفة، وأنا عامل يومية ولا أمتلك أي شيء، وتم إيداع طفلي من الإيتام في مدرسة الأيتام بحلب، وفُصلت من عملي في سد الفرات.³⁶⁸

ووصف الأشخاص الذين تمت مقابلتهم كيف أن الصدمة التي لحقت بالأطفال حولتهم إلى "قنابل موقوتة". وكانت العبارة الشائعة الأخرى هي أن "هذا الجيل لا يهتم بأي شيء" أو يؤمن بأي شيء أكبر. الأطفال الذين نشأوا في مدينة الطبقة -التي كانت ذات يوم مدينة مسالمة- تحت حكم داعش، نشأوا بخيبة أمل وحرمو من طفولتهم.

تحرير الطبقة

سيطر تنظيم داعش على الطبقة لما يقرب من أربع سنوات. تصاعدت الجهود لتحرير المدينة في خريف عام 2015. وفي أعقاب حملاتهم للاستيلاء على كوباني ومساحات واسعة من محافظة الحسكة، أعلنت وحدات حماية الشعب ووحدات حماية المرأة، إلى جانب العديد من الكتلان العربية والسورية والأرمنية والتركمانية، عن تشكيل قوات سوريا الديمقراطية في

³⁶⁴ الإفادة الفردية رقم 89، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3

³⁶⁵ الإفادة الفردية رقم 29، الجلسة الجماعية المركزة رقم 1.

³⁶⁶ الإفادة الفردية رقم 16، الجلسة الجماعية المركزة رقم 1.

³⁶⁷ الإفادة الفردية رقم 41، الجلسة الجماعية المركزة رقم 2.

³⁶⁸ الإفادة الفردية رقم 14، الجلسة الجماعية المركزة رقم 1.

سوريا أواخر عام 2015.³⁶⁹ وفي عام 2016، حررت قوات سوريا الديمقراطية، بدعم جوي من التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، مدينة منبج المتاخمة لمنطقة الطبقة. وفي العام التالي، أطلقت قوات سوريا الديمقراطية حملة لتحرير الطبقة، وأطلقت عليها اسم "عملية غضب الفرات".³⁷⁰

وكان مقاتلو تنظيم داعش قد تحصنوا داخل سد الطبقة وفتحوا ثلاث توربينات، مما أدى إلى غمر مناطق في اتجاه مجرى النهر.³⁷¹ وحذرت الأمم المتحدة من أن أعمال التخريب المتعمدة التي يقوم بها داعش أو الغارات الجوية الأمريكية، والتي ألحقت أضرارًا بالفعل بمدخل السد، يمكن أن تؤدي إلى فيضانات كارثية في المناطق المحيطة.³⁷² وفي آذار / مارس 2017، تم إنزال قوات خاصة أمريكية ومقاتلين من قوات سوريا الديمقراطية جواً في منطقة الكرين، خلف خطوط العدو، لبدء هجوم بري.³⁷³ ومع سيطرة قوات سوريا الديمقراطية (SDF) على قرى مختلفة في المنطقة، انسحبت قوات داعش لتقوم قوات سوريا الديمقراطية بملاحقتها. واستخدم تنظيم داعش المدنيين الذين لم يتمكنوا من المغادرة كدروع بشرية، حيث أصدر التنظيم قراراً يعتبر كل شخص يغادر المنطقة مرتدًا وكافرًا وسيتم إعدامه فور رؤيته. كما قام تنظيم داعش بزرع ألغام مضادة للأفراد في المنطقة، والتي لا تزال منتشرة في المنطقة حتى اليوم.

بحلول 24 آذار / مارس، وصلت قوات سوريا الديمقراطية إلى مدخل السد، واندلعت معارك عنيفة. على الرغم من كونها مدرجة على قائمة الأماكن "الممنوع قصفها"، إلا أن الطائرات الحربية الأمريكية أسقطت ثلاث قنابل زنة 2000 باوند (وحدة قياس أوزان. كل 1 باوند = حوالي 0.453 كيلوغرام) على السد، مما أدى إلى توقف السد عن العمل وارتفاع المخزون إلى أكثر من 15 مترًا، مما كاد يتسبب في حدوث تسرب كارثي.³⁷⁴ واتفق تنظيم داعش والحكومة السورية وقوات سوريا الديمقراطية والولايات المتحدة بعد ذلك على وقف طارئ لإطلاق النار لتجنب وقوع كارثة.³⁷⁵ وبعد يوم واحد، قالت قوات سوريا الديمقراطية إن السد "لم يكن متضررًا أو معطلًا".³⁷⁶ واستولت قوات سوريا الديمقراطية على معظم أجزاء المطار، والتي سرعان ما أخضعته لسيطرتها الكاملة.³⁷⁷

ومع محاصرة تنظيم داعش وقطع طرق إمداده، بدأت معركة مدينة الطبقة في 15 أبريل 2017. وانسحب داعش إلى الأحياء في شمال الطبقة بعد إرسال عدة سيارات مفخخة لوقف تقدم قوات سوريا الديمقراطية. وزعمت قوات سوريا الديمقراطية أن تنظيم داعش أحاط وحاصر وهدد بتفجير السد.³⁷⁸ ولتجنب هذا السيناريو، الذي يهدد بقتل عشرات الآلاف من الأشخاص، تفاوضت قوات سوريا الديمقراطية وداعش على اتفاق لفتح ممر يمكن لمقاتلي داعش الانسحاب من خلاله إلى الرقة.³⁷⁹

وفي 10 أيار / مايو 2017، تم الإعلان عن تحرير مدينة الطبقة، على الرغم من استمرار بعض المعارك في أنقاض وبساتين المنصورة، حيث قام تنظيم داعش بحفر شبكات أنفاق واسعة النطاق. وبعد معارك مكثفة وغارات جوية شنها

³⁶⁹ Kurdish Question, 'Declaration of Establishment by Democratic Syria Forces' (15 تشرين الأول/أكتوبر 2015) <<https://web.archive.org/web/20160224085811/http://kurdishquestion.com/index.php/kurdistan/west-kurdistan/declaration-of-establishment-by-democratic-syria-forces/1179-declaration-of-establishment-by-democratic-syria-forces.html>> شوهد في 18 آب / أغسطس 2023

³⁷⁰ UNOCHA, 'Syria Crisis: Ar-Raqqa—Situation Update No. 1 (as of 31 January 2017)' (31 كانون الثاني / يناير 2017) <https://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/raqqa_update_dec-jan_2017_0.pdf> شوهد في 18 آب / أغسطس 2023.

³⁷¹ المرجع نفسه.

³⁷² Tom Miles, 'U.N. warns of catastrophic dam failure in Syria battle' (15 فبراير 2017) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-dam-idUSKBN15U1DZ>>

³⁷³ Rudaw, 'Coalition airdrops SDF and US forces into Tabqa for joint operation' (22 آذار/مارس 2017) <<https://www.rudaw.net/english/middleeast/syria/22032017>> شوهد في 18 آب / أغسطس 2023

³⁷⁴ Dave Phillips and others, 'A Dam in Syria Was on a "No-Strike" List. The U.S. Bombed It Anyway' *The New York Times* (New York City, 20 January 2022) <<https://www.nytimes.com/2022/01/20/us/airstrike-us-isis-dam.html>> accessed 18 August 2023.

³⁷⁵ المرجع نفسه.

³⁷⁶ Reuters, 'Syria dam not damaged: SDF Raqqa campaign spokeswoman' (27 آذار/مارس 2017) <<https://www.reuters.com/article/idUSKBN16Y1JG>> شوهد في 18 آب / أغسطس 2023

³⁷⁷ Al Jazeera English, 'US-backed Syria forces pause operations near Tabqa dam' (Qatar, 27 March 2017) <<https://www.aljazeera.com/news/2017/3/27/us-backed-syria-forces-pause-operations-near-tabqa-dam>> شوهد في 28 آب / أغسطس 2023

³⁷⁸ Rodi Said, 'U.S.-backed assault on Raqqa to last months, commander says' (31 مارس 2017).

³⁷⁹ SOHR, '18 days after entering the city... the Syria Democratic Forces almost completely control al-Tabqa and ISIS withdraw after negotiations' (3 May 2017) <<https://www.syriahr.com/en/65729/>> شوهد في 18 آب / أغسطس 2023.

التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، أجريت مفاوضات صعبة من خلال شيوخ القبائل وزعماء العشائر. في البداية، قاوم داعش الانسحاب في محاولة لاسترضاء مقاتليه. لكن داعش - المحاصر والمعزول بشكل متزايد - اضطر إلى قبول الانسحاب بموجب ضمانات من المفاوضين وبشرط أن يتمكن المقاتلون من المغادرة بأسلحتهم الفردية.

العواقب

أدى الهجوم واتفاق الإخلاء الذي أعقبه إلى القضاء على آخر موطئ قدم لداعش في الطبقة. قامت قوات سوريا الديمقراطية بعد ذلك بعمليات إزالة الألغام، وعلى مدار العام التالي، أنشأت هياكل حكم محلية. وبدأ بعض النازحين بالعودة وبدأت المهمة الشاقة المتمثلة في إزالة الأنقاض. وبينما عادت الحياة تدريجيًا إلى الطبقة، ظل إرث أربع سنوات من احتلال داعش حيًا في أذهان الناس، تاركًا المدينة مدمرة وأهلها مصابين بالندوب.

وخلال جمع البيانات، واجه فريق البحث علامات خوف ملحوظة من العودة المحتملة لتنظيم داعش. تحدث الأشخاص الذين أجريت معهم مقابلات عن مخاوفهم من استهدافهم من قبل خلايا داعش النائمة. ونتيجة لذلك، رفض العديد من الضحايا الذين تم الاتصال بهم لإجراء المقابلات ببساطة مناقشة تجاربهم. حتى أولئك الذين وافقوا على التحدث اتخذوا احتياطات شديدة، وتحدثوا إلى الباحثين لفترة وجيزة، ومن الواضح أنهم كانوا في عجلة من أمرهم لإنهاء المقابلة. وكان هذا الأسلوب واضحًا بشكل خاص في المناطق الريفية المحيطة بمدينة الطبقة.

على الرغم من هذه التحديات، روى سكان الطبقة قصصهم الخاصة - المروعة في كثير من الأحيان - عن عمليات الإعدام العلنية والعنف الجسدي والجنسي ضد النساء والتعذيب. وقد عانى الكثيرون من صدمات نفسية شديدة، وخاصة الأطفال الذين نشأوا في عقد اتسم بالحرب والعنف. ربما خفت معاناة الطبقة، لكنها بالتأكيد لم تنته.

5. الرقة

تقع محافظة الرقة في وسط شمال شرق سوريا وتمتد على جانبي نهر الفرات، الذي يمر عبر قلب العاصمة الإدارية للمحافظة، التي تحمل الاسم نفسه

أخذت المدينة أهمية رمزية عميقة خلال سنوات حكم تنظيم "داعش" في شمال شرق سوريا، بالإضافة إلى الحملة العسكرية لهزيمة هذا التنظيم. عندما أعلن أبو بكر البغدادي قيام "الخلافة" الخاصة بتنظيم الدولة الإسلامية في حزيران / يونيو 2014 حيث أعلن الرقة عاصمة لها. وقد أشار البعض أن هذه كانت محاولة من تنظيم داعش لتصوير الخلافة على أنها كعودة ثانية للخلافة العباسية، مع البغدادي في دور الخليفة هارون الرشيد، الذي كان أقوى الحكّام العباسيين. ومع ذلك، قد تكون القرارات مستندة أيضًا إلى الموقع المركزي لمدينة الرقة داخل الأراضي التي كانت تحت سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية وسهولة بالإضافة إلى سهولة الوصول للحدود السورية العراقية.

الرقة قبل الحرب

تقع مدينة الرقة على بُعد حوالي 90 كيلومترًا جنوب الحدود السورية التركية، وحوالي 200 كيلومتر شرق مدينة حلب، و140 كيلومترًا شمال غرب دير الزور. وتنقسم المحافظة إلى سبع مناطق رئيسية. المدينة الرئيسية بجانب الرقة هي تل أبيض، وتقع إلى الشمال من مدينة الرقة بالقرب من الحدود التركية وبلدة أكجه كاله (أكجه قلعة)، واسمها يعني "تل الأبيض". وتشمل المدن الرئيسية الأخرى عين عيسى ومعدان والطبقة والمنصورة.

تمتلك الرقة تاريخًا طويلًا ومشهورًا. يعود أصل اسمها إلى الكلمة العربية "رقات" والتي تشير إلى طبقات من طين الذي يترسب نتيجة لفيضانات الفرات السنوية. يلي الفيضان تشقق سطح التربة مع تبخر المياه، مما يترك وراءه رقائق أو جزيئات صغيرة من التربة.

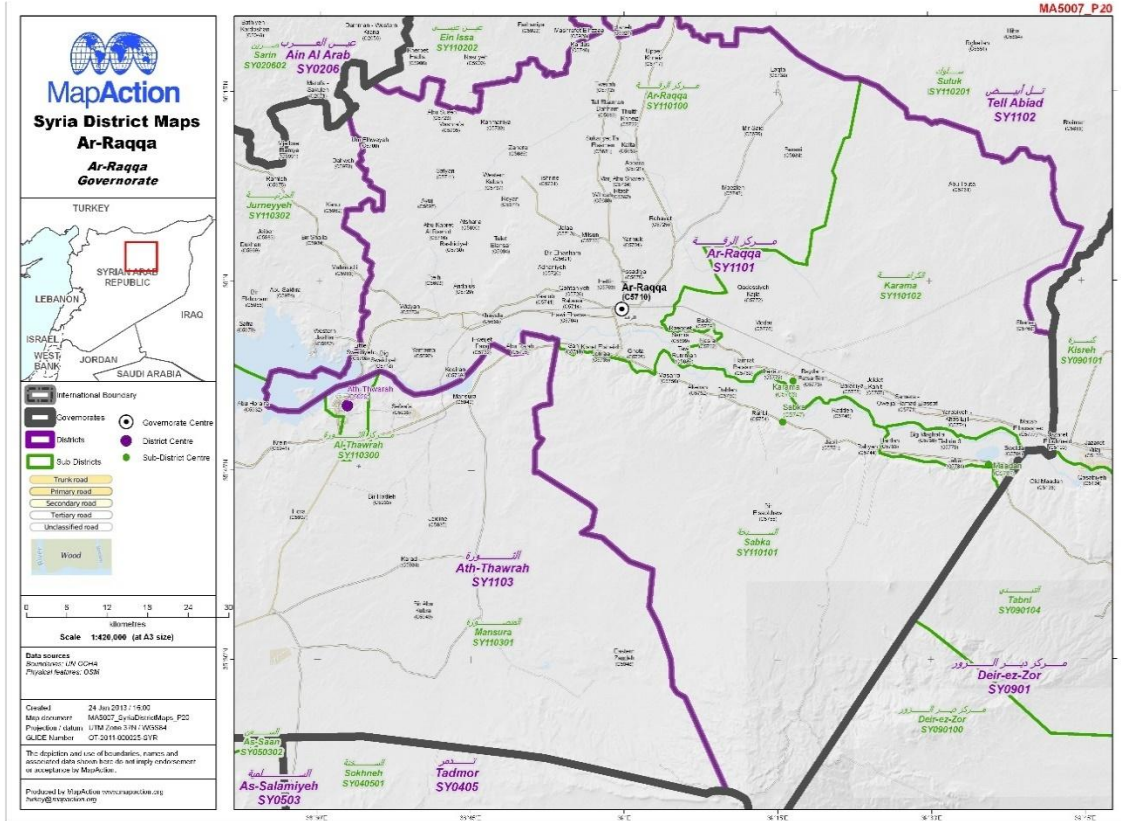
تُعتبر الرقة واحدة من المدن القديمة في العالم العربي، حيث تحتوي على آثار تعود إلى دول المدن السامية القديمة مثل ماري، بالإضافة إلى الآثار اليونانية والرومانية والفارسية والآشورية والعباسية والسلاجقة والعثمانيين. خلال العصر العباسي، الذي استمر بين عامي 750 و1258 ميلاديًا، كان هناك مدينتان تحملان اسم الرقة. الأولى تُعرف باسم "الرقة البيضاء" بسبب لون أجراها الأبيض، بينما تم تطوير الثانية، المعروفة بـ "الرقة البنية" (بسبب لون أجراها البني المحمص)، على يد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، بدءًا من عام 772 ميلاديًا. بُنيت على شكل حدوة فرس مثل مدينة بغداد، وكانت العاصمة الصيفية للدولة العباسية. تتناثر آثار حضارات مختلفة في المدينة ومحيطها، من بينها موقع توتول (أو تل البيعة) الأثري الذي بنته حضارة ماري، والجامع القديم في وسط الرقة الذي بُني تحت حكم الخليفة المنصور، والمتحف الأثري الذي أقيم على يد العثمانيين كمقر حكومي في عام 1861.

كان العثمانيون هم من أسسوا مدينة الرقة الحديثة، حيث جلبوا النظام الحضري إلى منطقة كانت في الأساس قليلة السكان. كانت النية من وراء ذلك هي تعزيز الدفاع عن الحدود العثمانية، التي امتدت من بلاد الشام حتى حافة صحراء سوريا. ومع ذلك، لم تكن المدينة قوية بما يكفي لتوفير الدفاع الكافي ضد هجمات البدو من الصحراء. وكانت هناك تشابهات في هذا النمط - بعد قرون - عندما قام داعش باجتياح الصحراء من أجل السيطرة على المدينة.

الرقة الحديثة استوعبت موجات من الهجرة، من حلب ومحيطها، فضلًا عن مناطق داخلية أخرى في سورية، خاصة منطقة السخنة في صحراء حمص. ففي عام 1915، لجأت مجموعات من الأرمن إلى الرقة أثناء فرارهم من المذابح والإبادة الجماعية في الإمبراطورية العثمانية المنهارة. هاجر الكرد أيضًا إلى المدينة، في الغالب من العراق؛ في الواقع، كان هناك العديد من العائلات الكردية حتى أن أوائل الإدخالات في السجل المدني للمدينة حملت صفة "كردية" إلى جانب عدة عائلات تم وصفها بأنها "شركسية". بينما عاش الكرد في الغالب في شمال مدينة الرقة، كان معظم سكانها المعاصرين من العرب السنة الذين عاشوا في الغالب بالقرب من ضفاف نهر الفرات. بقي بعض المسيحيين الأرمن في مدينة الرقة، على الرغم من أن العديد منهم قد غادروا المنطقة بالفعل إلى حلب بحلول أواخر القرن العشرين. وفي عام 2004، السنة التي تم فيها

إجراء آخر احصاء رسمي للسكان في سوريا، كانت مدينة الرقة والمناطق المحيطة بها موطنًا لإجمالي سكان يزيد قليلاً عن 506,300 شخص.³⁸⁰

كما هو الحال في دير الزور الموجودة في الجوار، تلعب العشائر دورًا مهمًا في المنطقة. ومع ذلك، لم تمثل عشائر الرقة مراكز قوة قادرة على التنافس مع السلطات المركزية في هياكلها الاقتصادية والاجتماعية. فقد أبقى العثمانيون على علاقات طويلة مع العشائر والقبائل في مختلف مناطق محافظة الرقة، ولكن تصميم المدينة الحديثة التي بنوها أيضًا قسمت روابط العشائر. وهذا يعني أنه، على عكس حلب أو دير الزور، لم تكن هناك توترات كبيرة بين العشائر أو المجتمعات المختلفة في العقود التي سبقت الحرب السورية.



الشكل 4. منطقة الرقة في محافظة الرقة³⁸¹.

كما أن الرقة تقع على حافة بين الصحراء والمناطق الزراعية ولم تتخذ أبداً طابعاً حضرياً حقيقياً. نمت المدينة بسرعة خلال بناء سد الطبقة، الذي جذب المهاجرين من المناطق الساحلية في سوريا والذين شغلوا أدواراً إدارية وعملوا في مجال التعليم. علاوة على ذلك، كان "مشروع الريادة" الذي جلب مياهاً من نهر الفرات من خلال نظام قنوات لري مساحات واسعة من الأراضي الزراعية يتطلب أعداداً كبيرة من عمال الزراعة ذوي الخبرة. وقد أثار هذا تدفقاً من المهاجرين من ريف حلب ودير الزور في الوقت أحياء كل الأرمن والکرد الإنتاج الصناعي للآلات الزراعية مثل الجرارات والحصادات. تم تسمية العديد من أحياء الرقة خلال هذه التدفق باسم مناطق وجدوا بها المهاجرون الجدد أصولهم: حي الباب للمهاجرين من الباب؛ حي أبناء تادف للمهاجرين من تادف (قرب الباب)؛ وحي الكرد للکرد، الذين انتقل العديد منهم من كوباني وعفرين إلى الرقة بحثاً عن عمل. وكان كل تدفق جديد يغني النسيج المجتمعي الفريد في المنطقة.

³⁸⁰ Syrian Central Bureau of Statistics, 'Syria Population Census, 2004' (Ar.) (n.d.) ³⁸⁰

<<https://web.archive.org/web/20151208115353/http://www.cbssyr.sy/General%20census/census%202004/pop-man.pdf>> شهود في 17 آب

أغسطس 2023

Map Action, 'Syria District Maps : Ar-Raqqa' (4 July 2016) <<https://maps.mapaction.org/dataset/217-2788/resource/a3047113-c3e8>> ³⁸¹

<<https://web.archive.org/web/20230819194046/http://www.cbssyr.sy/General%20census/census%202004/pop-man.pdf>> شهود في 19 آب/أغسطس 2023

بينما كان بإمكان الحكومة أن تستغل كهرباء سد الطبقة القريب والأراضي الزراعية المحيطة لتطوير الرقة إلى مركز صناعي وتجاري يتنافس مع حلب، إلا أن الإهمال من قبل السلطات المركزية تركها تتخلف عن المدن الأخرى. وكانت الرقة تُعتبر مكانًا نائيًا وقاحلاً، حيث كان يُشار إلى سكانها بالشوايا، وهو اسم مهين يشير إلى التخلف ونقص التقدم الثقافي. كما هو الحال في أجزاء أخرى من سوريا، كان الكرد الذين يعيشون في شمال المحافظة يواجهون التهميش المنظم والقمع السياسي. ومع هذا، حتى مجتمعات العرب في الرقة كانت تُحَقَّر من قبل السلطات.

على الرغم من وجود عدة حركات يسارية وشيوعية نشطة في المحافظة في الستينيات، إلا أن حزب البعث الذي ظهر كان مصمماً على القضاء على منافسيه الأيديولوجيين. كما هو الحال في أجزاء أخرى من سوريا النائية، تم تركيز السلطة وتنفيذها من خلال أجهزة الأمن السيئة الصيت التابعة للنظام. كان لدى أجهزة الأمن انخراط واسع في المجتمع. حيث كانت تطلب تصاريح أمنية لتسجيل أو بيع الأراضي الزراعية أو لبدء محلات تجارية جديدة أو مطاعم أو وكالات سيارات. ظهرت فئة نصف سرية من المخبزين، المعروفين باسم "كُتَّاب التقارير". تم اختزال الحياة السياسية إلى حزب البعث والجبهة الوطنية التقدمية، التي كانت تضم تحالفاً من الأحزاب اليسارية التي كان يهيمن عليها البعثيون وكانت مسموحاً بها من قبل النظام. اعتمدت السلطات على شيوخ العشائر المتذللين لشغل مقاعد البرلمان وتمثيل المنطقة في المجالس العامة. وكانت معظم الوظائف الحكومية الكبيرة محفوظة لأعضاء عشائر معينة أو فروع العشيرة.

ظهرت حركات سرية رداً على سيطرة حزب البعث، ولكنها لم تشكل تهديداً جاداً لتوازن القوى في المنطقة. كان القوميون العرب في الرقة أقرب إلى الفرع العراقي لحزب البعث، وهذا الارتباط تعززه الروابط العائلية على الحدود. ساعد أيضاً في ذلك أن التلفزيون العراقي وصل إلى الرقة قبل عقود من وصول التلفزيون السوري الرسمي. كما أن بعض هذه التوترات تم التأكيد عليها بسبب الحرب الإيرانية العراقية في الثمانينيات، حيث دعم البعث السوري النظام الشيعي الثائر في إيران ضد النظام البعثي المنافس في العراق.

ظهرت تيارات دينية جديدة، في الغالب باتجاهات صوفية. بعد اندلاع الانتفاضة التي قادتها جماعة الإخوان المسلمين في أواخر السبعينيات، شهدت الرقة مزيداً من قمع الأنشطة الثقافية والتجمعات العامة. أدى تدهور الحريات إلى زيادة إظهار الانتماءات الدينية وخاصة توسيع أضرحة الشيعة في جميع أنحاء البلاد. ففي الرقة تم تحديث ضريح صوفي لأويس القرني، الذي سقط في معركة هناك، واكتمل في عام 2003.³⁸²

آخرون استجابوا لنقص الفرص الاقتصادية بالهجرة داخل سوريا أو خارجها (غالباً إلى الخليج أو لبنان أو الأردن). أدت هذه الظاهرة في البداية إلى هجرة العقول. ومع مرور الوقت أحدثت هذه الظاهرة ردود فعل إضافية. في فترة قريبة من الغزو العراق الذي قاده الولايات المتحدة في عام 2003، عاد الناس من مناطق الريف والمدينة في الرقة من المملكة العربية السعودية، متأثرين بالأفكار الدينية للتيار الوهابي السني والمذهب الحنبلي للفقه الإسلامي. كانت هذه التوجهات متوافقة مع الثقافة المحافظة في ريف الرقة. انتقل سكان ريف حلب ودير الزور إلى الرقة، حيث أسسوا معاهد دينية مستوحاة من تعاليم الوهابية المماثلة. سهل النظام بعد ذلك تدفق المقاتلين الإسلاميين والجهاديين إلى العراق لتغذية التمرد ضد غزو واحتلال الولايات المتحدة. مع مرور الوقت، زادت هذه الظاهرة من تعمق الانقسامات الدينية والعشائرية في مجتمع الرقة.

على الرغم من المستويات المعيشية المنخفضة نسبياً في الرقة وتصورها في دمشق كمزودة للموارد الطبيعية والمنتجات الزراعية، إلا أن خدمات مثل التعليم والمستشفيات العامة كانت مجانية، وكان معظم سكان الرقة قادرين على العيش. كانت معدلات البطالة منخفضة نسبياً، حيث كانت معظم السكان يعملون في مجالات الزراعة والتصنيع، أو كعمال يومية في

³⁸² Alexander Dziadosz and Oliver Holmes, 'Special Report: Deepening ethnic rifts reshape Syria's towns' (21 حزيران / أغسطس 2013) <<https://www.reuters.com/article/us-syria-rebels-sectarianism-specialrepo-idUSBRE95K08J20130621>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

قطاعات متنوعة، مما كان يكفي لتأمين لقمة العيش في الفترة السابقة للحرب. في الحقيقة عبّر معظم المتحدثين بإيجابية عن الأوقات السابقة للحرب. وقالت امرأة من الرقة:

كانت الحالة الضمنية لي ولعائلتي جيدة نوعاً ما، حيث كان والدي يعمل حارساً [...]. وكان أخي يعمل أيضاً، وكان إخوتي في المدارس والجامعات، كانت تتوفر لنا كل مستلزمات الحياة مثل المواد والتعليم وفرص العمل، وكانت تعيش المرأة بشكل عام في جو من الحرية بكافة نواحي الحياة من القدرة على العمل والتعليم.³⁸³

كان سكان الرقة يتمتعون بوصول إلى عدد كبير من المدارس الابتدائية والثانوية، ومعهد إعداد المعلمين، وكليات مهنية لتخصصات مثل التمريض والزراعة والتصنيع. كانت السكان في الغالب شباناً بسبب معدل الولادة العالي وقيام بعض العائلات بتطبيق تعدد الزوجات، ولكن أيضاً بسبب تحسينات في رعاية الصحة الأولية، بما في ذلك حملات التطعيم المدعومة من قبل منظمة الصحة العالمية ضد السل والحصبة والجذري وشلل الأطفال وغيرها من الأمراض المعدية. كما كانت للنساء حرية كبيرة في التعليم والعمل؛ حيث أشار أحد المتحدثين على الأقل إلى أن النساء من الرقة كن يمثلن في البرلمان³⁸⁴. وصفت امرأة أخرى من الرقة المشهد الذي ساد في الرقة في تلك الفترة:

بالنسبة لوضع المرأة قبل دخول داعش كانت تمتلك حريتها بالكامل من حقها بالتعليم والسفر وتتجول بحريتها ولم تكن مضطرة لإبراز حتى هويتها الشخصية، كانت تعمل كل شيء ولها الحرية بكل شيء باستثناء الحدود المطلوبة بحكم أننا بمنطقة عشائرية. أما سياسياً لم تكن نملك حرية الكلام كان لدينا حزب واحد ومفروض علينا فرض، وبالنسبة للتعليم كان الوضع ممتاز، ولا يملك أن تترك المدرسة قبل الصف السادس كان غير مسموح بذلك، وكان مجاني ولم تكن نخاف على أولادنا.³⁸⁵

كانت هذه تسوية مألوفة للسوريين في جميع أنحاء البلاد، حيث كان من المتوقع أن تعوض الخدمات العامة التي تقدمها الدولة عن غياب الحريات السياسية، وإلى حد أقل، الحقوق الاجتماعية والاقتصادية الفردية.

تغير كل ذلك مع اندلاع الانتفاضة وما تلاها من حرب بعد عام 2011. كما وصفه أحد الأشخاص: "كان الناس يعيشون حياتهم، حتى لو لم تكن الأمور دائماً سهلة. كان لدينا كل ما نحتاجه. عندما جاء [داعش]، فقدنا 90% من ذلك".³⁸⁶

الحرب في الرقة

كانت الرقة بمنأى عن القتال في المراحل الأولى من الحرب السورية. كان يُعتبر أن المدينة كانت وفيّة جداً للرئيس الأسد، الذي اعتمد على القبائل لكبح التمرد.³⁸⁷ لم تكن هناك الكثير من المظاهرات المعارضة للحكومة في الرقة في الأيام الأولى للانتفاضة. ربما كان تقديراً لهذا الأمر، اختار الرئيس بشار الأسد نهاية عام 2011 – في حين كانت الفصائل المعارضة المسلحة تنتشر في أماكن أخرى في البلاد- الاحتفال بعيد الأضحى في مسجد النور في الرقة.³⁸⁸ بعد الاحتفال، التقى الأسد بالشخصيات البارزة ورجال القبائل، وكثيرون منهم كانوا قد تلقوا مبالغ تصل إلى 100,000 دولار تقريباً لدعمهم المستمر للنظام.³⁸⁹

³⁸³ الإفادة الفردية رقم 34، الجلسة الجماعية المركزية رقم 3.

³⁸⁴ الإفادة الفردية رقم 99، الجلسة الجماعية المركزية رقم 7.

³⁸⁵ الإفادة الفردية رقم 97، الجلسة الجماعية المركزية رقم 7.

³⁸⁶ الإفادة الفردية رقم 143، الجلسة الجماعية المركزية رقم 4.

³⁸⁷ Nate Rosenblatt and David Kilcullen, *How Raqqa became the capital of ISIS: A proxy warfare case study* (أمريكا الجديدة، يوليو 2019)، ص 13 <https://d1y8sb8igg2f8e.cloudfront.net/documents/How_Raqqa_Became_the_Capital_of_ISIS_2019-07-26_134456.pdf> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

³⁸⁸ 'Protests, gunfire in Syria as Eid al-Adha begins' (CTV News) Associated Press، 6 تشرين الثاني/نوفمبر 2011 <<https://www.ctvnews.ca/protests-gunfire-in-syria-as-eid-al-adha-begins-1.722106>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

³⁸⁹ Rosenblatt and Kilcullen، ص 13.

لكن التكتيكات التي نجحت مع النظام في العقود السابقة بدأت تتلاشى. مع تصاعد الحرب في جميع أنحاء سوريا، وصل القتال في النهاية إلى محافظة الرقة. على الرغم من أنها كانت آخر محافظة شهدت تظاهرات معارضة للحكومة، إلا أن الرقة كانت -بشكل متناقض- أول محافظة وقعت خارج سيطرة الحكومة بشكل كامل.

أولاً، سقطت تل أبيب في يد المعارضة المسلحة في سبتمبر 2012.³⁹⁰ بدأت مجموعات المعارضة المسلحة، بما في ذلك جبهة تحرير الرقة، وهي تحالف يضم 80 مجموعة بشكل رئيسي إسلامية، وجبهة النصر المرتبطة بتنظيم القاعدة، في الاستيلاء بشكل متزايد على مساحات واسعة من الأراضي في المحافظة، وسرعان ما قطعوا الطريق السريع بين الرقة ودير الزور.³⁹¹

في شباط / فبراير 2013، انضمت جماعات مسلحة إلى حملة تل أبيب، وانضمت حركة أحرار الشام إلى الهجوم على الطبقة. نظمت أحرار الشام مجموعة فرعية باسم لواء أمناء الرقة، مكونة من مقاتلين من الرقة، لتسريع الهجوم. في مطلع آذار / مارس 2013، دخلت حركة أحرار الشام وجبهة النصر الرقة في عملية اسمها "غارة الجبار" بدعم من تحالف متنوع من فصائل السلفية والإخوان والجيش السوري الحر.³⁹² سقطت المدينة في غضون ساعات. انسحبت قوات النظام، وسلمت مدخل المدينة الشرقي إلى جبهة النصر قبل أن تنسحب إلى قاعدة الفرقة السابعة عشرة العسكرية على أطراف المدينة.³⁹³

بعد السيطرة على الرقة، لم يمر وقت طويل حتى بدأت الصراعات الداخلية. سيطرت حركة أحرار الشام، التي كانت قد خططت للهجوم، على المباني الحكومية التي تم الاستيلاء عليها، ولكن، وفقاً للنشطاء المحليين، لم تكن مستعدة ولا مهتمة بالحكم، وبدلاً من ذلك قامت بتحويل الأموال التي تم الاستيلاء عليها إلى المقر الرئيسي للحركة في إدلب وحماة.³⁹⁴ وأكد البعض الآخر دور لواء أمناء الرقة (ممثل أحرار الشام) في فرض قانون الشريعة في المدينة وفي الوقت نفسه توفير الخدمات العامة، بما في ذلك شبكة الباصات العامة.³⁹⁵

كان المجلس الوطني السوري المعارض، الذي دعمته قطر وكذلك المملكة العربية السعودية، يسعى إلى استخدام الرقة كمختبر للانتفاضة ودعم المجلس المحلي الذي تم تشكيله حول المحامي عبد الله خليل الذي يقيم في الرقة.³⁹⁶ كان عبد الله خليل مؤيداً للانتفاضة الشعب السوري منذ الأيام الأولى وكان محترماً في جميع أنحاء المدينة، كما كان قوة معتدلة تجاه حركة أحرار الشام وجبهة النصر.

مع ذلك، بالنسبة لسكان الرقة، خلق وجود العديد من المجموعات المسلحة إحساساً بانعدام القانون والفوضى، وتفاقم ذلك بحقيقة أن الجيش السوري، الذي بقيت قواته محاصرة في قاعدة الفرقة السابعة عشرة، كان يُخضع المدينة لضربات جوية.

وصول داعش

بعد شهر من استيلاء المعارضة على المدينة، تفكك التحالف بين تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) وجبهة النصر.³⁹⁷ ظهر مقاتلو داعش لأول مرة في منطقة المنصورة، على بعد حوالي 35 كيلومتراً جنوب غرب مدينة الرقة. في ذلك الوقت، تحدث سكان الرقة عن أن البغدادي قد أعلن للشخصيات الرئيسية في داعش عن نيته قطع العلاقات مع جبهة النصر وتنظيم القاعدة.³⁹⁸

³⁹⁰ Kadir Celikkan, 'Syrian rebels extend grip on Turkish border' رويترز (19 أيلول/سبتمبر 2012) <<https://www.reuters.com/article/syria-crisis-idUSL5E8KJ8NR20120919>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

³⁹¹ Matthew Barber, 'The Raqqa Story: Rebel Structure, Planning, and Possible War Crimes' (Syria Comment, 4 نيسان/أبريل 2013) <<https://www.joshualandis.com/blog/the-raqqa-story-rebel-structure-planning-and-possible-war-crimes/>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

³⁹² Barber, Syria Comment.
³⁹³ Firas al-Hakkar, 'The Mysterious Fall of Raqqa, Syria's Kandahar' Al-Akhbar English (يروت، 8 تشرين الثاني/نوفمبر 2013) <<https://web.archive.org/web/20171019062932/http://english.al-akhbar.com/node/17550>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

³⁹⁴ Rosenblatt and Kilcullen, ص 16-19.

³⁹⁵ Barber, Syria Comment.

³⁹⁶ Rosenblatt and Kilcullen, ص 19-23.

³⁹⁷ تم وصف ذلك بمزيد من التفصيل في مقدمة التقرير.

³⁹⁸ مقابلات مع سكان الرقة، نيسان / أبريل وأيار/ مايو 2023.

بدأ التنظيم تحت قيادة أبو علي الشرعي -الشخصية البارزة في تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) في تلك الفترة- في نسج خيوط خلايا نائمة في المجتمعات المحلية واستقطاب أعضاء جدد من خلال الدعوة الإسلامية في مناطق السبخة والكرامة وسلوك والطبقة، وبعض أحياء مدينة الرقة.³⁹⁹ كان من المتوقع من الأعضاء الجدد الذين تم تجنيدهم أن يُطلعوا المجتمعات التي يعملون فيها على معلومات حول هويات ومواقع زعماء المجتمع ومصادر دخلهم، بالإضافة إلى العائلات الدينية. كما قامت الخلايا النائمة بجمع تفاصيل فاضحة عن سكان المدينة، حيث سيتم لاحقاً استخدام المعلومات حول السجلات الجنائية أو التوجهات الجنسية أو العلاقات الغير شرعية كذخيرة.⁴⁰⁰

أكد حاكم جبهة النصرة في الرقة أبو سعد الحضرمي (المعروف باسم محمد سعيد العبد الله) في الأشهر التالية دعمه المستمر لجبهة النصرة. في الوقت نفسه، تولى نائبه -أبو لقمان- السيطرة على المقاتلين المتبقين من تنظيم داعش والمنشقين عن جبهة النصرة لصالح داعش⁴⁰¹. أما الأوفياء لجبهة النصرة فقد بقوا في مدينة الرقة وتم إعادة توزيعهم إلى سد الطبقة وقلعة جعبر القريبة منه، بينما نقلت حركة أحرار الشام قواتها إلى تل أبيب.⁴⁰²

عندما استولت داعش على الرقة، أقامت نظاماً قضائياً إسلامياً وجعلت الشرعي رئيساً للقضاء. كما أشرف التنظيم على تكثيف جهوده لجذب مقاتلين أجانب من خلال حملة على وسائل التواصل الاجتماعي، قادها المقاتل البريطاني أبو رانيا والامراة إيمان محمد الشبيخة، وهي من منطقة الميادين بالقرب من دير الزور.⁴⁰³

تصدّ داعش للمنافسين المتبقين. قاد التنظيم سيارة مفخخة بوزن 500 كيلوغرام إلى مقر أحفاد الرسول، آخر جماعة مسلحة باقية في الرقة،⁴⁰⁴ وقال إنه نفذ أول عملية تفجير انتحارية ضد جماعة مسلحة أخرى. ثم تم اختطاف القائد السابق في جبهة النصرة الحضرمي وقتله في أيلول / سبتمبر⁴⁰⁵. من المرجح أن رئيس المجلس المحلي عبد الله خليل تعرض لنفس المصير في أيار / مايو من ذلك العام. على الرغم من أنه لم يتم العثور على جثته أبداً ولم يتم الاعتراف أبداً بقتله⁴⁰⁶. تحدث مهند حبايبنا وهو ناشط في مجال الحقوق المدنية وصحفي ضد داعش خلال اجتماع مجتمعي؛ بعد خمسة أيام، تم العثور عليه أيضاً وقد تم إعدامه⁴⁰⁷. في ذلك الوقت كانت الاحتجاجات ضد داعش قد تلاشت بشكل كبير بعد أن قامت داعش بإعدام ثلاثة مواطنين علنياً في ساحة الساعة في المدينة بتهمة "التجسس لصالح النظام".⁴⁰⁸ مع العصا جاءت الجزرة. عندما قام شيوخ العشائر بإعلان الولاء لداعش في تشرين الثاني / نوفمبر 2013 — كما فعلوا مع الأسد من قبل -على ما يبدو مقابل دفع مال- وبالتالي تعززت سيطرة داعش على الرقة.⁴⁰⁹

في بداية عام 2014 وكجزء من صراع ضمن صراع بين مجموعات المعارضة وتنظيم داعش، قامت جبهة النصرة وحركة أحرار الشام وفصائل الجيش السوري الحر المتبقية في الرقة بمحاولة أخيرة لاستعادة المدينة. في الوقت الذي أخرجوا به داعش من الرقة في 6 كانون الثاني / يناير، عاد داعش بعد أسبوع⁴¹⁰. وقد استغرقت ثلاث سنوات طويلة قبل أن يضطر داعش للتخلي عن السيطرة على المدينة مرة أخرى.

³⁹⁹ مقابلات مع سگان الرقة، نيسان / أبريل وأيار / مايو 2023.

انظر أيضاً: Alison Tahmizian Meuse, 'In Raqqa, Islamist Rebels Form a New Regime' *Syria Deeply* (16 آب/أغسطس 2013) <<https://deeply.thenewhumanitarian.org/syria/articles/2013/08/16/in-raqqa-islamist-rebels-form-a-new-regime>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴⁰⁰ Christoph Reuter, 'Secret Files Reveal the Structure of Islamic State' *Der Spiegel* (18 نيسان/أبريل 2015) <<https://www.spiegel.de/international/world/islamic-state-files-show-structure-of-islamist-terror-group-a-1029274.html>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴⁰¹ Rosenblatt and Kilcullen, ص 25.

⁴⁰² Al-Hakkar, *Al-Akhbar English*.

⁴⁰³ مقابلات مع سگان الرقة، نيسان / أبريل وأيار / مايو 2023.

⁴⁰⁴ Meuse, *Syria Deeply*.

⁴⁰⁵ Al-Hakkar, *Al-Akhbar English*.

⁴⁰⁶ Rosenblatt and Kilcullen, p. 26.

⁴⁰⁷ Reuter, *Der Spiegel*.

⁴⁰⁸ Al-Hakkar, *Al-Akhbar English*.

⁴⁰⁹ Rosenblatt and Kilcullen, ص 29.

⁴¹⁰ Al-Jazeera English, 'ISIL recaptures Raqqa from Syria's rebels' (Qatar, 14 January 2014) <<https://www.aljazeera.com/news/2014/1/14/isil-recaptures-raqqa-from-syrias-rebels>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

"تم تعليق رؤوسهم على الحديد الموجود على دوار النعيم": إعدامات قوات الفرقة السابعة عشر

كما هول الحال في المناطق الأخرى التي خضعت لسيطرته مثل منبج، تولى داعش السلطة بقسوة مع وعود بإعادة النظام وتوفير الأمان للسكان بعد "فوضى" حكم المعارضة. في الواقع، هناك بعض الدلائل على أنه في الأشهر الأولى التي كان فيها داعش يسيطر بشكل كامل على الرقة، انخفضت حالات الوفاة في المدينة بسرعة⁴¹¹. ومع ذلك، قد يكون هناك أسباب متعددة لذلك، بما في ذلك حقيقة أنه كان هنالك أقل ضربات جوية من قبل النظام خلال هذه الفترة (مقارنة بالفترات السابقة عندما كانت المدينة تحت سيطرة حركة أحرار الشام وجبهة النصرة).

من خلال طرد جميع مجموعات المعارضة الأخرى، أنهى داعش الانقسامات الداخلية وأعاد إحساساً من النظام إلى المدينة. ومع إنشاء داعش للعاصمة التي اختارها هو، كان هناك حافز أيضاً للاستثمار في الرقة. أسس داعش وزارات ومكاتب حكومية في المدينة، وكان يعمل فيها غالباً أجانب يدفعون بسخاء بالعملة الأجنبية. كشفت ملفات داعش التي تم الحصول عليها أن التنظيم كلف قواته في سوريا والعراق بالاستيلاء على منشآت استراتيجية مثل المخابز الصناعية ومستودعات الحبوب والمولدات ونقل المعدات إلى الرقة⁴¹². ووفقاً لتقرير من راند (RAND)، وفرّ داعش الوصول المستمر إلى المياه والكهرباء والخبز في غضون ثلاثة أشهر من استيلاء المنطقة⁴¹³.

فترة شهر العسل لم تدم طويلاً. بحلول نهاية عام 2014، انخفضت مستويات الكهرباء إلى ربع مستويات كانون الثاني / يناير 2014 فقط، مما يشير إلى إدارة سيئة للغاية، خاصة أن داعش كان يسيطر أيضاً على سد الطبقة⁴¹⁴. وبالمثل انهارت العديد من الخدمات العامة الأخرى. حتى لو فرض داعش شعوراً بالنظام، فإن ذلك كان مدعوماً بالعنف والترهيب والقمع الوحشي لأي اعتراض، سواء كان حقيقياً أو افتراضياً.

كانت الإعدامات العلنية من بين أشد الفظائع التي ارتكبتها داعش. قتل المئات، إن لم يكن الآلاف، بهذه الطريقة. كان أحد المواقع السيئة السمعة لذلك هو دوار النعيم في وسط الرقة، الذي أعاد السكان تسميته بـ "دوار الجحيم"⁴¹⁵. هنا، كان يتم قطع رؤوس الضحايا بواسطة السيوف وزرعها على الأعمدة الحديدية للدوار. كما كان يتم إطلاق النار على بعضهم حتى الموت، وتعلق جثثهم على صلبان وتركها معلقة لعدة أيام كتحذير للمدنيين بأنهم إذا عارضوا داعش، سيلاقون نفس المصير.

تمت أحد أكبر عمليات الإعدام الجماعي ضد الجنود المتمركزين في قاعدة الفرقة 17 في الجيش السوري. كان داعش قد انضم أولاً إلى الحصار الطويل للقاعدة من قبل قوات المعارضة في عام 2013⁴¹⁶. عندما أخرج داعش حركة أحرار الشام وجبهة النصرة من الرقة، كانت قوى الجو السوري قد استخدمت القاعدة مرة أخرى، مما دفع البعض إلى القول إن لدى الجانبين، في أحسن الأحوال، علاقة تتسم بالبراغماتية التكتيكية⁴¹⁷. تحدث البعض الآخر عن أشكال أكثر دواماً وتعاوناً صريحاً بين الأسد وداعش⁴¹⁸. ولكن بعد توجيه ضربة حاسمة للمعارضة المسلحة، عاد داعش إلى الحصار وفي 23 تموز / يوليو 2014، قام بعملية للاستيلاء على الفرقة 17.

اندلعت معارك استمرت يومين، بدأت بهجمات انتحارية، وانتهت بسيطرة داعش على مقر الفرقة 17. انسحب مئات الجنود الحكوميين إلى قاعدة اللواء 93 بالقرب من عين عيسى، على الحدود التركية، والقرى القريبة منها. في حين تم سحب ثلاثة أفواج، بقي فوج واحدة لتغطية انسحابهم. عندما دخل داعش القاعدة، قام بأسر وإعدام الجنود السوريين المتبقين، وقطع

⁴¹¹Rosenblatt and Kilcullen، ص 33.

⁴¹²Reuter، Der Spiegel.

⁴¹³RAND، 'Raqqa: Capital of the Caliphate' (n.d.) <<https://www.rand.org/nsrd/projects/when-isil-comes-to-town/case-studies/raqqa.html>> شوهده في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴¹⁴المرجع نفسه

⁴¹⁵مقابلات مع سكان الرقة، نيسان / أبريل وأيار/ مايو 2023.

⁴¹⁶Al-Hakkar، Al-Akhbar English.

⁴¹⁷Reuter، Der Spiegel.

⁴¹⁸'Raqqa military base' BBC، 'Syria conflict: Isis "overruns" Raqqa military base' (لندن، 25 تموز/يوليو 2014) <<https://www.bbc.com/news/world-middle-east-24841283>> شوهده في 19 آب/أغسطس 2023

رؤوس العديد من الجثث. تم قتل على الأقل 85 جنديًا من الجيش السوري، وظل مئات آخرين في عداد المفقودين لسنوات.⁴¹⁹

أفاد سكان الرقة وسلوك بأن داعش، في الأيام التي تلت الهجوم، قام بعرض جثث الجنود ورؤوسهم المفصولة في ساحات المدينة. في مقاطع الفيديو الترويجية التي أصدرها التنظيم لاحقًا، ظهر أطفال وهم يفحصون الجثث المشوهة. قال شاهد عيان على المذبحة:

.. قد شاهدنا العديد من المجازر في تلك الفترة، ومنها مجزرة قطع الرؤوس لـ 70 شخصًا أو أكثر من الشباب العاملين في الفرقة 17 في مدينة الرقة، حيث قالوا عنهم أنهم كفّار ولا يجوز أن يعيشوا وحكم عليهم بالقصاص، وتم تعليق رؤوسهم على الحديد الموجود على دوار النعيم أو (الجحيم) كما سمّاه أهل مدينة الرقة.⁴²⁰

حدثت أيضًا إعدامات للجنود الأسرى خارج المدينة. ذكر راعٍ كان يرعى قطيعه بالقرب من قاعدة الفرقة أنه رأى مقاتلي داعش المقتنعين في المنطقة:

... قاموا بإطلاق الرصاص على 7 من المدنيين ومن ثم رميهم في ساقية الماء، وبعد ثلاثة أيام كانت الجثث تطفو فكنت أدفن الذي أستطيع دفنه، وفي إحدى المرات رأيت حوالي 15 إلى 20 جثة فوق بعضها البعض، ولكن لم أتجرأ على الاقتراب منهم لأنهم يراقبون منها. لقد رأيت عدة مجازر تركت أثر في نفسي.⁴²¹

بعد السيطرة على الفرقة 17، انتقل داعش إلى مطار الطبقة العسكري وقاعدة اللواء 93 في عين عيسى. كانت هاتان القاعدتان آخر نقطتي تماس ظللتا تابعتين للنظام في محافظة الرقة، وقع سقوطهما في 7 و 24 آب / أغسطس على التوالي.⁴²² تم نقل العديد من الجنود الأسرى إلى الرقة. مرة أخرى، كانت ساحة المدينة المشوومة تكتسي برؤوس أسرى داعش.

"رشته بالرصاص حتى فارق الحياة": إعدامات علنية في الرقة

لم تقتصر الإعدامات العلنية على الجنود الأعداء فقط. في إطار نظامها الجديد، فرض داعش الامتثال الديني الصارم من خلال أئمة معينين خصيصًا ومحاكم الشريعة. كانت ممارسة السحر جريمة تُعاقب عليها بالإعدام، وكذلك إهانة النبي (صلى الله عليه وسلم). انتشرت مخاوف العقوبة بسرعة في المجتمع، وفقًا لرجل من الرقة:

يجب التزام الصمت عند العمل والانتباه للكلام بشكل جيّد؛ لأن الغلطة أو الزلل في الكلام يعتبران كفرًا، (تم قتل ابن أخي (م) لأنه كان مزاحيًا)، وكان كثير التلطف بكلمات والكفر، مثل: السب والشتم ومن هذه الكلمات، وكنت (أحذّره، وأخبره أن ذلك يتسبب بقصّ رأسه).⁴²³

لم يكن لدى داعش أي مخاوف بشأن قتل الأطفال أيضًا:

وفي أحد الأيام داهمت دورية تابعة لتنظيم داعش منطقة رميلة، فأخذوا ما يقارب 20 شخصًا، وكان من بين الأشخاص الذين احتجزتهم عناصر داعش أبناء أخي خالد (م و ع) وشخصًا ثالثًا يُدعى (هـ) حيث أن جميع من اعتقلتهم عناصر الدورية تحت سن الثامنة عشرة من العمر.

⁴¹⁹ '85 Syria troops reportedly killed in IS advance' Middle East Eye, (لندن، 12 شباط/فبراير 2015) <<https://www.middleeasteye.net/news/85-syria-troops-reportedly-killed-in-is-advance>> شوهد في 19 آب / أغسطس 2023.

⁴²⁰ الإفادة الفردية رقم 94.

⁴²¹ الإفادة الفردية رقم 66، الجلسة الجماعية المركزة رقم 4.

⁴²² Jeffrey White, 'Military Implications of the Syrian Regime's Defeat in Raqqa' (معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 27 آب/أغسطس 2014) <<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/military-implications-syrian-regimes-defeat-raqqa>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴²³ الإفادة الفردية رقم 164.

وهنا كثرت الأقاويل حول سبب الاعتقال، فسمعنا أخبارًا تقول أنهم اعتقلوهم بسبب تصوير أحد الأشخاص لهم بمقطع فيديو يثبت أنهم كفروا، وأخبارًا أخرى تقول أنهم يتبعون للتحالف الدولي، وبعد ما يقارب (ثلاثة أسابيع)، أقدم عناصر داعش على تنفيذ حكم القصاص للشباب (هـ) وقاموا بصلبه في شارع 23 شباط كنوع من التهريب لكي يراه جميع الناس حيث كان تنفيذ القصاص رميًا بالرصاص.⁴²⁴

انشغل حكام الرقة الجدد بإقامة سيطرة شمولية على المدينة، وزرعوا جواسيس وعملاء في كل مكان. تحدث أحد الشهود عن رؤية شقيقه يُعدم في دوار النعيم:

جاءوا فجأة بعد منتصف الليل إلى منزله أكثر من عنصر من عناصر داعش يحملون الأسلحة ودخلوا عليه وأخذوه من فراشه (لم يكن يرتدي) اللباس في وقتها، وقامت زوجته بالصراخ وقام أحد إخوته بالركض وراءهم وأعطاهم لباسًا له لكي يستر نفسه به. وقاموا بأخذه للسجن وعلى نفس القوانين أنه كل شخص يحكمون عليه بالقصاص يجب أن يختم القرآن كله، وهو قام بختمه في 15 يومًا، وقاموا بأخذه إلى دوار النعيم في الرقة وهم يصرخون أنه عميل (لنصيرية) يعني النظام السوري. وقاموا بقطع رأسه وعلقوه على سور الدوار وبقيت جثته مرمية في الأرض ويبقون الرأس أكثر من يوم ليرهبوا الناس ويزرعوا الذعر والخوف في قلوبهم. عندما عرفنا أنه موجود عند دوار النعيم قام إخوته وأولاد أعمامه بالتسلح وجاءوا إلى الدوار وتم المشاجرة مع العناصر الذين يحرسون المكان الذي يوجد فيه رؤوس الضحايا وتغلبوا عليهم وقاموا بسحب الجثة والرأس وفروا مسرعين من المكان فورًا كي يقوموا بدفنه في منطقة الجرنية، وقاموا باللاحق بهم وضربهم بالرصاص ولكن لم يصب أحد وأضاعوا طريقهم وبعدها قمنا بدفنه.⁴²⁵

وفي كثير من الأحيان لم تكن هناك أي نتيجة إذا كانت اتهامات التجسس صحيحة أم لا. إن إظهار أحد عناصر داعش من ذوي العلاقات القوية بطريقة خاطئة يمكن أن يؤدي إلى عواقب وخيمة، وغالبًا ما يؤدي إلى التنديد بالأشخاص باعتبارهم "عملاء". ولم تكن هناك حاجة لتقديم أدلة على هذه الادعاءات. على سبيل المثال، روت إحدى الأمهات مقتل ابنها بعد اتهامه بالعمل مع حزب العمال الكردستاني:

تم اعتقال ابني الكبير "هـ" 17 عامًا عدة مرات بتهمة متعددة، ولكن في المرة الأخيرة تم اتهام ابني بالانتساب لحزب العمال الكردستاني، وفي ذلك الوقت قاموا بمداهمة منزلنا وأخذوه من المنزل. وكان "هـ" لا يحب "داعش" ويكرههم كثيرًا ويشتمهم في وجوههم ولا يحب الاستجابة لأوامرهم، قمت بإرسال ابني مرتين إلى تركيا في محاولة مني لإبعاده عن مناطق سيطرة التنظيم لكنه يرجع ويرفض العيش هناك، وبعدها (أي بعد اعتقال هـ) حاولت مرارًا السؤال عنه في مقر لهم في الرقة قرب الحديقة البيضاء ولم أحصل على أي خبر منهم، وفي إحدى المرات التي ذهبت فيها للسؤال عنه تم تهديدي من قبل التنظيم بقطع رأسي إذا عاودت السؤال عنه، بقي ابني معتقلًا لديهم لمدة شهرين أو أكثر وبعدها قاموا باستدعائي حتى أرى ابني حيث قالوا لي: "تعال لي لثري ابنك لأنه سوف يتم تنفيذ حكم القصاص فيه."

... تم تنفيذ الحكم بحق ابني "هـ" بعد تعذيب شديد عند مفرق الجزيرة في مدينة الرقة، قاموا بإعدامه ميدانيًا ورشه بالرصاص حتى فقد حياته، وكان معه شبان آخرون قاموا بإعدامهم أيضًا وبفس تهمة ابني.

⁴²⁴ المرجع نفسه.

⁴²⁵ الإفادة الفردية رقم 123.

لقد تأثرنا كثيرًا بمقتل ابني الذي لا ذنب له باي شيء، ساءت حالتي الصحية كثيرًا وأصبحت أتناول الأدوية والمهدئات، وكنت كلما أتذكر منظري ابني وهو معلق يعتصر قلبي من الألم.⁴²⁶

حتى ذلك الحين، لم يكتفِ مقاتلو داعش بالتعامل مع المرأة وعائلتها:

حتى بعد مقتل ابني تعرضت لمضايقات كثيرة لأنني مواطنة كردية من مواليد عين عيسى، كان عناصر التنظيم يتهمونني أنني غير مسلمة ويعترضون طريقي كما جاءت مجموعة من المهاجرين مع نسائهم ولعدة مرات إلى منزلنا وتقدموا بطلب الزواج من بناتي بأسلوب قمعي وبمبالغ مالية مغرية، وعندما رفضت تم اتهامي بأني عميلة [للب ك ك] وتم تعذيبني بالجلد أكثر من مرة. وكل هذا من أجل الضغط علي لكي أقوم بتزويجهم بناتي، وبعد زيارات متكررة للنساء قمت بتهديب بناتي إلى [إلى حي شمال غرب مدينة الرقة] وتزويجهم بأعمار صغيرة لرجال كبار في السن من الرقة من عشيرة البو حميد حرصًا وخوفًا من عناصر التنظيم. كما تعرضت امرأة [أخرى] أمامي للتعذيب كانت مخالفة لأوامرهم، وكانت حاملاً وأدى ذلك إلى إجهاضها.⁴²⁷

تم تصوير ونشر العديد من عمليات القتل بالفيديو. واحدة من أشهر الأمثلة كانت حرق الطيار الأردني معاذ يوسف الكساسبة حيًا في 3 كانون الثاني / يناير 2015. كان الكساسبة قد تم اعتقاله من قبل داعش قبل أكثر من أسبوع، بعد تحطم طائرته الحربية من طراز F-16 خلال مهمة استهداف مواقع لهم في شمال الرقة. قام داعش بإنتاج فيلم عالي الجودة بأسلوب هوليوود عن إعدام الكساسبة. ساروا بالطيار تحت تهديد السلاح عبر الأنقاض الناجمة عن ضربات التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، ووضعوه في قفص حديدي، وألبسوه زيًا برتقاليًا مثل الزي الذي يرتديه المعتقلون الأمريكيون في معتقل غوانتانامو وسجن أبو غريب في العراق. ثم أحرقوه حيًا.⁴²⁸

كان لمثل هذا الفيديو هدف إعلامي دولي واضح. ولكن تم تسجيل أيضًا عمليات قتل ذات حساسية أقل. وصفت امرأة من الرقة معاناتها برؤية إعدام زوجها بهذه الطريقة:

بعد مدة أخبرني ابن جارنا الذي كان يذهب ويستفسر لدى الدواعش عن زوجي وجلب لي إصدارًا مرئيًا (مقطع فيديو) للمنزل ووضعته في الحاسوب ورأيت عندما تم قصاص زوجي. قام بقصه داعشي يلبس بدلة مموهة ومقع فقط عيونه واضحة ويضع على رأسه شعار (لا إله الا الله) وأحضر الأداة التي تم إعدام زوجي بها وهي "الساطور" الذي تستخدم لتقطيع اللحم وعيون زوجي مغطاة، وبده خلف ظهره ومقيدة بالحديد، وقام بقص رأسه فيها.⁴²⁹

مقابر الرقة الجماعية

حفر داعش مقابر جماعية للتخلص من آلاف الجثث الناتجة عن عمليات إعدام أو مجازر. تم اكتشاف حوالي 30 مقبرة جماعية منذ هزيمة داعش في الرقة في عام 2017، ويُقدر أنها تحتوي على ما بين 4 إلى 6,300 جثة.⁴³⁰ كانت العديد من هذه المقابر في مدينة الرقة أو المناطق المحيطة بها.

⁴²⁶ الإفادة الفردية رقم 10.

⁴²⁷ المرجع نفسه

⁴²⁸ "Jordan pilot hostage Moaz al-Kasasbeh 'burned alive'" BBC, (لندن، 3 شباط/فبراير 2015) <<https://www.bbc.com/news/world-middle-east>> 31121160 شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴²⁹ الإفادة الفردية رقم 156.

⁴³⁰ العدد الدقيق غير واضح. قال مسؤولون محليون من بلدية الرقة إنه تم العثور على أكثر من 30 مقبرة، في حين تشير منظمة البحث عن الحقيقة بعد داعش إلى 28 مقبرة جماعية، ووثقت هيومن رايتس ووتش "أكثر من 20 مقبرة جماعية تحتوي على آلاف الجثث" في جميع أنحاء سوريا.

انظر: Human Rights Watch (HRW) 'Kidnapped by ISIS: Failure to Uncover the Fate of Syria's Missing' (11 شباط / فبراير 2020) <<https://truthafterisis.org/en/>> (n.d.) 'After ISIS: Take urgent steps to find the disappeared' Searching for Truth After ISIS, 'After ISIS: Take urgent steps to find the disappeared' (n.d.) <<https://www.hrw.org/report/2020/02/11/kidnapped-isis/failure-uncover-fate-syrias-missing>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

كانت إحدى أكبر المقابر الجماعية المكتشفة في مقبرة في منطقة بانوراما في المدينة، حيث احتوت على الأقل على 900 جثة.⁴³¹ وكان يُعتقد في البداية أنها مقبرة أخرى في ضاحية الفخخة الزراعية تحتوي على رفات ما يصل إلى 3,500 شخص.⁴³² تم العثور على مقابر جماعية أخرى مقبرة الجامع العتيق، وحديقته بالإضافة إلى مقبرة حديقة الأطفال، ومقبرة الحديقة البيضاء، ومقبرة حديقة الجامع القديم، ومقبرة حديقة بناء الجميلي، ومقبرة التاج، ومقبرة السليبية الغربية، ومقبرة الفخخة ومقبرة معمل القرميد وبعض البيوت المدنية في حي البدو ومقبرة الرشيد إضافة إلى عشرات المقابر في أماكن أخرى.⁴³³ في العمرات، تم العثور على مقبرة جماعية تحتوي على الأرجح على جثث مئات الجنود السوريين المفقودين من الفرقة 17.⁴³⁴

بدأت الفرق المحلية في استخراج الجثث، وتعيين كل جثة رقم تعريف، وتخزينها بشكل آمن. تم إعادة دفن معظم الجثث التي تم استعادتها في مقبرة البيعة العامة، على بُعد خمسة كيلومترات شرق الرقة. ومع ذلك، تعاني الجهات المعنية من نقص في الموارد. حذرت هيومن رايتس ووتش من أن "المواقع لا تحمي وفقًا لأفضل الممارسات الدولية، مما يضر بفرص العائلات في تحديد هوية أحبائهم".⁴³⁵ قد يمنع نقص الموارد أيضًا كشف المزيد من المقابر الجماعية. وفي المقارنة، قامت السلطات العراقية بالفعل، بدعم من بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق ومفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، بتوثيق 202 مقبرة جماعية بحلول عام 2018.⁴³⁶

ألقي داعش أيضًا بالجثث في حفرة عميقة تُدعى الهوتة. كانت هذه حفرة طبيعية هائلة ذات عمق غير معروف في ريف الرقة الشمالي، على بُعد 65 كيلومترًا من المدينة، بالقرب من بلدة سلوك. كانت المعقل المحلي لجبهة النصرة قبل أن يستولي عليها داعش؛ حيث كانت النصرة ومجموعات مسلحة أخرى، بما في ذلك لواء القادسية، قد حوّلوا بالفعل هذه الحفرة إلى مقبرة جماعية للجنود السوريين.⁴³⁷ بعد سقوط الرقة، قدر النشطاء أن 200 جندي ومقاتل من الميليشيات الموالية للحكومة قد تم رميهم في الهوتة.⁴³⁸ عندما كان داعش المسيطر الوحيدة على الرقة، استمر في استخدام الهوتة لتنفيذ الإعدامات، وهدد الناس أيضًا برميهم في الحفرة. وبحسب ما ورد تناثرت حواف الهوتة بالجثث.⁴³⁹

توجد حفر مماثلة في الوسط الشامي (هبيت النوك) على بُعد 60 كيلومترًا جنوب الرقة وشمال شرق السخنة، وفي الهوتة الصغرى (طوال العبا)، التي تقع على بُعد 45 كيلومترًا شمال شرق مدينة الرقة. قدر السكان أنه تم رمي جثث تقريبًا لمئة ضحية في الأخيرة، بما في ذلك المدنيين وحتى أعضاء داعش الذين تم إعدامهم بتهمة "الردة".⁴⁴⁰

لا يزال غامضًا حتى الآن عدد الأشخاص الذين تم التخلص منهم في الحفر الثلاثة. وقد كان فريق البحث غير على علم بأي محاولات لاستخراج الجثث التي تم رميها في الهوتة، نظرًا إلى الصعوبة الكبيرة في دخول الحفرة ونقص المعدات لاستخراج الجثث.

"جهّز نفسك للقصاص": الجلد والبتر

الرقة ربما أكثر من أي مدينة سورية أخرى، شهدت اعتقالات تعسفية وتعذيبًا ومعاملة مهينة للسجناء. وكانت الأحكام القاسية، التي كان يبررها تنظيم الدولة الإسلامية بموجب قوانين الشريعة، تعتبر وسيلة لردع الناس عن ارتكاب الجرائم.

⁴³¹ The Arab Weekly, 'Largest ever ISIS mass grave found near Syria's Raqqa' (21 شباط / فبراير 2019) <<https://theArabweekly.com/largest-ever-isis-mass-grave-found-near-syrias-raqqa>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴³² Maya Gebeily, 'Largest ISIS mass grave yet found outside Syria's Raqqa' (21 شباط / فبراير 2019) <<https://www.rudaw.net/english/middleeast/syria/21022019>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴³³ مقابلات مع سكان الرقة، نيسان / أبريل وأيار/ مايو 2023.

⁴³⁴ Syrian Observatory for Human Rights (SOHR), 'Al-Raqqa mass grave: many bodies recovered and believed to be of "17th Division" members executed by ISIS' (16 نيسان / أبريل 2020) <<https://www.syriahr.com/en/160420/>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴³⁵ HRW, 'Kidnapped by ISIS' (6 تشرين الثاني / نوفمبر 2018).

⁴³⁶ UNAMI/OHCHR, 'Unearthing Atrocities: Mass Graves in territory formerly controlled by ISIL' (6 تشرين الثاني / نوفمبر 2018) <https://www.ohchr.org/sites/default/files/Documents/Countries/IQ/UNAMI_Report_on_Mass_Graves4Nov2018_EN.pdf> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴³⁷ HRW, 'Into the Abyss: The al-Hota Mass Grave in Northern Syria' (أيار / مايو 2020) <https://www.hrw.org/news/2020/05/04/abyss#_ftn10> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴³⁸ المرجع نفسه.

⁴³⁹ المرجع نفسه.

⁴⁴⁰ مقابلات مع سكان الرقة، نيسان / أبريل وأيار/ مايو 2023.

كانت هناك عقوبات الحدود جسدية ، بما في ذلك بتر الأيدي والأقدام، ورمي الأفراد من المباني العالية، ورمي الحجارة والجلد في الساحات العامة. ويمكن تنفيذ جلد الظهر بسبب أمور بسيطة مثل "جريمة" التدخين، كما ذكر أحد الرجال.

تم اعتقاله عدة مرات بسبب التدخين وقاموا بجلدي وتغريمي بمبلغ مالي قدره 10.000 ليرة سورية، وكانت تلك الحادثة قبل تهجير الأكراد من محافظة الرقة أي في سنة 2014 تقريباً في بداية شهر رمضان، وكان الأشخاص الذين قاموا معي بذلك من المهاجرين ولم يكونوا من أبناء الرقة.⁴⁴¹

الذين قاوموا عمليات الاعتقال لا يتم تعاملهم بعطف. وصفت إحدى الأمهات ما حدث لزوجها وابنتها عندما لم يمتثل:

عاد عناصر داعش إلى منزلنا من أجل اخذ زوجي إلى السجن، وحينها تحدثت إليهم: "ماذا تريدون منه ولماذا تأخذوه؟"

صرخ عليّ أحدهم قائلاً: "التزمي الصمت."

وعند معارضة زوجي لهم قام أحد العناصر بضربه بالسلاح على رأسه حتى ارتمي وأغمي عليه وكان مغطىً بدمائه، صرخت ابنتي لكن أحد عناصر داعش ضربها بقوة على الحائط ومن شدة الضربة ارتمت على رأسها وأغمي عليها وتعرضت لنزيف في الرأس، قمنا بإسعافها إلى المشفى وبقيت 3 أيام في العناية المشددة.

بقي زوجي مسجوناً عندهم تقريباً شهرين وحققوا معه وهو لا يعرف شيئاً، وهو في الأساس إنسان بسيط.

عندما أخلوا سبيله من السجن أصيب بمرض عصبي، وأصبح يتصرف معنا تصرفات غير لائقة، أصبح يكفر ويشتم ويهين بشكل متعمد، حتى ابنته ضربها وقام بحرقها هي نفسها وأمسك إبريق الشاي ضربها به فاحترقت رجلها.

وهي أيضاً من الضربة التي تلقتها من داعش أصبح لديها حالات عصبية، وأصبحت تتبول على نفسها وعمرها 12 سنة، والآن أصبحت تمشي وتحسن وضعها قليلاً.⁴⁴²

قال الضحايا إنه لا يوجد افتراض بأن يكون الشخص بريئاً، بل افتراض الإدانة في نظام العدالة التعسفي لدى داعش. وكانت العقوبة لجريمة الحراية - وهي كلمة تترجم إلى "السطو" ولكن يُستخدم للدلالة على السرقة- هي البتر. قال أحد الضحايا الذي تعرض لهذه العقوبة:

في 17 رمضان دخل علينا شخص اسمه "أبو رمضان" وقال لي: "جهز نفسك للقصاص". قلت: "لماذا؟".

قال لي: "لأنك سارق".

قلت له: "أنا لست بسارق".

قال: "هكذا حكم عليك القاضي".

طبعاً طلبت مقابلة القاضي من أجل جلستي قبل 17 رمضان وأخذوني أنا وشخصاً آخر على دراجة نارية.

قلت له: "هل يوجد تخدير؟"

قال: "نعم يوجد تخدير، وسيارة الاسعاف موجودة والأمنيون موجودون هناك".

وصلنا هناك لكن لا يوجد تخدير ولا أي شيء، ربط أصابعي بخيط وسحبني ووضع السيف وضرب ضربتين بالمطرقة فقطعت يدي.

وشعرت بالألم لكن لم يخرج مني صوت لأنني كنت مستسلماً للأمر الواقع.

⁴⁴¹ الإفادة الفردية رقم 4.

⁴⁴² الإفادة الفردية رقم 162.

و5 اشخاص من التنظيم قاموا بتثبيتتي ووضع قدمي على طاولة أيضاً، ثم ضربوني ثلاث ضربات وبالضربة الثالثة قطع (مشط قدمي) ولكنه بعد ذلك أمسك بقدمي ومزقها بيديه فبدأت أصرخ من الألم.

وأخذوني إلى المشفى (طبعاً مهمتهم إقامة الحد على الشخص، وبأخذونه إلى المشفى حتى يصحو من التخدير ثم ليس لهم علاقة به بعد ذلك) بقيت في المشفى للساعة 8.443

"بقيت جالساً تحت الأرض فترة طويلة": احتجاز تعسفي وتعذيب

كانت الرقة موطناً لعدة عشرات من السجون التابعة لتنظيم داعش، وكانت العديد منها ذات سمعة بأنها مواقع لجرائم بشعة. ومن بين أسوأ هذه السجون كانت السجن في ملعب الرشيد البلدي والسجن رقم 11 القريب من مطعم الحضري

كان السجن رقم 11، المعروف أيضاً بـ "الملعب الأسود"، وهو أبرز السجون الأمنية. 444 كان يحتوي في المقام الأول على معتقلين أمنيين، بما في ذلك أعضاء من وحدات حماية الشعب الذين اعتقلوا لغرض تبادل الأسرى وكذلك مدنيين اعتقلتهم قوات الحسبة لتهم غير متعلقة بالأمان. 445 كانت بعض السجون أصغر، وكانت منشآت مؤقتة في القبو أو المنازل.

الراعي الذي تم الاستشهاد به سابقاً - والذي شاهد في وقت سابق عمليات الإعدام في قاعدة الفرقة 17 العسكرية - تم احتجازه لاحقاً في مستشفى الأطفال وهو موقع لسجن بارز آخر قال:

في سوق الغنم عين عناصر التنظيم مخبر لهم (في يوم من الأيام) قاموا باعتقالي، أتوا إلي إلى سوق الغنم وأخذوني وجمعونا في شقة بالفردوس.

كانت العصاة على أعيننا، وبقينا في قبو مستشفى للأطفال 55 يوماً [لم نر الشمس خلال ذلك الوقت].

(عندما) تم التحقيق معي وسألوني: "لماذا لم تجر دورة شرعية أنت لا تحبها؟"
قلت لهم: "لم يكن لدي وقت لهذا الشيء، قاموا بضربي وأنا معصوب العينين". 446

أشكال التعذيب الجسدي والنفسي كانت شائعة في سجون تنظيم داعش، مما خلف آثاراً واضحة على جسد السجناء. وصف أحد السجناء السابقين معاملتهم المهينة بمايلي:

اعتقلت عندهم لمدة سبعة أشهر وقاموا بنقلي من سجن لآخر مثل مشفى الأطفال كان سجنًا مخفياً تحت الأرض، وبناء الجميلي، والحديقة البيضاء عند مطعم البيك، وأيضاً شقق سكنية في حارة البدو.

وقاموا بتعليقي من يدي لمدة سبعة أيام إلى أن تورمت قدمي وقاموا بالتحقيق معي بتهمة شبيح (موالٍ للنظام)، وبعد هذه المدة اتهموني أنني عميل للأمريكان. كثرت الاتهامات وبعد ست أشهر جاءت لجنة قضاة اتهموني بالردة وأني يجب أن أقتل ولا أدفن في قبور المسلمين.

قاموا بتهديدي بالقصاص ونقلوني إلى غرفة كل من فيها يرتدي لباساً برتقالياً والبسوني الرداء البرتقالي، قاموا بحلق ذقني وشعر رأسي. كل يوم يأخذوا شخصين أو ثلاث للقص فيقوموا باسترجاع اللباس ملطخاً بالدماء كل ذلك بداعي الترهيب وبث الخوف والرعب. 447

في النهاية، تمكن هذا الرجل من الخروج، ولكن الكثيرون عانوا من مصير مختلف. كما أن محاولة الهروب قد تؤدي إلى عقوبات شديدة. كان الرجل الذي خضع لعملية البتر، كما وصفناه أعلاه، قد حاول الهرب في وقت سابق:

⁴⁴³ الإفادة الفردية رقم 169.

⁴⁴⁴ Syria Justice and Accountability Centre, *Unearthing Hope: The Search for the Missing Victims of ISIS* (April 2022) p.29. <<https://syriaaccountability.org/content/files/2022/04/ISIS-Missing-Persons-Report---Syria-Justice-and-Accountability-Centre---C.pdf>>

⁴⁴⁵ شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴⁴⁶ المرجع نفسه.

⁴⁴⁷ الإفادة الفردية رقم 66، الجلسة الجماعية المركزة رقم 4.

⁴⁴⁷ الإفادة الفردية رقم 69.

في أحد الأيام قمنا بالحفر لكسر الجدار والهروب، ولكن كشف أمرنا. (كان هناك 35 شخص موجودين) بالمنفردات (عبارة عن متر طول ومتر عرض) نقلونا إلى الغرف المنفردة عقوبة بسبب محاولة الهروب.

أرادوا معرفة من منّا بدأ بالحفر من أجل الهروب. عقوبتنا التي كانت عبارة عن الجلد بقضيب بلاستيكي، كل شخص عدد معين من الجلدات ولا يوجد رقم معين حسب مزاج الشخص الذي يجلدنا، وإذا تعب واحد يأتي غيره كي يستطيعوا جلد من في السجن كاملاً.⁴⁴⁸

تركت إساءات داعش في المعتقلات أثراً نفسية أقل وضوحاً. قال أحد سكان الرقة:

وضعي النفسي مازال متردياً وحالتي سيئة وتسوء كلما أتذكر تلك الأحداث، أبكي يعجز الكلام عن التعبير، وكان ذلك بمثابة الحلم. تغيرت كل حياتي واعتزلت الناس وأصبحت أكره الجلوس في أي غرفة أكون فيها لأنني بقيت جالساً تحت الأرض فترة طويلة؛ لأن السجن كان كبيراً، ويوجد فيه الكثير من المرايا ووجود المرايا يثير فينا الرعب عندما نشاهد حالنا فيها وبعدها تعبت شهرين وأشعر أنني ما زلت مسجوناً عندهم. ...تركنتني زوجتي وكان عقلي غير سليم وشعري تساقط من الرعب والخوف والجراثيم من أثر السجن، وأصابني مرض السكري، والآن أشعر بانقباض نفسي لأنني تذكرت ذلك، أما جسدياً فقد تعرضت لتعذيب مبرح لن أنساه طيلة حياتي.⁴⁴⁹

وفقاً للجنة التحقيق المعنية من قبل مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، فإن إجراء التعذيب كجزء من الهجمات على السكان المدنيين في الرقة يرقى إلى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.⁴⁵⁰

"هجرة المسيحيين"

كما هو الحال في أجزاء أخرى من "الخلافة" المعلنة ذاتياً لتنظيم داعش، تم استهداف الأقليات في الرقة بشكل منهجي. لم يكن التهجير ناتجاً فقط عن العنف، ولكن أيضاً عن "قوانين"، وسياسات، وضرائب تم فرضها على الأقليات العرقية أو الدينية. في 23 شباط / فبراير 2014، نشر تنظيم الدولة الإسلامية بياناً يخاطب المسيحيين، معلناً أن عليهم دفع ما يصل إلى 17 جراماً من الذهب سنوياً كجزية، وهي الضريبة على غير المسلمين الذين يعيشون تحت الحكم الإسلامي.⁴⁵¹

كان تنظيم النصرة والجيش السوري الحر قد استهدفا المسيحيين في المنطقة سابقاً، مثل العريف طوني الملوحي، رئيس بلدية المنصورة السابق. هدد تنظيم الدولة الإسلامية بإعدام الملوحي، لكنه أطلق سراحه لاحقاً عندما أسلم.⁴⁵² وكان حدثاً بارزاً آخر اختطاف الأب بوللو دال أوغليو، قسيس يسوعي إيطالي وناشطاً مناهضاً للحروب، قضى ثلاثة عقود في دير مار موسى الحبشي، دير يعود إلى القرن السادس قرب دمشق. كانت الحكومة السورية قد أمرت دال أوغليو بمغادرة سوريا في عام 2012 بسبب لقائه مع أعضاء من المعارضة وانتقاد رد الحكومة على الانتفاضة. وفي وقت لاحق، عاد إلى البلاد

⁴⁴⁸ الإبادة الفردية رقم 169

⁴⁴⁹ الإبادة الفردية رقم 52، الجلسة الجماعية المركزية رقم 4.

⁴⁵⁰ United Nations Human Rights Council (UNHRC), '9th Report of the Independent International Commission of Inquiry on the Syrian Arab

Republi' A/HRC/28/69 (5 شباط/فبراير 2015)، الفقرة 171.

⁴⁵¹ Saad Abedine and Jethro Mullen, 'Islamists in Syrian city offer Christians safety – at a heavy price' CNN (28 فبراير 2014)

⁴⁵² <https://edition.cnn.com/2014/02/28/world/meast/syria-raqqa-isis-christians/> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

Al-Hakkar, Al-Akhbar English.⁴⁵²

واختطفه تنظيم الدولة الإسلامية في الرقة في 29 تموز / يوليو 2013.⁴⁵³ كانت هناك تقارير متضاربة بشأن ما إذا كان الأب بولو على قيد الحياة، وفي نقطة ما قيل أنه تم استخدامه كورقة مساومة من قبل التنظيم.⁴⁵⁴ وظل مفقوداً حتى اليوم.

عندما سيطر داعش، أو الدولة الإسلامية في العراق والشام، على الرقة بشكل شامل، كان معظم المسيحيين، الذين جاءوا إلى الرقة خلال الهجرة الأرمنية، قد غادروا المدينة بالفعل.⁴⁵⁵ بين أيلول / سبتمبر وتشرين الأول / أكتوبر 2013، هاجم داعش ثلاث كنائس في محافظة الرقة، بما في ذلك كنيسة الشهداء الأرثوذكسية الأرمنية في مدينة الرقة. قام داعش بإزالة الصليبان وعلقت الأعلام السوداء على الواجهة وحولتها إلى مركز إسلامي.⁴⁵⁶ في تشرين الأول / أكتوبر 2013، قامت المجموعة أيضاً بحرق كنيسة أرمنية في تل أبيب.⁴⁵⁷

مع توسيع نطاق سيطرته في شمال شرق سوريا، استمر تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) في استهداف المسيحيين وأماكن عبادتهم. وصولاً إلى نهاية عام 2014، كان هناك تقارير تشير إلى وجود 23 عائلة مسيحية فقط من بين 1,500 عائلة في الرقة.⁴⁵⁸ الذين فروا وأرادوا العودة كانوا مطالبين باعتناق الإسلام أو دفع الجزية. بالرغم من الجهود المبذولة للعثور على ضحايا وشهود من مجتمع الرقة المسيحي، لم تكن هناك نتائج، مما يشير إلى أن المسيحية قد اندثرت (تقريباً) من الأراضي التي كانت تحت سيطرة داعش في محافظة الرقة.

كما واجه المسلمون الشيعة نزوحاً جماعياً من الرقة. تم تدمير مسجد أويس القرني، الذي تم بناؤه كضريح صوفي، في 31 أيار / مايو 2014، إلى جانب مقابر القرن السابع في المدينة.⁴⁵⁹ لن يكون هناك مكان للإسلام الشيعي في عاصمة داعش.

"كانوا عبارة عن أشخاص غير قابلين للنقاش": النزوح القسري للکرد في الرقة

بدأ داعش في شن عمليات واسعة النطاق ضد الكرد في الرقة. وثق تقرير صادر عن لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة هذه الهجمات، مشيراً إلى أن داعش بدأ في اخراج السكان الكرد بالقوة من مدن في محافظة الرقة في تموز / يوليو 2013؛ حيث طلب من الكرد مغادرة تل أبيب أو أن يتم قتلهم، ففر الآلاف من العائلات في 21 تموز / يوليو. وتم إعادة توطين عائلات عربية سنية في منازل الكرد، مغيرة إلى الأبد التركيبة الديموغرافية لشمال شرق سوريا.⁴⁶⁰ وقد روى أحد سكان الرقة تفاصيل التشريد القسري للکرد:

قاموا بعدها بإصدار فرمان لتهجيرنا نحن الكرد في الساعة السادسة صباحاً ولمدة عشر دقائق بالمناداة في الجوامع، لا أعلم ما الفكرة من ذلك، وماذا فعلنا بحقهم ليصدروا هذا القرار... واضطربنا للإنصات لهم وتركنا جميع ممتلكاتنا رغماً عنا. لأنهم كانوا مسلحين وكانوا عبارة عن أشخاص غير قابلين للنقاش، حيث تم مصادرة مستودعاتي الغذائية ومحاصيل زراعية كالكمون والشعير، والمواشي خاصتي، وتم مصادرة محلات

⁴⁵³ Ben Hubbard, 'Disappearance of Activist Priest in Syria Stirs Fears He Is Dead' (مدينة نيويورك: تايمز، 14 آب/أغسطس 2013) <<https://www.nytimes.com/2013/08/15/world/middleeast/activist-priest-in-syria.html>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴⁵⁴ Anthony Loyd, 'Fall of Raqqa sheds light on disappearance of Father Paolo Dall'Oglio' (لندن، 29 كانون الأول / ديسمبر 2018) <<https://www.thetimes.co.uk/article/fall-of-raqqa-sheds-light-on-disappearance-of-father-paolo-dall-oglio-2ldfskqvby>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴⁵⁵ Al-Hakkar, *Al-Akhbar English*.

⁴⁵⁶ Employee of The New York Times & Ben Hubbard, 'Life in a Jihadist Capital: Order With a Darker Side' (مدينة نيويورك، 23 تموز/يوليه 2014) <<https://www.nytimes.com/2014/07/24/world/middleeast/islamic-state-controls-raqqa-syria.html>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴⁵⁷ Alison Tahmizian Meuse, 'In Show of Supremacy, Syria al-Qaida Branch Torch Church' *Syria Deeply* (30 تشرين الأول/أكتوبر 2013) <<https://deeply.thenewhumanitarian.org/syria/articles/2013/10/30/in-show-of-supremacy-syria-al-qaida-branch-torches-church>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴⁵⁸ Stoyan Zaimov, '23 Christian Families Trapped in ISIS Stronghold Raqqa Facing Violence, Forced Taxes' *The Christian Post* (17 أيلول / الثاني / نوفمبر 2014) <<https://www.christianpost.com/news/23-christian-families-trapped-in-isis-stronghold-raqqa-facing-violence-forced-taxes-129809/>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴⁵⁹ UNHRC, 'Rule of Terror: Living under ISIS in Syria' A/HRC/27/CRP.3 (14 تشرين الثاني/نوفمبر 2014)، الفقرة 29 <https://www.ohchr.org/sites/default/files/documents/hrbodies/hrcouncil/coisyrria/HRC_CRP_ISIS_14Nov2014.pdf> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴⁶⁰ المرجع نفسه، الفقرة 28.

أدوات منزلية لأخي في مدينة تل أبيب، وكان كل ذلك بمثابة مصدر رزق بالنسبة لهم، فكانوا يسمونها غنائم الحرب ويظنون أن فعل ذلك حلال.⁴⁶¹

نهب المقاتلون الممتلكات الكردية ودمروها بشكل منهجي. وتحدث أحد السكان الكرد عن تأثير ذلك على المجتمع الكردي.

عشنا برعب... لأنهم كانوا ينظرون إلينا على أننا كفار ولا نعرف الله، كنت أخاف أنا أخرج من منزلي وكان ابني مريضاً ومن خوفي لم أتمكن من أخذه إلى الطبيب، ولم يكتفِ عناصر التنظيم بمضايقتنا والاستيلاء على ممتلكاتنا وتعريضنا للإهانات والسب والشتيم، بل أيضاً تم تهجيرنا قسراً فيما بعد وبالإجبار لأننا أكراد.

أتذكر حينها أنهم قاموا بالإذاعة في الجوامع أن علينا جميعاً أن نخرج من منازلنا؛ لأنه سوف يتم ترحيلنا إلى تدمر، ولكنهم فجاء بعد أن رحّلونا أخذونا إلى منطقة بغديك في ريف كوباني، طبعاً هم قاموا بترحيل كل الطائفة الكردية من الحي وخرجنا جميعاً بثيابنا التي كنا نرتديها. ولم نتمكن من مقاومتهم أو الوقوف في وجوههم، عدت بعد فترة فوجدت منزلي شبه مدمر ومسروق حتى أنني كنت أملك بقرة في حظيرة منزلي وكنت أبيع حليبيها كي أعيش، أي أنها كانت تعتبر مصدر رزق لي فقاموا بسرقتها أيضاً، أصلحت بعض الأشياء في منزلي وأعدت إعمار الأجزاء المدمرة منه فقاموا بتفخيخه بالمتفجرات ودمّروه من جديد.⁴⁶²

كثيرون ذكروا قصة مشابهة حول النزوح وسرقة الممتلكات. تذكر رجل عربي من الرقة كيف ذهب رجل كردي ثري إلى جيرانه قبل مغادرة المنطقة. مع مرور الأيام بدأ التنظيم بالبحث عن بيوت الكرد وكانوا يصادرونها ويضعون علامات زرقاء عليها وكتابات عليها (كردي كافر)، وعلى حسب وضع المنزل يُسكنون فيه عناصر داعش وعوائلهم، إذا كان جميلاً يسكن فيه المهاجرون، وإذا كان متواضعاً يسكن فيه عناصر التنظيم المحليون المنتسبون لهم من سكان المنطقة. لأنه كان يُقال إن منزل الكردي الثري كان جميلاً، تم الاستيلاء عليه من قبل مقاتل أجنبي.⁴⁶³

مرت امرأة كردية بتجربة مماثلة - وكانت حامل في الوقت نفسه:

جاؤوا لأخذ منزلنا بحجة أننا نحن أكراد ونعمل مع حزب الـ (بي بي كي)، وجاء أمير تونسي كان يتكلم باللغة العربية الفصحى ودخل إلى المنزل ومعه نساء داعشيات، شاهد المنزل والأغراض ... وأعطانا مهلة 15 يوم لإخلاء منزلنا.

ومن الخوف كنت حاملاً وشعرت بتعب ورعب وذهبت إلى المشفى ورأيت رؤوس مقطوعة على دوار النعيم وعددها 9 رؤوس بشرية، ونتيجة رؤيتي لذلك مرضت نفسياً وإلى الآن أرتعب من ذلك، وحدثت لي ولادة مبكرة.

قبل تهجير (نا) أخذت من البيت فقط لباس أولادي وعندما عدت إلى منزلي أريد أن آخذ أغراضي تم طردي وتهديدي بالسجن ولم يعطوني من أغراضي الباقية شيئاً، كان يسكن في البيت الأمير التونسي ومعه امرأتان.

وبعدها ذهبنا إلى بيت أعمامي وبعد أسبوعين قاموا بالإذاعة بالجموع أن جميع الأكراد سوف يتم تهجيرهم، وفعلاً تم ترحيلنا إلى الجلبيه في ريف كوباني، وبعدها سكنا في اسطبل للخيل لمدة أربعة شهور وعانينا من صعوبة في المعيشة هناك.⁴⁶⁴

اختتم تقرير الأمم المتحدة "باعتبار هذه الأعمال هجوماً واسع النطاق ومنهجياً على السكان المدنيين الكرد، فإنها تشكل جريمة ضد الإنسانية تتمثل في التهجير القسري".⁴⁶⁵

⁴⁶¹ الإفادة الفردية رقم 9.

⁴⁶² الإفادة الفردية رقم 13.

⁴⁶³ الإفادة الفردية رقم 127.

⁴⁶⁴ الإفادة الفردية رقم 27.

⁴⁶⁵ UNHRC، 'Rule of Terror'، الفقرة 29.

"بما أنك حامل سأجلدك 14 جلدة فقط": انتهاكات ضد النساء والفتيات في الرقة

فرضت قوات "الحسبة" التابعة لتنظيم "داعش" قوانين صارمة حول ملابس النساء وحركتهن، وفرضتها بقبضة حديدية من خلال دورياتها المنتظمة في الرقة. وكانت الانتهاكات لهذه القوانين تؤدي إلى عقوبات شديدة، بما في ذلك الجلد أو السجن. وصفت امرأة كيف تم اعتقالها بسبب ارتدائها لباس غير لائق:

كنت ذاهبة لشراء أدوية لأمي المريضة وكنتت ملتزمة باللباس الشرعي الكامل، وعند نزولي على درج البناء رفعت عباءتي بشكل بسيط كي لا أتعرّش لأن قدمي فيها هيوط نتيجة القصف. فشاهدني أحد عناصر التنظيم وجاء إلي وكانت بالقرب منه سيارة الحسبة، وتم اعتقالي فيها وبقيت معتقلة عندهم في الحسبة من الساعة العاشرة صباحاً إلى الخامسة عصرًا، ثم جلدي عشر مرات وفرض علي أن ألتحق بدورة شرعية، وأخذوا هويتي لحين ضمان نجاحي في الدورة الشرعية، ومن شدة خوفاي منهم ولأنني غير متعلمة والتخرج من هذه الدورة يتطلب النجاح. حينها شاهدت الكثير من الحالات في تلك الساعات التي قضيتها في الحسبة حيث كان هناك حالات رجم وتعذيب وانتظار بعضهن لتطبيق حكم القصاص بحقهن. يوجد نساء بقين رهن الاعتقال عند الحسبة لشهور دون ذنب أو إطلاق حكم بحقهن، كان الأمر مخيفًا وصعبًا ومتعبًا، أحسست بوجودي في الحسبة لساعات كأني دخلت إلى عالم آخر.⁴⁶⁶

النساء غير المتزوجات اللاتي بلغن سن البلوغ كنّ خطرًا خاصًا على النظام الاجتماعي لتنظيم داعش. تم اعتقال العديد منهن بشكل تعسفي بتهمة الاختلاط مع الجنس الآخر. في حزيران / يونيو وتموز / يوليو 2014 وحدهما، تم رجم ثماني نساء في الرقة بتهمة الزنا.⁴⁶⁷ كان من المفترض أن تعيد الأرامل الزواج، كما شهدت هذه المرأة خلال احتجازها على يد الحسبة النسائية.

اقتادونا إلى حسبة الجميلي لمدة 3 أيام، إلى الآن أذكر أنهم اعتقلوني الثلاثاء، وتم إخلاء سبيلي يوم الجمعة، وقاموا بجلدي 14 جلدة بالسياط، الذي جلدني شخص اسمه أبو علي التونسي وقال لي: "بما أنك حامل سأجلدك 14 جلدة فقط".

وضعونا في غرفة كنا تقريبًا 22 امرأة، وكانت التهم معظمها من أجل تعاطي إبر وأخرى من أجل الزواج، إحداها كان زوجها متوفيًا، ويجب عليها أن تتزوج داعشيًا، ولم تقبل فسجنوها، وأخرى بتهمة أنها كافرة، ففي مشاجرة كلامية هي وعمتها (والدة زوجها) ومن شدة الغضب كفرت وكان زوجها أميرًا لدى داعش فقام بالإبلاغ عنها وقاموا باعتقالها. كان يوجد عدة قصص أخرى، وكان هناك أيضًا بنات صغار أتوا بهن للانضمام معهن ورفضن فسجنوهن.⁴⁶⁸

تعتبر الفتيات المراهقات اللاتي يبلغن من العمر 13 عامًا سلعة يمكن لتنظيم داعش مكافأة يستخدمها داعش كهدية لمقاتليه ولجذب المزيد من الشباب إلى صفوفه. أثار هذا مخاوف السكان من أنّ ذلك سيضطرهم إلى تسليم فتياتهم للزواج من مقاتلي داعش. دفع هذا الوضع العديد من العائلات إلى تزويج بناتهن من رجال آخرين لتجنب أن يتم اضطرارهن إلى الزواج من أعضاء في تنظيم داعش. وصف أحد الضحايا كيف أصيبت عائلته بهذا المصير (الزواج القسري) بعد مقتل أطفال أخيه.

كان لدى أخي (ح) أولاد، منهم (م) الذي كان يعمل بالدخان كمصدر رزق له بشكل شبه مخفي حيث كان يتم توصيته لشراء كميات كبيرة، وفي بداية عام 2015 تم اعتقاله وأخذ إلى السجن وتم ضربه لمدة أسبوع بخراطيم خضراء وتعذيبه بأشد أنواع التعذيب، وبعد ذلك تم استدعاء (أبناءه الآخرين) الذين مولدهم 2000 و2002 وتم ضربهم أيضًا واتهامهم بأنهم عملاء للأكراد وتم إعدامهم جميعهم في نفس اليوم، حيث قاموا بإعدام [م] في منطقة الصوامع.

⁴⁶⁶ الإبادة الفردية رقم 35.

⁴⁶⁷ 'Rule of Terror'، UNHRC، الفقرة 52.

⁴⁶⁸ الإبادة الفردية رقم 150.

عندما تلقينا الخبر لم نستطع فعل شيء، كان حالنا جميعًا صعبًا، ولكن الأكثر تأثرًا كان أخي [ح] لأن الذين تم إعدامهم هم أبنائه فقط، فقد عقله ولم يعد يدرك ماذا يحصل من حوله، ففي كثير من الأحيان أذهب إلى عملي فيقوم الناس بإخباري أنه إما في الصوامع أو في منطقة المشهدين أو السوق، فكنت أذهب إليه وأتي به إلى المنزل، وعند خروجي كنت أخاف عليه حتى وهو في المنزل بأن يقوم بأي طريقة بالانتحار أو أذية نفسه.

مرت الأيام وعادوا لمضايقتنا مرة أخرى، وهذه المرة كانت عن طريق طلب الزواج من بنات [ح] (س و ت)، رفضت في البداية وكنت أخرجهم من منزلي، ولعدة مرات كان يتعرضون لي في سوق الخضرة لكي يضغطوا علي من أجل الفتيات ولكن لم أقبل، وفي عام 2016 أتت دوريتين أمام المنزل فيها شباب وبنات تابعين للحسبة واعتقلوا الفتاتان اللتان.

إحدهن كانت في مواليد 1997 والأخرى 1998 حيث زوجوا [ت] لشخص تونسي و [س] لأحد شبان مدينة الرقة منتسب لهم وهو من شارع القطار، حيث أخذوا الفتيات وسألت عن هؤلاء الشبان في كل الأماكن لكي أحصل على بنات أخي حيث عرفت أن أحدهم من سكان شارع القطار، ذهبت إليهم وتعاركت معهم ورأيت أخاه وقلت له "أيرضيك أن يقوم أحد شباب التنظيم بأخذ أختك غصبًا عنك وتزوجها؟".

قال: "لا، ولكن هذا الوضع رغماً عنا".

تعاركت مع كثير من الأشخاص بسبب الفتيات، ولكن لم أستطع القيام بشيء لأن تهمتنا جاهزة والقصاص جاهز وأي حركة لي سيتم تنفيذ حكم القصاص بي.⁴⁶⁹

ووفقًا للجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة، فإن مثل هذه الزيجات القسرية كانت بمثابة انتهاكات للقانون الإنساني الدولي وأفعال ترقى إلى مستوى جرائم الحرب المتمثلة في المعاملة القاسية والعنف الجنسي والاغتصاب.⁴⁷⁰ غالبًا ما ينتهي الأمر بالنساء اللاتي تزوجن من مقاتلي داعش بأن يكونوا في علاقات عنيفة ومسيئة. روت امرأة من الرقة لفريق البحث التعذيب الجسدي الذي تعرضت له على يد زوجها ما يلي:

قبل دخول تنظيم الدولة الإسلامية لم أكن متزوجة وكنت أعيش مع أسرتي حياة كريمة وميسورة، كنت وحيدة ليس لي أخوات، وإنما عندي 11 أختًا وأنا وحيدة عليهم، تلقيت تعليمي للصف السادس الابتدائي وبعدها أوقفت أسرتي تعليمي.

تقدم شاب لخطبتي عن طريق زوجة أخي وكان عمري وقتها 15 سنة وهو من منطقة "البريج"، في البداية حصلت مشاكل وإخوتي لم يقبلوا وكانوا غير مقتنعين به كونه داعشي وقالوا: "الله أعلم ماذا يفعل بك بالأيام".

بالنسبة لنا نحن أهل المنطقة لدينا عادة فقط الأب يعطي كلمة الموافقة على زواج ابنته، يجب أن يتم الأمر لا محال وأنا لا أستطيع أن اكسر كلمة أبي وتم الأمر وتزوجنا.

بعد فترة من زواجنا قام بضربي وكنت حاملًا بابني الكبير وكان سبب الخلاف بيني وبينه أنني مرضت وَاخاف على نفسي كثيرًا كوني حامل جديد وهو غير مقتنع أنني حامل، طلبت منه أن نذهب للطبيب لكي يتأكد فأنا متأكدة من نفسي أنني حامل، وقال أنه غير مقتنع وأنه يريد أن يحضر والدتي إلى منزلي، وعندما أتت أمي بدأ يشتكي وقال لا يوجد حمل وضربني على ظهري وبدأت بالنزيف وأنا حامل وقام بضربي بخيزرانة، وضربني مرة أخرى وبدأ النزيف يزداد لكن الحمد لله لم ينزل الطفل، الله تمم حملي.

كان يطبق تصرفات الدواعش عليّ، لأنه يجلس مع أخيه وأصدقائه الدواعش ويتعلم منهم كيف يجب أن تكون معاملة المرأة، يقول لي: "يجب أن تجلدي وأريد أن أخذك إلى حسبة النساء وهم يقومون بتربيتك من جديد".

469 الإفادة الفردية رقم 9.
470 UNHRC, 'Rule of Terror', الفقرة 51.

وكان يعنفني كثيرًا ويقوم بتغطية رأسي في الماء ويخرجه ويمسك السكين ويضعها على جسمي وينغزها والأكل يقوم برميها فوق رأسي، واضع يدي على وجهي من الخوف وخشية أن يتأذى وجهي...

ويدي أصابتها الرجفة إلى هذه اللحظة، وفي إحدى المرات قام بضربي ونحن عند أهله لأنني قمت بغسل حذائه فرماني على ظهري وربط يدي وبدأ بضربي على وجهي. واكتشفت فيما بعد أن لديه مرضًا عصبيًا، أنا كنت أجيد القراءة، وفي إحدى المرات قال لي: أعطني الدواء من الخزانة. وعندها سقطت ورقة مع الدواء وكان يوجد تقرير أن لديه مرضًا عصبيًا، وكان يقوم بتشطيب نفسه وأنا أيضًا يريد أن يشطبنى عدا عن الضرب والوسائل الذي يستخدمها.

واكتشفت فيما بعد أن لديه مرضًا عصبيًا، أنا كنت أجيد القراءة، وفي إحدى المرات قال لي: أعطني الدواء من الخزانة. وعندها سقطت ورقة مع الدواء وكان يوجد تقرير أن لديه مرضًا عصبيًا، وكان يقوم بتشطيب نفسه وأنا أيضًا يريد أن يشطبنى عدا عن الضرب والوسائل الذي يستخدمها. في بداية زواجنا سمح لي وقام بتعليمي على التدخين وبدأت التدخين معه وبعدما علمني أصبح يقول لي "لماذا تدخين؟" يجب أن تقطعيه، قلت له تعودت عليه لا أستطيع قطعه فجأة. وعندما رأي أدخن سيجارة قام بإحضار سلاح وضربني بمؤخرتها على يدي، وقام بتلقيمة ووضع بين عيني فصرخت ووضعت ابني الكبير في حضني وقام برمي السلاح وأمسك عصاة المسحة وقام بضربي إلى أن أصبح وجهي ملطخًا بالدماء وصدري وابني كان يرضع من صدري حتى ابني تشوه من الدماء والضرب.⁴⁷¹

في الرقة - كما في المناطق الأخرى تحت سيطرة تنظيم داعش- كانت العبودية شائعة أيضًا. كانت النساء والفتيات اللواتي تم أسرهن في الغالب، على الرغم من عدم الحصر، إيزيديّات. في حين تم قتل الرجال الإيزيديين الذين تم أسرهم، تم الاحتفاظ بالنساء كعبيد وتم أخذ أطفالهن ليتم "إعادة تربيتهم" في فكر تنظيم داعش. في الرقة، كان يتم تقديم هؤلاء الأسرى غالبًا للمسؤولين البارزين في تنظيم الدولة الإسلامية، خاصة القادة الأجانب. اشترى المقاتلون المحليون أيضًا الأسرى من سوق العبيد. تم إبقاء الإيزيديّات في فندق أبو قبيع، على بعد 10 كيلومترات إلى الغرب من الرقة، وفي مزرعة سهيل حبيب في كسرة فرج، على بعد خمس كيلومترات إلى الجنوب من المدينة. أما الأطفال فقد تم إبقاؤهم في معسكر الطلائع الواقع على جسر نهر الفرات الجديد.

"الأطفال لا يعرفون إلا أناشيد الدولة الإسلامية": انتهاكات ضد أطفال الرقة

تم إغلاق المدارس عندما كانت الرقة تحت سيطرة تنظيم داعش. بدلاً من ذلك، تم استحداث ما يُسمى بالكاتيب ودوائر تعليم الشريعة في المساجد. كانت البرنامج التعليمي الجديد ناجحًا في غرس تفسير تنظيم داعش للقيم الإسلامية في الطلاب، كما ذكر أحد معلمي الموسيقى: "عدت إلى عملي السابق (ك) معلم موسيقا، فقد ساد الاعتقاد أن الموسيقا حرام حتى عند الأهالي، والأطفال لا يعرفون إلا أناشيد الدولة الإسلامية".⁴⁷²

في الرقة، جمع تنظيم داعش الأطفال لعرض مقاطع فيديو تظهر مجازر قتل جنود الحكومة السورية.⁴⁷³ يتذكر أحد الرجال كيف كان تعليم ابنه بمثابة مقدمة للتدريب العسكري:

ابني لم يستطع إكمال تعليمه، وأصبح جاهلاً بسببهم، وعندما أدخلته المدرسة في وقت تنظيم داعش كان المدرّس يعلمه كيف يحمل السلاح، كانوا يدربونهم على سلاح خشبي [...] ويوعدونهم بسلاح حقيقي بعد أسبوع.

⁴⁷¹ الإفادة الفردية رقم 145.

⁴⁷² الإفادة الفردية رقم 97، الجلسة الجماعية المركزة رقم 8.

⁴⁷³ UNHRC، 'Rule of Terror'، الفقرة 60.

و[كانوا] يستغلون الأطفال وبراءتهم ليسألوهم عما نفعله في بيتنا كالتدخين وغيره... وأوقفت ابني بعدها مباشرة، وعندما سألوني لماذا أوقفتها؟ قلت لهم أن ابني مختل عقلياً ليدعوه وشأنه، كما كان منهاجهم الفقه والإسلام، ولكنه لا يمت إلى الإسلام بصلة.⁴⁷⁴

من المتوقع أن يقوم الأطفال بالتجسس على عائلاتهم ومجتمعاتهم. تم تدريب مئات من الأطفال الآخرين -وفقاً للتقارير- في سن بين خمسة وستة عشر عاماً على أدوار قتالية بالقرب من الطبقة.⁴⁷⁵ تم نقل أطفال إيزيديين من قبل تنظيم داعش إلى معسكر تدريب في شمال الرقة.⁴⁷⁶ شارك الأطفال أيضاً في أدوار قتالية فعالة: أظهرت أشرطة فيديو لتنظيم داعش من الرقة، والتي شاهدها فرقة البحث، أطفالاً يبلغون من العمر خمس سنوات فقط يقومون بإعدام المعتقلين.

" تركناهم تحت الأنقاض (لمدة) شهرين ": الضحايا المدنيين خلال عمليات مكافحة تنظيم الدولة الإسلامية

بحلول نهاية عام 2016، كانت قوات سوريا الديمقراطية، بدعم من التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، قد هزمت بالفعل تنظيم داعش في كوبياني، وأخرجته بشكل كبير من الحسكة، وحررت منبج. بدأت الحملة لطرد تنظيم داعش من الرقة بجديّة في 6 تشرين الثاني / نوفمبر 2016.⁴⁷⁷

في البداية، ركزت الحملة على ريف الرقة الشمالي. عندما تأمن هذا المنطقة، اندلعت معركة طويلة حول الطبقة باتجاه الغرب، في حين تقدمت قوات سوريا الديمقراطية في الجهة الشرقية على الطريق الواصلة بين الرقة ودير الزور. وقد قطعوا آخر طريق رئيسي خارج مدينة الرقة التي كانت تحت سيطرة تنظيم داعش.⁴⁷⁸ في مطلع حزيران / يونيو، كانت قوات سوريا الديمقراطية والتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة قد سيطرت على الطبقة والمنصورة، إلى الغرب من المدينة. بعد ذلك، بدأت معركة السيطرة على مدينة الرقة.⁴⁷⁹

لم تكن معركة الرقة مهمة من الناحية الاستراتيجية فقط، بل كانت لها قيمة رمزية هائلة أيضاً. جرت المعركة بشكل متزامن مع معركة الموصل، وكانت آخر مدينة كبيرة في سوريا تحت سيطرة تنظيم داعش بالكامل، حيث كانت تحتوي على مراكز القيادة والتحكم للتنظيم وتضم العديد من قاداته. كان من المتوقع أن يؤدي طرد تنظيم الدولة الإسلامية من عاصمته المزعومة إلى تكبده ضرراً جسيماً، إن لم يكن قاتلاً، فإنه سيضعف طموحات ما يسمى بـ "الخلافة" في الحفاظ على الأراضي والسيطرة عليها وحكمها. أطلقت قوات سوريا الديمقراطية عليها اسم "المعركة الكبرى".⁴⁸⁰

تم حصار مدينة الرق بحلول نهاية حزيران / يونيو 2017، مع ما يصل تعدادها إلى أربعة آلاف من مقاتلي داعش محاصرين داخل المدينة. شهد الشهر التالي تقدماً تدريجياً؛ بعد مائة يوم من المعركة، كانت قوات سوريا الديمقراطية تسيطر على أكثر من ثلثي مدينة الرقة وجميع حيها القديم.⁴⁸¹ خاضت المناطق الأخيرة التي يحتلها داعش في شمال المدينة وحول دوار النعيم - حيث تم إعدام العديد من الأشخاص - معارك عنيفة. كانت هذه المناطق مليئة بالألغام والمتفجرات. كان التقدم الذي قامت به قوات سوريا الديمقراطية، باعتماد على ضربات جوية من التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، بطيئاً ومؤرقاً.⁴⁸² وكان داعش قد أمر بعدم السماح لأحد بالمغادرة، لأن كان يرى المواطنين كدروع بشرية لحمايته من الغارات الجوية. وكان قنصاة داعش منتشرين.

⁴⁷⁴ الإفادة الفردية رقم 50، الجلسة الجماعية المركزة رقم 4.

⁴⁷⁵ UNHRC، 'Rule of Terror'، الفقرة 60.

⁴⁷⁶ Amnesty International، *Legacy of Terror: The Plight of Yazidi Child Survivors of ISIS* (2020) <<https://www.amnesty.org/en/documents/mde14/2759/2020/en/>>

⁴⁷⁷ Al Jazeera English، 'Syrian rebels announce offensive to retake Raqqa' (6 تشرين الثاني/نوفمبر 2016) <<https://www.aljazeera.com/news/2016/11/6/syrian-rebels-announce-offensive-to-retake-raqqa>>

⁴⁷⁸ Tom Perry، 'U.S.-backed Syrian militias will close in on Raqqa: spokesman' (6 آذار / مارس 2017) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-raqqa-idUSKBN16D0YE>>

⁴⁷⁹ Rodi Said and Tom Perry، 'U.S.-backed force launches assault on Islamic State's "capital" in Syria' (6 حزيران / يونيو 2017) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-raqqa-idUSKBN18X0LH>>

⁴⁸⁰ Rudaw، 'SDF enter east Raqqa in "Great Battle" for ISIS stronghold' (6 حزيران / يونيو 2017) <<https://www.rudaw.net/english/middleeast/syria/060620171>>

⁴⁸¹ SOHR، 'On the 100th day of the grand battle of Al-Raqqah...SDF control more than two thirds of Al-Raqqah city' (14 أيلول / سبتمبر 2017) <<https://www.syriaahr.com/en/74223/>>

⁴⁸² Quentin Sommerville and Riam Dalati، 'The city fit for no-one: Inside the ruined "capital" of the Islamic State group' (27 أيلول / سبتمبر 2017) <<https://www.bbc.co.uk/news/resources/1dt-sh/the-city-fit-for-no-one-raqqa-syria-islamic-state-group>>

شاهد في 19 آب/أغسطس 2023. شاهد في 19 آب/أغسطس 2023. شاهد في 19 آب/أغسطس 2023.

أخرجونا من منازلنا بحجة أن المنطقة أصبحت منطقة خط نار، ذهبنا إلى حارة الكهرباء وكان القصف ليلاً ونهاراً وكان القصف والحصار في حارة البدو.

كنا نحن وعائلة ابن عمي وعائلة أخرى معن نحن تضررنا كثيراً، أولاً أصيب أخي [أ]، وحاصرونا جميعاً في حارة البدو وجعلوا منا دروعاً بشرية.

وأخي كان في الحمام وهنا كان القصف شديداً، كنا نجلس في المطبخ.

وطلبنا منه أن يأتي ليجلس معنا ليختبئ معنا خوفاً من القصف وعندما أتى للجلوس ونزلت علينا قذيفة، أصيب بقدمه ولم يكن هناك وسائل نقل حينها وأسعفه جارنا إلى المشفى الوطني وقاموا بقطع رجله.

وبعد إصابة أخي بـ 4/ أيام قررنا الهروب. وأخي [خ] بعد أن عبر الفرات إلى المناطق التي تم تحريرها عاود الرجوع إلى الرقة، وعندما سألناه عن سبب عودته قال: "كيف أترك أخي مصاباً وأخرج؟!"

خرج أخي ومعه مجموعة من الأشخاص ليدلهم على طرق الهروب من داعش، ومن ثم عاد الشخص الذي مع أخي وقال: "كل الذين معنا ماتوا."

عندما سألنا عن أخي قال: "إن أرجل أخيك تم قطعهن بسبب مخلفات داعش من الألغام."

عندما ذهبنا إلى الإسعاف وجدنا الجميع ميّتين وأسعفنا ابن الشخص الذي كان معهم وزوجته، وعند وصولنا إلى الإسعاف توفي أخي [خ] نتيجة النزيف علماً أن أخي قام بالتبرع بالدم لأخي المصاب

[أ].⁴⁸³

أخيراً قام نحو 300 إلى 400 مقاتل من تنظيم داعش بالتوصل إلى اتفاق لمغادرة المدينة.⁴⁸⁴ بحوزتهم 400 رهينة كدروع بشرية، انطلق مقاتلو تنظيم داعش وعائلاتهم، بما في ذلك العديد من المقاتلين الأجانب وبعض أبرز أعضاء التنظيم، بما في ذلك رئيس المخابرات في تنظيم الدولة الإسلامية، أبو مصعب حذيفة، صوب دير الزور حيث كان داعش يسيطر على مناطق هناك⁴⁸⁵. بعد أربعة أشهر من المعارك المكثفة، أعلنت قوات سوريا الديمقراطية تحرير الرقة في 20 تشرين الأول / أكتوبر 2017، متعهدة بتضمينها في شمال شرق سوريا الفيدرالية والديمقراطية التي تديرها الإدارة الذاتية.⁴⁸⁶

كان ثمن تحرير الرقة هائلاً. وأثناء إجراء تفاوض على استسلام مقاتلي داعش، قام التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة بقصف ثقيل. زعم أعضاء تنظيم الدولة الإسلامية أن هذه الضربات قتلت 500 أو 600 مقاتل مع عائلاتهم.⁴⁸⁷ بينما قد تكون هذه الأرقام مبالغ فيها، كان هناك بلا شك أعداداً كبيرة من الضحايا المدنيين. تحدث أحد الآباء إلى فريق البحث عن الضربات الجوية خلال المعركة، التي أسفرت عن مقتل العديد من أفراد عائلته في الشهر الأخير للهجوم:

...عند صلاة الفجر صباحاً جاء الطيران الحربي وبدأ بقصف المنطقة التي نحن فيها وقصف البناء الذي نسكن فيه وبجانبه خمس أبنية أيضاً، قتل فيها العديد من الناس ومن أماكن مختلفة، وتم التعرف على خمسة وأربعين جثة قتلوا بالقصف ومنهم خمسة أشخاص من عائلتي وأمام عيني.

يستحيل أن أنسى ذلك اليوم.

وكانت الأبنية تقع بجانب مدرسة المعري، وكل الذين قتلوا هم من المدنيين ولم يكن هناك عناصر من التنظيم لسوء الحظ، كونهم هربوا وفروا بعيداً، كانوا جبناء ومجرد سماعهم لصوت الطيران الحربي يصعدون في سياراتهم ويبتعدون عن المنطقة، وبقينا نحن وقتلنا في هذا الحصار، وإن أولادي

⁴⁸³ الإفادة الفردية رقم 79.

⁴⁸⁴ Damien Gayle, 'Last Isis fighters in Raqqa broker deal to leave Syrian city – local official' *The Guardian* (London, 14 October 2017) <https://www.theguardian.com/world/2017/oct/14/last-isis-fighters-in-raqqa-see-deal-to-leave-former-capital-in-syria> <شاهد في 19 آب/أغسطس 2023>.

⁴⁸⁵ Quentin Sommerville and Riam Dalati, 'Raqqa's dirty little secret' (لندن، 13 تشرين الثاني / نوفمبر 2017) https://www.bbc.co.uk/news/resources/itd-sh/raqgas_dirty_secret <شاهد في 19 آب/أغسطس 2023>.

⁴⁸⁶ Tom Perry, 'Raqqa to be part of 'federal Syria', U.S.-backed militia says' (10 تشرين الأول / أكتوبر 2017) <https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-raqqa-idUSKBN1CP16T> <شاهد في 19 آب/أغسطس 2023>.

⁴⁸⁷ Sommerville and Dalati, 'Raqqa's dirty little secret'.

هم (ع) عمره 27 عامًا و(ع م) 18 سنة و(ر) 17 سنة و(هـ) عمرها 15 سنة وأختي (ز) عمرها 65 عامًا وهي ضريرة (عمياء).... (تم قتلهم جميعًا).

تركناهم تحت الانقراض شهرين لم نستطع اخراجناهم من تحت الركاب، ولا يوجد جهات مختصة في ذلك الوقت لتساعدنا على انقاذهم، وأصيب الباقون إصابات مختلفة.⁴⁸⁸

وفقًا للوثائق الصادرة عن منظمة العفو الدولية وإيروزر، أدت حملة الرقة إلى مقتل أكثر من 1600 مدني.⁴⁸⁹ وفي تقرير مشترك بين الهيئتين، تم توضيح تأثير الآلاف من الضربات الجوية، التي تم تنفيذها في الغالب من قبل الولايات المتحدة وكذلك فرنسا والمملكة المتحدة، بالإضافة إلى أكثر من 30,000 ضربة مدفعية من قبل الجيش الأمريكي - ما يعادل ضربة مدفعية كل ست دقائق لمدة أربعة أشهر متواصلة. كان التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة قد أشار إلى الحملة باعتبارها "إحدى أدق حملات الجو في التاريخ".⁴⁹⁰ ولاحظ تقرير منظمي العفو الدولية وإيروزر أن الحملة الجوية قد حولت الرقة إلى "أكثر المدن تدميرًا في العصر الحديث". وقالت مجموعات نزع الألغام أيضًا إن الرقة تركت كـ "أكثر المدن تلوثًا في العالم" بسبب الألغام والذخائر غير المنفجرة الملقاة من الجو.⁴⁹¹

العواقب

خلال استمرار المعركة على الرقة، اجتمع شيوخ العشائر والشخصيات المؤثرة من المدينة في عين عيسى في نيسان / إبريل 2017 للتداول حول المستقبل المحتمل لمحافظة الرقة. وكانت نتيجة محورية لمناقشاتهم هي إنشاء مجلس مدني مكلف بحكم الرقة بعد داعش، وذلك بتضمين ممثلين من المكونات العربية والكردية والتركمانية. ونتيجة لذلك، تحولت الرقة إلى مقر رئيسي للإدارة الذاتية.

ومع ذلك، كانت التحديات المنتظرة أمام السلطات الجديدة بعد داعش ضخمة. تعرض اقتصاد الرقة للدمار، وبدأت عمليات إزالة الألغام والانقراض، بالإضافة إلى محاولات مبكرة لإعادة بناء البنية التحتية التي تضررت خلال الحرب. تم تسجيل تقدم تدريجي، حيث أعيد فتح مستشفى وعاد بعض السكان لمواجهة الدمار. على الرغم من ذلك، كان داعش قد تراجع، ولكن لم يكن قد انتهى. استغرق الأمر أكثر من عام لتحقيق النصر النهائي على آخر مناطقه في دير الزور. في هذه الأثناء، استمر التنظيم في شن هجمات على الرقة، بما في ذلك تفجيرات السيارات الملوغمة واغتيالات واشتباكات متفرقة مع قوات سوريا الديمقراطية، حيث كانت خلايا تنظيم داعش تنتظر الوقت المناسب بهدف التخطيط لعودته.⁴⁹²

لكن الرقة، التي كانت ذات يوم عاصمة ما يسمى بـ "خلافة" داعش، أصبحت في حالة خراب.

⁴⁸⁸ الإفادة الفردية رقم 78.

⁴⁸⁹ Amnesty International, 'Syria: Unprecedented investigation reveals US-led Coalition killed more than 1,600 civilians in Raqqa "death trap"' (April 2019) <<https://www.amnesty.org/en/latest/press-release/2019/04/syria-unprecedented-investigation-reveals-us-led-coalition-killed-more-than-1600-civilians-in-raqqa-death-trap/>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴⁹⁰ المرجع نفسه.

⁴⁹¹ Humanity & Inclusion, 'Unprecedented levels of contamination in Raqqa' (12 كانون الثاني / يناير 2022) <<https://www.hi.org/en/news/unprecedented-levels-of-contamination-in-raqqa>> شوهد في 19 آب/أغسطس 2023.

⁴⁹² 'Islamic State says hits Syria's Raqqa with car bomb' Angus McDowall, رويترز (4 تشرين الثاني / نوفمبر 2018) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-raqqa-idUSKCN1N90LP>> تم الإطلا عليه بتاريخ 19 آب / أغسطس 2023.

6. دير الزور

كان داعش في دير الزور يقوم بالدفاع النهائي، بعد أن تم طرده من جميع الأراضي السابقة في شمال شرق سوريا والعراق. بالتالي، عانى السكان المحليين في هذه المنطقة لفترة أطول من أي منطقة أخرى تحت سيطرة داعش (ما مجموعه ست سنوات).

ومع ذلك، بقي داعش يشكل تهديداً قوياً في المنطقة، كما هو واضح من خلال البحث الذي أجراه الفريق لهذا الفصل. ومع وجود خلايا نائمة لداعش، كان إجراء البحث والمقابلات يشكلان مخاطرة. ونتيجة لذلك، وافق كثيرون من الضحايا فقط على أن يتم إجراء المقابلات في منازلهم الخاصة الأمنة نسبياً، خشية من التعرض للتهديد. كما ساهمت النزاعات القبلية المستمرة في المنطقة في زيادة الاضطراب، حيث اندلعت اشتباكات مسلحة بين العشائر خلال لقاء جماعي لجمع شهادات لهذا الفصل في نفس الحي، مما أسفر عن مقتل ستة أشخاص.

دير الزور قبل الحرب

تقع محافظة دير الزور على ضفاف نهر الفرات في شمال شرق سوريا. وهي ثاني أكبر محافظة في البلاد بعد حمص، تغطي ما يقرب من الخمس المساحة الإجمالية لسوريا. يقسم نهر الفرات المحافظة بشكل قطري: على الضفاف الغربية للنهر تقع صحراء الشام السورية، المعروفة أيضاً باسم الشامية، في حين تقع الجزيرة إلى الشمال الشرقي، والتي تربط محافظتي دير الزور والحسكة.⁴⁹³ تنقسم المنطقة إلى ثلاثة مناطق: دير الزور والميادين والبوكمال.

كانت المنطقة مأهولة منذ الألفية بوجود سلسلة من الحضارات، بما في ذلك مدينة ماري السامية في الألف الثالث قبل الميلاد، ومدينة دورا-يوروبوس الهيلينستية والبصيرة. كما تحتوي المنطقة أيضاً على آثار رومانية وبيزنطية في حلبية على الضفة الشرقية للنهر الفرات.

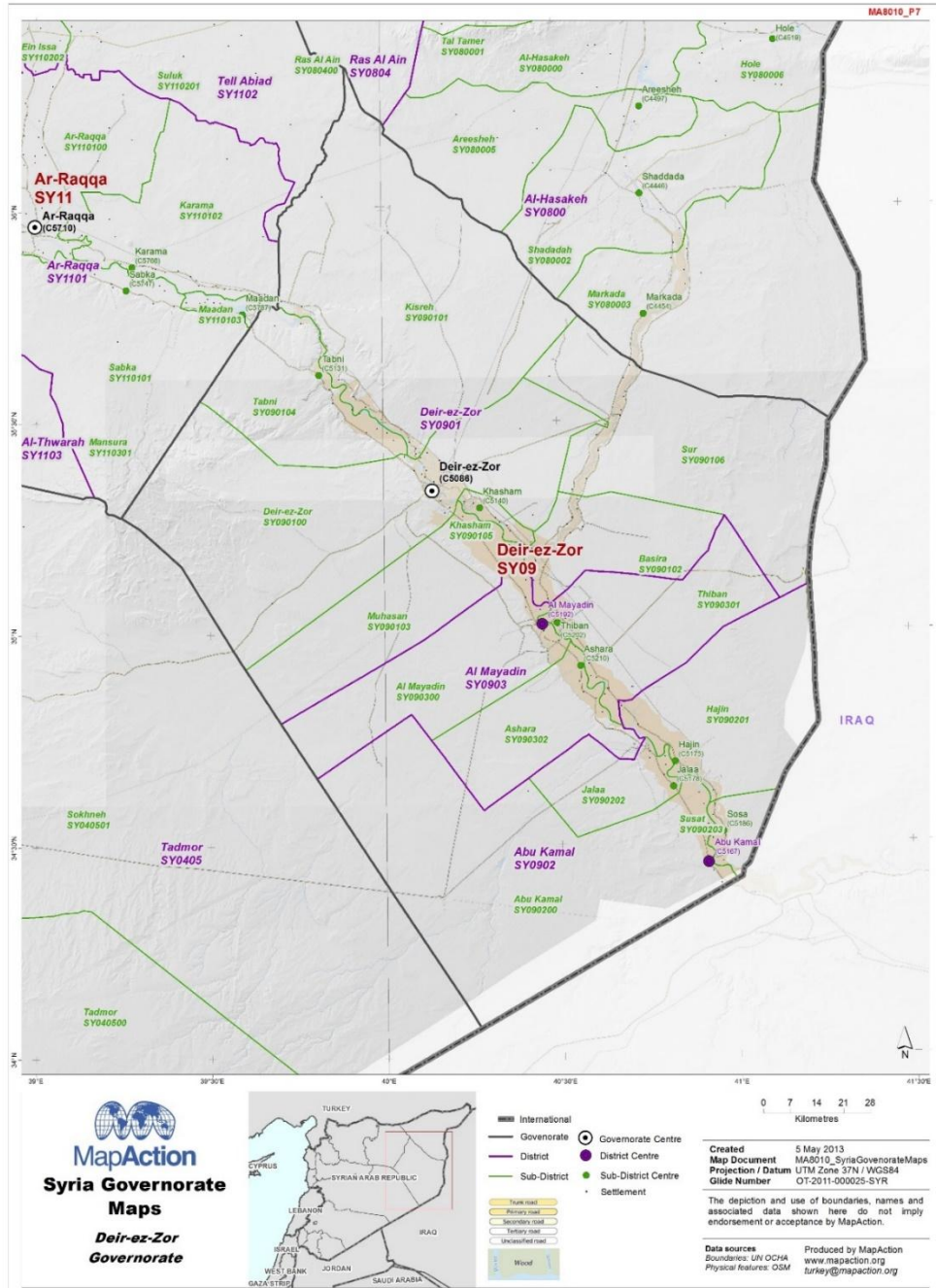
تأسست مدينة دير الزور الحديثة في عام 1865 تحت الإمبراطورية العثمانية، التي عينتها كـ "سنجق" أو منطقة إدارية في المنطقة. سرعان ما نشأت كمركز تجاري على طريق القوافل بين حلب وبغداد، حيث شهدت نمواً سريعاً في منتصف القرن الماضي. تفتخر دير الزور نفسها بوجود سوق مغطى عثماني في مدينتها القديمة، بالإضافة إلى عدة أماكن للعبادة: كنيسة الكوشية وكنيسة العذراء وجامع الحميدي، الذي تم بناؤه أيضاً خلال الفترة العثمانية. في وقت لاحق، في عام 1921، احتلت فرنسا دير الزور كجزء من انتدابها على سورية الذي كان بموجب اتفاقيات سايكس بيكو وسان ريمو.

تتميز دير الزور بتركيبة عرقية وطائفية متجانسة نسبياً. يشكل العرب معظم سكانها، ويتحدث سكانها اللغة العربية بلهجة قريبة من اللهجة العراقية، تحديداً في محافظة الأنبار الموجودة على الطرف الآخر من الحدود، حيث ترتبط العديد من العشائر السورية في المنطقة بروابط عائلية. استقرت القبائل العربية في المنطقة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وتحولت إلى الزراعة، وأصبحت تهيمن تدريجياً على المنطقة في العقود التالية. وتضم القبائل الريفية الرئيسية في دير الزور قبيلة العكيدات والبقارة والبوسرايا، بالإضافة إلى قبائل ثانوية مثل البقاعان (البكعان) والعبيد والجحيشات وأبو حردان والمراسمة والجغايفة. وتوجد أيضاً في مدن المحافظة الثلاث الرئيسية قبائل أخرى، مثل قبائل الخرشان وظفير والجويشنة والمعامرة في دير الزور؛ الكلبيين (الكلعين) في الميادين؛ والراويين والعانيين في البوكمال.⁴⁹⁴

⁴⁹³ Rudayna al-Baalbaky and Ahmad Mhidi, *Tribes and the rule of the "Islamic State": The case of the Syrian city of Deir ez-Zor* (كونراد أديناور ستيفتونج، ديسمبر 2018)، ص 21

<https://www.kas.de/documents/266761/4421641/Tribes+and+the+Rule+of+the+Islamic+State+Organization++Part+2.pdf/f342c609-141b-ea69-b30a-6ce01676661a?version=1.2&t=1545393667940> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁴⁹⁴ المرجع نفسه



الشكل 5: محافظة دير الزور. 495

أما باقي سكان دير الزور هم من الكرد والأرمن وأعداد صغيرة من التركمان والآشوريين والمسيحيين الآخرين. تستضيف المدينة أيضًا عدة عائلات سريانية. تقيم الأقلية الكردية في شمال المحافظة. مثل المناطق الأخرى في شمال شرق سوريا، كانت دير الزور ملجأً للأرمن الذين هربوا من الهجمات خلال الحرب العالمية الأولى، حيث قدم رئيس بلدية دير الزور

<<https://maps.mapaction.org/dataset/217-2938/resource/682e96b0-b538-47d4-a84d-33dbdc1e020b>> Map Action, 'Syria Governorate Maps: Deir ez-Zor Governorate' 495
شاهد في 21 آب / أغسطس

آنذاك، حاج فاضل العبود، الحماية لهم.⁴⁹⁶ في العقود اللاحقة، أصبحت كنيسة شهداء الأرمن في مدينة دير الزور مكاناً يجذب آلاف الحجاج الأرمن سنوياً، سواء من داخل سوريا أو خارجها.

أجبر العثمانيون، وفي وقت لاحق الفرنسيون، عشائر دير الزور على التوطين. وبينما أدى هذا الجهد إلى حل الاتحادات القبلية، فقد زاد أيضاً من سلطة شيوخ القبائل على أعضائهم، الذين تحولوا إلى ملاك الأراضي.⁴⁹⁷ أصبح الاقتصاد يعتمد بشكل متزايد على الإنتاج الزراعي وتحصيل الضرائب. وفي العقود التالية، في ظل الانتداب الفرنسي، شهدت دير الزور بعض التطور، مثل بناء الجسر المعلق الذي أصبح معلماً محلياً، فضلاً عن تأسيس أول بنك في المدينة عام 1930 وإنشاء قصر العدل و المكتبة الوطنية ومتحف المدينة والملاعب البلدي، إلى جانب إدخال الكهرباء عبر شركة كهرباء الفرات. ومع ذلك، كان هناك صراع طويل في دير الزور ضد الانتداب الفرنسي؛ محمد العايش كان أحد قادة الانتفاضة المناهضة لفرنسا، والذي سجن لمدة 20 عاماً.⁴⁹⁸

بعد استقلال سوريا في عام 1946، شهدت المحافظة تطوراً سكانياً واقتصادياً ناتجاً عن الوضع الثابت في البلاد. في عام 1958، عندما اتحدت سوريا مع مصر في الجمهورية العربية المتحدة التي استمرت لفترة قصيرة، تم إصدار قانون الإصلاح الزراعي (القانون رقم 1958/317). قام قانون الإصلاح الزراعي بتوزيع الأراضي من الأغنياء إلى الفلاحين.⁴⁹⁹ ازدهرت الزراعة في دير الزور في البداية بسبب دعم الحكومة، الذي جاء في شكل قروض وبذور وأسمدة وأعلاف وأدوية حيوانية. نتيجة لذلك، فقدت شيوخ العشائر، الذين كانوا أكبر مالكي الأراضي، سلطتهم بشكل كبير. تغيرت سلطتهم من سياسية إلى اجتماعية، وأصبحوا يعتمدون بشكل متزايد على الدولة السورية للوصول إلى الامتيازات.⁵⁰⁰

بعد الانقلاب الذي أدى إلى تولي حافظ الأسد السلطة في عام 1970، استمر الاستياء من السلطات المركزية.⁵⁰¹ تم إهمال دير الزور، وردت دمشق على تعبيرات الاستياء بسياسات فرق تسد. من ناحية، كان هناك تقليد منذ قبل الاستقلال في تخصيص منصب وزاري في مختلف إدارات سوريا لعضو من بورجوازية دير الزور. كان التأثير السابق ضد الفرنسيين، محمد العايش، هو الأول في شمال شرق سوريا الذي أصبح وزيراً في الحكومة. بالإضافة إلى ذلك، دخلت الدولة السورية تحالفات استراتيجية مع العشائر الرئيسية في المنطقة، والتي تم مكافأتها بدورها لولائها. حفز حافظ الأسد شيوخ العشائر على الانضمام إلى حزب البعث وعرض في المقابل على أبناء العشائر مناصب إدارية، سواء في المجالس المحلية أو كمختارين ورؤساء بلديات.⁵⁰²

إلى جانب هذه الأشكال من الرمزية والمحسوبة، مارست الدولة احتكاراً لاستغلال موارد المنطقة وعيّنت موالين لها في مناصب رئيسية في قطاع النفط وكذلك في الجيش وإدارة الحكم المدني. بدأ استغلال النفط السوري في الستينيات. وتدرجياً، تم تطوير حقولها النفطية، بما في ذلك تلك الموجودة في دير الزور، حيث بلغ إنتاج النفط ذروته خلال التسعينيات.⁵⁰³ أدى تطور صناعة النفط في دير الزور إلى نمو المدينة والخدمات العامة، وأدى إلى ظهور المزيد من الشركات العامة والخاصة. ومع مرور الوقت، اجتذبت المهاجرين وخلقت فرص عمل في حقول النفط والغاز الكبرى التي تم تطويرها في المنطقة، وأبرزها حقل العمر، على بعد 15 كيلومتراً شرق بلدة البصيرة وشمال الميادين؛ وحقل كونيكو (حقل كونيكو للغاز) وحقل

⁴⁹⁶ Abdullah Hanna, 'How the Syrians narrated the Armenian tragedy in 1915 and dealt with it' (Ar.) 496

<https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/print//revisions/2018/3/8/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%B1%D9%88%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D9%85%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%88%D8%AA%D8%B9%D8%A7%D9%85%D9%84%D9%88%D8%A7-%D9%85%D8%B9%D9%87%D8%A7>

⁴⁹⁷ Baalbaky and Mhidi, ص 26.

⁴⁹⁸ Ghassan Sheikh Khafaji, *Golden Biography: Deir ez-Zor, Bride of the Euphrates and the Syrian Jazeera* (Ar.) (House of the Raslan

Foundation for Printing, 2019), ص 320-321.

⁴⁹⁹ Baalbaky and Mhidi, ص 26.

⁵⁰⁰ المرجع نفسه.

⁵⁰¹ Ziad Awad, *Deir Al-Zor after Islamic State: Between Kurdish Self Administration and a Return of the Syrian Regime* (European University

Institute, March 2018) <https://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/52824/RPR_2018_02_Eng.pdf?sequence=4> شوهد في 21 آب /

أغسطس 2023.

⁵⁰² Baalbaky and Mhidi, ص 26.

⁵⁰³ <<https://www.ceicdata.com/en/indicator/syria/crude-oil-production>> CEIC, 'Syria Crude Oil: Production, 1960-2021' (n.d.) شوهد في 21

آب / أغسطس 2023.

التنك والورد والاصبع والتميم والجفرة، والطابية، والمحاش، والنیشان. وكانت المنطقة أيضًا موطنًا للمناجم، مثل منجم التبنّي للملح الصخري والذي يقع على بعد حوالي 40 كيلومترًا شمال مدينة دير الزور.

ولكن، مثل محافظتي الرقة والحسكة، رأت دمشق أن دير الزور هي في المقام الأول مورد للموارد الطبيعية. على الرغم من ثروتها النفطية واحتياطياتها الوفيرة من المياه العذبة، لم تشهد دير الزور أي استثمار في مشاريع تنمية واسعة النطاق؛ على سبيل المثال، تم تكرير النفط في مصافي بانياس وحمص القريبة من الساحل السوري.

ونتيجة لذلك، عاش معظم الناس في دير الزور حياة متواضعة وكادحة. وكانت هناك أنشطة صناعية متواضعة، خاصة في القطاع العام، تركز على إنتاج الأغذية وتصنيعها، ولكن الزراعة كانت المصدر الرئيسي لسبل العيش. ومع خصوبة الأراضي على جانبي نهر الفرات، كان القمح والقطن أكثر المحاصيل إنتاجية في المنطقة؛ كما قام البعض بزراعة السمسم والخضروات وبعض أشجار الفاكهة، بما في ذلك الزيتون والرمان، بينما كان البعض الآخر يربي الماشية. كما امتلكت المدينة قطاعًا متطورًا للحرف اليدوية وسمعة طيبة لتصاميمها الفريدة وعالية الجودة من الحرير والأقمشة المنسوجة والسيراميك والفخار والنحاس والمجوهرات والأثاث الخشبي.

قد يقول البعض إن السلطات تعتبر سكان شرق سوريا بدوًا متخلفين؛ في الواقع، إلى حين استقلال سورية، لم يكن لدى دير الزور سوى عدد قليل من المدارس ولم يكن لدى السكان سوى القليل من مصادر التعليم غير الكتب. ولم يذهب سوى القليل من المناصب السياسية -إن وجدت- إلى سكان دير الزور. أصبحت العلاقات مع دمشق ذات طابع أمني على نحو متزايد بعد استيلاء حافظ الأسد على السلطة في عام 1970. ورغم الافتقار إلى الاستثمار في البنية التحتية، تركزت قوة خاصة تابعة للجيش السوري في المحافظة لفرض الأمن ومنع أي "أنشطة إرهابية". فرض الدستور الجديد لعام 1973 تدريس الإيديولوجية البعثية في كل مستوى من مستويات التعليم، وتم تخصيص امتيازات خاصة لأعضاء الحزب، مثل الأولوية في عمليات القبول بالجامعات. وتبخرت التعددية السياسية، وقبل أي نشاط سياسي مستقل بالاعتقالات والقمع الشديد.

ومما زاد الطين بلة، أنه بعد سنوات من الجفاف في الثمانينيات، كان المزارعون في شرق البلاد يتجهون نحو الخراب. حيث بدأ الملح يتسرب إلى مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، بسبب استخدام طرق الري التقليدية والإسراف في ري المحاصيل. وأثبتت الحكومة عدم قدرتها على تقديم حلول فعالة لهذه المشكلة. وفي دير الزور، زادت هذه المخاوف الاقتصادية من المخاوف المتعلقة بتزايد القمع السياسي.

ظهرت جماعة الإخوان المسلمين، التي شهدت نموًا كبيرًا في سوريا وأماكن أخرى في الشرق الأوسط، في دير الزور في نفس الوقت تقريبًا. وسعت للاستفادة من السخط في المحافظة. اجتذب أعضاء الإخوان عددًا كبيرًا من الأتباع ولعبوا دورًا قياديًا في المظاهرات المناهضة للحكومة، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه سكان دير الزور. وفي عام 1982، خلال الانتفاضة المسلحة المرتبطة بالإخوان المسلمين في حماة، ردت الحكومة بحملة قمع عنيفة؛ وعلى الرغم من أن العنف لم يكن بنفس مستوى الشدة الذي حدث في حماة أو حتى منبج، فقد تم اعتقال أعضاء جماعة الإخوان المسلمين في دير الزور واختفوا في أرخبيل الاعتقال سيئ السمعة التابع للنظام. وهو ما وضع حدًا للحياة السياسية في المحافظة لعقود لاحقة.

أدت سياسة الأسد المتمثلة في إضعاف العلاقة بين أفراد العشائر وشيوخها لصالح علاقتهم بالدولة إلى خلق انشقاق داخل العشائر - بين شيوخ وأبناء العشائر.⁵⁰⁴ أدت الإصلاحات الليبرالية الجديدة التي أدخلها بعد نجل حافظ وخليفته بشار الأسد بعد عام 2000 إلى تفاقم هذه الانقسامات والتناقضات. وشهدت المحافظة بعض التطور: وفقًا للتقرير الوطني للتنمية البشرية الذي نشرته رئاسة مجلس الوزراء السوري عام 2007، بلغ عدد المدارس الآن 835 مدرسة، وانخفضت نسبة الأمية إلى 4.1 % فقط. ومع ذلك، استغرق الأمر حتى عام 2006 قبل إنشاء الجامعة الوحيدة في المنطقة - جامعة الفرات الممولة من الدولة.⁵⁰⁵ حصل 2.1 % فقط من سكان محافظة دير الزور والذين يبلغ عددهم حوالي مليون شخص

⁵⁰⁴ Baalbaky and Mhidi، ص 26-27.

⁵⁰⁵ المرجع نفسه، ص 27.

في تعداد عام 2004 على التعليم الجامعي.⁵⁰⁶ كانت الرعاية الصحية الأساسية متاحة، وكان هناك تسع مشافي عامة و21 مستشفى خاصاً؛ ومع ذلك، غالباً ما كانوا يفتقرون إلى الكادر وإلى الإمدادات.

دفعت الصعوبات الاقتصادية العديد من أبناء عشائر دير الزور إلى الهجرة إلى الخليج. وهناك، منحت الوظائف الجديدة والاستقرار المالي المهاجرين الاستقلال الاقتصادي خارج الهياكل القبلية. ظهرت طبقة جديدة من رجال الأعمال في دير الزور لمنافسة السلطات العشائرية التقليدية.⁵⁰⁷ وقد ظهرت هذه الانقسامات المتزايدة لاحقاً خلال الانتفاضات الشعبية في دير الزور بعد عام 2011.

التطور المهم الآخر الذي من شأنه أن يؤثر على الظروف المحلية في دير الزور في الفترة التي سبقت الانتفاضة والحرب السورية كان الغزو الأمريكي للعراق. وكان الأسد، الذي كان يخشى أن توسع الولايات المتحدة عملياتها إلى سوريا، قد قام بإرسال مقاتلين متطرفين إلى العراق.⁵⁰⁸ ولذلك، كانت دير الزور، الواقعة على الحدود مع العراق، بمثابة نقطة عبور مهمة، نشأ في المنطقة حضوراً سلفياً جهادياً قوياً. قام المقاتلون الذين عادوا بتنظيم خلايا متشددة لعبت لاحقاً دوراً في تشكيل جبهة النصرة، ومن ثم دخول داعش إلى المنطقة.⁵⁰⁹

وبالتأمل في الفترة التي سبقت اندلاع الحرب السورية، ربط سكان دير الزور هواجسهم بانعدام الحرية السياسية. "كان هناك تضيق على اللسان والعقل ولا أستطيع التحدث في أمور سياسية".⁵¹⁰

ومع ذلك، إذا نظرنا إلى الوراء، فإن الكثيرين افتقدوا الأمن والازدهار النسبيين في تلك الفترة مقارنة بما سيأتي بعد ذلك. "كانت الرواتب منخفضة، لكن الحياة كانت جيدة. قال أحد المعلمين في مدرسة حكومية قبل النزاع: "الرواتب كانت قليلة ومع ذلك كانت الحياة جيدة ومع ذلك كانت عائلتي بسيطة وفقيرة، الوضع الأمني كان مستقرًا".⁵¹¹

"أيام وجود النظام السوري"، أضاف أحد سكان دير الزور:

كانت الحياة بشكل عام مستقرة، كان دخل الموظف جيداً في تلك الفترة أي ما يعادل 450 دولار أمريكي باعتبار سوريا كانت مستقرة ولا توجد فيها أية مشاكل وكان هناك قيود على الحريات بشكل عام، الأشياء المحظورة كانت ... حرية التعبير كانت معدومة تحت سطوة الأفرع الأمنية.⁵¹²

انضم أهالي دير الزور أيضاً - مثل الكثيرين في جميع أنحاء سورية- إلى الانتفاضة على أمل في مستقبل أفضل، ولكن انتهى بهم الأمر إلى تجربة مدتها عقد من العنف والإرهاب بدلاً من ذلك.

الحرب في دير الزور

لا عجب أن تنضم دير الزور في وقت مبكر إلى الانتفاضة السوريّة. وقعت أول مظاهرة في مارس 2011، نفس الشهر الذي بدأت فيه الانتفاضة لأول مرة في درعا. بحلول نيسان / أبريل 2011، انضم العديد من سكان دير الزور إلى المظاهرات الوطنية التي تطالب بالتغيير السياسي. ردت الأجهزة الأمنية بعنف مفرط، باستخدام الرصاص الحي ردّاً على مظاهرة بدأت خارج استاد مدينة دير الزور.⁵¹³

⁵⁰⁶ Syrian Central Bureau of Statistics, 'Syria Population Census, 2004' (Ar.) (n.d.) <<https://web.archive.org/web/20151208115353/http://www.cbssyr.sy/General%20census/census%202004/pop-man.pdf>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁰⁷ Baalbaky and Mhidi, ص 27.

⁵⁰⁸ Peter Charles Lister, *The Syrian Jihad: Al-Qaeda, the Islamic State and the Evolution of an Insurgency* (2015) (مطبعة جامعة أكسفورد، 2015) Neumann, 'Suspects into Collaborators' مراجعة لندن للكتب (لندن، 3 نيسان/أبريل 2014).

⁵⁰⁹ Awad

⁵¹⁰ الإفادة الفردية رقم 83، الجلسة الجماعية المركزة رقم 2.

⁵¹¹ الإفادة الفردية رقم 110، الجلسة الجماعية المركزة رقم 4.

⁵¹² الإفادة الفردية رقم 19، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3.

⁵¹³ 'Damascus' 2011) نيسان/أبريل 2011) <https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/04/110415_syria_firday_demo> (شوهد في 21 أغسطس 2023). BBC Arabic, 'Syria: Security uses batons and teargas to prevent mass demonstration from reaching the centre of Damascus' (لندن، 15 نيسان/أبريل 2011).

وفقاً لدراسة مفصلة حول ديناميكيات العشيرة في شمال شرق سوريا بعد عام 2011، انضم بعض أبناء العشائر في دير الزور إلى الاحتجاجات المبكرة أو دعموها - مثل شيوخ قبيلتي البقارة والبو رحمة.⁵¹⁴ ومع ذلك، اتخذت معظم القبائل موقفاً أكثر براغماتية أو موقفاً ظاهري مؤيد للنظام في البداية. وقام الأسد بحشد شيوخ العشائر والوجهاء الموالين للنظام لحشد الدعم.⁵¹⁵ كما وعد النظام بالإصلاح السياسي إذا امتنعت العشائر عن الاحتجاج. ونتيجة لذلك، بقي معظم شيوخ العشائر على الحياد أو موالين للحكومة؛ وبحسب ما ورد قامت بعض العشائر بتزويد الموالين للنظام بالسلاح، مثل قبيلة الحسن في البوكمال.⁵¹⁶

سيطرت القوات الحكومية والمليشيات الموالية للحكومة بشكل كامل على مدينة دير الزور منذ صيف 2011، وسعت إلى قمع المتظاهرين بالقوة المفرطة، مما أسفر عن مقتل 20 شخصاً على الأقل في آب/ أغسطس من ذلك العام وحده.⁵¹⁷ أدى هذا إلى تسريع عملية العسكرية. وعلى مدى الأشهر التالية، ظهرت عدة كتائب في المنطقة، بما في ذلك كتائب أحفاد الرسول، التي اعتمدت بشكل كبير على الدعم المالي من الخليج، وبالتالي كانت قادرة على العمل بشكل مستقل عن الشبكات القبلية.⁵¹⁸ ودارت معارك ضارية مع القوات الحكومية التي فقدت السيطرة على المدينة باستثناء مطار قريب بالإضافة إلى بعض الأحياء.

بحلول آب أغسطس 2012، ومع تركيز الأسد على حلب، فقدت الحكومة السورية تدريجياً سيطرتها على مدينة دير الزور والريف المحيط لصالح الجيش الحر والمقاتلين المرتبطين بتنظيم القاعدة الذين قدموا من العراق.⁵¹⁹ كان أحد القادة البارزين في دير الزور في ذلك الوقت هو إسماعيل العبدالله، المعروف لاحقاً باسم أبو إسحاق، الذي انشق عن الجيش السوري وأصبح قائداً في لواء الأحوازي.⁵²⁰ كما شكلت عملية انشقاق رئيس وزراء الأسد رياض فريد حجاب وسفيره في العراق نواف الفارس، اللذين كانا لديهما صلات بقبائل دير الزور، ضربة أخرى للنظام.⁵²¹

على الرغم من سيطرته على جزء كبير من مدينة دير الزور وريفها، فشل الجيش السوري الحر في بناء هيكل عسكري قوي بما يكفي لردع الهجمات على المستوى المحلي. تلا ذلك حالة من الفوضى. وأنشأت العشائر مجموعات مسلحة خاصة بها.⁵²² وتعطلت الخدمات العامة إلى حد كبير، إما بسبب القتال أو بسبب قطع دمشق سبل الوصول إليها.⁵²³ كما استولت العشائر على آبار النفط: فقد استولت عشيرة الشعيطات على حقل التتاك النفطي، على سبيل المثال، وسيطرت قبيلة البكير على حقل كونيكو، إلى جانب أفراد من عشيرة البوجامل.⁵²⁴ عملت بعض القبائل مع جبهة النصرة على الاستيلاء على آبار النفط مقابل منح النصرة حصصاً من الأرباح. ومن الأمثلة البارزة على ذلك عشيرة البوجامل التي استولت على آبار النفط في الشحيل وكذلك حقل العمر النفطي بمساعدة جبهة النصرة.⁵²⁵

تأثر كثيرون من سكان دير الزور بالتغيرات الجذرية. قال أحد الرجال: " هنالك دخلت فصائل كثيرة، وكل فصيل يريد تحقيق مصلحته"، أضاف رجل:

⁵¹⁴ Baalbaky and Mhidi، ص 27.

⁵¹⁵ المرجع نفسه.

⁵¹⁶ المرجع نفسه.

⁵¹⁷ Al Jazeera English، "Dozens dead" in Syria after Friday protests (قطر، 13 آب/أغسطس 2011)

⁵¹⁸ <<https://www.aljazeera.com/news/2011/8/13/dozens-dead-in-syria-after-friday-protests>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023

⁵¹⁹ Baalbaky and Mhidi، ص 28.

⁵²⁰ Khaled Yacoub Oweis، 'Assad's Aleppo focus allows rebel gains in Syria's east' (14 آب / أغسطس 2012)

⁵²¹ <<https://www.reuters.com/article/us-syria-crisis-east-idUSBRE87D00H20120814>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵²² Shelly Kittleston، 'The Changeling of Deir ez-Zor' مجلة New Lines (18 كانون الأول / ديسمبر 2020) <<https://newlinesmag.com/reportage/the-changeling-of-deir-ez-zor/>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵²³ Damien Cave and Dalal Mawad، 'Prime Minister's Defection in the Dark Jolts Syrians' (مدينة نيويورك تايمز (مدينة نيويورك، 6 آب/أغسطس 2012).

⁵²⁴ <<https://www.nytimes.com/2012/08/07/world/middleeast/syrian-state-tv-reportedly-attacked-as-propaganda-war-unfolds.html>> Martin

⁵²⁵ Chulov، 'Syria's ambassador to Iraq defects in major blow to regime' The Guardian (لندن، 11 تموز / يوليو 2012)

⁵²⁶ Awad

⁵²⁷ Baalbaky and Mhidi، ص 28.

⁵²⁸ المرجع نفسه.

⁵²⁹ المرجع نفسه.

وظهر النهب والسلب، وأصبحنا نفتقر للأمن والأمان، وأصبح الوضع الاقتصادي مترديًا جدًا، بالنسبة للزراعة لم يعد البذار متوفرًا.

الأمن والأمان فقدناه وأصبحت هناك عصابات مسلحة، كل عصابة تريد لنفسها، وأصبح الوضع الاقتصادي سيئًا، بالنسبة للوضع الصحي لم تعد تتوفر المستوصفات والمشافي، وليس فيها أدوية، وأغلب الأطباء ذهبوا إلى خارج القطر، وأصبح الوضع مترديًا بسبب الفوضى العارمة.⁵²⁶

مع ذلك، وجد السكان في مناطق أخرى الوضع أكثر تحملاً. قال أحد أبناء العشائر: "أوضاعنا كانت في منطقة هجين أيام "الجيش الحر" ميسورة حيث أن هذه الفصائل تم تشكيلها من أبناء المنطقة كوننا منطقة عشائرية حيث أن هذه الفصائل حاولت عدم التدخل بخصوصيات الناس."⁵²⁷

بحلول نهاية عام 2012، انسحبت القوات الحكومية من معظم مناطق دير الزور، على الرغم من أن المدينة ظلت مقسمة بين مناطق يسيطر عليها النظام وأخرى تسيطر عليها المعارضة. كان قد تم تدمير جسر المدينة العلقة بواسطة قذائف النظام، وظل هناك جسر واحد فقط، يُطلق عليه السكان "جسر الموت"، لربط الجانبين.⁵²⁸ مثلما هو الحال في أماكن أخرى في سوريا، أصبحت فصائل دير الزور المعارضة تدريجيًا تحت سيطرة قوى إسلامية بدعم من دول الخليج. تلت ذلك فظائع طائفية: ففي 10 يونيو/حزيران 2013، قُتل 60 رجلاً وامرأة وطفلاً شيعيًا، من بينهم ما لا يقل عن 30 مدنيًا، في بلدة حطلة في شمال شرق دير الزور.⁵²⁹ وبعد ذلك، رفعوا العلم الأسود واحتفلوا.

وصول داعش

في محاولتها لتأمين المحافظة، شكلت جبهة النصر مجلس شورى المجاهدين، مقره في بلدة الشحيل في شرق دير الزور. شمل تشكيل هذا المجلس العديد من الفصائل، بما في ذلك لواء الإخلاص، ولواء المطاع (من عشيرة الشحيل)، ولواء ابن القائم (من عشيرة الشيعيات)، ولواء القعقاع الإسلامي.⁵³⁰ عندما انفصلت النصر عن داعش في أبريل 2013، انضم العديد من المقاتلين الأجانب في النصر إلى صفوف داعش؛ وهو ما أدى بدوره إلى انضمام العشائر المحلية إلى النصر، نظرًا لوجود "مراكز ويجب تعبئتها".⁵³¹

حتى ذلك الحين، كان داعش قد قاتل جنبًا إلى جنب مع باقي مجموعات المعارضة في معارك مطار دير الزور والمربع الأمني في المدينة، مما سمح لها بتأسيس وجود تدريجي في المنطقة. ومع ذلك، أصبحت المجموعة تسعى إلى السيطرة على المحافظة بأكملها. استفادت من التعاطف الديني للمجتمعات المحلية، لكنها كانت أيضًا قادرة على دفع رواتب مرتفعة، مما جعلها جاذبة للسكان الذين وقعوا بسرعة في فقر مدقع.

تمكن داعش بنجاح من اللعب بالسياسات العشائرية ضد النصر، التي كان يُعتقد أنها تتعاون بشكل وثيق مع قبيلة البو كامل.⁵³² بحلول أيلول / سبتمبر 2013، كانت داعش قوية بما فيه الكفاية لتنشئ هجومًا هائلًا على ألوية أحفاد الرسول، هزمهم بسرعة، واستولى على أسلحتهم ملزمة بقيادتهم بالتحالف معهم.⁵³³ حاولت النصر، بالتعاون مع أحرار الشام وأفراد من عشيرة الشيعيات، السيطرة على حقل كونيكو من عشيرة العكيدات والتي بدورها سعت إلى الحصول على دعم من داعش لصد الهجوم.⁵³⁴

⁵²⁶ الإفادة الفردية رقم 11، الجلسة الجماعية المركزة رقم 5.

⁵²⁷ الإفادة الفردية رقم 19، الجلسة الجماعية المركزة رقم 3.

⁵²⁸ Ahmad Khalil, 'Crossing the Bridge of Death in Deir Ezzor' سيريا دييلي (15 تشرين الثاني/نوفمبر 2013).

⁵²⁹ <https://deeply.thenewhumanitarian.org/syria/articles/2013/11/15/crossing-the-bridge-of-death-in-deir-ezzor> شوهد في 21 آب / أغسطس

2023.

⁵³⁰ Fernande van Tets, 'Syria: 60 Shia Muslims massacred in rebel "cleansing" of Hatla' صحيفة الإندبندنت (لندن، 13 حزيران/يونيه 2013).
<<https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/syria-60-shia-muslims-massacred-in-rebel-cleansing-of-hatla-8656301.html>>

شوهد في 21 آب / أغسطس 2023

⁵³¹ Baalbaky and Mhidi, ص 28.

⁵³² المرجع نفسه، ص 29.

⁵³³ Awad.

⁵³⁴ Baalbaky and Mhidi, ص 31.

⁵³⁵ المرجع نفسه.

انسحب داعش إلى بلدة الشدادي في الحسكة، حيث أسس قاعدة عمليات تحت قيادة أبو عمر الشيشاني، الذي أصبح فيما بعد "وزير حرب" داعش السوء السمعة. بينما كان داعش يخطط لعمليات أخرى ضد النصر في دير الزور، قام ببناء تحالفات مع العشائر التي كانت تعارض النصر، مثل عشيرة القرعان (الكرعان)، التي كانت تحمل ضغينة تجاه النصر بعد هجماتها على آبار النفط.⁵³⁵ ومع ذلك، عانى داعش من خسائر متنوعة: نجحت النصر وحلفاءها في السيطرة على حقل كونيكو للغاز وأجزاء من منطقة جديد عكيدات بحلول شباط / فبراير 2014، كان داعش على وشك أن يكون قد تم طرده تمامًا من دير الزور.

سقوط الشحيل

في نهاية المطاف، خلال الأشهر التالية، نجح داعش في التغلب على النصر وحلفائها. كانت هناك معارك عنيفة بين النصر وداعش على سبيل المثال في بلدة البوكمال على الحدود. في نيسان / إبريل 2014، قتل 68 شخصًا في اشتباكات، كان العديد منهم من النصر وحلفائها.⁵³⁶ قام داعش بتقليص وجود النصر بشكل تدريجي: أولاً في الريف الغربي والشمالي لدير الزور قبل أن يستخدم القوة المسلحة التي اقتناها في الموصل ففي بداية حزيران / يونيو 2014 أرسل قافلة عسكرية من العراق عبر الحدود إلى البوكمال⁵³⁷. شنت هذه القوة هجومًا بشكل عشوائي ونصبت قناصين في المباني العالية، مما أسفر عن قتل مقاتلين ومدنيين في الشوارع. استمرت المعركة لثلاثة أيام، مما أسفر عن مقتل أكثر من 85 مدنيًا، بما في ذلك نساء وأطفال. سقطت البوكمال بيد داعش، التي تقدمت بعد ذلك باتجاه الشحيل.⁵³⁸

كانت الشحيل مهمة من الناحيتين الاستراتيجية والرمزية. كانت النصر قد أسست مقر قيادتها في المدينة، ولكنها كانت أيضًا مسقط رأس أبو مريم القحطاني، الرجل الثاني في جبهة النصر. في وقت ما، كانت هناك شائعات حتى أنها مسقط رأس زعيم النصر، أبو محمد الجولاني⁵³⁹. حاصر داعش الشحيل بقيادة الشيشاني وقصف المدينة بالمدفعية الثقيلة المثبتة في بلدة البصرة القريبة. استمر القصف لمدة أربعة أيام، قتل خلالها ما لا يقل عن 18 شخصًا وأصيب أكثر من 60 آخرين، جميعهم كانوا من المدنيين.

بعد عدة أيام، بدأ مقاتلون مرتبطون بالنصرة داخل المدينة ينفذون من الذخيرة. لم يتلقوا أي مساعدة خارجية، على الرغم من إصدارهم العديد من نداءات النجدة، ولم يترك لهم أي خيار سوى السعي إلى اتفاق مع داعش. في مقابل وقف إطلاق النار، طالب داعش المقاتلين في المدينة بمبايعته. كما وافق على عدم دخول مقاتليه المدينة وعدم نزوح السكان والسماح لمقاتلي المدينة بالاحتفاظ بأسلحتهم. في اليوم التالي، قام داعش بتغيير شروطه، مطالبًا بأن بمغادرة جميع السكان وأن يسلم المقاتلون المتبقون أسلحتهم. رفضت جبهة النصر وجيش الإسلام، بالإضافة إلى الفصائل الأخرى تحت مجلس شورى المجاهدين، ذلك، اختاروا بدلًا من ذلك الانسحاب أولاً إلى الميادين ومن ثم إلى منطقة القلمون الجبلية غرب دمشق وإلى جنوب سوريا في درعا؛ انتقلت الفصائل المعارضة شمالًا. ونتيجة لذلك، سيطر داعش في منتصف تموز / يوليو 2014 على معظم مناطق دير الزور باستثناء نصف مدينة دير الزور الذي بقي تحت سيطرة القوات الموالية للنظام.⁵⁴⁰

أثرت السياسة العشائرية في دير الزور على كيفية تحكم داعش في المدن التي أصبحت تحت سيطرتها. كان والي دير الزور لدى داعش هو عامر الرفدان، من عائلة الرفدان التابعة لعشيرة البكير في منطقة جديد عكيدات. منذ أن طردت النصر وعشيرة البوجامل المتحالفة معها عائلة ردفان عندما سيطر داعش على الشحيل، رأى ردفان فرصة للانتقام، فأصدر قرارًا بتهجير أهالي الشحيل المنتمين إلى عشيرة البوجامل لمدة عشرة أيام⁵⁴¹. تم تهجير نحو 30,000 شخص،

⁵³⁵ المرجع نفسه.

⁵³⁶ Saad Abedine and Jason Hanna, '68 killed as Islamist groups fight each other in Syria, group says' (11 نيسان / أبريل 2014) <<https://edition.cnn.com/2014/04/11/world/meast/syria-civil-war/>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵³⁷ Karen Leigh, 'As ISIS Advances in Eastern Syria, Jabhat al-Nusra Faces Loss of Control' (16 تموز / يوليو 2014) <<https://deeply.thenewhumanitarian.org/syria/articles/2014/07/16/as-isis-advances-in-eastern-syria-jabhat-al-nusra-faces-loss-of-control>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵³⁸ Barbara Surk, 'Jihadi group captures Syrian border town' (1 تموز / يوليو 2014). <<https://apnews.com/b2a2352009394ed4a0d5c5dbf93941a2>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵³⁹ المرجع نفسه.

⁵⁴⁰ Alexander Dziadosz and Tom Perry, 'Islamic State expels rivals from Syria's Deir al-Zor – activists' (14 تموز / يوليو 2014) <<https://www.reuters.com/article/uk-syria-crisis-east-idAFKBN0FJ1I020140714>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁴¹ Baalbaky and Mhidi, ص 34.

وفقاً للمرصد السوري لحقوق الإنسان الذي يتخذ من المملكة المتحدة مقراً له،⁵⁴² ولم يُسمح لهم بالعودة إلا بعد أن أعلنوا "توبتهم".⁵⁴³

"خذ هذا رأس ابنك المرتد": مجزرة عشيرة الشعيطات

تضم عشيرة الشعيطات سكان بلدة أبو حمام والقرى القريبة من الكشكشة وغرانيج، هي فرع من قبيلة العكيدات التي تمتد أراضيها عميقاً في العراق. مع توسع "داعش" عبر دير الزور، اتحدت الشعيطات مع النصر، وقامت بتقديم مقاومة شرسة ضد "داعش".

عندما تم طرد جبهة النصر من دير الزور، أصبحت الشعيطات على الجانب الخاسر وكانت في وضع محفوف بالمخاطر. وعلى الرغم من أن داعش قدم وعوداً عديدة بالعفو عن العشائر في جميع أنحاء دير الزور في هذه الفترة، إلا أن الاتفاق المبرم بشأن الشحيل وعودة السكان بعد توبتهم لم يشمل قبيلة الشعيطات. ومع ذلك -في البداية- تفاوض شيوخ العشائر مع داعش على تسليم مقاتليهم أسلحتهم مقابل الخضوع لدورات شرعية وجلسات "التوبة".⁵⁴⁴ وبحسب عمر أبو ليلى، الناشط والمتحدث السابق باسم الجيش السوري الحر في شرق سوريا، فإن الاتفاق شمل أيضاً آبار النفط. وفي كلتا الحالتين، لم يكن داعش ينوي أبداً احترامها.⁵⁴⁵

بعد بعض المواجهات الأولية الصغيرة بين داعش والشعيطات، وصلت الأمور إلى ذروتها في آب / أغسطس 2014. داهمت دورية تابعة لداعش منزلاً في أبو حمام - وهو ما لم يُسمح لهم بفعله بموجب الاتفاق - وقتلت الرجل الذي كانوا يبحثون عنه.⁵⁴⁶ رداً على ذلك قام عناصر من عشيرة الشعيطات من أبو حمام بقتل عدد من المقاتلين الأجانب وإحراق المقرات المحلية لداعش.⁵⁴⁷ تحدث أحد الشهود عما حدث بما يلي:

إحدى دوريات التنظيم بمداهمة أحد البيوت في المنطقة وكانت هذه الدورية تابعة لكتيبة "البتار الليبي" داهمت هذه الدورية بعض المنازل في المنطقة حيث قامت هذه الدورية بقتل ثلاثة أشخاص ذبحاً بالسكين، وعلى أثره انطلقت حرب بين الطرفين انتهت بقتل عناصر التنظيم الموجودين في المنطقة في مقراتهم. هنا انسحب التنظيم من مناطقنا وجميع المناطق المجاورة ليعود ويضرب من جديد بقوة وبالفعل عاد هذا التنظيم بأرتال مدججة بالسلاح والعناصر ودارت المعركة وخسر التنظيم خسائر كبيرة ويعود ذلك السبب لخبرة بعض المقاتلين من الفصائل والطبيعة الجغرافية ومعرفة هؤلاء المقاتلين بالطبيعة وهذا ما جعل التنظيم يغضب أكثر فأكثر جاءت مساندات كثيرة من عدة مناطق وحضور بعض زعمائه من أجل الإشراف على المعركة.⁵⁴⁸

رد داعش باعتقال ومن ثم قتل 50 من أبناء عشيرة الشعيطات العاملين في حقل التنك النفطي. تم دفن جثثهم في مقبرة جماعية، وفقاً لأبو ليلى.⁵⁴⁹ أدى هذا الحادث إلى تحول مئات من أبناء الشعيطات إلى حمل السلاح ضد داعش. قاموا بقتل العديد من عناصر داعش وحرقوا مقراته في كل من سويدان الجزيرة والطيانة. رد داعش على الانتفاضة بقوة مفرطة وتعامل باستهتار مع العشيرة المتمردة. وقد روى أحد أبناء عشيرة الشعيطات كيف قتل داعش إخوته خلال الاشتباكات:

⁵⁴² Al-Arabiya News, 'NGO: ISIS expels thousands in east Syria' (6 تموز/يوليو 2014) <<https://english.alarabiya.net/News/middle-east/2014/07/06/NGO-ISIS-expels-thousands-in-east-Syria>>

⁵⁴³ Omar Abu Layla, 'Daesh's Forgotten Massacre in Deir al-Zour' (معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 24 تشرين الأول/أكتوبر 2022) <<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/daeshs-forgotten-massacre-deir-al-zour>>

⁵⁴⁴ مقابلات مع أبناء عشيرة الشعيطات، نيسان / أبريل وأيار / مايو 2023.

⁵⁴⁵ أبو ليلى.

⁵⁴⁶ Baalbaky and Mhidi، ص 34.

⁵⁴⁷ المرجع نفسه

⁵⁴⁸ الإفادة الفردية رقم 183.

⁵⁴⁹ أبو ليلى.

أخبروني أنه يوجد شابان مقتولان على مسافة قريبة من منزلنا، وعندها ركضت بدون وعي وعند وصولي رأيت أنهم مذبحون والدماء تسيل منهم، هنا لم أعد أستطيع أن اتمالك نفسي فقامت بالصراخ: "لقد قتلوا اثنين من إخوتي."

وأتوقع أن أخي (ي) قد قتل قبل أخي (أ) لأنني رأيت رأسه مفصولاً بعيداً عن جسده، ووجدت رؤوسهم مقطوعة، قمت بالصراخ وناديت إخوتي ولكن لا حول ولا قوة. أخي الثالث ركض إلى المنزل وجلب معه بندقية وبدأ يركض ويرمي الرصاص على مقر العناصر الشيشانيين الذين قاموا بالرد عليه بالرصاص، حاولت أن أناديه وقلت له "عد سوف يقومون بقتلك مثل ما قتلوا إخوتك" ما هي إلا دقائق حتى أصيب أخي بخمس طلقات من مقرهم، وأنا لم أستطع أن أكمل خوفاً. كان ممنوعاً حمل الجثث من مكانها لكنني حملت إخوتي إلى المنزل وعندما وصلت بدأت عائلتي وأطفالي بالصراخ من هول هذا المنظر.⁵⁵⁰

باستخدام فتوى، قام داعش بتصنيف عشيرة الشيعيات بأنها "جماعة ترفض الانصياع للحكم الإسلامي بالسلاح"، معلنةً أنه:

لا يجوز عقد هدنة معهم ولا إطلاق سراح أسراهم لا بالمال ولا بأي وسيلة أخرى. ولا يجوز تناول لحوم الحيوانات التي يذبحونها، ولا يجوز لأحد أن يتزوج نساءهم. ويُسمح بقتل أسراهم ومطاردة كل من يهرب منهم وقتلهم. كما يسمح بقتل المصابين من بينهم، ويجب مقاتلتهم، حتى لو لم يبدأوا القتال.⁵⁵¹

جلب داعش تعزيزات إلى صفوفه بقوات إضافية من الحسكة، وفي الخامس من آب / أغسطس، فرض حصار على أبو حمam. وذكر أحد أبناء عشيرة الشيعيات الذي عاش هذه التجربة ما حدث بعد ذلك:

بعد حوالي 15 يوم من المعارك سيطرة هذا التنظيم على المنطقة ويعود ذلك للحصار الخانق على المنطقة ونفاذ الذخيرة وقلة الأدوية والجرحى عدا عن ذلك القصف العشوائي على المناطق السكنية سيطر التنظيم بعدها بعد خروج المقاتلين منها وبدأ مسلسل القتل والتجهيز القسري والذبح بالرغم من وعود التنظيم بعدم التعرض إلا للذين قاتلوه كان الكلام عار عن الصحة فهم لم يقتلوا سواء المدنية العزل.

أنا وعائلتي ذهبنا باتجاه مدينة الشعفة وهناك جلسنا في مدرسة في شارع الأربعة وعشرين في تلك المنطقة نحن وإخوتي والناس الذين نزلوا معنا وقد تفاجأنا بقدوم دورية كبيرة قد طوقت المدرسة بالكامل ودخل قسم من العناصر إلى المدرسة وكان أبي موجود معنا.

هنا فقاموا بجمع الأطفال والنساء بقوه السلاح في باحة المدرسة وتقدم أحد العناصر وكان صغير في السن فقام هذا العنصر بالإمساك بأحد إخوتي ... فقام بضربه أمام النساء والأطفال وجعله يجثوا على ركبتيه ثم أخرج سكيناً من جعبته وذبح أخي أمام أبي والنساء والأطفال وقد وقعت الحادثة بتاريخ 2014/8/13 حوالي الساعة 7:00 أو 8:00 صباحاً.

بحيث أن هذا العنصر وبعد قطع رأس أخي وقام يقول "الله اكبر" وقام بإلقائه أمام أبي قال له "خذ هذا رأس ابنك المرتد."

بدأ الأطفال بالصراخ والنساء بالبكاء من هول ما شاهدوه أما أبي فقد بقي صامتاً لم يتكلم ولو بكلمة واحدة.

ثم بعدها قامت الدورية باعتقال إخوتي وأبناء إخوتي أما أنا فقد استطعت الهروب من خلال القفز من السيارة وركضوا خلفي عناصر داعش واختبأت خلف البيوت كان يوجد بيوت خارج المدرسة.⁵⁵²

⁵⁵⁰ الإفادة الفردية رقم 78.

⁵⁵¹ اقتباسات من أبو ليلى، "مجزرة داعش المنسية".

⁵⁵² الإفادة الفردية رقم 183.

استخدم داعش المدافع الثقيلة والقنابل التي يتم تفجيرها عن بعد، والمهاجمين الانتحاريين في هجومه على بلدات الشيعيات. كما أطلق العنان لبعض مقاتليه الأكثر تشددًا وإثارة للخوف ضد المنطقة بعد أن فشلت قواته المنحدرة من السكان المحليين في السيطرة عليها⁵⁵³. عندما دخل مقاتلو داعش إلى بلدة أبو حمام، وكذلك قريتي غرانيج والكشكية، فر السكان ولم يأخذوا معهم سوى الملابس التي كانوا يرتدونها. أعلن داعش عبر مكبرات الصوت في المساجد أنها ستضمن مرورًا آمنًا للمدنيين، ولكن هذا كان كمينًا، حيث تم قتل الذين فروا إلى حواجز داعش⁵⁵⁴. تم قتل الرجال البالغين الذين بقوا عندما تمكن داعش من السيطرة. وفقًا لأحد الناجين، في 15 آب / أغسطس، "تم قتل أكثر من مئتي شخص" في الصحراء، حيث تم تشويه جثثهم⁵⁵⁵. وتعرض كثيرون آخرون للحرق أو الصلب أو الشنق. تم اعتقال النساء كـ "غنائم الحرب"⁵⁵⁶.

في ظل هذا العنف، قدمت مجزرة الشيعيات أيضًا فرصة لتسوية النزاعات القديمة بين العشائر. قام سكان محافظة الموحسن، التابعة لعشيرة البو خابور، الذين بايعوا داعش، بتعذيب سكان قرى الشيعيات واستولوا على ممتلكاتهم بعد أن أصدر داعش قرارًا بنفي أبناء الشيعيات⁵⁵⁷. كان الهجوم رد فعل على هجوم سابق قام به الشيعيات ضد عشائر الموحسن. وكانت هذه الصراعات القبلية الداخلية سمة متكررة لعنف داعش في دير الزور.

استمر داعش في تطهير أعضاء الشيعيات لعدة أشهر، أقام حواجز حول المنطقة. وعانت عشيرة الشيعيات من العنف حتى بعد عودتهم النهائية إلى منازلهم، كما وصف أحد الضحايا:

في غرانيج كانت أغلب الحيوانات قد ماتت بسبب قلة المياه، وكانت هناك جثث كثيرة في الطريق وفي المنازل، وبعض الخنادق.

وكانت هناك مقابر جماعية مقبرة تحتوي 30 جثة وأخرى تحتوي على 40 وثانية 70 وأخرى حوالي 100 شخص مقتولين وفي حاوية (البرية) غرانيج وأبو حمام وفي المنازل كانت توجد جثث كثيرة أكثر الجثث لم يتعرف أحد عليها لأنها كانت متفسخة ومأكولة من الحيوانات⁵⁵⁸.

بعد اكتشاف عدة مقابر جماعية، أشارت تقديرات المصادر إلى أن أكثر من 900 شخص قتلوا في عدة أحداث تصفية جماعية⁵⁵⁹. تقديرات بعض المصادر وصلت إلى أن هذا الرقم يعادل هجوم داعش على كوباني وقتله للمسيحيين بشكل جماعي وهجومه على قاعدة سبايكر في العراق، وقتله لأفراد الطائفة الإيزيدية في سنجار. في حوادث لاحقة، أظهر داعش استمرار كراهيته لأبناء عشيرة الشيعيات: في أيار / مايو 2015، تم قتل مراهق من عشيرة الشيعيات، اتهم بقتل أعضاء في داعش، بواسطة قاذفة البازوكا⁵⁶⁰.

"حتى إذا وجدتموه لا يسمح لكم بدفنه في مقابر المسلمين": إعدامات علنية

بعد سيطرة داعش على محافظة دير الزور، توالى موجات الإعدام. وفي تموز / يوليو 2014، نفذ تنظيم داعش عشرات عمليات الإعدام في الميادين؛ يتذكر السكان رؤية 30 إلى 40 جثة معلقة في دوار البلعوم⁵⁶¹. وفي الواقع، فإن مدينة الميادين شهدت بعدها أعمال عنف وقتل متواصلة خلال حكم داعش. احتلها داعش بين الميادين بين عامي 2014 و2017 وأعاد تسميتها إلى "عاصمة" محافظة "الخير" التابعة له. كما استخدم تنظيم داعش المدينة كمعسكر تدريب ونقطة تجمع

⁵⁵³ مقابلات مع أبناء عشيرة الشيعيات، نيسان / أبريل وأيار / مايو 2023.

⁵⁵⁴ المرجع نفسه.

⁵⁵⁵ Massar, 'Al-Shaitat massacre, as narrated by one survivor' (8 December 2021) <<https://massarfamilies.com/al-shaitat-massacre-as-narrated-by-one-survivor/?lang=en>> accessed 21 August 2023.

⁵⁵⁶ مقابلات مع أبناء عشيرة الشيعيات، نيسان / أبريل وأيار / مايو 2023.

⁵⁵⁷ Baalbaky and Mhidi, ص 34.

⁵⁵⁸ الإفادة الفردية رقم 89.

⁵⁵⁹ BBC, 'Syria conflict: 230 bodies "found in mass grave" in Deir al-Zour' (17 كانون الأول/ديسمبر 2014).

<<https://www.bbc.com/news/world-middle-east-30515483>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁶⁰ Gianluca Mezzofiore and Arij Limam, 'Syria: Isis executes al-Sheitaat tribe teenager with bazooka in Deir al-Zour' *International Business Times* (21 مايو 2015) <<https://www.ibtimes.co.uk/syria-isis-kills-shaitat-tribe-teen-bazooka-deir-al-zour-1502356>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁶¹ United Nations Human Rights Council (UNHRC), '9th Report of the Independent International Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic' A/HRC/28/69 (5 شباط/فبراير 2015)، المرفق 2، الفقرة 75.

لمقاتليه، بالإضافة إلى مكان لتخزين الأسلحة والمتفجرات. خلال هذه الفترة، قُتل تنظيم داعش العديد من المدنيين، بينهم أطفال⁵⁶².

في بعض الحالات، حاول داعش إشراك الأطفال في تنفيذ عمليات الإعدام، كما شهد أحد الرجال أثناء احتجازه من قبل التنظيم:

بعد ثلاثة أيام نزل علينا بعض الأمنيين وقاموا بتعصيب عيني وربط يدي وأنا هنا لم اعد أتمالك نفسي، فقال: "نحن ذاهبون إلى القصاص"
قلت: "حسبي الله ونعم الوكيل."
قاموا بأخذنا إلى حافلة حسب ما سمعت وسار بنا قرابة خمس ساعات واختلفت عليّ الأصوات إلى أن وصلنا المكان المقصود.

نزلنا من الباص فقاموا بالكشف عن عيوننا وكان المكان فيه أشجار كثيرة ومسوّراً بالكامل، أعتقد أنه على الحدود العراقية أو تركيا لأن السواتر الترابية كانت ظاهرة لنا، ودخلنا بناءً مؤلفاً من طابقين. وأثناء التواجد اكتشفنا أن المعتقلين الذين معنا أشخاص من الجيش الحر وأشخاص من جبهة نصره وأشخاص متهمين بقتال داعش.
ونحن كان حضورنا إلى هذا المكان بسبب غلط من العناصر ونحن علينا دورة استنابة فقط.
كان (هناك) أطفال 5 أو 6 أطفال.

خاطب (مقاتل من داعش) الجميع على الباب "أنتم سوف تدخلون الإسلام من جديد". وأعطونا ساعة استراحة وعليك أن تستحموا، وأعطونا لباساً باكستانياً لبسناه وخرجنا.
وكان شخص عراقي (أبو المنتصر) هو القائم على أعمال الدورة، فقام بإلقاء محاضرة علينا أننا كنا ديار كفروا أصبحت الآن دياراً إسلامية وتعاليم بالشريعة الإسلامية وعليكم دخول الإسلام من جديد.

استمرينا على هذا الحال لمدة 15 يوم بعدها قدم "أبو المنتصر العراقي" فقام بالتكبير (الله أكبر الله أكبر) تم تحرير مدينة دير الزور، تم دحر النصيرية والاستيلاء على الجبل وبايعوا دولة الإسلام. أشخاص من الموجودين تأثروا كثيراً وقال عليكم أن تبايعوا التنظيم.
أشخاص منهم كان لديهم جهل وتم خروج خمس أشخاص وبايعوا داعش.
قلت له: "يا شيخ أنا اهلي لا يعرفون عني شيء ولا أستطيع أن أبايع وأنا غير مستعد". وتم خروج الخمسة أشخاص فقط وبعد يومين تم إحضار 5 عساكر من مطار الطبقة وطلبوا منا أن ننفذ فيهم حكم القصاص ووقع الاختيار عليّ أنا وشخص ثانٍ وأحد الأطفال الذين كانوا معنا.
... أحضروا سيقاً ووضعوه على الطاولة، قدم أول شخص وقام بقراءة بعض الآيات ويقول: "نفذ" وأنا لا أستطيع حمل السيف من الخوف.
فقام "أبو المنتصر" بضربي برجله بقوة فأغمي عليّ وتم قص أحد العساكر من قبل شخص آخر.

والطفل لم يستطع أن يفعلها فقام بالبكاء، لا يستطيع القتل فقام "أبو المنتصر" بحضن الطفل ومسك يديه وقام بقطع رأس العسكري هنا الطفل فقد النطق ولم يعد يستطيع التكلم فقد أجبروه على فعل لا يريده، وعيناه من كثرة البكاء أصبحت حمراء.
وقاموا بتنظيف الساحة من الجثث وأدخلونا إلى الداخل، وعاد يعطي محاضرات وأن قلوبكم فيها كفر ولا تستطيعون تنفيذ الحكم الإسلامي.

وبقينا على هذه الحال حوالي 40 يوم لكن دون فائدة منا، نحن عيوننا على الطفل الذي لم يعد يستطيع الكلام كنت أعتني به لأنه لا يأكل ولا يشرب.⁵⁶³

⁵⁶² مقابلات مع سكان مدينة الميادين، نيسان /أبريل و أيار / مايو 2023.
⁵⁶³ الإفادة الفردية رقم 129.

ظهرت في وقت لاحق مقاطع فيديو أخرى على الإنترنت لإعدامات تم تنفيذها بواسطة أطفال في دير الزور، بتوجيه من داعش.⁵⁶⁴

تم منع عائلات الضحايا من دفن أمواتهم، لمدة تصل في بعض الأحيان إلى ثلاثة أيام ونادراً ما كان داعش يميز بين الشيوخ والشبان، أو بين الرجال والنساء، وكان من الممكن أن يتعرضوا جميعاً للعقوبة القسوى. علاوة على ذلك، علاوة على ذلك، كثيراً ما كان داعش يصور جرائمه ثم ينشر مقاطع الفيديو عبر قنواته الإلكترونية، وكذلك على الشاشات التي نصبوها في الساحات والأماكن العامة. وصف أحد أفراد عائلة الضحية كيف كانت هذه العملية تتم:

بعد مرور أربعة أشهر علمنا أنه (ابن عمي) مسجون لدى داعش في أحد السجون، وحاولنا زيارته وكانوا يقولون لنا سيخرج بعد يومين حتى ذهبت عائلته لزيارته، فلم يسمحوا لهم برؤيته. وأخبرونا بأنه سيخرج بعد أيام قليلة، وأكثر من مرة حاولنا الزيارة لكن لم يسمحوا لنا وبقي الحال على ما هو عليه. بعد عدة أيام سمعنا أنه سيتم إخراجه مقابل كفالة مالية أو جزية، ولكن تفاجأ الجميع من كلام عناصر التنظيم حين قالوا لا يوجد شيء اسمه جزية إنما نحن نجهزه للقصاص. وقلنا: "ما التهمة" أخبرونا "أن تهمة تهريب الأسلحة والتعاون مع النصيرية".

وبعد أسبوع كنا ننتظر أي خبر عنه وإذا الدواعش تنشر إصداراً في نقاطهم الإعلامية المتواجدة في المنطقة على الشوارع العامة وعلى شاشات البلازما والناس تشاهد كل الإصدارات التي تُنشر من قبل التنظيم. كانت أمه تمشي في السوق لشراء بعض الأغراض وإذا بأمة تشاهد الإصدار الذي كان يُعرض على النقاط الإعلامية، وتم تنفيذ حكم القصاص بحق ابنها مع شخص آخر بتهمة تهريب الأسلحة والتعامل مع النصيرية وكان حالة والدته يرثى لها (سيئة جداً) حين رأت ابنها مقصوفاً، وحين سمعنا بالخبر تعالت الأصوات وكثر الصياح وذهبنا إلى النقطة الإعلامية للتأكد من الخبر، وتم تشغيل الفيديو مرة ثانية ورأينا كيف تم تنفيذ حكم القصاص بحقهم.

وعندما ذهبنا إلى المركز الذي كان مسجوناً فيها، قلنا لهم نريد الجثة قالوا هذا لا يدفن مع المسلمين وتم دفنه بمقبرة جماعية خاصة لدفن الموتى غير المسلمين على حسب اعتقاد الدواعش، وحاولنا البحث عنه ولم نجده.

وقالوا لنا: "حتى إذا وجدتموه لا يسمح لكم بدفنه في مقابر المسلمين."⁵⁶⁵

"كانوا قد جلبوا أطفالهم بعمر العشر سنوات": رجم بالحجارة وانتهاكات أخرى ضد النساء في دير الزور

استهدف داعش على وجه التحديد النساء المرتبطات بمعارضتي التنظيم، وهو أسلوب فعال لارتكاب أقصى قدر من الإساءة في الهياكل الاجتماعية العشائرية. وفي عدة حالات، تم رجم نساء من المنطقة حتى الموت بتهمة الزنا. تذكرت إحدى النساء مشاهدة امرأة تُرجم حتى الموت في ساحة عامة، بينما كان داعش يجبر الناس على المشاهدة:

قام تنظيم داعش بأغلاق الطرق وتنصيب الحواجز وبدأ الأهالي بالتجمع في الساحة وبعد جمعهم تم تنزل امرأة من السيارة رأسها مغطى بكيس أسود، فقامت أختي بسؤالها ما الذي يحدث قلت لها لا أعلم سمعت بعض الرجال يتكلمون بأنها امرأة زانية وتم الحكم عليها بالرجم حتى الموت، وضعوا المرأة في حفرة وطلبوا من الجميع ضربها بالحجارة والحصى حتى الموت، وأخبروا الجميع بأنه مسموح لهم بالضرب أو بالرجم

بعد 10 دقائق من الضرب المستمر بالحجارة بدأت أثار الموت على المرأة التي لا أحد يعرف من هي وسمعت أحد عناصر داعش يخبر صديقه أن المرأة لم تمت وعلى الجميع ضربها مجدداً. بعد الضرب المتواصل أخبر صديقه أن يتأكد منها هل ماتت أم على قيد الحياة فقام عنصر داعش بالتأكد من المرأة عن طريق النبض قال إنها لم تمت ثم طلبوا من الجميع الضرب مجدداً حتى تأكدوا أنها ماتت.

⁵⁶⁴ Al-Arabiya News, 'Disturbing ISIS video shows kids beheading and shooting prisoners' (10 كانون الثاني/يناير 2017). <https://english.alarabiya.net/News/middle-east/2017/01/10/Disturbing-ISIS-video-shows-kids-beheading-and-shooting-prisoners> <شاهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁶⁵ الإبادة الفردية رقم 179.

بعد موت المرأة حملوا الجثة إلى السيارة وطلبوا من الجميع الانصراف إلى منازلهم كانت المشاهد لها أثار كبيرة على نفسياتي وخصوصاً أن معي أختي الصغيرة.⁵⁶⁶

وكان من الشائع لدى تنظيم داعش أن يجعل سكان دير الزور يشاركون في عملية الرجم. قال أحد الشهود: "ذات مرة، وهو يتذكر رجم امرأتين:

في إحدى المرات كنت في السوق ببعض العمل، فمرت سيارة الحسبة وبدأت تصرخ بالناس بأنه سوف يكون تنفيذ حد رجم بعد صلاة الظهر وعلى الجميع الحضور هناك في المكان المخصص، وكان أمام مبنى البلدية.

وبعد ما يقارب النصف ساعة جلبوا نساء اثنتين مغطيات بالأسود وتم وضعهم بحفرة مخصصة تم تجهيزها، وتم وضع بعض الحجارة بجانب الحفرة، وضعوا النساء في الحفرة. وكانوا قد جلبوا أطفالهم بعمر العشر سنوات ليشهدوا هذا الأمر، كان غالبيتهم من الجنسية العراقية ويوجد البعض من [...] الكويت والسعودية. ثم بدء تنفيذ الحد لينهالوا على النساء اللواتي تم وضعهن في الحفرة برشق الحجارة وكان الأطفال يرمون ويضحكون، تم رميهم حتى الموت، ما فاجأني هو رغبة الأطفال الكبيرة برمي الحجارة وضحكاتهم وكان القادة يقومون بتشجيعهم.⁵⁶⁷

ولم يقتصر الرجم بتهمة الزنا على النساء، رغم أنهن الأغلبية. وصف أحد الشهود كيف تم رجم شاب حتى الموت خارج السوق:

دخل علينا أحد عناصر داعش وطلب من الموجودين كافة الخروج إلى ساحة البوكمال لمشاهدة حالة رجم في الساحة، كان شاباً في مقتبل العمر، أغلقوا جميع المحلات وأجبروا الجميع على الخروج ومشاهدة الرجم لكن لا نعرف من هو وماذا فعل وما هو الجرم الذي ارتكبه هذا الشاب، وقدمت أربع سيارات تحمل الشاب وواحدة من السيارات كانت محملة بالحجارة لكي تتم بها عملية الرجم حيث قام داعش بفرض طوق أمني على المنطقة.

كانت عبارة عن دائرة والشاب بداخلها كان مغمض العينين لا يعرف من هم حوله، قام داعش بإلقاء خطاب عن قصة الشاب بأنه سوف يرجمونه.

كلام كثير لا أذكره بالتفصيل وكان عناصر داعش يلبسون الأقنعة ولا يعرف منهم أحد بقي الشاب ملقاً على الأرض فقام أحد عناصر التنظيم بإعادة السيارة التي فيها حجارة إلى مكان الشاب فقام بأخذ حجر كبير وضرب به الشاب ومن أول ضربة سال دم الشاب.

كان موقف صعب جداً حاول الشاب أن ينزل وجهه إلى الأرض فقام الجميع بأخذ حجارة وقاموا بالضرب، ويأخذون حجارة من السيارة فقد كان دم الشاب ينزل بكثرة من وجهه وجسمه. فارق الشاب الحياة فقام أحد العناصر بقراءة بعض السطور يقول فيها أن الشاب قد تطهر من الذنوب بعملية الرجم.⁵⁶⁸

وفي مناسبات أخرى، تم إلقاء الضحايا حتى الموت من المباني الشاهقة، وهو ما سيصبح عقاباً مميزاً لداعش في دير الزور، خاصة بالنسبة للأشخاص المتهمين بالشذوذ الجنسي. وتم تقييد ضحايا آخرين من أطرافهم الأربعة وتم تمزيقهم أو جرحهم حتى الموت خلف السيارات.

"وصلت أربع سيارات تحمل مقاتلين من داعش"، قال شاهد رأى الضحايا بيتهم إلقائهم حتى الموت من مباني مرتفعة:

⁵⁶⁶ الإفادة الفردية رقم 66.

⁵⁶⁷ الإفادة الفردية رقم 99.

⁵⁶⁸ الإفادة الفردية رقم 60.

بعدها بقليل قدمت أربع سيارات لعناصر داعش بعد تطويق المكان الذي نقف فيه، ونزل العناصر يرتدون أقمعه سوداء وأنزلوا الشاب وكان معصوب العينين، ما لفت انتباهي هو ثقة الشاب بنفسه فكان يسير بخفه وبدون أي مقاومة أو حتى صراخ أو حزن ظاهر.

وبدأت التحليلات بيننا نحن الواقفين، أحدهم يقول: "هو مظلوم ولماذا لا يخاف." شخص ثاني يقول على الأغلب تم حقنه بماده أذهبت عقله. والكثير من التحليلات وما هي إلا دقائق حتى تم رفع الشاب فوق المتراس أعلى البناء المؤلف من أربع طوابق وهو مكبل اليدين ومغلق العينان وتم دفعه نحو الأسفل وسقط على رأسه، شاهدت نزعته الأخيرة وهو يلفظها.⁵⁶⁹

أفادت لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة بأن إعدام داعش للنساء (والرجال) بناءً على نوعهما، واستخدام التنظيم للاعتداء الجنسي والاغتصاب، يعكس جزءاً من هجوم أوسع نطاقاً على السكان المدنيين في دير الزور. وقد شكلت هذه الأفعال جرائم ضد الإنسانية، بما في ذلك القتل والتعذيب والاغتصاب وغيرها من الأفعال اللاإنسانية.⁵⁷⁰

"ثم أكمل الجلد حتى الانتهاء": العقوبات الجسدية في دير الزور.

كما تأثر حكم داعش في دير الزور بالعادات والصرعات العشائرية. واستغل تنظيم داعش العشائر التي عانت من التهميش الاجتماعي والاقتصادي؛ وقد تم تجنيدهم من قبل تنظيم داعش لتطبيق تفسيره الصارم للشرعية. ففي إحدى الحالات، على سبيل المثال، قام أفراد من قبيلة البكير في خشام بحلاقة شارب زعيم محلي بسبب عدم اتباعه التعاليم الدينية⁵⁷¹. كانت هناك عقوبات أخرى أكثر خطورة، وكانت تعكس الممارسات التي قام بها داعش في المناطق الأخرى تحت سيطرته، بما في ذلك عمليات البتر. تذكر أحد السكان المحليين كيف تم معاقبة طفل من هجين بالبتر بسبب اتهامه بسرقة شيء ما: مجموعة من عناصر داعش لم يدخلوا للصلاة حتى، تم تطويق المسجد بالكامل بعدها وقف أحد عناصر داعش وخطب الناس وقال: "إن هذا الشخص سارق وسيتم قطع يده وتطبيق الشرع."

لا أتذكر ماذا قالوا سرق بعدها فتحو عيناها ونظرت للشخص فعرفته هو أحد الأطفال من أبناء هجين يمكن تربيته وإصلاحه "لماذا يتم قطع يده." لم تكن صرخات الأهالي بهم تجدي نفعاً على الرغم من محاولة بعض الأشخاص التدخل، وقاموا بتوجيه السلاح باتجاه الناس وإخبارهم بأن أي شخص سيتدخل سيكون مصيره القتل. تم منع الجميع من المغادرة وإلزامهم بالحضور، كان الناس في حالة يرثى لها من الفقد والحرمان وسوء الأوضاع، أعطى إشارة لبدء التنفيذ وتم إنزال رأسه على الطاولة ومد يده على الطاولة فحدث خلاف بين عناصر داعش حول كيفية قطع يده من الكف أو الساعد. وأخيراً اتفقوا على قطعها من الكف، بعدها جلبوا مخدر أو ممرض من عناصرهم، حيث حقنه أو أعطاه حقنة مخدر موضعي، بعدها تم جلب عدة طبيب كالمشرط وتم قطع يده وبدأت الدماء تغطي الطاولة.

حيث بدأ النزيف تم قطع يده ولفها بقطعة قماش، شاهدت وقتها حالات إغماء وغثيان عند البعض فهي حالة غريبة ولم يشاهدها أحد من قبل تم نقله بعدها إلى المستشفى، شاهدت القهر والخوف والتعب في أعين جميع الحضور.⁵⁷²

وكان الجلد شائعاً أيضاً، خاصة بالنسبة للنساء. قالت لنا إحدى الضحايا: "تم الحكم علي بالجلد". ووصفت التأثير النفسي للجلد أمام المسجد:

⁵⁶⁹ الإفادة الفردية رقم 17.

⁵⁷⁰ UNHRC, '9th report', المرفق 2، الفقرة 185.

⁵⁷¹ Baalbaky and Mhidi، ص 34.

⁵⁷² الإفادة الفردية رقم 83.

فأخذوني إلى المسجد وقت صلاة العصر، أنا والعامل قبل إرساله للدورة الشرعية، قاموا بجمع الناس من النساء والرجال والأطفال وأخبروا الناس بأننا مفسدون في الأرض ونقوم بنشر الفساد بين المسلمين، وأنه تم الحكم عليهم بـ 350 جلدة لكل شخص منهم وأنا لا أتحمل حتى عشرة جلدات (بسبب صغر جسمي)، ملزمين بهذا الحكم الذي أصدره أمير الحسبة في وقتها وهو "أبو أنس العراقي" وتم تنفيذ الحكم، وبدأ أحد عناصرهم بجلدنا وحين وصل العدد لـ 100 أو 150 جلدة أرهق وطلب من زميل له أن يكمل عنه. ولكنه رفض، كوني ناقشته بداية وصولي وأخبرته بأنني مظلوم وأنتم تظلمون، من خلال رفضه عرفت بأن بعض الأحكام التي ينفذونها بحق المدنيين لا تعجب جميع عناصرهم.

ثم أكمل الجلد حتى الانتهاء وبعدها قاموا بكتابة لوحات كرتونية وتعليقها على رقابنا كتب فيها (هذا الشخص مفسد وينشر الفساد بين المسلمين)، استمرت لأكثر من ساعتين. كان أثر هذه الكلمات أكبر في نفسي من الجلد، حيث بدأت أسمع تأويلات ونقاشات المتواجدين، منهم من يقول هؤلاء يجب قتلهم وغيرهم، ولكن ما لفت انتباهي حديث نساء من داعش بقولهم أنهم ينشرون مقاطع إباحية، أصبحت استصغر نفسي كثيرًا.⁵⁷³

في ذلك الوقت، كان ريف دير الزور يعاني من الفقر المدقع، ويرجع ذلك جزئيًا إلى فرض داعش قوانين اقتصادية رجعية وفرض ضرائب باهظة، بما في ذلك على صرف العملات. وقال أحد السكان: "...تم منعنا من التعامل إلا بهذه العملة"، مضيفًا وأية مخالفه كانت عقوبتها السجن والجلد أمام الناس".⁵⁷⁴ ونتيجة لغياب التنمية والسياسات الاقتصادية الخائفة، شعر الناس بالركود الاقتصادي مما أدى إلى خسائر لأصحاب الأعمال الصغيرة والمحلات التجارية. حاول البعض كسب لقمة عيشهم بوسائل "غير مشروعة"، على سبيل المثال، بيع التبغ، على الرغم من المخاطر الشديدة التي ينطوي عليها الأمر:

قامت الحسبة في إحدى الليالي في حزيران 2015 بمداهمة منزلي وتفتيشه حيث أخذوا مني ثلاث رزم من التبغ وقاموا بأخذي إلى مقر الحسبة في قرية "السعدة" التي تجاوز قريتي، وقاموا بالتحقيق معي وسؤالي من أين كنت أقوم بشرائها؟ ومن كان الذي يوزعها لي؟، وعند رفضي إخبارهم عنه قاموا بمعاقبتي كوني أعمل بتجارة التبغ، وهو بحسب قولهم منكر وذلك بجلدي 40 جلدة، ولم يوقفهم صراخي وألمي وحتى كوني امرأة عن ذلك حتى أكملوا 40 جلدة، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بتعزيمي بمبلغ 50000 ألف ل.س، ومن بعدها قاموا بتركي بوقت متأخر من الليل بعد أن أجبروني على كتابة تصريح أنني لن أعود إلى ذلك العمل مرة أخرى كونه محرم العمل به عندهم.

ولكنني من شدة الفقر والجوع ولأنه لا يوجد لدي معيل يستطيع العمل عدت إلى العمل بتجارة التبغ مرة ثانية من مرارة المعيش والفقر. وقاموا باعتقالي مرة ثانية وأخذوني إلى نفس مقر الحسبة في قرية "السعدة" وحبسي إلى اليوم التالي.

حيث قاموا بعدها بجلدي 80 جلدة ومع كل جلدة كنت أصرخ بأعلى صوتي من شدة الألم وكنت أفقد الوعي، ولكن الشيء الذي كان يمدني بالقوة هو تذكري لولدي المعوق وزوجي العاجز الذين ليس لهم معيل في الدنيا غيري بعد الله

وكل ذلك لم يكفهم بل قاموا بفرض غرامة مالية وقدرها 200 ألف ل.س [قرابة 1000 دولار]، وبعدها قاموا بربطي على عامود كهرباء في الشارع العام على طريق دير الزور الحسكة من الساعة التاسعة صباحًا إلى الساعة الثالثة عصرًا وكان كل الناس ينظرون إلي، في هذه الأثناء تمنيت الموت.⁵⁷⁵

على الرغم من قوانينه الصارمة، يمكن أن يكون داعش انتقائيًا للغاية في تطبيقه عندما ينتهكها أعضاؤه. وأظهرت شهادة المؤذن الذي يؤذن في أحد المساجد كيفية عمل ذلك:

⁵⁷³ الإفادة الفردية رقم 87.

⁵⁷⁴ الإفادة الفردية رقم 17.

⁵⁷⁵ الإفادة الفردية رقم 22.

قدمت لأذان صلاة الفجر وكنت أسمع صوت ضحك، كان هناك ساقية للمياه تمر من داخل المسجد، فصدمت بما شاهدت حيث كان أحدهم وهو عنصر لداعش صيني أو كازاخستاني يمارس الجنس مع إحدى النساء في داخل الساقية، كان المنظر مقررًا فلم يراعوا حرمة المسجد، أصدرت صوتًا لكي يسمعي وفور سماعه صوتي خرج بسرعة وارتنى لباسه وضربني.

وقال "كيف تدخل هنا؟"

قلت له: "أنا المؤذن وجئت لأذان صلاة الفجر." فقال أخرج خارج المنزل وهو يضرب ويشتمني.

خرجت أمام المسجد وقام هو بإغلاق باب المسجد الخارجي، قدم بعض المصلين على موعد الصلاة فقلت لهم: "اليوم لا يوجد صلاة في المسجد."

فعدنا في اليوم الثاني وقت صلاة الظهر وتم اعتقالني من المسجد من قبل الحسبة والسبب هو تحريضي للناس بعدم الصلاة، وعرفت أنها مكيدة من هذا العنصر، تم جلدي في سوق مدينة هجين 40 جلدًا وبعدها تم سجنني لمدة عشرين يوم في سجن في البوكمال.⁵⁷⁶

"وقتها بكيت بكاء لم أبكه من قبل": التعذيب في سجون داعش في دير الزور

وفقًا للجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة، فإن استخدام داعش للتعذيب كجزء من هجماته على السكان المدنيين في دير الزور يرقى إلى مستوى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.⁵⁷⁷ كانت الظروف داخل مرافق الاحتجاز التي يسيطر عليها داعش فظيعة، واتسمت بالاعتداءات والانتهاكات المروعة.

قال أحد السجناء السابقين، متذكرًا كيف: "كانت الغرفة تحتوي على حوالي 22 شخص وذات التهمة هي التواصل مع المرتدين"

كانوا يضربونني بشدة بكل الأدوات وكنت أصرخ من الألم وأنا أعلم في نفسي أنني بريء ولم أفعل شيء من التهم المنسوبة لي.

وعذبوني بطريقة يقال لها (العقربة) وهي شبك اليدين من الخلف وربطها في حبل بالسقف، ويضربون بخرطوم أخضر من خرطوم الصرف الصحي أتذكره إلى الآن كان بطول متر ونص ويؤلم كثيرًا، وفي جسدي كان الألم شديد لكن ليس هناك من يساعدن

بعد فترة من التعذيب تم تحويلي إلى قضاء داعش لأنهم لم يثبتوا علي أي تهمة من التهم الموجهة إلي وأصدر القاضي الداعشي حكم وهو مصادرة جميع الأجهزة من كمبيوتر وجهاز الأنترنت وبطاريات كبيرة ونواشر أنترنت كان يقدر ثمنها 2500 دولار، وتم حكمي بمبلغ يقال له (مبلغ ردي) بـ 1200 دولار لكي لا استخدم هذا الأجهزة مرة ثانية

المدة التي كنت معتقلًا فيها هي 3 أيام في الفرع الأمني في هجين، و12 يوم في فرع الاستخبارات في البوكمال ... وتم حكمي شهر كامل في السجن

كنت أشاهد بعيني بعض حالات القصص البشعة التي تحدث أمام الجميع، فقد كان السجن عبارة عن 6 أمتار يكون فيه حوالي 20 شخصًا، يدخل عليك عنصر يسحب أحد الموجودين ويذبحه أمام الجميع، لكن لا يفكر أحد في إنكار أي شيء وعليكم أن تعترفوا في فترة الاعتقال.

وكانوا يخرجوننا في باحة السجن ويأتون بشاشة بلازمة كبيرة لعرض ما يقال له (إصدارات الدولة)، والإصدارات كانت عبارة عن عمليات القتل التي تحدث في المناطق الأخرى، والتهم فيها كثيرة لا تعد ولا تحصى فقد كان الخوف يخيم على قلوبنا، وكان التحالف الدولي يستهدف مقرات التنظيم بالطائرات والأسلحة الرشاشة باعتقاده أنها مقرات وهي في الحقيقة سجون لا أكثر.

⁵⁷⁶ الإفادة الفردية رقم 124.
⁵⁷⁷ UNHRC, '9th report', المرفق 2، الفقرة 171.

وكان التنظيم يعمل على وضع المعتقلين في مقراتهم لكي لا يستهدفها التحالف الدولي وهم يخرجون يتجولون في سياراتهم ولا يبقى أحد في البناء سوى المعتقلين لنكون نحن الضحية وهم لا يخسرون أي عنصر من عناصرهم.

تم تحويلي بعد فترة إلى قرية "الرمادي" قرابة الثلاثين يومًا بالإضافة إلى السجن حكم عليّ بـ 400 جلدة كل 50 منها في قرية تختلف عن الأخرى، عرفت واحدة من القرى وهي قرية في البو كمال وتم جلدي خمسين جلدة أمام الناس ولا أدري ما الهدف من هذا الأمر لكنه على حد تعبيرهم ردع لكل من تسول له نفسه العمل مع المرتدين وجلدوني خمسين جلدة في دوار الفيحاء في البو كمال، وخمسين في قرية ثانية أمام المسجد بعد خروج المصلين من صلاة المغرب، أما الجلديات الباقية فلا أعرف مكانها بالضبط بسبب ربط عيوني أغلب الوقت.⁵⁷⁸

وتعرض ضحية أخرى للتعذيب بالمثل أثناء الاحتجاز، وهي واحدة من الحالات العديدة التي وثقها فريق البحث في جميع أنحاء دير الزور. وروى قصة اعترافه بالانتماء للجيش السوري الحر، لكن ذلك لم يقتله بمحض الصدفة:

بعد حوالي أسبوع تم اعتقالي من قبلهم واقتيادي إلى مكان مجهول، كانت عيناى مغمضة وبعدها تم تعليقي من يدي بسلسلة كانت معلقة على السقف وقمائي تكاد تلامس الأرض، أول سؤال تم توجيهه لي أنت من الجيش الحر؟ قلت لهم لا وأتحدى أي شخص يثبت هذا الكلام. والسؤال الثاني: "أين سيارة عمك؟" فقلت لهم هرب بها إلى دمشق. كانت محاولاتهم ترويعي وتخويفي وتخلل الأمر ضرب وشتم وسب، بعد حوالي الساعة بدأ أحد الأشخاص بضربي بعنف وبدأت أصرخ سأعترف، ولكن استمر بضربي فقلت له السيارة في الميادين عند منزل أقربائه، والذي جيش حر وأنا جيش حر وأمي جيش حر جميعنا قاتلنا [داعش]. كنت أتحدث بدون وعي وكانت عيناى مغلقة لا أعلم من في الغرفة واستمر الضرب. على صوت صراخي وصياحي قدم عناصر داعش يركضون فتحوا باب الغرفة التي كنت مسجونًا بها وأوقفوا الشخص الذي كان يضربني، بعدها أنزلوني باتجاه الأرض وأعطوني الماء لأشرب ورفعوا عن عيني الغطاء لأتفاجأ بأنهم لا يعلمون بهذا العنصر الذي ضربني بوحشية. حيث كان هذا الشخص أبكم لا يتحدث وهو عراقي عمره بحدود 16 عام، استغل فترة انشغالهم ودخل إليّ، وفهمت بأنه لم يكن أحد في الغرفة غيري أنا وهو. فحمدت الله أنه لم يسمع أحد ما قلت، وقتها امتزج شعور الألم والخوف والرعب بالفرح لا أعلم هل أضحك أم أبكي؟! أعترف بأشياء لم ارتكبتها وأخيرًا كان الاعتراف أمام شخص أبكم.⁵⁷⁹

وفي بعض الأحيان، مارس داعش التعذيب على أفراد عائلات السجناء. تحدث أحد الرجال عن قيام داعش بتعذيب ابنه أمامه في مركز احتجاز من أجل انتزاع اعتراف:

تم اعتقالي من قبل داعش بتهمة بيع التبغ حيث كنت أبيع المعسل والسجائر والفحم، وكان اعتقالي عبارة عن كمين حيث أرسلوا أحد أقاربي إلى منزلي ليشتري، وبعد أن قمت ببيعه قدمت دورية طوقت منزلي وقامت باعتقالي كان على رأسها "أبو رحمة" عراقي الجنسية. ابني كان خارج المنزل وحين قدم أخبرته والدته بما حدث وقالت له "أن فلانًا من أقاربك قام بالإبلاغ على والدك وداهمتنا دورية وتم اعتقاله، وفي هذه الاثناء وقف ابني على باب المنزل وحين قدم هذا الشخص قام ابني بضربه وسبه ونعته أن الدواعش خوارج."⁵⁸⁰ فقام هذا الشخص بالإبلاغ على ابني لتأتي دورية واعتقلته وأنا داخل السجن، جلبوا ابني فادي وتم رميه أمامي في الزنزانة وضربه وإهانته وكانوا يجلدونه بواسطة أنبوب بلاستيكي يستخدمه الناس في التمديدات الصحية.

⁵⁷⁸ الإفادة الفردية رقم 28.

⁵⁷⁹ الإفادة الفردية رقم 123.

⁵⁸⁰ طائفة متمردة في صدر الإسلام، على الرغم من أن المصطلح يستخدم أيضًا للإشارة إلى المرتدين المزعومين بشكل عام.

وكانوا يضربونه في مختلف أنحاء جسمه وهذا الأمر أغضبني وكنت مكبل اليدين وجالساً على ركبتني فصرخت بهم: "(اتقوا الله)، إذا كان هذا الأمر يسعدكم خذوه إلى الغرفة الثانية واذبحوه ولا تضربوه أمامي".

فقام "أبو رحمة" بتلقيم المسدس ووضع بهم ابني وقال لي: "ما رأيك أن أذبحه أمامك؟" فقلت له: "إذا كان دينك يأمر بك بذلك فافعل." وقتها فقدت عقلي ولم أعد أسيطر على كلامي ولا أعرف ماذا أقول.

بعدها قاموا بسحب ابني وتعليقه أمام الزنزانة لمدة ساعة، وبعدها أغمي عليه فصرخت بهم أكثر من مرة لكي يتركوه.

وكان معي في الزنزانة شخص قال لي: "لا تفقد أعصابك هم يريدون قتلك، إياك أن تكفر أو تعترف بأنك تبغ الدخان، هم يبحثون عن أمر يستفرك حتى تنفوه بكلمة فيتم محاسبتك عليها بالقتل (القصاص)".

فجلست أبكي، وقتها بكيت بكاء لم أبكه من قبل، كنت في حالة من الغضب والقهر كبيرة، بعدها تم سجن ابني معي وأمضيت في السجن 7 أيام وتم إطلاق سراحه وجلدي 120 جلدة وإخضاعه لدورة شرعية.⁵⁸¹

دير الزور تحت الحصار

وبعد أن طرد داعش جبهة النصرة وحلفائها من دير الزور، استأنف داعش الحصار على القوات الحكومية التي لا تزال تسيطر على الضفة الغربية لنهر الفرات داخل مدينة دير الزور. وفي أواخر عام 2014، اندلعت اشتباكات عنيفة بين الجانبين أسفرت عن مقتل أكثر من مائة شخص؛⁵⁸² ووفقاً للمرصد السوري لحقوق الإنسان، استخدمت قوات النظام في تلك المرحلة غاز الكلور لوقف محاولات داعش الاستيلاء على مطار دير الزور العسكري، حيث كانت تتحصن قوات اللواءين 104 و137 من الجيش السوري.⁵⁸³

وقد تميز الحصار بهجمات متكررة شنها تنظيم داعش، حيث أطلق بانتظام المدفعية والصواريخ على المناطق المحاصرة مع القليل من الاهتمام بالسكان. نتيجة لذلك تم قتل العديد من المدنيين. وفي الوقت نفسه، لم يتمكن ما يقدر بنحو 100 ألف شخص بقوا في دير الزور من الخروج، ما لم يتمكنوا من تحمل تكاليف نقلهم جواً إلى خارج المدينة، وبالتالي أصبحوا يعتمدون على عمليات الإنزال الجوي من برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة للبقاء على قيد الحياة.⁵⁸⁴ وتفاقم الوضع بعد سقوط مدينة تدمر في أيدي تنظيم داعش. وفي تلك المرحلة انقطعت كافة خطوط الإمداد داخل وخارج المدينة، وعانى المواطنون من نقص الغذاء ومياه الشرب والدواء. وبحسب ما ورد كانت قوات النظام تفكر في الإخلاء.⁵⁸⁵ وبحلول عام 2016، انخفضت إمدادات الكهرباء في المدينة إلى 5% من مستويات فترة ما قبل داعش.⁵⁸⁶

في شباط / فبراير 2016، وصف مرصد العدالة من أجل الحياة، وهو منظمة غير حكومية في دير الزور، الوضع الذي يواجهه السكان المحاصرون في المدينة. وصف 420 يوماً من الحصار، ذكر تقرير المنظمة غير الحكومية أن تنظيم داعش قام بما يلي:

⁵⁸¹ الإفادة الفردية رقم 192.

⁵⁸² SOHR, '111 killed in 3 days of violent clashes between regime forces and ISIS in Der-Ezzor' (6 كانون الأول/ديسمبر 2014) <<https://www.syriahr.com/en/7696/>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁸³ SOHR, 'Regime forces use chlorine gas to stop ISIS advances in Der-Ezzor military airport' (6 كانون الأول/ديسمبر 2014) <<https://www.syriahr.com/en/7693/>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁸⁴ Hamza Abdalla, 'How do you drop food from 17,000 feet into a conflict zone? Watch our video' (16 تشرين الأول/أكتوبر 2017) <<https://www.wfp.org/stories/how-do-you-drop-food-17000-feet-conflict-zone-watch-our-video>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁸⁵ NOW Lebanon, 'Syria regime prepares Deir Ezzor evacuation' (26 أيار/مايو 2015) <<https://web.archive.org/web/20171019184314/https://now.mmedia.me/lb/en/NewsReports/565341-syria-regime-prepares-deir-ezzor-evacuation>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁸⁶ RAND, 'Deir ez-Zor: Protracted Stalemate' (n.d.) <<https://www.rand.org/nsrd/projects/when-isil-comes-to-town/case-studies/deir-ez-zor.html>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

قطع (داعش) التيار الكهربائي عن محطة حقن التيم النفطي التي كانت تزود الأحياء المحاصرة بالكهرباء، ولغاية الآن لا تتوفر الكهرباء على الأحياء المحاصرة. ولذلك يستخدم السكان المحليون الشموع كبديل نظرًا لتكلفة الوقود الباهظة اللازمة لتشغيل المولدات أو الفوانيس التي تغذيها زيت الكيروسين.

كما أن قطع التيار الكهربائي أدى سلبيًا إلى الخدمات التي تعتمد على الكهرباء وأهمها مياه الشرب، حيث يتم ضخ المياه للأهالي من محطة مياه رئيسية واحدة تعمل بمولد كهربائي لثلاثة ساعات يوميًا؛ مما يؤدي إلى انخفاض تلك الفترة إلى ثلاث ساعات كل يومين أو ثلاثة أيام. ونتيجة لذلك، لا تتوفر المياه لجميع المنازل، ولا يتم تعقيمها لعدم وجود الكلور المسال.

ومع تصاعد الحصار، اضطرت أربعة مخازن إلى إغلاق أبوابها بسبب توقف إمداداتها من الوقود. ومن أجل الحفاظ على مخزون القمح لدى مسؤولي نظام الأسد، أدى ذلك إلى حالة من عدم كفاية الدقيق لجميع المخازن. وأدى ذلك إلى عدم كفاية كمية الخبز المنتج لتغطية كافة احتياجات المدنيين هناك من الخبز. ويضطر المدنيون للانتظار في الطابور لمدة 10-12 ساعة للحصول على مخصصاتهم من الخبز.

ووفقًا للمنظمة غير الحكومية التي أصدرت التقرير، استغلت قوات النظام معاناة الشباب واليأس الاقتصادي في دير الزور المحاصرة لتجنيدهم في الجماعات المسلحة؛ حتى أنها اتهمت الأسد في أحسن الأحوال بعدم القيام بما يكفي لكسر الحصار، وفي أسوأ الأحوال بالعمل مع داعش لتجويد سكان دير الزور⁵⁸⁷.

ومع ذلك، استمرت الاشتباكات بين داعش والنظام طوال عام 2016، حيث استهدف داعش المقاتلين المواليين للحكومة وعائلاتهم في المناطق المحاصرة⁵⁸⁸. وبدعم من مقاتلي حزب الله والغارات الجوية الروسية، حققت القوات الموالية للحكومة بعض المكاسب ضد داعش، لكنها تعرضت لانتكاسة عندما أدت سلسلة من ضربات التحالف بقيادة الولايات المتحدة في منتصف عام 2016 إلى مقتل ما يقرب من مائة جندي من الجيش السوري⁵⁸⁹. وأدى الحادث إلى استعادة داعش السيطرة على الأراضي المحيطة بجبل الثردة، ولكن الأهم من ذلك أنه تسبب في صراع دبلوماسي كبير أدى إلى إلغاء وقف إطلاق النار على مستوى البلاد الذي تفاوضت عليه الولايات المتحدة وروسيا على مدار عدة أشهر⁵⁹⁰.

خلال النصف الأول من عام 2017، مع تركيز قوات سوريا الديمقراطية والتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة على القتال في الرقة، سيطر الجيش السوري على معظم محافظة الرقة الجنوبية وتقدم تدريجيًا نحو دير الزور. على الرغم من أنه كان يخسر الأراضي في جميع أنحاء سوريا، شن داعش عدة هجمات أخيرة على المناطق المحاصرة في مدينة دير الزور، وفي يناير/كانون الثاني من ذلك العام، أجبر القتال العنيف الأمم المتحدة على تعليق عمليات الإنزال الجوي⁵⁹¹. بحلول فبراير/شباط 2017، قام تنظيم داعش بفصل المطار عن الأحياء المدنية، وكان المدنيون يخشون وقوع مجازر في حالة سقوط المناطق المحاصرة في أيدي التنظيم⁵⁹². وفي نهاية المطاف، تم صد هجمات داعش، وخلال صيف عام 2017،

⁵⁸⁷ المرجع نفسه، ص 19-17.

⁵⁸⁸ BBC, 'Syria conflict: Conflicting accounts of Deir al-Zour attack' (لندن، 17 كانون الثاني/يناير 2016) <<https://www.bbc.com/news/world-middle-east-35337440>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁸⁹ Steve Almasy and others, 'Russia: Coalition strike kills Syrian forces' سي إن إن (17 أيلول / سبتمبر 2016) <<http://www.cnn.com/2016/09/17/middleeast/syria-claims-coalition-airstrike-hit-regime-forces/index.html>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁹⁰ CNN, 'Syria ceasefire under threat after US-led strikes kill regime troops, Russia says' (18 أيلول / سبتمبر 2016) <<http://www.cnn.com/2016/09/18/middleeast/syria-claims-coalition-airstrike-hit-regime-forces/>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁹¹ UN News Service, 'Syria: Heavy fighting forces UN food relief agency to suspend airdrops in Deir ez-Zor' (17 آب/يناير 2017) <<https://www.refworld.org/docid/587f362840c.html>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁹² Nour Samaha, 'Residents of Syria's Deir ez-Zor fear IS massacre' (24 شباط / فبراير 2017) <<https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2017/02/syria-deir-ezzor-islamic-state-fighting.html>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

تمكن الجيش السوري، بدعم من الغارات الجوية الروسية، من كسر الحصار الذي دام ثلاث سنوات على دير الزور.⁵⁹³ ولكن مرة أخرى، عانى المدنيون في ظل الحملة الجوية عندما قتلت الغارات الجوية الروسية 34 مدنيًا كانوا يفرون على متن العبّارات أثناء محاولات طرد داعش من محيط مدينة دير الزور.⁵⁹⁴

الباغوز وسقوط داعش

بدأت قوات سوريا الديمقراطية في شرق نهر الفرات وبدعم من التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، حملة تحرير ريف دير الزور في خريف عام 2017. وبحلول ذلك الوقت، كانت الرقة قد تم تأمينها و سرعان ما أصبحت الضفة الشرقية لنهر الفرات في دير الزور آخر معاقل داعش. وسعت حملة قوات سوريا الديمقراطية إلى بناء تحالفات مع الهياكل العشائرية في جميع أنحاء دير الزور، وأنشأت مجلس دير الزور العسكري، الذي ضم مقاتلين من أبرز المجموعات العشائرية. ولم يكن مفاجئاً أن عشيرة الشعيطات -التي عانت كثيرًا خلال حكم داعش- كانت من أبرز القبائل التي انضمت إلى الحملة إلى جانب عشيرة البقارة في غرب دير الزور، والبيكر في شمال المحافظة.⁵⁹⁵

وعلى مدار الأشهر التالية، سيطرت قوات سوريا الديمقراطية على منشآت النفط والغاز الرئيسية على الضفة الشرقية لنهر الفرات. وبحلول نهاية عام 2017، تم دفع مقاتلي داعش إلى جيب أخير من الأراضي يمتد حوالي 40 كيلومترًا من هجين إلى الباغوز على طول نهر الفرات. وإلى الغرب، سيطرت القوات الموالية للحكومة على بلدة البوكمال الحدودية. وعلى الرغم من أنه كان يخسر الأراضي بسرعة، فقد أظهر داعش قدرته على مواصلة الضرب على جانبي نهر الفرات. وفي غرانيج، قرية الشعيطات، حيث أنشأ داعش قاعدة عمليات، خاض داعش معارك ضارية مع قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، مستخدمًا السيارات المفخخة داخل البلدة.⁵⁹⁶ وفي أيار / مايو 2018، قتل تنظيم داعش 26 جنديًا روسيًا في الميادين.⁵⁹⁷ وفي وقت سابق، في أقصى غرب دير الزور وفي مؤخرة عمليات الحكومة السورية، قتل تنظيم داعش ما لا يقل عن 128 مدنيًا في قرية القريتين.⁵⁹⁸

وعلى الرغم من هذه الهجمات، بدا داعش بشكل متزايد وكأنه قوة مستهلكة. مواجهها هذه الخسائر الفادحة في القوى البشرية، فرض تنظيم داعش التجنيد الإجباري لجميع الرجال الذين تقل أعمارهم عن 30 عامًا في المناطق المتبقية تحت سيطرته.⁵⁹⁹ دفع الانهيار الوشيك لداعش جميع الجهات الفاعلة المشاركة في الحرب السورية إلى الاستعداد لمستقبل ما بعد داعش. قامت تركيا، التي تشعر بالقلق من احتمال إقامة منطقة كردية تتمتع بحكم شبه ذاتي في شمال شرق سوريا، بغزو شمال سوريا في أوائل عام 2018. وأدى ذلك إلى توقف حملة قوات سوريا الديمقراطية مؤقتًا: توقفت العمليات مؤقتًا، وتم نقل المقاتلين من نهر الفرات إلى المناطق ذات الأغلبية الكردية حول عفرين.⁶⁰⁰ تم استئناف العمليات، على الرغم من أن الهجمات التركية في كوباني وتل أبيض في أكتوبر 2018 ساهمت بتوقف آخر.⁶⁰¹

⁵⁹³ The Independent, 'Syrian army breaks Isis' three-year-long siege of Deir Ezzor' (لندن، 5 أيلول/سبتمبر 2017) <<https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/syrian-army-isis-deir-ezzor-siege-three-years-assad-regime-town-loyal-7930276.html>> شوهده في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁹⁴ AFP, 'Russian air strikes kill 34 in Syria's Deir Ezzor province, says monitor' (South China Morning Post، 11 أيلول / سبتمبر 2017) <<https://www.scmp.com/news/world/middle-east/article/2110577/russian-air-strikes-kill-34-syrias-deir-ezzor-province-says>> accessed 21 August 2023.

⁵⁹⁵ Baalbaky and Mhidi، ص 37.

⁵⁹⁶ SOHR, 'The violent fighting continues in Gharanij town east of the Euphrates River after killing Abu Talha al-Almani and 14 members of ISIS there (19 كانون الثاني / يناير 2018) <<https://www.syriahr.com/en/83073>> شوهده في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁹⁷ The Independent, 'Russian soldiers killed in surprise Isis attack in Syria' (لندن، 28 أيار / مايو 2018) <<https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/syria-isis-russian-soldiers-killed-surprise-attack-deir-ezzor-a8373296.html>>

⁵⁹⁸ The Independent, 'Isis kills 128 civilians in 'revenge' surprise counter attack on Syrian town' (لندن، 23 تشرين الأول/أكتوبر 2017) <<https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/isis-al-qaryatayn-syria-attack-kills-civilians-raqqa-islamic-state-army-revenge-8014746.html>> شوهده في 21 آب / أغسطس 2023.

⁵⁹⁹ DeirEzzor24, 'ISIS announces general mobilisation in Deir Ezzor and the civilians of Deir Ezzor are the victims' (Ar.) (n.d.) <<https://deirezzor24.net/%d8%af%d8%a7%d8%b9%d8%b4-%d9%8a%d8%b9%d9%84%d9%86-%d8%a7%d9%84%d9%86%d9%81%d9%8a%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%85-%d9%81%d9%8a-%d9%85%d8%ad%d8%a7%d9%81%d8%b8%d8%a9-%d8%af%d9%8a%d8%b1%d8%a7%d9%84/>> شوهده في 21 آب / أغسطس 2023.

⁶⁰⁰ Idrees Ali, 'Turkish offensive in Syria leads to pause in some operations against IS: Pentagon' (5 آذار / مارس 2018) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-turkey-pentagon/turkish-offensive-in-syria-leads-to-pause-in-some-operations-against-is-pentagon-idUSKBN1GH2YW>> شوهده في 21 آب / أغسطس 2023.

⁶⁰¹ Arab News, 'Turkish attacks in Syria prompt SDF to halt to fight against Daesh' (31 تشرين الأول / أكتوبر 2018) <<https://www.arabnews.com/node/1397091/middle-east>> شوهده في 21 آب / أغسطس 2023.

بالإضافة إلى ذلك، على الرغم من الالتزامات غير الرسمية بعدم شن هجمات على بعضها البعض، إلا أن حملة قوات سوريا الديمقراطية المدعومة من الولايات المتحدة تعارضت مع حملة الحكومة المدعومة من روسيا. وسعى الجانبان إلى تأمين الأراضي والموارد الطبيعية الاستراتيجية. ولم يمض وقت طويل حتى اشتبك الجانبان. وفي سبتمبر/أيلول 2017، قصفت الطائرات الحربية الروسية مقاتلين من قوات سوريا الديمقراطية.⁶⁰² وبعد عدة أشهر، قُتل ما يصل إلى 300 من القوات الموالية للحكومة والقوات شبه العسكرية التابعة لمجموعة فاغنر الروسية على يد قوات سوريا الديمقراطية والقوات الخاصة الأمريكية أثناء محاولتها الاستيلاء على حقل كونيكو للغاز.⁶⁰³ وفي أواخر عام 2018، أعلن الرئيس ترامب انسحاب القوات الأمريكية من سوريا، ولكن تم إلغاء القرار لاحقاً، وركزت القوات الأمريكية بشكل متزايد على مواجهة نفوذ الميليشيات المدعومة من إيران، والتي قد أنشأت وجوداً قوياً في دير الزور.⁶⁰⁴

وعلى الرغم من الخلافات الجيوسياسية، تم إخراج داعش تدريجياً من الجيوب الأخيرة التي كان يسيطر عليها. وسيطرت قوات سوريا الديمقراطية على هجين، "العاصمة الأخيرة" لداعش في ديسمبر/كانون الأول 2018.⁶⁰⁵ وقد تم محاصرة عدة آلاف من مقاتلي داعش في منطقة مساحتها أربعة كيلومترات مربعة حول الباغوز الفوقاني، حيث أدى نزوح المدنيين من المنطقة إلى تعقيد العملية العسكرية بشكل كبير.

استسلم بعض أعضاء داعش؛ قرر آخرون القتال حتى النهاية المريرة. وبعد 18 أسبوعاً من القتال العنيف، سيطرت قوات سوريا الديمقراطية وقوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة على الباغوز. وفي المجمل، قدر المرصد السوري لحقوق الإنسان أن 1168 من أعضاء وقادة داعش قتلوا في هذه العملية الأخيرة، إلى جانب 630 مقاتلاً من قوات سوريا الديمقراطية و713 سجيناً كان قد تم اعدامهم من قبل داعش.⁶⁰⁶ تم نقل عائلات مقاتلي داعش إلى مخيم الهول في محافظة الحسكة، بينما تم سجن مقاتلي داعش المستسلمين في سجون قوات سوريا الديمقراطية التي تضم أكثر من 12 ألف معتقل من داعش سوري وعراقي وأجنبي.

العواقب

ورغم أن "خلافة" داعش قد هُزمت أخيراً، إلا أن عنفها سيتردد صداه في جميع أنحاء دير الزور لسنوات عديدة.

تحدث العديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم في هذا التقرير في دير الزور عن صدمة تلك الفترة وظهر على العديد منهم أعراض اضطرابات ما بعد الصدمة، دون تقديم الكثير من الدعم في مجال الصحة العقلية لهم، إن وجد.⁶⁰⁷ وكانت مستويات الدمار مروعة: فقد تم تدمير 90% من المباني والبنية التحتية في مدينة دير الزور، مقارنة بـ 50% في الميادين واليوكمال.⁶⁰⁸ بدا سكان دير الزور معارضين لجهود "المصالحة" التي يبذلها النظام السوري،⁶⁰⁹ ولكن كانت هناك أيضاً تقارير عن مظالم محلية ضد الإدارة التي يقودها الكرد أيضاً.⁶¹⁰ لا تزال الاحتجاجات ضد الإدارة الذاتية سمة ثابتة للحياة في المناطق التي يسيطر عليها الكرد في المحافظة، ولكن بشكل خاص في مناطق العشائر العربية في شرق دير الزور.

⁶⁰² Ellen Francis, 'U.S.-backed alliance says Russian jets struck its fighters in east Syria' (25 أيلول / سبتمبر 2017) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-sdf/u-s-backed-militias-says-russian-jets-struck-its-fighters-in-east-syria-idUSKCN1C0118?il=0>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁶⁰³ Thomas Gibbons-Neff, 'How a 4-Hour Battle Between Russian Mercenaries and U.S. Commandos Unfolded in Syria' (نيويورك تايمز) (مدينة نيويورك، 24 أيار / مايو 2018) <<https://www.nytimes.com/2018/05/24/world/middleeast/american-commandos-russian-mercenaries-syria.html>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁶⁰⁴ Omar Abu Layla, 'How Iranian Militias Have Swallowed Deir Ezzor' (معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 16 شباط/فبراير 2022) <<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/how-iranian-militias-have-swallowed-deir-ezzor>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁶⁰⁵ Bassem Mroue, 'Syrian Kurdish-led fighters take Hajin, last town held by IS' (أسوشيتد برس، 14 كانون الأول / ديسمبر 2018) <<https://apnews.com/article/eebd0879a33b4dc0b06157bd5cc47083>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁶⁰⁶ SOHR, 'SDF and the Coalition control the last town of ISIS in Syria and continue to advance to end it completely east of Euphrates after 18 weeks of continuous military operations' (23 كانون الثاني/يناير 2016) <<http://www.syriahr.com/en/?p=113467>> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

⁶⁰⁷ الإفادة الفردية رقم 208.

⁶⁰⁸ Awad.

⁶⁰⁹ المرجع نفسه.

⁶¹⁰ Kittleson.

بعد عقد من الحرب وست سنوات من حكم داعش، لا تزال المجتمعات المحلية في دير الزور تخشى عودة داعش إلى المنطقة. ومع تحول التنظيم إلى التمرد، بقي مقاتلو داعش التابعين للعشائر في المنطقة وتمتعوا بالحماية المستمرة من قبل عشائريهم.⁶¹¹ علاوة على ذلك، في أعقاب هجوم عام 2022 على سجن غويران في الحسكة -عندما تمكن أكثر من مائة من أعضاء داعش من الفرار- تزايدت الهجمات ضد قوات سوريا الديمقراطية والقوات الحكومية والمليشيات المتحالفة المدعومة من إيران بشكل سريع.⁶¹²

ستبقى دير الزور في الأذهان دائمًا باعتبارها المكان الذي سقط فيه تنظيم داعش. ولكن مع استمرار الخلاف السياسي حول السيطرة على المحافظة ومواردها، فقد تكون المحافظة هي المكان الذي يمكن أن يسعى فيه داعش، إذا أتاحت له الفرصة، إلى إعادة تشكيل نفسه في المستقبل.

⁶¹¹ Baalbaky and Mhidi, ص 37.

⁶¹² Abdullah al-Ghadhawi, "Revenge for the Two Sheikhs": ISIS Renews Itself in the Syrian Desert' *مجلة نيوزلاين* (8 آب / أغسطس 2022) <https://newlinesinstitute.org/isis/revenge-for-the-two-sheikhs-isis-renews-itself-in-the-syrian-desert/> شوهد في 21 آب / أغسطس 2023.

القسم 3 - تحليل أسلوب حكم داعش وتأثيراته

يقدم الجزء الثالث من هذا التقرير تحليلاً لتأثير حكم داعش والصراع ضد داعش من خلال عدسة الاقتصاد والتعليم والجنس (النوع الاجتماعي) والصحة النفسية والضرر النفسي والاجتماعي يتم التحقيق في هذه المواضيع الأربعة من خلال الإفادات والمواد الأولية التي تم جمعها لهذا التقرير، يقدم هذا الجزء استكشافاً متعمقاً لاتساع وعمق تأثير داعش ويستخلص العديد من أوجه التشابه التي عاشها الناس في شمال شرق سوريا.

ويصنف الفصل الخاص بالاقتصاد مصادر إيرادات داعش المتنوعة، من مبيعات النفط إلى الضرائب والغرامات، ويعرض بالتفصيل التأثير المدمر للبرنامج الاقتصادي على الناس العاديين. تستكشف دراسة النظام التعليمي تأثير أيديولوجية داعش على الطلاب والمعلمين والمناهج الدراسية، وكيف أدى ذلك إلى الغياب عن المدارس وفقدان القراءة والكتابة والتحصيل التعليمي، فضلاً عن تدمير المدارس. يتخذ الفصل المتعلق بالجنس (النوع الاجتماعي) نهجاً متعدد الجوانب للتحقيق في تأثير العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي، بما في ذلك ضد الأقليات العرقية والجنسية، وتأثير البرنامج الاجتماعي الصارم لتنظيم داعش ليس فقط على النساء والفتيات، ولكن أيضاً على الرجال والفتيان. أخيراً، يسلط الفصل الخاص بالتأثير على الصحة العامة والصحة النفسية في مرحلة ما بعد داعش الضوء على أوجه الحرمان المتعددة التي خضعت لها المنطقة من حيث الصحة العامة والضييق النفسي. وكما تعرض التأثيرات على الصحة العامة والصحة النفسية بالتفصيل الآثار الاجتماعية الخائفة لبرنامج حكم داعش، والتي قد تستمر آثارها لسنوات قادمة.

1. التكلفة الاقتصادية لحكم داعش والحرب ضدّه في شمال شرق سورّيّة

كانت التكاليف المرتبطة بالحرب في سورية بعد اثني عشر عامًا من بداية الحرب في سورية وأربع سنوات منذ انتهاء الأعمال العدائية ضد داعش مذهلة جدًا. ففي نهاية عام 2022 كان تسعة من كل 10 سوريين يعيشون في فقر، ومع ارتفاع أسعار المواد الغذائية بنسبة 800%، أصبح 12.4 مليون شخص يعانون من انعدام الأمن الغذائي.⁶¹³ ووفقًا لأحد التقديرات، خسرت سورية ما بين 20 إلى 38 مليار دولار من قدرة النمو السنوية،⁶¹⁴ في حين قدر البنك الدولي أنه بين عامي 2010 و2021، انكمش الاقتصاد السوري بأكثر من النصف، مما يتطلب إعادة تصنيفه من دولة متوسطة إلى منخفضة الدخل.⁶¹⁵ ويأتي هذا الوضع نتيجة للبنية التحتية المتضررة والأصول الاستراتيجية وفقدان رأس المال البشري وتراجع القدرة على الحكم، وتفكك الشبكات الاقتصادية الراسخة.⁶¹⁶ بالإضافة إلى ذلك، لا تزال سورية تخضع لعقوبات اقتصادية شاملة، تهدف إلى ممارسة أقصى قدر من الضغط الاقتصادي على قيادة النظام وأجهزته العسكرية والأمنية.

تتماشى مؤشرات الخسارة الاقتصادية مع المزيد من المؤشرات الشاملة فيما يتعلق بالتكلفة الاقتصادية للحرب بما في ذلك التقدير الأوسع الذي ينص على أن كل عام من الحرب الأهلية يكلف الاقتصاد الوطني 2.2% من نموه الأساسي.⁶¹⁷ بينما تجد نماذج أخرى أن شدة الحرب -مقاسة بعدد الوفيات وليس العدد الإجمالي للضحايا- هي عامل تنبؤي للأثر الاقتصادي اللاحق. إن أربع سنوات من الحرب الأهلية تكلف عادة 18% من الناتج المحلي الإجمالي.⁶¹⁸ وتشير نفس الدراسات إلى التأثيرات الواسعة النطاق للحرب على جميع أجزاء المجتمع - سواء من حيث الوزن والطول عند الولادة أو المستوى النهائي للتعليم أو أسعار المساكن. وفي كثير من الأحيان، تدوم هذه الآثار لفترة أطول بكثير من العنف المرتبط بالحرب نفسها،⁶¹⁹ ويتم تكديدها من خلال مجموعة من الآثار المرتبطة بالحرب: نهب الموارد الطبيعية وتوجيه الرجال والفتيان إلى الحرب والابتعاد عن التعليم وتدمير البنية التحتية وسلاسل التوريد وانهيار التجارة.⁶²⁰

وفي شمال شرق سوريا، أعقب الدمار الواسع النطاق وفقدان رأس المال البشري الناجم عن السنوات القليلة الأولى من الحرب السوريّة عدة سنوات من حكم داعش الوحشي والمكلف. فخلال السنوات الخمس التي كانت فيها ما يسمى بـ "الخلافة" تدير شمال شرق سوريا، استخرج داعش إيرادات من كل جانب من جوانب الاقتصاد تقريبًا. من ضريبة الدخل إلى المنتجات الزراعية، ومن النفط إلى الغرامات على انتهاكات السلوك المحظور.⁶²¹ وفي حين تم استخدام بعض هذه الإيرادات، لبعض الوقت، لتوفير الحد الأدنى من الخدمات العامة في المناطق الخاضعة لسيطرة داعش، فإن كل الدخل الذي حققه داعش تقريبًا تم استخدامه لطموحات وأغراض تجاوزت الحكم المحلي، بما في ذلك الحملات العسكرية الواسعة النطاق التي قام بها داعش. تمويل الهجمات الإرهابية في الخارج. في جوهره، كان التأثير الاقتصادي لتنظيم داعش استخراجيًا في المقام

⁶¹³ Euro-Med Human Rights Monitor, 'Syria: Unprecedented rise in poverty rate, significant shortfall in humanitarian aid funding' (أكتوبر 2022) <<https://euromedmonitor.org/en/article/5382/Syria:-Unprecedented-rise-in-poverty-rate,-significant-shortfall-in-humanitarian-aid-funding>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶¹⁴ Hannes Mueller and Julia Tobias, 'The cost of violence—Estimating the economic impact of violence' (13 كانون الأول/ديسمبر 2016) <<https://www.theigc.org/publications/growth-brief-cost-violence-estimating-economic-impact-conflict>> شوهد في 14 نيسان / أبريل 2023.

⁶¹⁵ World Bank, 'Syria: Overview' <<https://www.worldbank.org/en/country/syria/overview>> شوهد في 14 نيسان / أبريل 2023.

⁶¹⁶ المرجع نفسه.

⁶¹⁷ Paul Collier, 'On the Economic Consequences of Civil War' (1999) 51(1) <<https://www.jstor.org/stable/3488597>> أوراق أكسفورد الاقتصادية شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶¹⁸ Mueller and Tobias, 'The cost of violence'.

⁶¹⁹ Hannes Mueller, 'The Economic Costs of Conflict' (2013) <<https://www.theigc.org/sites/default/files/2014/09/Mueller-2013-Working-Paper2.pdf>> شوهد في 14 نيسان / أبريل 2023.

⁶²⁰ المرجع نفسه.

⁶²¹ World Economic Forum, 'How ISIS runs its economy' (16 December 2015) <<https://www.weforum.org/agenda/2015/12/how-isis-runs-its-economy/>> شوهد في 2 أيار / مايو 2023.

الأول، حيث استنزف التنظيم الموارد ونهب الممتلكات والأصول من الأراضي الخاضعة لسيطرته دون المساهمة بشكل كبير في صيانتها أو حكمها، على الرغم من ادعاءات الدعاية التي تشير إلى ذلك.⁶²²

بمجرد تعرض داعش لضغوط متزايدة من التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة في التقدم الجوي والبري الذي حققته قوات سوريا الديمقراطية المدعومة من الولايات المتحدة وسيطرت على المزيد من الأراضي شرق نهر الفرات، توقف التنظيم عن تقديم الخدمات المحلية، مع توجيه عائدات النفط والضرائب إلى العمليات العسكرية. وكانت الخسائر البشرية لهذا التحول مذهلة. بين جمع داعش للموارد الاستخراجية، وإهماله للاحتياجات الاقتصادية المحلية والدمار المرتبط بالحرب، تُركت المجتمعات في شمال شرق سوريا فقيرة ومهمشة - وهو الوضع الراهن الذي استمر حتى يومنا هذا، بعد فترة طويلة من الانهيار الإقليمي لداعش.

المنهجية

لقد تناولت مجموعة كبيرة من الأعمال الأكاديمية والمرتكزة على السياسات بالفعل إدارة تنظيم داعش وهيكله، فضلاً عن تكلفة الحرب على الاقتصاد السوري. يسعى هذا الفصل إلى استكمال هذه الأعمال من خلال تقديم رؤى حول التكاليف الاقتصادية على المستوى الفردي والمجتمعي لحكم داعش والحرب ضده. بالإضافة إلى ذلك، نظراً لأن معظم الدراسات حول تكلفة الحرب في سوريا تركز على المناطق التي تسيطر عليها الحكومة في البلاد، حيث يسهل الحصول على الأرقام المتعلقة بالعملة والبنية التحتية والتجارة، فإن هذا الفصل - وإن لم يكن بشكل شامل - يعرض تفاصيل الوضع في شمال شرق سوريا على وجه التحديد. ويتناول الفصل أيضاً العناصر الفردية والبشرية للحرب التي تم التقاطها، ولكنها تحجبها إلى حد كبير نماذج الاقتصاد الكلي - فقدان المنازل والوظائف والفرص - والتي من غير المرجح أن يتم استردادها خلال هذه الفترة. ويتناول بعض الأسئلة التالية: ما هي مصادر الإيرادات الرئيسية لتنظيم داعش في شمال شرق سوريا؟ ما هو مدى الضرر الذي لحق بالبنية التحتية في المجتمعات التي شملتها الدراسة؟ وأخيراً، كيف أثرت الطرق الرئيسية التي يستخرج بها داعش الإيرادات على المجتمعات والأسر؟

إن النتائج الواردة في هذا الفصل مستمدة من مجموعة من الأبحاث المكتوبة من مصادر أكاديمية وسياسية ومقابلات مع مصادر رئيسية للمعلومات، أجرتها مبادرة دفاع الحقوقية مع قادة المجتمع والاقتصاديين والصحفيين في الحسكة والقامشلي ومنبج والطبقة والرقعة ودير الزور بين نيسان / أبريل وحزيران / يونيو 2023.

يُعرى أحد القيود البحثية الملحوظة إلى حقيقة أن السلطة الحاكمة في شمال شرق سوريا، الإدارة الذاتية، تعمل ككيان شبه مستقل بحكم الأمر الواقع ولا تنتج سوى القليل من بيانات الاقتصاد الكلي. عادة ما تأخذ الأرقام المتعلقة بالاقتصاد السوري قبل الحرب البلد بأكمله بعين الاعتبار، وتفتقر العديد من الأوصاف النوعية التفصيلية للتنمية الاقتصادية التاريخية في شمال شرق سوريا إلى مكونات كمية. ويتفاقم غياب البيانات الخاصة بالشمال الشرقي في التقديرات المتعلقة بإجمالي التكاليف المرتبطة بالحرب التي تكبدتها سوريا بين عام 2011 وحتى يومنا هذا. في حين أن الاقتصاد في شمال شرق سوريا لا يزال مرتبطاً بشكل وثيق بدمشق، على سبيل المثال من خلال عملتها ووضعها الدولي الرسمي، فقد رسمت المنطقة طريقها الخاص فيما يتعلق بجهود الحكم وإعادة الإعمار - بما في ذلك بناء البنية التحتية التي حُرمت منها مجتمعات الشمال الشرقي لعقود من الزمن قبل الحرب. ولذلك فإن هذا التقرير يميز بشكل متعمد الأرقام المتعلقة بسورية ككل عن الأوصاف، وحيثما أمكن، يُميز البيانات الخاصة بشمال شرق سوريا.

يقدم الفصل أولاً نظرة عامة حول موجودات البحث في شمال شرق سوريا من أجل وضع سياق الموجودات ووصف المواقع التي شملتها الدراسة قبل تلخيص الموجودات الرئيسية المتعلقة بتكلفة الاقتصاد الكلي للحرب في شمال شرق سوريا. ثم يستعرض بإيجاز المكونات الاقتصادية لنظام حكم داعش، بما في ذلك مصادر إيراداته الرئيسية. أخيراً، ينتقل الفصل إلى وصف الطرق التي كان بها للموجودات الاقتصادية الكلية تأثيرات على الاقتصاد الجزئي: كيف أثر حكم داعش على

⁶²² وقد أصدر تنظيم داعش مراراً وتكراراً بيانات دعائية تعلن فيها عن إعادة توزيع ما يسمى بـ "غنائم الحرب" على الأيتام والمحتاجين. انظر: Mara Revkin, *The Legal Foundations of the Islamic State* (مشروع بروكينغز للعلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامي، تموز / يوليو 2016) <https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/07/Brookings-Analysis-Paper-Mara-Revkin-Web.pdf> - شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

المجتمعات والأفراد، وكيف ترددت أصداء هذا التأثير في السنوات التي تلت التوقف الرسمي للحرب مع داعش في عام 2019.

اقتصاد شمال شرق سوريا قبل الحرب

منذ تأسيس الجمهورية العربية السورية في عام 1948، كان شمال شرق البلاد منطقة زراعية في الغالب ولم تتلق سوى القليل من الاستثمار من الحكومة المركزية مقارنة بالمناطق الأخرى.⁶²³ وبينما طورت حلب ودمشق مصانع كبيرة واقتصادات صناعية، فرضت الحكومة السورية قيودًا مشددة على التنمية في الشمال الشرقي، مشيرة إلى أهمية الحفاظ على الأراضي للأغراض الزراعية وحساسية المناطق النامية على طول الحدود التركية والعراقية.⁶²⁴

في العقود الستة التي انقضت بين استقلال سوريا وبداية انتفاضة ما بعد عام 2011 والحرب الأهلية التي تلتها، أصدرت الحكومة أنظمة عقابية متزايدة تعمل على تضيق فرص التنمية الاقتصادية خارج قلبها الاقتصادي. في حين أصبحت مناطق أخرى من البلاد خارج شمال شرق سوريا صناعية بشكل متزايد، ظل الشمال الشرقي متخلفًا وفقيرًا ويعتمد على الزراعة، حيث يُؤفّر الموارد النفطية والقمح والشعير لبقية البلاد.

في حين أن السياسات التي تقيد النمو الاقتصادي في الشمال الشرقي أدت إلى انخفاض الفرص الاقتصادية لجميع أولئك الذين يعيشون في المنطقة، فقد استهدفت تشريعات أخرى السكان الكرد على وجه التحديد. يشكل شمال شرق سوريا جزءًا من الشريط الجغرافي للوطن الكردي التاريخي، والذي يمتد شمالاً إلى جنوب تركيا وشرقاً عبر كردستان العراق وإيران. أدت سلسلة من السياسات الحكومية منذ أوائل الخمسينيات إلى تضيق الفرص الاقتصادية بشكل تدريجي للشمال الشرقي والأكراد على وجه الخصوص. وفي عام 1952، أصدرت الحكومة قانونًا يحظر تحسين الأراضي الزراعية القريبة من الحدود التركية والعراقية لأسباب أمنية؛⁶²⁵ وفي وقت لاحق، أدى إحصاء السكان الكرد في كورباني والحسكة عام 1962 إلى حرمان 120 ألف كردي من الجنسية السورية، مما جعلهم عديمي الجنسية.⁶²⁶ وقد حرّمهم ذلك من حقوقهم الأساسية، بما في ذلك المشاركة الكاملة في الاقتصاد السوري، من خلال تقييد الوصول إلى بعض المهن - القانون والطب والهندسة والصحافة وأدوار القطاع العام - التي كانت تُمنح للمواطنين، وأوقعهم في وضع قانوني مستمر حتى اليوم.⁶²⁷

في عام 1973، تحرك الرئيس السوري آنذاك حافظ الأسد لإنشاء ما يسمى "الحزام العربي"، وهو شريط عسكري من الأرض بعرض 15 كيلومترًا وطول 375 كيلومترًا على طول الحدود التركية في شمال شرق سوريا. أدى هذا إلى نزوح 60 ألف كردي سوري آخرين من المنطقة ونقل أراضيهم إلى العائلات العربية النازحة بسبب بناء سد الطبقة.⁶²⁸ وتم تجريد العائلات التي قاومت الطوق العربي من جنسيتها السورية.⁶²⁹ طوال الثمانينيات والتسعينيات، على الرغم من أن نظام الأسد دعم الجهود الكردية الإقليمية لتحقيق الحكم الذاتي السياسي في تركيا والعراق، إلا أن القمع الداخلي للكرد السوريين استمر.⁶³⁰ أدى الجفاف الشديد في جميع أنحاء سوريا بين عامي 1998 و2001 إلى تدفق المزيد من السكان

⁶²³ Lucas Chapman and Ali Ali, 'Northeast Syria's Industrial Revolution: Advances and Challenges' (المعهد الكردي للسلام، 18 تشرين الأول/أكتوبر 2022) <<https://www.kurdishpeace.org/research/economics/northeast-syrias-industrial-revolution-advances-and-challenges/>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶²⁴ المرجع نفسه.

⁶²⁵ المرجع نفسه.

⁶²⁶ Human Rights Watch (HRW), 'Syria: The Silenced Kurds' (تشرين الأول / أكتوبر 1996) <<https://www.hrw.org/reports/1996/Syria.htm>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶²⁷ يقدر الآن عدد الكرد السوريين المتأثرين بتعداد عام 1962 بما يصل إلى 300.000.

انظر: Syrians for Truth and Justice (STJ), 'Statelessness in Syria: An Enduring Dilemma' (11 October 2022) <<https://stj.org/en/statelessness-in-syria-an-enduring-dilemma/>> شوهد في 15 أيار / مايو 2023 United Nations Office of the High Commissioner for Human Rights (OHCHR), 'Persecution and Discrimination Against Kurdish Citizens in Syria' (المرجعة الدورية الشاملة لسورية (أكتوبر 2011) SY/KIS-2011) <<https://www.ohchr.org/sites/default/files/lib-docs/HRBodies/UPR/Documents/session12/SY/KIS-2011.pdf>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶²⁸ وتقدر بعض المنظمات غير الحكومية أن ما يصل إلى 60 ألف كردي غادروا المنطقة إلى دمشق خلال هذه الفترة.

انظر: Minority Rights Group International, 'Syria: Kurds' (March 2018) <<https://minorityrights.org/minorities/kurds-5/>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023 Council on Foreign Relations, 'The Kurds' Long Struggle With Statelessness: 1920-2022' (n.d.) <<https://www.cfr.org/timeline/kurds-long-struggle-statelessness>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶²⁹ OHCHR, 'Persecution and Discrimination'.

⁶³⁰ Minority Rights.

من المناطق الزراعية ذات الأغلبية الكردية إلى المدن: اضطر 329000 شخص في شمال شرق سوريا (من 47000 أسرة بدوية) إلى تصفية الممتلكات الزراعية والماشية وواجهوا نقصاً في الغذاء.⁶³¹

في عام 2004، بعد وقت قصير من تولي بشار الأسد، نجل حافظ، منصب الرئيس، اندلعت أعمال شغب في القامشلي بعد مباراة لكرة القدم، وسرعان ما تحولت إلى حركة أوسع تركز على الحقوق الكردية. وقوبلت الاحتجاجات، التي انتشرت بسرعة في جميع أنحاء شمال شرق سوريا، بسياسات اقتصادية أكثر صرامة. أدى القانون رقم 2004/41، الذي صدر في الأشهر التي تلت أعمال الشغب، إلى تشديد العقوبات المرتبطة بتطوير الأراضي الزراعية على طول الحدود (إلى السجن لمدة عامين وغرامات كبيرة).⁶³² وبعد أربع سنوات، تم توسيع هذا القانون بشكل أكبر من خلال المرسوم رقم 2008/49، الذي يحظر نقل أو رهن الممتلكات في المناطق الحدودية دون تصريح مسبق من خلال عملية تصريح واسعة النطاق؛ وقد تفاقم هذا الوضع بموجب المرسوم رقم 2008/59 الذي فرض هدم المباني المخالفة لهذه الأنظمة.⁶³³ على الرغم من أن طلبات الحصول على تصاريح البناء في المناطق المحظورة كانت مفتوحة لجميع السوريين، إلا أنه نادراً ما حصل عليها الكرد.⁶³⁴ ونتيجة لهذه القيود، لم يكن لدى المدن الكردية في الشمال الشرقي سوى عدد قليل من المصانع - أو وظائف المصانع - التي كانت موجودة في حلب ودمشق، وهاجر العديد من الكرد إلى الخارج أو إلى مدن سورية أخرى بحثاً عن العمل.⁶³⁵

في الوقت نفسه، في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، قام الرئيس الأسد بتوسيع سياسات الخصخصة التي بدأها والده في أواخر التسعينيات بشكل كبير.⁶³⁶ وأدى ذلك إلى ظهور طبقة رجال أعمال خاصة لها علاقات وثيقة مع النظام والدائرة الداخلية للأسد؛ ويرى البعض أن هذه السياسات عجلت أيضاً بزيادة معدلات الفقر بين الطبقات الدنيا، وخاصة أولئك الذين يعيشون خارج المناطق الحضرية.⁶³⁷ طوال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، استنزفت احتياطات المياه الجوفية في شمال شرق سوريا واستنزفت الأراضي الزراعية من خلال مشاريع التنمية الزراعية المخصصة والطموحة، مما زاد من تعرض المجتمعات الريفية للخطر.⁶³⁸

كما مهد التحرر الاقتصادي الطريق لسلسلة من الاتفاقيات مع شركات النفط العالمية العملاقة، بما في ذلك شل، وتوتال، وجلف ساندز. وقامت هذه الشركات بخصخصة استكشاف حقول النفط السورية في الشمال الشرقي.⁶³⁹ يحتوي شمال شرق سوريا على احتياطات النفط في البلاد، والتي تتركز إلى حد كبير في حقول العمر للنفط والغاز شرق دير الزور.⁶⁴⁰ على الرغم من أن هذه الحقول كانت متواضعة وفقاً للمعايير الدولية، ولا تساهم إلا بجزء صغير من إنتاج النفط العالمي، إلا أنها لا تزال تمثل ما بين خمسة إلى سبعة بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي للدولة قبل الحرب.⁶⁴¹ خلال الفترة الممتدة لعقد من الزمن بين التحرير وفرض العقوبات الدولية، تولت شركة أمريكية توزيع النفط السوري القادم من شمال شرق سوريا؛ وبعد فرض العقوبات في كانون الأول/ديسمبر 2011، ذهبت هذه الإيرادات إلى الشركة العامة للبترول المملوكة للدولة.⁶⁴²

⁶³¹ Francesca de Chatel, 'The Role of Drought and Climate Change in the Syrian Uprising: Untangling the Triggers of the Revolution' (2014) 50(4) *Middle Eastern Studies*, citing Frank Hole, 'Drivers of Unsustainable Land Use in the Semi-Arid Khabur River Basin, Syria' (2009) 47(1) *البحث الجغرافي* <<https://onlinelibrary.wiley.com/doi/pdf/10.1111/j.1745-5871.2008.00550.x>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶³² Chapman and Ali.

⁶³³ المرجع نفسه.

⁶³⁴ المرجع نفسه.

⁶³⁵ المرجع نفسه.

⁶³⁶ Alice Bonfatti, 'The socio-economic roots of Syria's uprising' (21 أيلول / سبتمبر 2017) <<https://aljumhuriya.net/en/2017/09/21/socio-economic-roots-syrias-uprising/>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶³⁷ المرجع نفسه.

⁶³⁸ De Chatel.

⁶³⁹ brahim Hamidi, 'The Syrian Oil: Time for New Approach?' (9 تشرين الثاني / نوفمبر 2022) <<https://english.aawsat.com/home/article/3977206/syrian-oil-time-new-approach>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶⁴⁰ Enab Baladi, 'The US and Al-Omar Oil Field: Military base or oil greed' (23 أيلول / سبتمبر 2022) <<https://english.enabbaladi.net/archives/2022/09/the-us-and-al-omar-oil-field-military-base-or-oil-greed/>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶⁴¹ Dr. Peter Bartu and Maurice Ruttiman, 'Northeast Syria: The Good, Bad & the Oil' (المعهد الأسترالي للشؤون الدولية، 8 حزيران/يونيو 2021) <<https://www.internationalaffairs.org.au/australianoutlook/north-east-syria-the-good-the-bad-the-oil/>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶⁴² المرجع نفسه.

وفي حين انخفضت معدلات الفقر في بقية أنحاء سوريا بين عامي 1998 و2004، إلا أنها زادت في ريف شمال شرق سوريا خلال الفترة نفسها.⁶⁴³ وفي عام 2004، سجلت المحافظات الشمالية الشرقية أعلى معدلات الفقر في المناطق الريفية والحضرية، حيث يعيش 58% من فقراء سوريا في المنطقة، ويعيش 21% من السكان على أقل من دولارين في اليوم.⁶⁴⁴ وفي عام 2005، ألغت الحكومة السورية الدعم الحكومي، وهو النظام الذي كانت الأسر ذات الدخل المنخفض تعتمد عليه بشكل كبير.⁶⁴⁵ بين عامي 2005 و2010، انخفضت حصة الزراعة في الناتج المحلي الإجمالي السوري من 7.8% إلى 2.2%، واعتبر 56% من السوريين الذين يعيشون في الريف فقراء.⁶⁴⁶

لذلك، عند اندلاع الحرب في عام 2011، تم استبعاد شمال شرق سوريا من التقدم الاقتصادي والبنية التحتية الذي شهدته بقية البلاد. وحتى قبل وصول تنظيم داعش، أدت انتفاضة ما بعد عام 2011 إلى تفاقم نقاط الضعف الاقتصادية التي كانت موجودة قبل الحرب. ومع ذلك، لن يمر وقت طويل قبل أن يضع تنظيم داعش أنظاره على الموارد الغنية في شمال شرق سوريا - مع ما يترتب على ذلك من عواقب مدمرة.

مصادر إيرادات داعش الأساسية في شمال شرق سوريا

وعلى عكس المنظمات السابقة مثل تنظيم القاعدة، التي مولت نفسها في المقام الأول من خلال التبرعات الخارجية، قام داعش بتمويل نفسه أولاً وقبل كل شيء من خلال الأراضي التي سيطر عليها في سوريا والعراق.⁶⁴⁷ في عام 2017، قُدرت عائدات التنظيم السنوية بنحو 500 مليون دولار من النفط، و200 مليون دولار من عائدات الأراضي الزراعية العراقية والسورية، و45 مليون دولار من الاختطاف والقدية، و5 ملايين دولار أخرى من التبرعات الأجنبية.⁶⁴⁸

بالإضافة إلى ذلك، وُقِرَ ابتزاز السكان المحليين مصدرًا كبيرًا لدخل داعش. وقد حدث الكثير من عمليات نهب البنوك في الموصل، حيث كان يوجد فرع كبير للبنك المركزي العراقي هناك، وكان تلقي التبرعات الخارجية مركزياً إلى حد كبير في الموصل. وفي شمال شرق سوريا على وجه التحديد، جاء معظم دخل التنظيم من الضرائب الزراعية واستغلال البنية التحتية النفطية والضرائب على الواردات القادمة من تركيا.⁶⁴⁹

عائدات النفط

كانت عائدات النفط أكبر مصدر دخل لداعش.⁶⁵⁰ كجزء من توسعه الإقليمي عبر شمال شرق سوريا في عام 2014، استولى داعش على البنية التحتية النفطية في المنطقة في محافظات دير الزور والحسكة والرقعة. بحلول 13 كانون الثاني / يناير 2014، كانت الأصول النفطية في الرقة تحت سيطرة داعش بالكامل؛⁶⁵¹ وبعد نصف عام، استولى التنظيم على حقلي العمر والتك النفطيين، ثم استولت على حقول النفط المتبقية في دير الزور بعد ذلك بوقت قصير.⁶⁵² وبينما ظلت

⁶⁴³ 'United Nations Development Programme (UNDP), 'Poverty in Syria 1996-2004, Diagnosis and Pro-Poor Policy Considerations' (26 آذار / مارس 2020)، ص 27 <<https://www.undp.org/arab-states/publications/poverty-syria-1996-2004>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2021.

⁶⁴⁴ المرجع نفسه.

⁶⁴⁵ المرجع نفسه.

⁶⁴⁶ 'UNDP, 'Arab Development Challenges Report' (8 تشرين الثاني/نوفمبر 2013) <<https://www.undp.org/publications/arab-development-challenges-report-2011>> شوهد في 19 حزيران / يونيو 2023

⁶⁴⁷ FATF, Financing of the terrorist organisation Islamic State in Iraq and the Levant (ISIL) (27 February 2015) <<https://www.fatf-gafi.org/en/publications/Methodsand Trends/Financing-of-terrorist-organisation-isil.html>> شوهد في 15 أيار / مايو 2023.

⁶⁴⁸ European Parliament, The Financing of the 'Islamic State' in Iraq and Syria (ISIS) (أيلول / سبتمبر 2027) <[https://www.europarl.europa.eu/RegData/etudes/IDAN/2017/603835/EXPO_IDA\(2017\)603835_EN.pdf](https://www.europarl.europa.eu/RegData/etudes/IDAN/2017/603835/EXPO_IDA(2017)603835_EN.pdf)> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶⁴⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، أيار / مايو 2023.

⁶⁵⁰ Erika Solomon, Robin Kwong, and Steven Bernard, 'Inside ISIS Inc: The Journey of a Barrel of Oil' (29 شباط / فبراير 2015) Syria oil map: the journey of a barrel of Isis oil (ft.com) <<https://ig.ft.com/sites/2015/isis-oil/>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶⁵¹ لأن حقول النفط الأصغر لم تحظ باهتمام وسائل الإعلام الفردية، فقد قدرت دراسة أجراها البنك الدولي ذلك استناداً إلى الوقت الذي عزز فيه داعش سيطرته على محافظة الحسكة في كانون الثاني/يناير 2014.

انظر: 'Do Quy-Toan and others, 'How much oil is the Islamic state group producing: evidence from remote sensing' (البنك الدولي، 31 تشرين الأول/أكتوبر 2017) <<https://documents.worldbank.org/en/publication/documents-reports/documentdetail/239611509455488520/how-much-oil-is-the-islamic-state-group-producing-evidence-from-remote-sensing>>، شوهد في 3 أيار / مايو 2023

⁶⁵² Salma Abdelaziz, 'Group: ISIS takes major Syrian oil field' (3 يوليو 2014) <<https://edition.cnn.com/2014/07/03/world/meast/syria-isis-oil-field/index.html>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023 ; Al Arabiya News, 'ISIS 2023' <<https://english.alarabiya.net/News/middle-east/2014/07/04/islamic-militants-seize-Syria-oil-field>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

بعض الحقول في محافظة الحسكة تحت السيطرة الكردية طوال فترة حكم داعش، سقطت تلك الحقول في الهول والشدادي والجبسة في أيدي داعش في تموز/ يوليو 2014.⁶⁵³

تختلف تقديرات حجم الأموال التي كسبها داعش من النفط. وتشير بعض المصادر إلى أن داعش كان يكسب ما يصل إلى 3 ملايين دولار يوميًا في عام 2014؛ ويشير آخرون إلى أن التنظيم كان يحقق حوالي نصف هذا الرقم في عام 2016.⁶⁵⁴ وفي منتصف عام 2016، كان حقل العمر النفطي في دير الزور - وهو الأكبر في سوريا - ينتج ما بين 34 ألف إلى 40 ألف برميل من النفط يوميًا.⁶⁵⁵ وتمكن التنظيم من بيع النفط من حقل العمر مقابل 45 دولارًا للبرميل، وهو ما يتجاوز متوسط سعر الإغلاق العالمي في عام 2016، من خلال استغلال الأسواق المحلية الأسيرة في شمال شرق سوريا.⁶⁵⁶

في عام 2014، تشير التقديرات إلى أن أكبر مستهلك للنفط لتنظيم داعش هم السكان الخاضعون لسيطرته - حيث تشتري الأسر البنزين والمازوت (الديزل الثقيل منخفض الجودة) للاستهلاك اليومي.⁶⁵⁷ طُلب من تجار النفط العاملين داخل أراضي داعش تقديم شهادة زكاة تشير إلى أنهم دفعوا الضريبة بالفعل؛ طُلب من التجار من خارج أراضي داعش الذين لم يدفعوا الزكاة دفع ضريبة قدرها 200 ليرة سورية (حوالي 0.67 دولار) للبرميل.⁶⁵⁸

ولضمان الإمداد المحلي، قام داعش في عام 2015 بشراء ما لا يقل عن خمس مصافي في شمال شرق سوريا، مع الاحتفاظ بالمالكين السابقين لتشغيلها.⁶⁵⁹ قام داعش بتزويد النفط الخام للتكرير، وأخذ كل المازوت الناتج - الديزل الثقيل المستخدم لتشغيل المولدات - وتقاسم الأرباح مع مشغل المصفاة.⁶⁶⁰ منذ عام 2016، بينما كان داعش يكافح للحفاظ على تشغيل المصافي بسبب تضاول الإمدادات وتصادم الضربات الجوية الأمريكية والروسية، شهد الشمال الشرقي انتشارًا لـ "الحراقات"، وهي عمليات بدائية تشبه المصافي تتطلب عددًا أقل من الأجزاء المتخصصة وسمحت بالتكرير الأساسي للنفط الخام إلى مصفاة. المنتج الذي يمكن استخدامه في المولدات والسيارات.⁶⁶¹ ومع ذلك، تبين أن "مصافي الفناء الخلفي" هذه تُعرض الناس لمركبات شديدة السمية، مما يخلق "تأثير صحي طويل الأمد على المجتمعات وبيئاتها".⁶⁶²

التجارة الخارجية وسائقو الشاحنات والوسطاء والمهربون

على الرغم من تعصبه الأيديولوجي، أظهر داعش براغماتية ملحوظة عندما يتعلق الأمر بتجارة النفط. ولم يكن لديه أي مخاوف بشأن التعامل مع الأعداء في ساحة المعركة، سواء نظام الأسد أو الميليشيات الكردية في شمال شرق سوريا أو جماعات المعارضة المسلحة في الشمال الغربي.⁶⁶³ وبينما كان سوقه الرئيسي هو الأراضي الخاضعة لسيطرته، إلا أن تجارته تدفقت أيضًا إلى إقليم كردستان العراق وتركيا والأراضي التي تسيطر عليها الحكومة السورية.⁶⁶⁴

وكان توزيع النفط يخضع لسيطرة المهربين وسائقي الشاحنات والوسطاء.⁶⁶⁵ وكان تعامل تنظيم داعش مع النفط المنتج في أراضيه مقتصرًا على الاستخراج ومبيعات النفط الخام، وفي بعض الحالات، بيع المنتجات المكررة لتجار مستقلين؛ ولذلك توقفت مشاركتها عادة بمجرد دخول النفط إلى شاحنات التجار المستقلين. ومنذ ذلك الحين، تركزت مهمة التهريب للتجار الذين يدفعون الضرائب للتنظيم ولكنهم يعملون بشكل مستقل عنه.⁶⁶⁶

Quay-Toan and others.⁶⁵³

Luay Al-Khatteeb and Eline Gordts, 'How ISIS Uses Oil to Fund Terror' (بروكينغز، 27 أيلول/سبتمبر 2014) <<https://www.brookings.edu/on-the-record/how-isis-uses-oil-to-fund-terror/>> شوهده في 31 تموز / يوليو 2023.

Solomon and others.⁶⁵⁵

المرجع نفسه.⁶⁵⁶

El Khatteeb and Gordts.⁶⁵⁷

Solomon and others.⁶⁵⁸

المرجع نفسه.⁶⁵⁹

المرجع نفسه.⁶⁶⁰

مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي: تاجر، الطبقة، حزيران / يونيو 2023

Win Zijnenburg, *Scorched earth and charred lives: Human health and environmental risks of civilian-operated makeshift oil refineries* (باكس، آب / أغسطس 2016) <<https://paxforpeace.nl/wp-content/uploads/sites/2/import/import/pax-scorched-earth-and-charred-lives.pdf>> شوهده في 31 تموز / يوليو 2023.

Solomon and others.⁶⁶³

Al-Khatteeb and Gordts.⁶⁶⁴

المرجع نفسه.⁶⁶⁵

Solomon and others.⁶⁶⁶

وفقاً لكل من المصادر الدولية والأفراد الذين تمت استشارتهم في هذا التقرير، باع داعش في البداية النفط مباشرة إلى التجار المستقلين الذين أحضروا شاحناتهم مباشرة إلى حقول النفط، حيث اشتروا النفط الخام.⁶⁶⁷ يمكن لسائقي الشاحنات عادةً نقل ما يصل إلى 70 برميلاً.⁶⁶⁸ في البداية، كانت الشاحنات تصطف ببساطة على الطرق خارج مصافي النفط. ومع ذلك، أصبح هذا الأمر غير مقبول في وقت لاحق من الحرب عندما زادت الغارات الجوية للتحالف بقيادة الولايات المتحدة. وتم تحديد أوقات للسائقيين لاصطحابهم لتقليل طوابير المركبات، والذي كان بمثابة هدف واضح للغارات الجوية.⁶⁶⁹ وفي وقت لاحق، عندما تعرض داعش لضغوط مالية متزايدة، باع "تراخيص" لسائقي الشاحنات، مما سمح لهم بتخطي الطابور وشراء ما يصل إلى 1000 برميل في المرة الواحدة، بشرط أن يدفعوا ثمنها مسبقاً لهم.⁶⁷⁰

بمجرد قيام سائقي الشاحنات بجمع النفط من المصدر، يمكنهم إما بيعه إلى مصفاة أو تاجر له صلات خارج الأراضي التي يسيطر عليها داعش، أو بيع النفط الخام بأنفسهم في أسواق النفط الخام المحلية.⁶⁷¹ عادةً ما يقوم سائقو الشاحنات المتعاقدون مع مصفاة قريبة بنقل النفط الخام إلى المصفاة، في حين أن آخرين إما يتواصلون مع التجار بمركبات أصغر أو يسافرون إلى القائم، على الحدود السورية العراقية، للبيع في سوق النفط المحلي.⁶⁷²

وتوجه التجار خارج أراضي داعش إلى وجهات مثل الشمال الغربي الذي تسيطر عليه المعارضة، أو المناطق التي تسيطر عليها الحكومة أو العراق، لكنهم توجهوا أيضاً إلى بلدات السوق داخل أراضي داعش مثل منبج، والباب (بالقرب من حلب)، والقائم.⁶⁷³ ووفقاً لمصادر المعلومات الرئيسيين، فإن طرق التجارة الرئيسية داخل وخارج أراضي داعش مرت عبر صحراء تدمر الوسطى وعبر السخنة، وكلاهما في محافظة حمص.⁶⁷⁴ مر جزء كبير من النفط المهرب من أراضي داعش عبر الأراضي التي تسيطر عليها المعارضة، وبينما دخل بعضها في البداية إلى إقليم كردستان العراق، بحلول عام 2016، تم إغلاق الحدود وتمر النفط عبر سوق القائم في محافظة الأنبار جنوب العراق بدلاً من ذلك.⁶⁷⁵

كشفت مذكرة تعود إلى شباط / فبراير 2015، استعادتها القوات الخاصة الأمريكية خلال غارة في أيار / مايو من ذلك العام، أن أبو سيف، الأمير المسؤول عن وزارة النفط في داعش، أعطى الضوء الأخضر لعدة عقود نفطية بملايين الدولارات مع النظام.⁶⁷⁶ وفي الأشهر الستة التي سبقت صدور المذكرة، شكلت المبيعات للنظام 72% من عائدات داعش البالغة 289.5 مليون دولار من عائدات النفط.⁶⁷⁷ تم التعامل مع المعاملات بين نظام الأسد وتنظيم داعش إلى حد كبير من قبل رجال أعمال سوريين بارزين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالنظام. وكان المحاور الرئيسي مع داعش، وفقاً لوثائق العقوبات الدولية والمستجيبين الذين تمت مقابلتهم في هذا التقرير، هو حسام القاطرجي. يمتلك القاطرجي، المدرج في قائمة عقوبات وزارة الخزانة الأمريكية اعتباراً من عام 2020، حصة 50٪ على الأقل في شركة أفراد، وهي شركة لتجارة النفط لها علاقة تجارية مهمة مع الحكومة السورية. وكان يتولى بشكل مباشر الكثير من التجارة بين النظام وتنظيم داعش.⁶⁷⁸

لجأ صغار التجار، الذين لم يتمكنوا من الوصول إلى شخص مثل قاطرجي، إلى أساليب أكثر إبداعاً. ففي الأيام الأولى لحكم داعش في شمال شرق سوريا، عندما اقترب سعر البرميل من 90 دولاراً، استخدم المهربون القوارب لجلب النفط إلى تركيا، وقاموا بتحميله في براميل معدنية سعة 50 أو 60 لترًا ورفعوها عبر النهر إلى الجانب التركي. حيث حملتها

⁶⁶⁷ المرجع نفسه. وهذا ما تم تأكيده من خلال مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، كان صحفي، قامشلو / القامشلي، آذار / مارس 2023.

⁶⁶⁸ المرجع نفسه.

⁶⁶⁹ المرجع نفسه.

⁶⁷⁰ المرجع نفسه.

⁶⁷¹ المرجع نفسه.

⁶⁷² المرجع نفسه.

⁶⁷³ المرجع نفسه.

⁶⁷⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، كان صحفي، قامشلو / القامشلي، آذار / مارس 2023.

⁶⁷⁵ Solomon and others.

⁶⁷⁶ Benoit Faucon and Margaret Coker, 'The Rise and Deadly Fall of Islamic State's Oil Tycoon' *Washington Post*, 24 نيسان/أبريل 2016 <<https://www.wsj.com/articles/the-rise-and-deadly-fall-of-islamic-states-oil-tycoon-1461522313>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶⁷⁷ Jack Moore, 'ISIS's Multimillion Dollar Oil Deals With Assad Regime Uncovered in US Special Forces Raid' *Wall Street Journal*, 26 نيسان / أبريل 2016 <<https://www.newsweek.com/isis-oil-deals-assad-regime-revealed-us-special-forces-raid-452426>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶⁷⁸ US Department of State, 'Report to Congress On the Estimated Net Worth and Known Income Sources of Syrian President Bashar Al-Assad and His Family Members Section 6507 of the National Defense Authorization Act for Fiscal Year 2022' (P.L. 117-81).

الجرارات إلى محطة الطريق لتجميعها.⁶⁷⁹ اعتمدت طرق التهريب الأخرى على الأنابيب المطاطية وظهور الخيل وحمل الوعاء (الغالون) يدويًا عبر التضاريس الجبلية، في الغالب عبر الشمال الغربي الذي تسيطر عليه المعارضة ثم إلى تركيا.⁶⁸⁰ ومع انخفاض أسعار النفط في عامي 2015 و2016 والحملات القمعية في كردستان العراق وتركيا، أصبحت هذه الممارسات أقل ربحية وتوقفت إلى حد كبير.⁶⁸¹

ذروة إنتاج النفط

لقد كان الدخل الكبير الذي حصل عليه داعش من إنتاج النفط جديرًا بالملاحظة بشكل خاص بسبب القدرة المحدودة التي يمتلكها التنظيم لاستغلال تكنولوجيا الاستخراج أو التكرير المعقدة أو توسيع استخراج النفط الحالي. كما أن التنظيم كافح من أجل الحفاظ على البنية التحتية القديمة في أراضيه حيث قام بضخ النفط في المقام الأول من رؤوس الآبار الموجودة. في وراثة حقول النفط ومصافي النفط في جميع أنحاء شمال شرق سوريا - والتي تم بناء العديد منها باستخدام معدات قديمة تتطلب معرفة فنية محددة لصيانتها - كان داعش يعتمد بشكل كبير على تعاون السكان المحليين الذين كانوا يقومون بتشغيل حقول النفط ومصافي النفط قبل قدومه.⁶⁸² في بعض الحالات، كانت المنشآت النفطية تعمل أيضًا بمساحين أو جماعات متمردة منفصلة عن داعش، ولكنها تتعاون معه.⁶⁸³

حدثت ذروة إنتاج داعش من النفط في شمال شرق سوريا بين منتصف عام 2014 وأواخر عام 2015. في كانون الثاني / يناير 2016، بدأ التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة في استهداف البنية التحتية النفطية في المناطق الخاضعة لسيطرة داعش، بما في ذلك محطات فصل الغاز والنفط ورؤوس آبار النفط ومحطات الضخ. الرافعات والناقلات وكذلك معدات البناء والإصلاح ذات الصلة. وبحلول كانون الثاني / يناير 2017، بعد أن استعادت قوات سوريا الديمقراطية السيطرة الإقليمية على جزء كبير من المنطقة الواقعة شرق الفرات، استعادت أيضًا السيطرة على موارد النفط - والذي سيعتبر جزء كبير من الإيرادات التشغيلية لقوات سوريا الديمقراطية بعد ذلك. طوال عام 2017، وتحت ضغط من القوات الجوية والبرية ومع وجود ضائقة مالية متزايدة، كثف تنظيم داعش مبيعات النفط والغاز لنظام الأسد، والتي يقال إنها أصبحت أكبر مصدر لإيراداته.⁶⁸⁴ وفي الفترة بين كانون الثاني / يناير 2016 و2018، خسر تنظيم داعش 90% من عائداته النفطية.⁶⁸⁵

في حين أنه من الصعب حساب إجمالي إيرادات داعش من النفط، فمن المؤكد أنها انخفضت مع مرور الوقت بسبب الغارات الجوية التي شنتها قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة وانخفاض السعر العالمي للبرميل. ومع ذلك، في عام 2014، قُدر أن داعش يكسب ما يصل إلى 40 مليون دولار شهريًا من مبيعات النفط، مع انخفاض الإيرادات إلى ما يقرب من 4 ملايين دولار بحلول أكتوبر 2017.⁶⁸⁶ وقد وأد هذا إجمالي الأصول ما بين 1.3 مليار دولار و2 مليار دولار خلال الفترة التي قضاها التنظيم مُحْتَلا شمال شرق سوريا، مما جعل داعش أغنى جماعة إرهابية في العالم - أكثر ثراء من الدول الصغيرة مثل ناورو وتونغا وجزر مارشال.⁶⁸⁷

⁶⁷⁹ Solomon and others.

⁶⁸⁰ المرجع نفسه.

⁶⁸¹ Janine Di Giovanni, Leah McGrath Goodman and Damien Sharkov, 'How Does ISIS Fund Its Reign of Terror' (6 تشرين الثاني/نوفمبر 2014) <<https://www.newsweek.com/2014/11/14/how-does-isis-fund-its-reign-terror-282607.html>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁶⁸² Solomon and others.

⁶⁸³ Al-Khatteeb and Gordts.

⁶⁸⁴ Levitt, 'Terrorist Financing'.

⁶⁸⁵ Di Giovanni and others.

⁶⁸⁶ Rand Corporation, 'Oil, Extortion Still Paying Off for ISIS' (27 تشرين الأول / أكتوبر 2017) <<https://www.rand.org/blog/2017/10/oil-extortion-still-paying-off-for-isis.html>>

شوهد في 18 حزيران / يونيو 2023

⁶⁸⁷ Terrence McCoy, 'ISIS Just Stole \$425 million, Iraqi Governor says, and became the world's richest terror group' (12 حزيران/يونيو 2014) <<https://www.washingtonpost.com/news/morning-mix/wp/2014/06/12/isis-just-stole-425-million-2014-06-12/>>

شوهد في 18 حزيران / يونيو 2023 and-became-the-worlds-richest-terrorist-group/>

جمع الزكاة

وفي ذروة قوته، حصل داعش على أكثر من مليون دولار يوميًا من عائدات الابتزاز والضرائب.⁶⁸⁸ في حين أن الكثير من هذا جاء من الضرائب على الرواتب الحكومية (تم فرض ضريبة على رواتب الحكومة العراقية بنسبة 50٪)، و عقود الشركات (20٪ من قيمة العقد) والأفراد والبضائع التي تمر عبر أراضيها، شكلت الضرائب الزراعية جزءًا كبيرًا من الإيرادات، وخاصة في شمال شرق سوريا.⁶⁸⁹

في آب/أغسطس 2014، فرض تنظيم داعش أول ضريبة له – ضريبة حدودية قدرها 5000 ليرة سورية شهريًا (حوالي 23 دولارًا آنذاك) على الحافلات التي تقل الركاب من مناطق أخرى في سورية.⁶⁹⁰ وأعقب ذلك في سبتمبر/أيلول 2014 فرض الضرائب على مياه الشرب والكهرباء والغاز، حيث بدأ تنظيم داعش في تقديم الخدمات الأساسية للسكان الخاضعين لسيطرته.⁶⁹¹ في كانون الثاني/يناير 2015، بدأ تنظيم داعش بفتح ديوان الزكاة في جميع أنحاء أراضيها وأعلن في خطب الجمعة أنه سيتم جمع ضريبة بنسبة 2.5% - إذا لزم الأمر، بالقوة - من المجتمعات المحلية.⁶⁹² اعتبر داعش الزكاة فريضة دينية، وأنّ عدم دفعها بمثابة الردة.⁶⁹³

وبعد ذلك بوقت قصير، بدأ جامعوا الزكاة بزيارة المتاجر المحلية وصاغة الذهب، لحساب قيمة بضائعهم لإنتاج الفواتير الضريبية.⁶⁹⁴ تم فرض الضريبة على جميع الشركات والأفراد الذين يتجاوز دخلهم عتبة الدخل، وتم استخدام جزء من الدخل الضريبي، على الأقل في البداية، لتوفير الغذاء والإمدادات الأساسية لأفراد المجتمع الأكثر فقرًا.⁶⁹⁵ يمكن إعفاء المتاجر الصغيرة جدًا وأكشاك الطعام والأعمال التجارية الصغيرة في الريف من الضريبة إذا تم تحديدها على أنها تقع تحت عتبة الزكاة.⁶⁹⁶ وبينما كانت مكاتب تحصيل الضرائب هذه موجودة في البداية في كل مركز مدينة، فقد تم نقلها بشكل متكرر، إلى جانب جميع المرافق البلدية الأخرى لداعش عند اشتداد الضربات الجوية.⁶⁹⁷

وفي المقابلات التي تم إجراؤها مع مصادر المعلومات الرئيسيين، لم يكن مدى توحيد معدلات الضرائب واضحًا. يعتقد البعض أن نظام الضرائب المفروض على مدينتهم كان محددًا؛ وكان آخرون غير متأكدين من أن الضرائب يتم جمعها في مدينتهم من قبل مسؤولين محليين مع القليل من التوضيح حول ارتباطها بالنظام الشامل للتنظيم. وتم تفويض المكاتب المحلية وموظفي داعش لتحصيل الضرائب، مثل الوالي أو الحاكم. وعمل المخبرون في جميع أنحاء المجتمع بالتعاون مع وحدات الحسبة المحلية من الذكور والإناث.⁶⁹⁸

يتذكر أحد أصحاب الأعمال في الرقة كيف كان أصحاب الأعمال يتلقون فواتير زكاة مختومة صادرة عن داعش تشير إلى المبلغ المستحق، والذي قام مسؤولو داعش بحسابه بشكل مستقل.⁶⁹⁹ وبالإضافة إلى السلع، كانت البنية التحتية خاضعة للضريبة أيضًا، حيث فرض داعش الضرائب على المباني. وبحسب صاحب العمل في الرقة، تم تقدير المدخرات النقدية بنسبة 2.5% من القيمة الإجمالية والأبقار بنسبة 10% من قيمتها والأغنام بنسبة 40%.⁷⁰⁰ وتراوحت عقوبة عدم دفع

⁶⁸⁸ European Parliament, 'The financing of the Islamic State'.

⁶⁸⁹ المرجع نفسه

⁶⁹⁰ Mara Revkin, 'The Non-Economic Logic of Rebel Taxation, Evidence from an Islamic State Controlled District' (مشروع العلوم السياسية في الشرق الأوسط، n.d.)

⁶⁹¹ <https://pomeps.org/the-non-economic-logic-of-rebel-taxation-evidence-from-an-islamic-state-controlled-district>

⁶⁹² شوهده في 19 حزيران / يونيو 2023

⁶⁹³ المرجع نفسه.

⁶⁹⁴ المرجع نفسه.

⁶⁹⁵ المرجع نفسه.

⁶⁹⁶ المرجع نفسه.

⁶⁹⁷ المرجع نفسه.

⁶⁹⁸ المرجع نفسه.

⁶⁹⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، رجل أعمال / الطبقة، حزيران / يونيو 2023.

⁷⁰⁰ المرجع نفسه.

الضرائب، بحسب مصادر المعلومات الرئيسيين، بين مصادرة البضائع أو إغلاق المتاجر أو المشاريع التجارية والعنف الجسدي أو حتى الموت.⁷⁰¹

بالإضافة إلى ذلك، فرض داعش ضرائب كبيرة على الواردات. وأشار أحد الصحفيين، الذي تمت مقابلته أثناء إعداد هذا التقرير، إلى أن الممارسة المتبعة كانت تتمثل في مصادرة حمولة سيارة واحدة من البضائع لكل 10 سيارات عبرت الحدود.⁷⁰² لاحقاً، بدأ تنظيم داعش بفرض الضرائب على كافة عمليات الدخول والخروج من أراضيه، بغض النظر عما إذا كان ذلك لنقل البضائع.⁷⁰³

قال صاحب عمل من الطبقة:

تلقيت فواتير زكاة للكهرباء والماء والهاتف. كان هناك جامع زكاة زار منزلي. أما فيما يتعلق بزكاة المحاصيل الزراعية، فهناك مراكز خاصة لكل منطقة. إذا قام أي شخص بتزوير قيمة إنتاجه، فسيتم الاستيلاء على نصف محصوله كعقاب يعرف باسم /التعزير/⁷⁰⁴.

أشار مصدر المعلومة الرئيسي نفسه إلى أن داعش وظف سوريين محليين كجامعي ضرائب، في حين تم التعامل مع الإيرادات، التي تم تحويلها إلى مكاتب الضرائب، من قبل مقاتلين أجانب.⁷⁰⁵

على الرغم من أن داعش أشار إلى الزكاة كشكل من أشكال الصدقات الإسلامية وذكر في منشوراته واتصالاته مع الجمهور أن الزكاة طوعية، إلا أنه من الناحية العملية، كانت الضرائب في عهد داعش إلزامية. وتباينت درجة الالتزام بالولاية الدينية، حيث اتخذ بعض مسؤولي داعش المحليين حريات كبيرة في تفسيرهم لفرض الضرائب. كان التجار الذين يتمتعون بعلاقات جيدة مع داعش قادرين على التفاوض بشأن معدلات ضريبية مواتية، وكان جباة الضرائب متساهلين في ممارساتهم الجبائية على طول الخطوط الأمامية حيث كانت المجتمعات تحت الضغط - على الرغم من أن التركيز العقابي في كثير من الأحيان كان على الأفراد الذين يُعتقد أنهم غير ممتثلين مع قيم داعش، بدلاً من أن يكون على الشركات التي تُمكن من هذه السلوك غير المتمثل. وكما قال أحد المعلمين في منبج: "داعش لم يعاقب التاجر الكبير الذي يبيع السجائر، بل عاقبوا المدخن في الشارع".⁷⁰⁶

وبسبب خطر العقاب، كانت زيارة مكتب الضرائب تجربة مرهقة. أوضح أحد المشاركين من الطبقة كيف كان ذلك:

كان يتم حساب كل كلمة نطقها الشخص [أمام داعش] ألف مرة مسبقاً، لأن أي خطأ قد يؤدي إلى العقاب أو ربما حتى الموت. و

⁷⁰¹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، صحفي، قامشلو / القامشلي، أيار / مايو 2023.

⁷⁰² المرجع نفسه.

⁷⁰³ Revkin, 'The Non-Economic Logic'.

⁷⁰⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، صاحب عمل، غرانيج (دير الزور)، أيار / مايو 2023.

يشير مصطلح التعزير إلى نوع من العقوبات التي يستخدمها داعش ولم يرد ذكرها في القرآن، والتي يمكن أن تتراوح عملياً بين الغرامة أو مصادرة الممتلكات إلى الجلد.

⁷⁰⁵ المرجع نفسه.

⁷⁰⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، معلّم / منبج أيار / مايو 2023.

كان جميع موظفي الدولة تقريباً "شبه داعشيين". والحقيقة أن الإنسان لم يشعر بأنه يدخل إلى مؤسسة عادية، مهما ادعت أنها "مدنية". لم يجرؤ أحد، سواء كان مزارعاً أو تاجرًا، على الوقوف ضد مكتب الضرائب.⁷⁰⁷

الضرائب الزراعية

وبينما تصدرت عائدات داعش النفطية عناوين الأخبار الدولية، تشير التقديرات إلى أن التنظيم حقق ما يصل إلى 200 مليون دولار من خلال فرض الضرائب على الزراعة.⁷⁰⁸ يشكل شمال شرق سوريا مساحة كبيرة من سلة الخبز في شمال بلاد ما بين النهرين، وينتج الكثير من القمح والشعير والقطن الذي يستهلكه العراق وسورية.⁷⁰⁹ إن ممارسة داعش المتمثلة في فرض "تبرعات" إلزامية من المزارعين على المحاصيل ومصادرة البنية التحتية الزراعية مثل الصوامع والمطاحن والجرارات وتأجيرها مرة أخرى للمزارعين، أثرت بشدة على الأسر والمجتمعات في جميع أنحاء الأراضي التي يسيطر عليها داعش.⁷¹⁰

وتم توحيد معدلات الضرائب الزراعية في جميع أنحاء الأراضي التي يسيطر عليها داعش، حيث تم فرض ضريبة على المحاصيل البعلية بنسبة 10٪ وعلى المحاصيل المروية بنسبة 5٪.⁷¹¹ عادة ما يتم فرض ضرائب على السلع الزراعية المنتجة في شمال شرق سوريا ثلاث مرات على الأقل، حيث يدفع المزارعون ضريبة محددة، ويدفع سائقو الشاحنات ضريبة ثانية، ويدفع أصحاب المتاجر الذين يبيعون البضائع ضريبة ثالثة.⁷¹² تختلف حسابات الضرائب إلى حد ما حسب الموقع، حيث يدفع بعض أصحاب المتاجر ضريبة بناءً على مبيعاتهم المبلغ عنها، بينما يدفع آخرون بناءً على قيمة مخزونهم الإجمالي. كما قام تنظيم داعش بتنويع العقوبات والصرامة في تحصيل الضرائب إلى حد ما، ولم يطالب المجتمعات المحلية في المناطق القريبة من الخطوط الأمامية العسكرية بدفع الضرائب. وبحلول عام 2016، تشير التقديرات إلى أن تنظيم داعش قد حقق دخلاً بقيمة 56 مليون دولار من الضرائب على الشعير والقمح داخل أراضيه.⁷¹³

على عكس مصادر الإيرادات الأخرى التي استنزفها تنظيم داعش بسرعة - مثل الابتزاز ونهب البنوك وبيع النفط الخام المكرر بالفعل - كانت الزراعة مصدرًا مهمًا ومستقرًا للدخل لما يسمى بـ "الخلافة". عاد الإنتاج الزراعي في شمال شرق سوريا إلى مستويات ما قبل الحرب، أو حتى تجاوزها، اعتباراً من عام 2015 وما بعد، بعد تراجعها في بداية الحرب.⁷¹⁴ كان أداء المحاصيل الشتوية مثل القمح والشعير جيداً بشكل خاص. أما المحاصيل الصيفية مثل القطن فقد كان أقل من ذلك.⁷¹⁵ وفي آذار/مارس 2015، أعلن داعش عن ضريبة قدرها 200 ليرة سورية (أقل قليلاً من دولار واحد) لكل دونم - ألف متر مربع - من الأرض.⁷¹⁶

ضريبة الجزية ومعاملة الكرد والأقليات

قسم تنظيم داعش السكان الخاضعين لسيطرته إلى ثلاث فئات: المؤمنون المسلمون؛ "أهل الكتاب" ومن بينهم المسيحيون. و"المرتدون" ومنهم الإيزيديين والعلويين). بينما تم إعدام العلويين بشكل عام وقتل الإيزيديين أو استعبادهم، عرض داعش في البداية على المسيحيين خيار التحول أو دفع ضريبة الجزية أو المغادرة أو مواجهة الموت.⁷¹⁷

⁷⁰⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، قامشلو / القامشلي 2023.

⁷⁰⁸ غالباً ما تشمل الأرقام الإجمالية المقدمة حول مصدر الدخل هذا أراضي داعش خارج شمال شرق سوريا، وتحديداً حلب في شمال غرب سوريا والعراق، ولكن جزءاً كبيراً من هذا الدخل كان يتم الحصول عليه من الحسكة والرفقة، نظراً لأهميتهما الإقليمية في الإنتاج الزراعي.

⁷⁰⁹ Hadi Jaafar and Eckart Woertz, 'Agriculture as a funding source of ISIS: A GIS and Remote Sensing Analysis' (2016) 64.

⁷¹⁰ المرجع نفسه.

⁷¹¹ المرجع نفسه.

⁷¹² المرجع نفسه.

⁷¹³ المرجع نفسه.

⁷¹⁴ المرجع نفسه.

⁷¹⁵ المرجع نفسه.

⁷¹⁶ المرجع نفسه.

⁷¹⁷ Imran Khan, Religious prejudice in the 'Islamic State'? " Al Jazeera English (Qatar, 18 August 2014)

<https://www.aljazeera.com/features/2014/8/18/religious-prejudice-in-the-islamic-state> <شاهد في 31 تموز / يوليو 2023.

في سورية، بدأ داعش في فرض ضريبة الجزية في تشرين الأول / أكتوبر 2014.⁷¹⁸ وفي إحدى الحالات، في بلدة الميادين في محافظة دير الزور، عرض داعش على الأسرة المسيحية الوحيدة هناك خيار دفع الجزية للبقاء. واختارت العائلة المسيحية الرحيل، وصودرت ممتلكاتهم.⁷¹⁹ وعندما بدأ دفع الجزية في سورية (قبل إعلانها في الأراضي العراقية)، كان الدفع في الرقة يبلغ نصف أوقية من الذهب، كانت تساوي آنذاك 750 دولارًا تقريبًا. ومع ذلك، يبدو أن المبلغ يختلف حسب الموقع.⁷²⁰ وبحسب منشورات داعش حينها، كان هيكل الرسوم أربعة دنانير ذهبية للأغنياء، ودينارين للطبقة الوسطى، ودينار واحد للفقراء.⁷²¹ روى أحد مصادر المعلومات الرئيسيين، وهو رجل يبلغ من العمر 41 عامًا من الطبقة، كيف تم ذلك قائلًا:

كانت جارتنا تدفع 25 جرامًا من الذهب للبقاء في منزلها - وهو مبلغ كبير جدًا. كان [داعش] يأمر ببيع جميع الأقليات الشيعية والعلوية ومعظم الطوائف الأخرى. هؤلاء فروا من القتل وتركوا منازلهم وأموالهم التي استولى عليها داعش.⁷²²

في بداية الحرب، عامل داعش عمومًا العرب والكرد على قدم المساواة، وقدم دورات تعليمية دينية منفصلة باللغة الكردية.⁷²³ وتشددت السياسات مع سيطرة قوات سوريا الديمقراطية على الأرض في جميع أنحاء شمال شرق سوريا. أصبح تنظيم داعش لا يثق بالسكان الكرد واتهمهم بالتواطؤ مع قوات سوريا الديمقراطية، وأصدر أوامره بشكل متزايد بطرد الكرد من المناطق الخاضعة لسيطرته. وكانت مثل هذه الإعلانات تصدر من المساجد. وتم طرد الكرد من منازلهم والاستيلاء على ممتلكاتهم وممتلكاتهم. حول التنظيم الشركات الخاصة والمحلات التجارية والمنازل والمطاعم التي استولى عليها من الأفراد المطرودين، وكذلك المرافق البلدية مثل الملاعب والمستشفيات، إلى سجون وأماكن إدارية له. كما حولت بعضها إلى أماكن إقامة للمقاتلين الأجانب.⁷²⁴ وفقًا لأحد مصادر المعلومات الرئيسيين، وفقًا لأحد مصادر المعلومات الرئيسيين، قام داعش بتشغيل 107 سجنًا، تم تحويلها من مباني أخرى إلى سجون في الرقة وحدها.⁷²⁵

وخلافًا للمسيحيين، لم يحصل الكرد - وأغلبهم من المسلمين السنة - على خيار دفع ضريبة الجزية لتجنب الطرد. روت امرأة كردية في الرقة مايلي:

جاء [داعش] ليستولي على منزلنا بحجة أننا كرد ونعمل مع قوات سوريا الديمقراطية. جاء أمير تونسي. دخل المنزل مع نساء داعش ورأى المنزل وممتلكاتنا. حاولنا أخذ أمتعتنا، لكن تم تهديدنا بالسجن.⁷²⁶

وفي حين تم إرسال بعض الكرد الذين طردوا قسرًا من أراضي داعش إلى المناطق التي تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية، فقد تم اعتقال وتعذيب آخرين على يد داعش عندما حاولوا المغادرة إلى كوباني. وروى رجل من الرقة أنه عندما تم إعلان مرسوم طرد الكرد في الرقة، أمروا بالسفر إلى الصحراء بالقرب من تدمر مع 10 عائلات أخرى. عندما واجهوا نقص الغذاء والدمار في تدمر، قرر الرجل أن يأخذ عائلته إلى كوباني التي تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية:

وقفت على حاجز لداعش عند مفرق عين عيسى. سألوني إلى أين سأذهب، فقلت لهم [إننا ذاهبون] إلى كوباني. لم يردوا، لذلك انطلقنا على الفور.

⁷¹⁸ Revkin, 'The Non-Economic Logic'

⁷¹⁹ المرجع نفسه.

⁷²⁰ Kelly Phillips Erb, 'Islamic State Warns Christians, Convert, Pay Tax, Leave or Die' *Forbes* (19 July 2014) <<https://www.forbes.com/sites/kellyphillipserb/2014/07/19/islamic-state-warns-christians-convert-pay-tax-leave-or-die/>> شهود في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷²¹ Richard Spencer, 'Militant Islamist Group in Syria Orders Christians to Pay Protection Tax' *The Telegraph* (London, 27 February 2014) <<https://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/syria/10666257/Militant-Islamist-group-in-Syria-orders-Christians-to-pay-protection-tax.html>> شهود في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷²² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، ممثل من اللجنة الاقتصادية للكانتون الشرقي، أبو حماد (دير الزور)، أيار/مايو 2023.

⁷²³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، صاحب محل، الحسكة، أيار / مايو 2023.

⁷²⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، صحفي، قامشلو / القامشلي، أيار / مايو 2023.

⁷²⁵ المرجع نفسه.

⁷²⁶ جلسة جماعية مركزة، القامشلي، أيار / مايو 2023.

وبعد ساعة، أوقفنا سيارة داعشية واقتادتنا إلى المسجد القريب من جسر تشرين، حيث تم احتجازي لأكثر من ثلاثة أشهر. تم نقلي إلى الطابق السفلي حيث سألني شاب داعش إلى أي طائفة أنتمي. عندما قلت لهم "كردي"، ضحكوا وأخبروني أن أنسى أي أحلام للمستقبل. لقد كنت مقيدا بالسلاسل. كانت مهمتي هي كوني كردي وحضور مهرجان النوروز [رأس السنة الجديدة]. تم اتهام ثلاثة من الكرد الخمسة الآخرين المحتجزين معي بجمع أموال الزكاة لتقديمها إلى قوات سوريا الديمقراطية. في النهاية دفعنا أموالاً للمهربين ليأخذونا إلى منطقة قوات سوريا الديمقراطية وهربنا.⁷²⁷

كان الكرد - وكذلك الأفراد الذين يعتبرهم داعش كرداء، مثل أفراد قبيلة طائي العربية في الرقة الذين اندمجوا تاريخيًا مع المجتمع الكردي، أو أولئك المتزوجين من عرب - قادرين على البقاء في الأراضي التي يسيطر عليها داعش إذا دفعوا مبالغ كبيرة من المال. تم السماح لأحد المشاركين من الرقة بالبقاء - عندما تم طرد عائلته - لأن زوجته عربية ولكن أمر بدفع 10,000 دولار خلال 24 ساعة.⁷²⁸

الغرامات والعقوبات

على الرغم من أن الغرامات والعقوبات الشديدة التي فرضتها شرطة الحسبة التابعة لداعش لا تشكل مصدرًا مهمًا للدخل، إلا أنها خلقت الرعب بين السكان. ذكر مصادر المعلومات الرئيسيين جميعهم تقريبًا أنظمة العقاب هذه عندما سُئلوا عن الممارسات الضريبية في عهد داعش. رافق الخوف من مثل هذه العقوبة جميع التعاملات مع التنظيم. بالنسبة للمخالفات المالية، مثل عدم الإبلاغ بأمانة عن قيمة محصول زراعي أو متجر، كانت الغرامات أو مصادرة البضائع بمثابة عقوبة قياسية. وكانت العقوبات الجسدية مخصصة عادة للانتهاكات الملحوظة للعقيدة الدينية. وكما قال أحد مصادر المعلومات الرئيسيين في القامشلي:

حدثت حالة في بلدة الهول. أثناء مرور رجل عبر نقطة تفتيش تابعة لداعش، لاحظ أن إطار دراجته النارية مثقوب، فصرخ بشكل عفوي: "يا محمد! الدولاب مثقوب (ضرب الدولاب)!" أوقفه عناصر داعش على الحاجز وفرضوا عليه حكم الإعدام لأنه لا يجوز الحلف والاستغاثة إلا بالله، حتى بالنبي [صلى الله عليه وسلم].⁷²⁹

حدثت مخالفات شائعة أخرى عندما اعتبرت ملابس الناس غير متوافقة مع معايير داعش أو عندما فشل الناس في الإجابة بشكل صحيح على الأسئلة الدينية.⁷³⁰ وفي حالة ارتداء ملابس غير لائقة - أو تدخين السجائر، الذي فرضته شرطة الحسبة عن طريق شم أيدي السكان - أشار المشاركون إلى أن الرجال أجبروا على حضور 15 يومًا من دروس شرعية وشراء ملابس جديدة.⁷³¹ وكان الهدف من العديد من العقوبات إذلال المخالف. تم حرق الشوارب التي تم إطلاقها انتهاكًا لمعايير شعر الوجه من وجوه المخالفين.⁷³² وكما روى أحد مصادر المعلومات الرئيسيين في الطبقة: "في بعض الحالات الخاصة، جعلوا الشخص يركب ظهر الحمار في الشوارع كرادع [و] عبرة للآخرين".⁷³³

وكثيرًا ما تم تغريم النساء، وهي طريقة للتحكم في سلوكهن تهدف إلى حصرهن في المنزل. وفي حالة النساء اللاتي خالفن الزي الإسلامي، تم معاقبة أولياء أمورهن الذكور بتعليمات الشريعة وأجبروا على شراء ملابس متوافقة بسعر مبالغ فيه.⁷³⁴ تتذكر إحدى النساء، وهي مصففة شعر تبلغ من العمر 37 عامًا في الرقة:

⁷²⁷ جلسة جماعية مركزة، الرقة، أيار / مايو 2023.

⁷²⁸ جلسة جماعية مركزة، الرقة، نيسان / أبريل 2023.

⁷²⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، صحفي، قامشلي / أيار / مايو 2023.

⁷³⁰ جلسة جماعية مركزة، الحسكة، نيسان / أبريل 2023.

⁷³¹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، صحفي، قامشلي / حزيران / يونيو 2023.

⁷³² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، صاحب محل، الحسكة، حزيران / يونيو 2023.

⁷³³ المرجع نفسه.

⁷³⁴ المرجع نفسه.

كان عندي محل صغير لتصفيف شعر النساء. أجبروني على إغلاقه واستولوا عليه وكسروا كل أغراضه بحجة أنه مكان للتبرج وهذا ممنوع. تم تحويل محلي إلى مكان لبيع المشتقات النفطية والديزل والكبروسين وأشياء أخرى، وتدهورت حالتنا المادية منذ ذلك الحين.⁷³⁵

في المناطق الريفية حيث كانت النساء يعملن تقليدياً جنباً إلى جنب مع أزواجهن وأقاربهن الذكور الآخرين في الحقول والمراعي، بدأ داعش في فرض غرامات على النساء اللاتي لا يلتزم بقواعد اللباس.⁷³⁶ وشمل ذلك تغريم النساء لارتدائهن أحذية خاطئة، وإجبارهن على المثول أمام المحكمة وشراء أحذية ملونة بشكل صحيح.⁷³⁷ وكان التأثير هو أن النساء في المناطق الريفية بدأن بالبقاء في المنزل وبقين في الداخل لتجنب خطر الغرامات.⁷³⁸

الخطف والنهب والتبرعات

كان مصدر الدخل الآخر لداعش هو الاختطاف للحصول على فدية إلى حد كبير (وإن لم يكن حصرياً) من الرعايا الأجانب الغربيين.⁷³⁹ وفي عام 2014، قُدر أن المجموعة قد حققت 50 مليون دولار من خلال هذه الممارسة.⁷⁴⁰

وعلى الرغم من رفض الولايات المتحدة والمملكة المتحدة دفع الفدية، يُعتقد أن فرنسا دفعت ما يصل إلى 14 مليون دولار للإفراج عن المواطنين الفرنسيين. وبالمثل، دفعت إسبانيا تكاليف إطلاق سراح الصحفيين الإسبان.⁷⁴¹ في عام 2016، طالب داعش بمبلغ 18 مليون دولار للإفراج عن 230 مسيحياً آشورياً محتجزاً في سوريا؛ على الرغم من عدم تأكيد المبلغ النهائي المدفوع للرهائن، إلا أن المنظمات المسيحية الآشورية جمعت الملايين من المساهمين الأفراد في جميع أنحاء العالم لتمويل إطلاق سراح الرهائن، الذين فرض داعش عليهم ما يصل إلى 50 ألف دولار لكل فرد.⁷⁴² ولكن بحلول عام 2017، ومع خسارة التنظيم لأجزاء كبيرة من الأراضي، دفع مقاتلوه المال للمهربين من أجل الانشقاق. كما ستقوم جماعات المعارضة المسلحة السورية ببيع مقاتلي داعش الأجانب الأسرى إلى الحكومات التي تريد عودة المسلحين، حيث تفيد التقارير أن دول الخليج تدفع ملايين الدولارات من خلال هذا النظام غير الرسمي.⁷⁴³ لقد كان ذلك بمثابة انعكاس صارخ لحظوظ المنظمة الإرهابية التي كانت لسنوات واحدة من المحركات الرئيسية للتجارة بالبشر إلى شمال شرق سوريا.

لقد وفر النهب مصدراً إضافياً للإيرادات. تختلف تقديرات الدخل الذي يحققه داعش من خلال نهب وبيع الآثار بشكل كبير، حيث تتراوح المبالغ من 4 ملايين إلى 7 مليارات دولار.⁷⁴⁴ كان لدى تنظيم داعش عملية راسخة لاستخراج الآثار من أراضيه، حيث كانت المواقع الرئيسية هي النمرود والموصل في العراق وتدمر في سوريا.⁷⁴⁵ أولاً، تم الحصول على تصريح حفر من سلطات داعش في المنطقة المعنية؛ ثم بعد ذلك استخراج القطع الأثرية وتقييمها، على الأرجح من قبل قسم الآثار في إدارة الموارد الطبيعية في داعش، قبل نقلها للبيع في السوق الدولية.⁷⁴⁶ وفرض داعش ضريبة قدرها 20%

⁷³⁵ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مصقفة شعر (كوافيرة)، الرقة، أيار/مايو 2023.

⁷³⁶ kin, 'The Non-Economic Logic'.

⁷³⁷ المرجع نفسه.

⁷³⁸ المرجع نفسه.

⁷³⁹ Di Giovanni and others.

⁷⁴⁰ US House of Representatives' Committee on Foreign Affairs, 'Terrorist Financing: Kidnapping, Antiquities, Trafficking, and Private

Donations' (17 تشرين الثاني/نوفمبر 2015) <<https://docs.house.gov/meetings/FA/FA18/20151117/104202/HHRG-114-FA18-Transcript-20151117.pdf>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁴¹ Di Giovanni and others.

⁷⁴² CBS News, 'ISIS collects millions in ransom for abducted Christians' (22 شباط/فبراير 2016) <<https://www.cbsnews.com/news/isis-collects-millions-in-ransom-for-abducted-christians/>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁴³ Erica Solomon and Ahmad Mhidi, 'The black market trade in ISIS fighters' (لندن، 8 كانون الثاني / يناير 2017) <<https://www.ft.com/content/c7a7d804-d357-11e6-b06b-680c49b4b4c0>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁴⁴ Fiona Rose-Greenland, 'How much money has ISIS made selling antiquities? More than enough to fund its attacks' (واشنطن العاصمة، 3 يونيو 2015) <<https://www.washingtonpost.com/posteverything/wp/2016/06/03/how-much-money-has-isis-made-selling-antiquities-more-than-enough-to-fund-its-attacks/>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁴⁵ Rachel Shabi, 'Looted in Syria—and sold in London: the British antiquities shops dealing in artefacts smuggled by ISIS' (لندن، 3 يوليو 2015) <<https://www.theguardian.com/world/2015/jul/03/antiquities-looted-by-isis-end-up-in-london-shops>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁴⁶ المرجع نفسه.

على بيع الآثار.⁷⁴⁷ ونظرًا للمهارات المتخصصة والاتصالات التي تتطوي عليها كل خطوة من خطوات العملية، فمن غير المرجح أن يكون نفس الأفراد الذين اكتشفوا الآثار (بمجرد انتهاء نهب المتاحف العامة) هم الذين جلبوا القطع إلى السوق الدولية.⁷⁴⁸

وقد تلقى المقاتلون المنورطون في أعمال النهب العام والاستيلاء على الأصول - مقارنة بقطاع الآثار الخاضع لرقابة شديدة - تعليمات من داعش بأخذ المبلغ المطلوب فقط لتحقيق أهداف الجهاد.⁷⁴⁹ قام داعش بتقسيم الغنائم إلى الغنيمة - الممتلكات المنقولة التي تم الاستيلاء عليها من غير المسلمين خلال العمليات العسكرية، والتي كانت في الواقع في كثير من الأحيان ذخائر و فيء (الأراضي التي تم الحصول عليها دون قوة من غير المسلمين) تعتبر ضرورية لتعزيز أهداف الجهاد.⁷⁵⁰ طلب من المقاتلين دفع ضريبة بنسبة 20٪ على أي غنيمة و فيء تم الاستيلاء عليها.⁷⁵¹

شكلت التبرعات مصدرًا مهمًا أخيرًا للدخل. بين عامي 2012 و2014، في السنوات الأولى لداعش وقبل سيطرتها على شمال شرق سوريا، حقق داعش ما يقدر بنحو 40 مليون دولار من الممولين الأثرياء في الخليج.⁷⁵² وكانت الأموال القادمة من الكويت على وجه الخصوص ذات أهمية كبيرة في الحرب.⁷⁵³ وفي حين أن التمويل الأولي المتجه إلى سوريا تم تنظيمه إلى حد كبير من قبل مغتربين سوريين ذوي عقلية إنسانية في الكويت، فقد انخرط آخرون في دعم جماعات مسلحة محددة، يُزعم أن لها علاقات بجهة النصرة والقاعدة.⁷⁵⁴ تمت العديد من مبادرات جمع التبرعات بشكل علني على وسائل التواصل الاجتماعي في الكويت.⁷⁵⁵ سنت المملكة العربية السعودية تشريعات لمكافحة الإرهاب في عام 2014 تهدف إلى تشديد قنوات التمويل.⁷⁵⁶ وفي الوقت نفسه تقريبًا، شددت الكويت وقطر أيضًا قوانينهما السابقة المتعلقة بغسل الأموال.⁷⁵⁷

بيت المال

تم تحويل الأموال التي جمعها داعش على مستوى مكاتب تحصيل الضرائب المحلية في وقت لاحق إلى وزارة الخزانة التابعة للتنظيم في الرقة، بيت المال، وهو اسم يشير إلى الخزانة الإسلامية المشار إليها في القرآن. قدم بيت المال الدعم المادي لداعش، حيث قام بإدارة المدفوعات من مختلف الدواوين (الوزارات) بالإضافة إلى عائدات الابتزاز والنهب التي كان داعش يجنيها.⁷⁵⁸ كان بيت المال أساسيًا للعمليات المالية اليومية لداعش، وإدارة العلاقات مع وكلاء تحويل الأموال أو الحوالة.

747 المرجع نفسه.

748 المرحع نفسه.

Revkin, 'The Legal Foundations of the Islamic State'.⁷⁴⁹

750 المرحع نفسه.

751 المرحع نفسه.

Carnegie Endowment for International Peace, 'Remarks by US Treasury Under-Secretary David S. Cohen on Attacking ISIL's Financial' ⁷⁵²

<[https://carnegieendowment.org/2014/10/23/remarks-by-u.s.-treasury-under-secretary-david-s.-\(2014 أكتوبر/الاول تشرين 23\)Foundation](https://carnegieendowment.org/2014/10/23/remarks-by-u.s.-treasury-under-secretary-david-s.-(2014 أكتوبر/الاول تشرين 23)Foundation)>

; Di Giovanni and others; Elizabeth Dickinson, 2023 شوهدي في 31 تمّوز / يوليو [cohen-on-attacking-isil-s-financial-foundation-pub-57007>](#)

‘Playing with Fire: Why Private Gulf Financing for Syria’s Extremist Rebels Risks Igniting Sectarian Conflict at Home’ (بروكينغز، 6 كانون الثاني/يناير 2013) <http://www.brookings.edu/articles/playing-with-fire-why-private-gulf-financing-for-syrias-extremist-rebels-risks-igniting-sectarian-conflict-at-home/>

igniting-sectarian-conflict-at-home> شوهده في 31 تمّوز / يوليو 2023.

Dickinson.⁷⁵³

754 المرحع نفسه.

755 المراجع نفسه.

.Di Giovanni and others⁷⁵⁶

⁷⁵⁷ Lori Plotkin Boghardt, 'The Terrorist Funding Disconnect with Qatar and Kuwait' (معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 2 أيار/مايو 2014)،

<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/terrorist-funding-disconnect-qatar-and-kuwait>

United Nations Security Council, 'Letter Dated 26 May 2022 from the Special Adviser and Head of the United Nations Investigative ⁷⁵⁸

Team to Promote Accountability for Crimes Committed by Da'esh/Islamic State In Iraq and the Levant addressed to the President of the

[Security Council' S/2022/434](#) (16 حزيران / يونيو 2022) [united-nations-investigative-team-promote](#) شوهد في 31 تمّوز / يوليو 2023.

كما تولى بيت المال أيضًا دفع رواتب المقاتلين العاملين مع داعش، ثم فرض لاحقًا تخفيضات في الرواتب مع تعرض داعش لضغوط مالية متزايدة بعد عام 2016.⁷⁵⁹ وحافظ داعش على هيكل معقد للأجور، حيث كان المقاتلون الأجانب يتقاضون ما يقرب من ضعف ما يتقاضاه المقاتلون المحليون.⁷⁶⁰ وبينما كان السكان المحليون إما يعيشون بشكل متواضع أو يعانون من صعوبات مالية بسبب إغلاق أعمالهم، عاش المقاتلون الأجانب أنماط حياة فخمة نسبيًا. يتذكر أحد مصادر المعلومات الرئيسية زيارته لمنزل أحد المقاتلين الكينيين في الرقة: "كان بإمكانني رؤية العطور باهظة الثمن، ونظارات راي بان الشمسية، وزجاجات مختلفة من ويسكي جوني ووكر ريد ليبل (ملصق اللون الأحمر). لقد كان منزلًا من الدرجة العالية".⁷⁶¹

وفي عام 2014، أعلن تنظيم داعش أنه يعتزم إصدار عملته الخاصة، الدينار الذهبي. وكان من المقرر أن يتم سك الدينار الذهبي من الذهب المنهوب من البنك المركزي في الموصل وربطه بالسعر العالمي للذهب، على الرغم من أن أكثر من مصدر رئيسي أشار إلى أن العملات المعدنية بدت إما مطلية بالذهب أو نوعًا من الذهب المطلي، بدلًا من أن تكون من الذهب الصلب الحقيقي. وكان الدينار الذهبي ينقسم إلى دراهم مصنوعة من الفضة والفلز مصنوع من النحاس. وكان وزن الدينار الذهبي 4.25 جرام، أي وزن دينار في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).⁷⁶² وبحسب ما ورد قام تنظيم داعش بسك ما يصل إلى طنين من الدينار الذهبي، باستخدام الذهب عيار 21 قيراطًا.⁷⁶³

وفقًا لمصادر المعلومات الرئيسية بدأ الدينار بالظهور في مدن شمال شرق سوريا في عام 2016، وكان متاحًا لدى صرافي داعش. لكن التقارير عن قيمة الدينار الذهبي مقابل الدولار تباينت، وربما تباينت من مجتمع إلى آخر. وأشار أحد المخبرين الرئيسيين إلى أن الدينار الذهبي الواحد يساوي 120 دولارًا، في حين أشار آخر إلى أن القيمة تصل إلى 350 دولارًا في مجتمعه.

وفي حين أن الدينار الذهبي كان له في نهاية المطاف أهمية مالية طفيفة بالنسبة لتنظيم داعش وكان بمثابة مؤشر في المقام الأول على تطلعاته إلى تشغيل نظام اقتصادي مواز، فإن ظهور الدينار كان بمثابة طريقة أخرى يستهدف بها نفوذ داعش للاقتصادات المحلية. وبسبب قيمته العالية، أشار المشاركون إلى أن تفاعل معظم أفراد المجتمع مع الدينار كان محدودًا، على الرغم من أن استخدامه كان، على الأقل من الناحية الفنية، إلزاميًا لبعض الوقت، بما في ذلك لدفع الضرائب. وأشار أحد المصادر إلى أنه في مدينته على الأقل، سيتم اعتبار دفع الضرائب بالليرة السورية بمثابة عدم سداد، وسيطلب من الفرد دفع المبلغ بالإضافة إلى غرامة بالدينار الذهبي.⁷⁶⁴ ومع ذلك، قال من أجريت معهم المقابلات إنه حتى عندما كان الدينار الذهبي متداولًا كعملة رسمية، ظل الدولار الأمريكي واليورو العملتين الأساسيتين في التجارة، مع استمرار معظم الأسر في الاعتماد على الليرة السورية لتغطية النفقات اليومية.

الحياة بعد الحرب

رأى معظم الأشخاص الذين تمت مقابلتهم أن الدمار الاقتصادي في شمال شرق سوريا في مرحلة ما بعد داعش هو نتيجة مباشرة لسنوات من حكم داعش على المنطقة. وشهدت الأسر موت أو اختفاء معيها، مما أثر بشكل دائم على قدرة الأسرة الكبيرة في الحصول على الدخل. وقالت إحدى النساء إن شقيقها فقد أحد أطرافه بسبب فخ ملغم، مما أدى إلى سقوط الأسرة بأكملها في الفقر. حدثت العديد من المآسي المماثلة طوال فترة الحرب.

⁷⁵⁹ Maayan Groisman, 'ISIS cuts fighters' salaries in half amid financial hardship' (القُدس / جروسالم، 18 كانون الثاني/يناير 2016). <<https://www.jpost.com/middle-east/isis-threat/isis-cuts-fighters-salary-in-half-amid-financial-hardship-441904>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁶⁰ 'The Guardian, 'Islamic State to Halve Fighters Salaries As Cost of Waging War Starts to Bite' (لندن، 20 كانون الثاني/يناير 2016) <<https://www.theguardian.com/world/2016/jan/20/islamic-state-to-halve-fighters-salaries-as-cost-of-waging-war-starts-to-bite>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁶¹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، صحفي، قامشلي، حزيران / يونيو 2023.

⁷⁶² Newsline Institute for Strategy and Policy, 'Interview: ISIS's Abdul Nasser' (4 حزيران / يونيو 2020) <<https://newlinesinstitute.org/isis/interview-isis-abdul-nasser-gardash/>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁶³ المرجع نفسه.

⁷⁶⁴ جلسة جماعية مركزة، القامشلي، أيار / أيار 2023.

وروى آخرون قصصاً عن أشخاص غير قادرين على تلبية الاحتياجات الأساسية. خلال الجلسات الجماعية المركزة في القامشلي، روى المشاركون قصة رجل لا يستطيع تحمل تكاليف العمليات الجراحية اللازمة لإزالة الشظايا من رأسه، والتي من شأنها أن تسمح له بالتعافي جسدياً، ونأمل أن يحصل على عمل.⁷⁶⁵ وتحكي قصة أخرى عن جنديّة أرملّة لم تتمكن من إطعام أسرتها بدخل واحد مع ارتفاع التكاليف بسبب التضخم.⁷⁶⁶

قال رجل من منبج إن معظم الأسر في مجتمعه كانت تعيش على 500 دولار شهرياً قبل الحرب، وتكسب من خلال العمل الزراعي والمتاجر الصغيرة والتحويلات المالية من أفراد الأسرة الذكور الذين يعملون في أماكن أخرى. وقال إن الأسرة المتوسطة تعيش الآن على 50 دولاراً فقط في الشهر.⁷⁶⁷ يتذكر رجل من الطبقة الحية قبل الحرب:

كنت أنا وإخوتي نتعاون؛ كانت لدينا عقارات في القرية، من بينها أشجار زيتون وأراضٍ وسيارات. كنت أملك مع إخوتي سيارة أجرة، بالإضافة إلى محل تجاري ومحل لتصليح الأجهزة الكهربائية ومحل لقطع غيار السيارات.⁷⁶⁸

وعندما سئل الرجل كيف تغيرت حياته، قال إنه أصبح الآن عاطلاً عن العمل ومسؤولاً عن رعاية والدته المسنة التي تعاني من ضائقة نفسية، وكذلك زوجة أخيه المتوفي وأطفاله الخمسة.⁷⁶⁹

وجدت العائلات في شمال شرق سوريا نفسها غير قادرة على تحمل النفقات الأساسية أو تسجيل أطفالها في المدارس. أشارت إحدى المشاركات في الطبقة إلى أنها لن ترسل ابنها إلى السنة الثالثة من المدرسة الإعدادية لأنها لا تستطيع تحمل رسوم التسجيل.⁷⁷⁰ قال أحد المشاركين في جلسة جماعية مركزة في الطبقة: "لقد تركت دون معيل. لا أستطيع تحمل حياتي."⁷⁷¹

وبينما كان مصادر المعلومات الرئيسيون واضحين بشأن الدمار على المستوى الشخصي والمجتمعي الذي أحدثه النزاع وما تلا ذلك، رأى آخرون أن الوضع الاقتصادي في ظل حكم داعش كان وظيفي مقارنة بالصعوبات الاقتصادية التي تلت ذلك. قال رجل أعمال من الطبقة:

وعلى الرغم من القسوة والظلم وفرض الضرائب والزكاة، إلا أن الوضع الاقتصادي للناس كان في الواقع جيداً جداً لعدة أسباب. أولاً، كان هناك الكثير من فرص العمل. على سبيل المثال، كان العمل في الحرّاقات [مصافي النفط البدائية] يستوعب عدداً كبيراً من العمال بالإضافة إلى جميع العمالة المصاحبة، سواء أصحاب الصهاريج وأصحاب الحرّاقات والتجار والمزارعين. وثانياً، عملوا تحت شعار "الرزق على الله."⁷⁷²

قال المستجيب إن هذا الشعار يعني أنه بما أن تنظيم داعش يحرم التلاعب بالأسعار باعتباره غير إسلامي، فإن أسعار السوق كانت تنافسية. كانت معظم السلع متوفرة، ولأن الزكاة كانت مفهوماً إسلامياً خيراً، فقد قبل الناس عمومًا دفعها عندما يكون لديهم وظائف ودخل كافٍ. وبمقارنة الحاضر بفترة حكم داعش، أشار الرجل إلى أن فرص العمل قليلة حالياً في معظم المجتمعات في شمال شرق سوريا، مضيفاً أن انهيار الليرة السورية مقابل الدولار ترك معظم الأسر تحت خط الفقر. وبالفعل، في عام 2022، كان 90% من السوريين في الشمال الشرقي يعيشون في فقر.⁷⁷³

⁷⁶⁵ جلسة جماعية مركزة، القامشلي، أيار / أيار 2023.

⁷⁶⁶ المرجع نفسه.

⁷⁶⁷ جلسة جماعية مركزة، الطبقة، أيار / أيار 2023.

⁷⁶⁸ المرجع نفسه.

⁷⁶⁹ المرجع نفسه.

⁷⁷⁰ المرجع نفسه.

⁷⁷¹ المرجع نفسه.

⁷⁷² المرجع نفسه.

⁷⁷³ Euro-Med Monitor.

ممكن. وبالنسبة للأسر التي يعتبر منزلها الأصول الأساسية المتبقية لها، فإنّ هذا يمثل عائقاً كبيراً وربما دائماً، أمام التحسن الاقتصادي.

إن عملية إعادة التأهيل المحدودة التي حدثت في المجتمعات كانت إلى حد كبير نتيجة للدعم الإنساني الدولي المقدم من خلال المنظمات غير الحكومية، مع مساهمات بسيطة من الإدارة الذاتية.⁷⁸¹ وعلى الرغم من الدمار الواسع النطاق الذي لحق بالبنية التحتية النفطية، يبقى النفط مصدراً مهماً لإيرادات الإدارة الذاتية، حيث يمثل ما يصل إلى 60% من دخلها، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى انخفاض قيمة مصادر الإيرادات الأخرى.⁷⁸² وتأثر القطاع الزراعي، المصدر التاريخي الآخر للدخل، بشدة بسبب الجفاف 2020-2021، وهو الأسوأ منذ 70 عاماً.⁷⁸³ وأدى ذلك إلى "كارثة" بالنسبة لرعاة المنطقة، الذين كان عددهم قبل الحرب نصف مليون نسمة.⁷⁸⁴ لكن هنالك أيضاً تضاؤل في الموارد الدولية: ففي حزيران / يونيو 2023، أعلنت الأمم المتحدة أنها لن تكون قادرة على توفير المساعدات الغذائية لنحو نصف السوريين الذين يعتمدون على هذه المساعدة.⁷⁸⁵

أحد المسارات المحتملة للنمو الاقتصادي في شمال شرق سوريا هو زيادة صادرات النفط الدولية، لكن لا تزال هذه قضية مثيرة للجدل. تم إعفاء الشمال الشرقي من العقوبات الأمريكية على مجموعة من الصناعات، بما في ذلك الزراعة، والبناء، والبنية التحتية، والتجارة. لكن صادرات النفط – وهي الموارد المحلية الأكثر ربحية في شمال شرق سوريا – لا تزال خاضعة للعقوبات.⁷⁸⁶ ولم تغير الإعفاءات الأخيرة في أعقاب زلزال شباط / فبراير 2023 المدمر هذا الأمر.⁷⁸⁷ منحت الإدارة الأمريكية للرئيس دونالد ترامب - الذي فكر في سحب القوات من سوريا، ولكن بعد ذلك، على حد تعبيره، ترك القوات "للحفاظ على النفط" – إعفاء من العقوبات لشركة تأسست حديثاً ولكنها تتمتع بعلاقات جيدة، وهي شركة دلتا كريست إينرجي (Delta Crescent Energy) – لإعادة تأهيل حقول النفط وتصديره.⁷⁸⁸ وفي وقت لاحق، فضلت إدارة بايدن السماح باستثمارات مستهدفة في شمال شرق سوريا ولم تجدد ترخيص شركة دلتا كريست، بسبب اعتراض شركات النفط الكبرى التي كانت تمتلك الحقوق السيادية لاستغلال النفط بموجب الاتفاقيات الموقعة مع دمشق في عام 2003.⁷⁸⁹

أدى الانقصار إلى منافذ للتصدير الدولي، إلى إبرام صفقة بقيمة 89 ألف برميل يومياً بين الإدارة الذاتية والحكومة السورية، والتي يقال إنها تحصل على 16 دولاراً و15 دولاراً على التوالي لبرميل النفط. وفي الوقت نفسه يتم فقدان ما يصل إلى 50 دولاراً للبرميل في أيدي الوسطاء والمنتهفين.⁷⁹⁰ وسعت الحكومة السورية، التي أعربت عن أسفها لخسائر قطاع النفط السوري البالغة 100 مليار دولار منذ بداية الحرب، إلى إعادة حقول النفط والغاز في البلاد إلى سيطرتها.⁷⁹¹ كما اقترح

⁷⁸¹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، صحفي، قامشلي / القامشلي، أيار / مايو 2023.

⁷⁸² Bartu and Ruttiman, 'Northeast Syria: The Good, the Bad and the Oil'.

⁷⁸³ 6) International Federation of the Red Cross and Red Crescent Societies, 'Syria: Droughts-Final Report DREF Operation no MDRSY006' (تشرين الأول / أكتوبر 2022) <<https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/syria-droughts-final-report-dref-operation-ndeg-mdrsy006>>

شاهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁸⁴ Peter Schwartzstein and Wim Zwijnenburg, "We fear more war. We fear more drought.": How climate and conflict are fragmenting rural Syria

<https://paxforpeace.nl/wp-content/uploads/sites/2/import/2022-02/PAX_report-

Pastoralist Syria.pdf> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁸⁵ UN News, 'UN chief insists on solidarity with people of Syria, with "no time to spare"' (15 حزيران / يونيو 2023)

<<https://news.un.org/en/story/2023/06/1137737>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁸⁶ Alexander Langlois, 'Why US sanctions waivers in northeast Syria could fight poverty but harden divisions' (لندن، 19 مايو 2022)

<<https://www.newarab.com/analysis/why-us-sanctions-waivers-ne-syria-could-harden-divisions>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁸⁷ Erica Moret, 'Effectiveness of Humanitarian Exceptions to Sanctions: Lessons for the Syria Earthquake' (مركز كارتر، 11 تموز / يوليو 2023) <https://www.cartercenter.org/resources/pdfs/peace/conflict_resolution/syria-conflict/2023/effectiveness-of-humanitarian-exceptions-to-sanctions-syria-earthquake-lessons.pdf> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁸⁸ Kenneth R. Rosen, 'The American Wildcatters Who Sought Syrian Oil' Esquire (15 تشرين الثاني / نوفمبر 2022)

<<https://www.esquire.com/news-politics/a41902965/syria-oil-delta-crescent/>> شوهد في 31 تموز / يوليو 2023.

⁷⁸⁹ Hamidi.

⁷⁹⁰ المرجع نفسه.

⁷⁹¹ Ieva Paldavičiute, 'Syria oil sector losses top \$100 billion since start of war' (أرغوس، 6 شباط / فبراير 2022) <<https://www.argusmedia.com/en/news/2299198-syria-oil-sector-losses-top-100bn-since-start-of-war>>

النظام صفقات مع شركات روسية للاستثمار في مجال استغلال النفط، وكذلك مع مجموعة فاغنر لحماية حقول النفط، ما أدى إلى اشتباكات حول معمل غاز كونيكو بين فاغنر وقوات سوريا الديمقراطية.⁷⁹²

ولا يزال النفط السوري عالقًا في الصراع الجيوسياسي الأكبر حول الحرب السوريّة. وفي حين أن المجتمعات في شمال شرق سوريا لا تستفيد ماديًا من الاستغلال، إلا أنها تعاني من الأضرار البيئية الناجمة عن صناعة النفط.⁷⁹³ فهو يخطر بإعادة خلق أنماط مألوفة من التهميش الاقتصادي الذي شهدته المنطقة قبل فترة طويلة من اندلاع الحرب بعد عام 2011. على المدى الطويل، يقيم الباحثون خيارات النمو الاقتصادي في شمال شرق سوريا، بشكل مستقل عن الحكومة السورية، لتكون محدودة، ويتوقعون أن يظل الاقتصاد معتمدًا على التحويلات المالية من الخارج وكذلك مساهمات المنظمات غير الحكومية.⁷⁹⁴ ومع أن 90% من سكان شمال شرق سوريا يعيشون الآن في فقر، والمنطقة واقعة في حالة شبه مستقلة، تتمتع بموارد طبيعية كافية، ولكن لا توجد قاعدة ضريبية لإدارة الخدمات الحكومية، فإن آفاق إعادة الإعمار – والازدهار في المستقبل – تظل غير مستقرة.

Hamidi.⁷⁹²

Wim Zwijnenburg and others, *War, Waste, and Polluted Pastures: An Explorative Environmental Study of the Impact of Conflict in north-east Syria* (PAX)، أيار / مايو 2021 <https://paxforpeace.nl/wp-content/uploads/sites/2/import/2021-07/PAX_WWPP_v2.2.pdf>⁷⁹³
Langlois, *New Arab*.⁷⁹⁴

2. "من أجل السيطرة على الجيل الجديد": التعليم في ظل داعش

في عام 2014، سيطر داعش بسرعة وبوحشية على أجزاء من شمال شرق سوريا، وأنشأ دولة أولية جيدة التنظيم في أعقاب هذه التطورات. من بين السلطات الحاكمة لداعش البالغ عددها 23، كانت وزارة التعليم (ديوان التعليم)⁷⁹⁵ مسؤولة عن الإشراف على التعليم في المناطق التي يسيطر عليها داعش.

بالاعتماد على الأبحاث الموجودة وقواعد البيانات الرسمية وأصوات الأفراد المتأثرين بشكل مباشر بتنظيم داعش ورؤى خبراء التعليم السوريين والكرد السوريين والمسؤولين والمعلمين المحليين والمواد التعليمية لداعش، بما في ذلك الكتب المدرسية، يبحث هذا الفصل في التأثير الكبير الذي أحدثه داعش على قطاع التعليم المحلي في شمال شرق سوريا. ويستكشف التأثيرات على المناهج الدراسية وكذلك على المعلمين والطلاب في المناطق الخاضعة لسيطرة داعش منذ كانون الثاني/يناير 2014 حتى انهيار التنظيم على الأرض في الباغوز في عام 2019. ويحلل الفصل أيضاً العواقب الدائمة على التعليم في المنطقة.

الخلفية

كان للحرب التي طال أمدها بعد عام 2011 في شمال شرق سوريا تأثير عميق وبعيد المدى على نظام التعليم المحلي، لا سيما بسبب فترة حكم داعش بين أوائل عام 2014 و2019.⁷⁹⁶ خلال حكمه، سيطر داعش على أراضي كبيرة في شمال شرق سوريا وفرض تفسيراً متطرفاً للشريعة الإسلامية تجلى أيضاً في سياسات داعش التعليمية.

استخدم داعش التعليم كأداة للتلفين لتشكيل جيل جديد من المؤيدين، يشار إليهم عادة باسم "أشبال الخلافة". وأنشأ ديوان التعليم، الذي كانت تديره وحدات الحسبة التابعة له. نفذ القسم سياسة تعليمية أيديولوجية للغاية أدت إلى تغيير جذري في المناهج التعليمية وحياة الطلاب ودور المعلمين.⁷⁹⁷

وتمت معاقبة أولئك الذين لم يلتزموا بالقواعد، مما أدى في كثير من الحالات إلى اختطاف وقتل المعلمين والطلاب وأسره. وفي ظل داعش، تم تدمير المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية، مما ساهم في نزوح الملايين من الطلاب والمعلمين. على الرغم من انسحاب داعش من شمال شرق سوريا في عام 2019 بعد هزيمته في الباغوز بدير الزور،⁷⁹⁸ إلا أن التداعيات واسعة النطاق لحكمه لا تزال محسوسة حتى اليوم. وفقاً لليونيسيف، اعتباراً من عام 2022، لا يزال أكثر من مليوني طفل تتراوح أعمارهم بين 5 و17 عاماً في سوريا خارج المدرسة، مع تركيز عدد كبير منهم في شمال شرق البلاد.⁷⁹⁹ علاوة على ذلك، كان هناك 1.3 مليون طفل إضافي معرضين لخطر التسرب من المدرسة في عام 2019، بينما تم إغلاق مدرسة واحدة تقريباً من كل ثلاث مدارس على مستوى البلاد.⁸⁰⁰

المنهجية

لتوضيح قصة تأثير حكم داعش على التعليم في شمال شرق سوريا، يعتمد هذا الفصل على مجموعة من مصادر البيانات. أولاً، أجرى فريق البحث فحصاً شاملاً لقواعد البيانات مفتوحة المصدر والأوراق البحثية والتقارير والمقالات الصحفية. كما تم فحص نسخ من مواد الكتب المدرسية والمذكرات العامة التي شاركها ديوان التعليم مع الطلاب والمعلمين. وفي حين أن هذه المعلومات كانت ذات قيمة، فإن الكثير من هذه المطبوعات لا تأخذ في الاعتبار وجهة نظر الأفراد والمجتمعات المتضررة.

⁷⁹⁵ "The ministry's full name in Arabic was the 'Ministry of Education and Teaching for the Islamic Caliphate State.'"

⁷⁹⁶ سيطر تنظيم الدولة الإسلامية على الرقة اعتباراً من كانون الثاني / يناير 2014. في أواخر حزيران / يونيو 2014، عندما استولى على الموصل، كان هناك تصعيد واضح للعنف.

⁷⁹⁷ Tegwen Gadais and others, 'Education under the Islamic State of Iraq and Syria: A Content Analysis of the Physical Education Curriculum' (2022) 7 *Frontiers in Education* <<https://www.frontiersin.org/articles/10.3389/educ.2022.854413/full>> شوهد في 30 أيار / مايو 2023.

⁷⁹⁸ "Islamic State Group Defeated as Final Territory Lost, US-Backed Forces Say" *BBC*, بي بي سي نيوز (لندن، 23 آذار / مارس 2019) <<https://www.bbc.com/news/world-middle-east-47678157>> شوهد في 19 نيسان / أبريل 2023.

⁷⁹⁹ UNICEF, 'The Situation for Children in Syria' (اليونيسيف) <<https://www.unicef.org/syria/situation-children-syria>> شوهد في 14 نيسان / أبريل 2023.

⁸⁰⁰ المرجع نفسه؛ Nabih Bulos, 'Students in Syria are a textbook case for post-Islamic State re-education' (لوس أنجلوس تايمز، 1 نيسان / أبريل 2019) <<https://www.latimes.com/world/la-fg-syria-children-20190401-story.html>> , شوهد في 29 أيار / مايو 2023.

في المرحلة الثانية من البحث، تم جمع أصوات الأفراد المتضررين في سورية من خلال مقابلات مع مصادر المعلومات الرئيسيين؛ وكانوا يتألفون من مجموعة من أفراد المجتمع، بما في ذلك ثلاثة عشر معلماً حالياً وسابقاً وثلاثة مسؤولين تعليميين وعضو مجلس مدني وطالب سابق وزوجة معلم سابق ومتقاعد وموظف مستقل وبقال وخبير دولي.⁸⁰¹ وتضمنت أيضاً سلسلة من إحدى عشرة جلسة جماعية مركزة ضمت 87 مشاركاً. تم جمع هذه البيانات النوعية بواسطة مبادرة دفاع الحقوقية، مع شريك بحث محلي واحد من المبادرة لإجراء ترجمة جميع المقابلات البالغ عددها 23. غطت المقابلات والجلسات الجماعية المركزة أربع محافظات في شمال شرق سوريا (وثناني مدن على الأقل داخل تلك المحافظات): (1) حلب (كوباني ومنبج)؛ (2) الحسكة (القحطانية،⁸⁰² القامشلي، الشدادي، تل براك)؛ (3) الرقة (الطبة ومواقع أخرى لم يتم الكشف عنها)؛ (4) دير الزور (هجين ومواقع أخرى لم يتم الكشف عنها).⁸⁰³ كانت المقابلات مع الأشخاص المتضررين في المقام الأول عبارة عن روايات استرجاعية لتجاربيهم أثناء حكم داعش، ولكنها تضمنت أيضاً تجاربهم الأحدث. كانت اللغة المستخدمة في هذه المحادثات هي اللغة العربية في الغالب، وتم إجراء بعضها باللغة الإنجليزية. تم إجراء ثمانية مقابلات مع نساء من مجموع المقابلات مع مصادر المعلومات الرئيسيين البالغ عددها 23 مقابلة.

بسبب قيود السلامة المتعلقة بالوصول إلى مناطق معينة في شمال شرق سوريا، تم إجراء المقابلات بأسلوب كتابي وشفوي مشترك. في معظم المقابلات، قام الباحث المحلي في مبادرة دفاع الحقوقية أولاً بمشاركة أسئلة المقابلة مع الأشخاص الذين تمت مقابلتهم. بعد ذلك، أجاب الأشخاص الذين تمت مقابلتهم كتابياً، قبل أن يقوم الباحث المحلي بإجراء مكالمات هاتفية للمتابعة أو المحادثة عبر تطبيق الواتساب لتوحيد المعلومات، وضمان التفسير الصحيح للمعلومات والخوض في أسئلة محددة إذا لزم الأمر. بالإضافة إلى أمور متعلقة بالسلامة، امتنع بعض الأشخاص المتضررين الذين تم الاتصال بهم لإجراء المقابلات عن المشاركة في البحث لأسباب مختلفة بما في ذلك الخوف من ذكر أسمائهم، بينما لم يتمكن آخرون من التواصل مع الباحث المحلي بسبب المشاكل المتعلقة بالاتصال بشبكة الإنترنت.

أخيراً، تم تضمين بعض المواضيع في بروتوكول المقابلة، ولكنها لم تحظ بتغطية كبيرة في هذا الفصل. وفقاً للباحثين المحليين، ربما كان هذا بسبب حساسيتهم الشديدة بحيث لا يمكن للأشخاص المتضررين مناقشتها. أحد هذه المواضيع هو تدمير المدارس والمؤسسات التعليمية. على سبيل المثال، أفاد مقال من وكالة نورث برس أن المعارك ضد داعش التي خاضتها قوات سوريا الديمقراطية والتحالف بقيادة الولايات المتحدة في الرقة أدت إلى تدمير 80% من البنية التحتية للمدينة، نقلاً عن أرقام الأمم المتحدة التي تشير إلى تدمير 11 ألف مبنى. أو تضررت بين شباط / فبراير وتشرين الأول / أكتوبر 2017.⁸⁰⁴ ومع ذلك، بما أن الأضرار كانت في بعض الأحيان ناجمة عن قوات سوريا الديمقراطية والتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة أنفسهم، وليس داعش فقط، فقد كان عدد قليل من السكان على استعداد لمناقشة الموضوع خوفاً من أن يُنظر إليهم على أنهم ينتقدون قوات سوريا الديمقراطية في شمال شرق سوريا ما بعد داعش.⁸⁰⁵

⁸⁰¹ نظراً لعدد ونطاق المصادر التي تمت مقابلتها كمصادر معلومات رئيسيين لهذا الفصل، فإن الحواشي التي تشير إلى مقابلاتهم تتضمن رقم المقابلة بالإضافة إلى وصف لجنس كل فرد ووظيفته ومكانه الأصلي ليس فقط من أجل الاستمرار في إخفاء هوياتهم ولكن أيضاً للتمييز بينهم وبين الأشخاص الذين لديهم ملفات تعريف مماثلة (على سبيل المثال، المعلمين الحاليين والسابقين).

⁸⁰² القحطانية هو الاسم الرسمي الذي أطلقته الحكومة السورية على البلدة. ومع ذلك، فإن هذا الاسم محل خلاف وسياسي: يشير إليها السكان الكرد باسم تربه سبييه، ويسميه المسيحيون قبري حيوري، ويشير إليه العرب باسم قبور البيض. جميع المصطلحات الثلاثة تعني "القبر الأبيض".

⁸⁰³ في بعض الحالات، تم تلقي مقابلات شملت فقط المحافظة الأصلية للشخص الذي أجريت معه المقابلة (وليس المدينة أو البلدة أو القرية)، وتم الإشارة إليها على هذا النحو في المراجع اللاحقة.

⁸⁰⁴ North Press Agency, 'Raqqa witnesses self-help five after liberated from ISIS' (19 October 2022), <<https://npasyria.com/en/85931/>>

شوهد في 11 أيار / مايو 2023.

⁸⁰⁵ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023.

تأثيرات داعش على قطاع التعليم في شمال شرق سوريا

بناءً على تحليل الأدبيات الموجودة والمقابلات والجلسات الجماعية المركزة، تم تجميع هذا الفصل في أربع جواب رئيسية: (1) المعلمون والتدريس؛ (2) المناهج والكتب المدرسية. (3) الطلاب وماكن التعلم. و (4) التأثيرات الدائمة.

المعلمين والتدريس

"بعد التهديدات المتكررة والحوافز المالية، وجدت نفسي ملتجياً [من أجل] أن أصبح مدرسا نموذجياً في ظل حكم التنظيم المتطرف".⁸⁰⁶

تغيرت مهنة التدريس بشكل جذري في ظل حكم داعش في شمال شرق سوريا، حيث فر العديد من المعلمين إلى دول أو مناطق مجاورة هرباً.

دور المعلمين

"كان [دور المعلم] هو إيصال ما يُملَى عليهم دون أي اجتهاد شخصي أو معلومات خارج المنهاج".⁸⁰⁷

أدت سيطرة داعش على نظام التعليم في شمال شرق سوريا إلى تغيير دور المعلمين بشكل جذري. وأصبح المعلمون، أو أُجبروا على أن يصبحوا، منفذين للعقيدة السلفية الجهادية كما يروج لها منهاج داعش الجديد.⁸⁰⁸

وكما وصف أحد المعلمين الذكور من كوباني، "تم توظيف المعلمين كأداة تم من خلالها تنفيذ أيديولوجية داعش لتغيير عقول الطلاب".⁸⁰⁹ وقد تم التأكيد على ذلك من خلال إعلان رسمي صادر عن ديوان التعليم في أيار / مايو 2015:

إن الأمة تتفوق بمعلميها عندما يوجهون ما تولوه بالصدق والأمانة... فأهمية المعلم هي تهذيب العقول وتهذيب النفوس وغرس الفضائل وتمزيق الرذائل وتعليم أجيال [المستقبل]. بتربية راسخة صحيحة فإن ذلك من صفات الأنبياء.⁸¹⁰

اضطر المعلمون في المناطق التي يسيطر عليها داعش إلى الاختيار: إما مغادرة منازلهم أو مبايعة داعش. وبالتالي، ترك أكثر من 140 ألف موظف تعليمي يقيمون في المناطق التي يسيطر عليها داعش في كل من العراق وشمال شرق سوريا مواقعهم بمجرد وصول داعش، إما للانضمام إلى داعش كمقاتلين أو للفرار من نظامهم.⁸¹¹ فر العديد من المعلمين إلى مناطق سيطرة أخرى داخل سوريا (بما في ذلك اللاذقية والحسكة والقامشلي)⁸¹² خوفاً من وحشية داعش أو قمعهم من ناحية، أو التجنيد العسكري أو أشكال أخرى من سوء المعاملة التي قد تكون على أيدي الحكومة السورية في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة.⁸¹³ في جلسة جماعية مركزة في كوباني، وصف أحد المعلمين كيف فر هو ومعلمون آخرون إلى تركيا لعدة أشهر بعد مذبحه وقعت في 25 حزيران/يونيو 2015.⁸¹⁴ وأضاف أنه عندما عاد الطلاب إلى المدرسة، كان هناك نقص في أعضاء هيئة التدريس في شمال شرق سوريا بقي المعلمين في تركيا، مما خلق تداعيات طويلة المدى على قطاع التعليم المحلي.⁸¹⁵

⁸⁰⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁸⁰⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 11)، طالب سابق، تل براك (الحسكة)، أيار / مايو 2023.

⁸⁰⁸ Albane Buriel, 'Education under Totalitarian Regimes: The Case of the Islamic State in Iraq and Syria' (2022) 7 آفاق.

⁸⁰⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 8)، معلم، صرين (كوباني)، أيار / مايو 2023.

⁸¹⁰ Aymenn Jawad al-Tamimi, 'Archive of Islamic State Administrative Documents' (أيمن جواد التميمي، 27 كانون الثاني/يناير 2015) <<https://www.aymennjawad.org/2015/01/archive-of-islamic-state-administrative-documents>> شوهد في 9 نيسان / أبريل 2023.

⁸¹¹ Buriel, 'Education under Totalitarian Regimes'.

⁸¹² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023.

⁸¹³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 7)، مسؤول تعليمي، الطبقة، أيار / مايو 2023.

⁸¹⁴ جلسة جماعية مركزة (رقم 4).

⁸¹⁵ المرجع نفسه.

غالبًا ما أُجبر المعلمون الذين بقوا بعد وصول داعش إلى المنطقة على البقاء لأسباب مالية. مع سيطرة داعش على أجزاء من شمال شرق سوريا، خفضت الحكومة السورية أجور المعلمين، مما ترك معظم أولئك الذين لم ينتقلوا على الفور يعانون من موارد مالية قليلة أو معدومة للهجرة. ووصف أحد المعلمين السابقين من تل براك في الحسكة كيف "توقف عن تلقي الأجور في عام 2015 ثم توقف عن التدريس تمامًا في عام 2016".⁸¹⁶ وأوضح كيف أن المعلمين الذين بقوا في المدرسة أصبحوا أكثر بقليل من مجرد ملتزمين:

وبما أن داعش لم يتمكن من إنشاء كادر جديد من العاملين في مجال التعليم والمدرسين لـ "دولة الخلافة"، فقد كان عليه الاعتماد إلى حد كبير على الموظفين والمدرسين الحاليين. ولم يعد مسموحًا بإبداع المعلم واستقلاليته. في السابق، في الجامعات، كان يُقال للطلاب الذين يدرسون ليصبحوا معلمين إن المعلم يُمنح نوعًا من الحرية في الابتعاد عن الكتاب المدرسي والتدريس وفقًا لثقافة المنطقة [المحلية]. ولم يعد هذا هو الحال في ظل داعش. ولم يكن هناك مجال للإبداع من قبل المعلمين. كان مطلوبًا من المعلمين اتباع الكتاب المدرسي تمامًا كما هو مكتوب.⁸¹⁷

بالإضافة إلى ذلك، كان من الضروري أن يكون التدريس باللغة العربية الفصحى، لغة القرآن. وكانت جميع لغات التدريس الأخرى محظورة لأنها كانت "لغة العدو".⁸¹⁸ وكان الاستثناء الوحيد هو اللغة الإنجليزية، التي تم تدريسها فقط للطلاب الأجانب الذين يعيشون في المناطق التي يسيطر عليها داعش.

وصف معلم من هجين في دير الزور الواقع المتغير للعمل كمدرس في ظل داعش بما يلي:

وكان الدور الأساسي المخصص للمعلم في ظل داعش هو غرس الجهاد والتعصب الديني المتطرف في أدمغة [الطلاب] لإعدادهم لطريق الله مهما كانت الظروف. قبل داعش، كان التدريس والتعليم مختلفين، بمعنى أن المعلمين شعروا بأمان أكبر؛ ولم يتعرضوا لأية ضغوط من أحد.⁸¹⁹

وصف معلم آخر من هجين المعلمين في ظل داعش بأنهم تحولوا من نموذج يحتذى به في المجتمع إلى أن يصبحوا بدلًا من ذلك مملوكين (خدم أو مرؤوسين) لا يستطيعون عصيان أسيادهم. وأضاف أن معلمي المواد الإسلامية لم يتم قبولهم كمدرسين مؤهلين من قبل داعش، لأنهم "تخرجوا على أيدي علماء لم يطبقوا منهج [النبي صلى الله عليه وسلم]".⁸²⁰

أفاد طالب سابق من الشدادي أنه طُلب من جميع المعلمين الذكور ارتداء رداء طويل ولحية كاملة،⁸²¹ مما يزيد من تشكيل المعلمين في هذا الدور الجديد وتمثيل التزامهم بصريًا بتفسير داعش للإسلام.

إعادة تعليم المعلم والتوبة

في ظل داعش، كان التطوير المهني للمعلمين يقتصر على إعادة التعليم الديني. في كانون الأول/ديسمبر 2014، أعلن ديوان التعليم أنه سيُطلب من المدارس الخضوع لإعادة تعليم أيديولوجي وديني جماعي و"التوبة" لضمان امتثال جميع المعلمين لحكم الخلافة (انظر الصندوق 1).⁸²² وشمل ذلك توجيه المعلمين إلى "تسليح الطلاب بحفظ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية [تعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم] لدعم ما يؤمنون به"، والتأكيد على "تعزيز العقيدة في قلوبهم ومسؤوليتهم في دعوة الآخرين".⁸²³ "في ظل داعش، قال أحد المشاركين في جلسة التركيز الجماعية: "كان المعلم يعتبر

⁸¹⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023.

⁸¹⁷ المرجع نفسه.

⁸¹⁸ المرجع نفسه.

⁸¹⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار/مايو 2023.

⁸²⁰ المرجع نفسه.

⁸²¹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 11)، طالب سابق، تل براك (الحسكة) أيار / مايو 2023.

⁸²² Aymenn Jawad al-Tamimi, 'Islamic State Treatise on the Syrian Education System: Full Text, Translation & Analysis' (Aymenn Jawad Al-Tamimi, 12 March 2016) < <https://www.aymennjawad.org/18600/islamic-state-treatise-on-the-syrian-education> > شوهد في 9 نيسان / أبريل 2023.

⁸²³ Jacob Olidort, 'Inside the Caliphate's Classroom: Textbooks, Guidance Literature and Indoctrination Methods of the Islamic State' واشتغلن لسياسات الشرق الأدنى، التركيز على السياسات (147) < <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/inside-caliphates-classroom-textbooks-guidance-literature-and-indoctrination> > شوهد في 9 نيسان / أبريل 2023.

كافراً. ولم يجرؤ أحد على القول أنهم كانوا معلمين في الأصل.⁸²⁴ ولذلك، اضطروا إلى التوبة الكاملة وإعادة تثقيف أنفسهم حول كيفية خدمة داعش كمعلمي القرآن.⁸²⁵

واكتملت التوبة بحضور جلسة رسمية في أحد المساجد حيث أعلن المعلمون توبتهم إلى الله بالتوقيع على وثيقة رسمية. أولئك الذين لم يحضروا "تم اعتبارهم مصرين على الردة، وفي هذا الصدد، [تم] تطبيق الإجراءات القضائية الشرعية ذات الصلة.⁸²⁶" تم فصل المعلمين الذين لم يمتثلوا وفضحهم من خلال الإعلانات العامة التي تم ذكر أسمائهم فيها. تم إدراجها ونشرها على أنها ترفض الفكر السلفي الجهادي.⁸²⁷ وصفت معلمة سابقة من دير الزور دورات التوبة الدينية في منطقتها:

تمت دعوة المعلمين لإجراء خطاب ديني. واستمر هذا لمدة شهر. وفي منطقتي قضينا شهراً كاملاً في دورة في المسجد. في الطابق الأرضي كان هناك معلمون، وفي الطابق الأول كانت هناك إناث. كل يوم بعد العصر [صلاة العصر] حتى غروب الشمس، كنا نحضر الدورة. الجمعة والسبت كانا إجازة. وفي نهاية الدورة كان هناك اختبار. حتى خريجي الجامعات كان عليهم اجتيازها. ومن فشل فلا يحق له التدريس.⁸²⁸

في بعض الأحيان، كانت التوبة مطلوبة إذا اشتبه داعش في أن أحد المعلمين لديه شكل من أشكال الارتباط بالحكومة السورية. وأشار أحد المشاركين في مجموعة التركيز في الرقة إلى موقف شاهده عندما اتهم أحد الأساتذة بأنه متعاون مع النظام، وأن الموظفين أُجبروا على الخضوع للتوبة لمدة 20 يوماً، والتي تضمنت حفظ "آيات معينة وأمور دينية يدرسها المتطرفون للشعب".⁸²⁹

وصف أحد المعلمين من هجين أداء يمين التوبة للمعلمين:

تم جمع كافة الكوادر التدريسية داخل المسجد لمدة ثلاث ساعات يومياً على مدى 15 يوماً. كانوا يتلقون المحاضرات وكأنهم [المعلمون] كفار ومرتدون عن الإسلام. لقد كانت محاولة من قبل المجموعة لغرس الجهل في نفوس المعلمين واستغلال حاجتهم لمعرفة المزيد عن الإسلام... وقد طلب منهم حفظ جزء من الثلاثين جزءاً من القرآن. ثم أعلن داعش علناً أن هؤلاء المعلمين قد تابوا، ولم يعودوا على ضلال. ولم يكن الهدف من هذه الدورات رفع مستوى المعلمين تربوياً أو ثقافياً، بل [إنقاذ] الضالين.⁸³⁰

⁸²⁴ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 5).

⁸²⁵ المرجع نفسه.

⁸²⁶ 'Aymenn Jawad al-Tamimi, 'Archive of Islamic State Administrative Documents'.

⁸²⁷ المرجع نفسه.

⁸²⁸ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 12)، معلمة سابقة، دير الزور، أيار/ مايو 2023.

⁸²⁹ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 143).

⁸³⁰ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار/ مايو 2023.

الصندوق رقم 1. دعوة المعلمين إلى التوبة (محافظة نينوى: كانون الأول/ديسمبر 2014)⁸³¹ [مترجم]

في الواقع إن النظام التعليمي يعتبر من أهم المراكز التي تنشئها الدولة وترعاها، ومن خلال هذا النظام تتضح عقيدة/عقيدة الدولة، وبرنامجه، ونظرتها للوضع، وكذلك طبيعة علاقاتها. مع المجتمع الداخلي وطبقاته، والمجتمع الخارجي بمختلف اتجاهاته وثقافته.

ولم يجد الشيطان مدخلاً أعظم من مدخل الجهل والهوى، وكان ذلك من أهم أسباب الفسق والتمرد.

فإن العلم شرط التوحيد، ومن صفات النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكرها القرآن عنه نوعية تعليم هذه الأمة، كما قال تعالى في صفته: "ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم" [القرآن: 2: 129]. وقال جل شأنه: "ويعلمكم الكتاب والحكمة".

وقد حذر الإسلام من تأثير من يتولون التعليم لأنفسهم لأنهم هم المسؤولون عن العبث بفطرة التوحيد التي فطر الله عليها كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" البخاري 1358.

بعد أن مكن الله تعالى الدولة الإسلامية بإعلان الخلافة، عمدت إلى النظر في مناهج وزارات التربية والتعليم التابعة للحكومات الكفرية والمرتدة التي أعدت مناهجها على أساس فصل الدين عن الدولة، فوجدت المنظومة التعليمية الحالية بما تحويه من مناهج وهيئات وأفراد منظومة منحرفة تقوم إلى الدعوة إلى الكفر وترسيخ مبادئ العلمانية والقومية والبعثية على اختلاف أشكالها مما يستدعي البراءة منها والتحقق من استتابة العاملين فيها على الصفة المشروعة.

وعليه فقد قرر ديوان التعليم في دولة الخلافة اتخاذ الإجراءات التالية:

1. إيقاف الهيئة التعليمية الحالية لحين:

أولاً: الانتهاء من إعداد المناهج التعليمية الجديدة المنضبطة بضوابط شرعنا الحنيف.

ثانياً: إيقاف عمل جميع المعلمين السابقين إلى حين استنابتهم.

2. يمنع تدريس أي من هذه المناهج القديمة في مناطق دولة الخلافة سواء كان ذلك في المدارس العامة أو الخاصة أو الدورات.

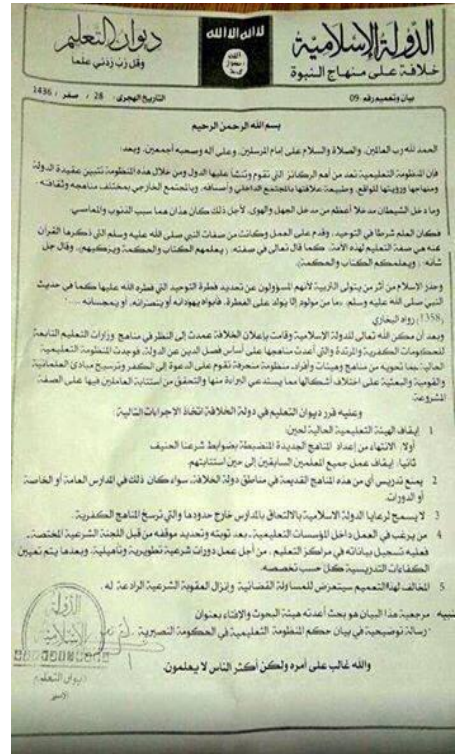
3. لا يسمح لرعايا الدولة الإسلامية بالالتحاق بالمدارس خارج حدودها والتي ترسخ المناهج الكفرية.

4. من يرغب في العمل داخل المؤسسات التعليمية: بعد توبته، وتحديد موقفه من قبل اللجنة الشرعية المختصة، فعليه تسجيل بياناته في مراكز التعليم. من أجل عمل دورات شرعية تعليمية وتأهيلية. وبعدها يتم تعيين الكفاءات التدريسية كل حسب تخصصه.

5. المخالف لهذا التعميم سيتعرض للمساءلة القضائية وإنزال العقوبة الشرعية الرادعة له.

ملاحظة: مرجعية هذا البيان هو بحث أعدته هيئة البحوث⁸³² والافتاء بعنوان رسالة توضيحية في بيان حكم المنظومة التعليمية في الحكومة النصيرية⁸³³

والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



⁸³¹ Aymenn Jawad al-Tamimi, 'Archive of Islamic State Administrative Documents'.

⁸³² وهي نفس الهيئة التي أصدرت أحكاماً تبرر معاملة الإيزيديين وتصوير إعدام الطيار الأردني معاذ الكساسبة.

⁸³³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة) نيسان / أبريل 2023.

مصطلح "النصيرية" هو مصطلح طائفي مهين يستخدمه المتطرفون للإشارة إلى العلويين. ويشير في الأصل إلى أبو شعيب محمد بن نصيري، وهو عالم مسلم قضى حياته في جنوب العراق. ولأسباب غير معروفة، يحظى بتبجيل العلويين السوريين. وتزعم الجماعات المتطرفة أن العلويين يعشقون ابن شعيب أكثر من الله.

ملاحظة: على الرغم من أن هذه الوثيقة نُشرت في محافظة نينوى العراقية، إلا أن الشروط نفسها تنطبق على المنطقة التي يسيطر عليها داعش في شمال شرق سوريا.

بالإضافة إلى جلسات التوبة، تم إخضاع المعلمين الذين أكملوا شهاداتهم التعليمية لتعليم ديني إضافي وأجبروا على حضور "دورة شرعية مدتها شهرين"، وفقاً لشهادة غير مباشرة من وسيلة إعلام محلية موالية لداعش (انظر الصندوق رقم 2).⁸³⁴ ودعمًا لذلك، صدر بيان في أيار / مايو 2014 يدعو فيه جميع المعلمين لحضور دورات تعليم الشريعة في محافظة حلب:

نطلب منكم حضور دورة تأهيل لمعلمي العقيدة والفقه، ويمنح المعلم في نهايتها وثيقة تأهيل للتدريس في المدارس الحكومية. ومن امتنع عن الجلسة يُمنع من ممارسة أي نشاط تعليمي أو عمل في أراضي الدولة الإسلامية.⁸³⁵

بالإضافة إلى ذلك، كان على أولئك الذين يدرسون في الجامعة ليصبحوا معلمين يخضعون لـ "دورة شرعية مدتها 15 يومًا" و"اجتياز اختبار بدرجة تزيد عن 70%" قبل إكمال دورة مدتها 10 أشهر مع معهد داعش لإعداد المعلمين.⁸³⁶ وتضمنت دورات تدريب المعلمين محاضرات حول موضوعات من مناهج التعليم الوطني السوري السابقة والتي كانت محظورة الآن، بما في ذلك الأكاذيب المزعومة "الكافرة" في كتب العلوم المتهمة بالتشكيك في المعتقدات الإسلامية حول أصول البشرية، مثل نظرية داروين للتطور.⁸³⁷ وبحسب ما ورد كانت المحاضرات تُلقى بحزم، وغالبًا بالصراخ، كوسيلة لإثارة الخوف بين المعلمين.⁸³⁸ وكانت معظم حملات إعادة التعليم تتم بقيادة كتائب مسلحة، وكان أولئك الذين لم يلتزموا بالأنظمة الصارمة يواجهون تهديدات بالإعدام العلني. لقد تم إعدام البعض⁸³⁹.

#للتعميم و#الفائدة
#تفاصيل_الخطّة_التعليمية_في_الرقّة
9 سنين دراسية. إلى قسمين: 5 سنين ابتدائي و 4 ثانوي. وبعد الـ 9 سنين يفرز إلى كليات أو معاهد.
أما بالنسبة للمدرسين الذين لم يكونوا على ذمة التربية سابقا (خريج ولم يسبق له أن درس) يخضع لمعهد إعداد معلمين 10 شهور. ويباشر بعدها بالتدريس. أما الذين كانوا على ذمة التربية سابقا فيجب أن يخضعو لدورة شرعية مدتها شهرين. ويوقعون على ورقة استتابة. والذين كانوا يدرسون بالجامعات سابقا ولم يتخرجوا بعد. ويودون التدريس. يخضعون لدورة شرعية 15 يوم ويجب أن ينجح بالاختبار (فوق الـ 70%) حتى يسمح له الدخول لمعهد إعداد المعلمين مدته 10 شهور وبعدها يمارس التدريس.

الصندوق 2. الخطط التعليمية في محافظة الرقة (شهادة غير مباشرة: عبر شبكة الرقة

⁸³⁴ Aymenn Jawad al-Tamimi, 'Archive of Islamic State Administrative Documents'.

⁸³⁵ المرجع نفسه.

⁸³⁶ المرجع نفسه.

⁸³⁷ Ahmad Khalil, 'A Teacher in Raqqa, Living Under ISIS Rule' (18 تشرين الثاني/نوفمبر 2014) <<https://deeply.thenewhumanitarian.org/syria/articles/2014/11/18/a-teacher-in-raqqa-living-under-isis-rule>> شوهد في 9 نيسان / أبريل 2023.

⁸³⁸ المرجع نفسه.

⁸³⁹ Gina Vaile, 'Cubs in the Lions' Den: Indoctrination and Recruitment of Children Within Islamic State Territory' (International Centre for the Study of Radicalisation, 2018), <<https://icsr.info/wp-content/uploads/2018/07/Cubs-in-the-Lions-Den-Indoctrination-and-Recruitment-of-Children-Within-Islamic-State-Territory.pdf>> شوهد في 9 نيسان / أبريل 2023.

- إثارة الخوف بين المعلمين

كانت استراتيجية داعش الرئيسية للسيطرة على ما يتم تدريسه هي "بث الرعب عن طريق العنف الشديد والخوف في جميع المكونات التعليمية".⁸⁴¹ هناك روايات عديدة عن قيام مسؤولي داعش بإثارة الخوف بين المعلمين في شمال شرق سوريا، ولكن القاسم المشترك طوال الوقت كان الطبيعة الشنيعة للعقوبات المقدّمة لأولئك الذين لم يلتزموا بقواعد داعش الصارمة. في إحدى الجلسات الجماعية المركّزة، أوضح والد أحد المعلمين ما يلي:

"لقد عانينا أكاديمياً. ابنتي التي كانت معلمة، تركت المدرسة؛ ابني الذي كان موظفاً، ترك عمله أيضاً خوفاً من داعش".⁸⁴²

حظيت المعلمة لمياء سليمان صاحبة القاعدة الشعبية باهتمام إعلامي كبير لتأسيسها مؤسسة خطوات للتنمية الاجتماعية لمواصلة التدريس سرا تحت حكم داعش.⁸⁴³ وفي مقابلة مع أريبيبا سين (المشهد العربي)، وصفت عملهم بما يلي:

"لقد بدأنا العمل تحت الأرض، في المنازل، في المساجد، في الأقبية... لم يكن يهم أين كنا، لكن التعليم استمر بطريقة أو بأخرى، خارج معسكرات التلقين الخاصة بهم".

بدأت شبكة سليمان في دير الزور وتوسعت لتشمل أكثر من 80 معلماً في جميع أنحاء المنطقة، وقاموا سرّاً بتعليم الطلاب القراءة والرياضيات واللغة الإنجليزية مع تقديم الدعم النفسي والاجتماعي أيضاً. وإدراكاً منها لاحتمال اختطاف المعلمين أو تعذيبهم لتعليمهم الطلاب خارج مناهج داعش، قامت سليمان ومعلموها بالتنسيق عن بعد باستخدام رسائل مشفرة دون الكشف عن أي معلومات حول أعضاء الشبكة لبعضهم البعض.⁸⁴⁴ ومع ذلك، علم تنظيم داعش بأمر مؤسسة خطوات وهدد حياة المشاركين فيها.⁸⁴⁵

وقد روت معلمة سابقة في دير الزور رواية مماثلة، ولها قصتها الخاصة في تحدي القانون الشرعي:

ذات مرة، دخل أعضاء الحسبة إلى الصف الدراسي. في ذلك الوقت، لم يكن وجهي مغطى بالكامل. لقد احتجوا وأرادوا إخراجي بالقوة من المدرسة إلى مكاتبهم. رفضت الانصياع قائلة إنني إذا ارتديت حجاباً فلن يسمعنني التلاميذ جيداً؛ وهذا يمس النطق السليم. ثم احتجوا على سبب خلع قفازاتي، وأجبت أنه من المستحيل الحصول على الطباشير والكتابة على السبورة بالقفاز. وفي النهاية جعلوني [أقسم بالقرآن] ألا أكرر مثل هذا الفعل.⁸⁴⁶

بالإضافة إلى الخوف الذي أثاره داعش بين العاملين في شبكات المجتمع المدني مثل شبكة سليمان في دير الزور، كانت هناك تقارير متعددة من جميع أنحاء شمال شرق سوريا عن معلمين ومعلمين تم إعدامهم علناً. وكانت عمليات الإعدام هذه في كثير من الأحيان بسبب أفعال تعتبر تحدياً لحكم داعش، مثل رفض تدريس المنهاج الجديد. وكانت عمليات الإعدام تُنفَّذ

⁸⁴⁰ Aymenn Jawad al-Tamimi, 'Archive of Islamic State Administrative Documents'.

⁸⁴¹ Buriel, 'Education under Totalitarian Regimes'.

⁸⁴² الجلسة الجماعية المركّزة (رقم 41).

⁸⁴³ Bahira Amin, 'Syria's lost generation isn't lost: How teachers secretly kept education alive under ISIS' (1 أبريل 2019) <<https://scenearabia.com/Life/underground-education-isis-syria-lost-generation-khotowat-bedaya-lamiaa-suleiman>> شهود في 19

نيسان / أبريل 2023.

⁸⁴⁴ المرجع نفسه.

⁸⁴⁵ المرجع نفسه.

⁸⁴⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 12)، معلّمة سابقة، دير الزور، أيار / مايو 2023.

أحياناً أمام الطلاب.⁸⁴⁷ وفي رواية أخرى، أفاد أحد المعلمين أن داعش استولى بالقوة أيضاً على منازل المعلمين الذين تحدوا سياسات التنظيم.⁸⁴⁸

ويمكن أن يتعرض المعلمون الذين لديهم صلات بالحكومة السورية لعقوبة قاتلة. وصف أحد الأشخاص الذين تمت مقابلتهم من دير الزور كيف تم إعدام المعلمين بوحشية، الذين كانوا لا يزالون يتلقون رواتب القطاع العام من الحكومة في الأيام الأولى لحكم داعش. وقال: "قُتل عدد من الأشخاص، بينهم صديقي من حوايج ذبيان، الذي كان يعمل مدرساً مساعداً في جامعة الفرات. لقد قُتل وصلب".⁸⁴⁹

وتذكر مدرس آخر من كوبياني كيف قُتل أيضاً أحد المعلمين من قريته:

وفي عام 2015 قُتل [معلم] في صرين بحجة التدريس على صلة بالكفار مع النظام السوري. كان من قرية العيوج [صرين، كوبياني]. وكان قد عاد لتوه إلى حلب، حيث حصل على راتبه الشهري. تم أخذه من منزله.⁸⁵⁰

كانت الرحلة إلى حلب لتلقي الرواتب خطيرة بالنسبة للمعلمين الذين ما زالوا يعملون في تحت ظل الحكومة السورية. وروت أم لأولاد كيف اختفى زوجها، وهو مدرس سابق في كوبياني، ولم يتم العثور عليه قط. في أيار / مايو 2016، توجه زوجها و13 معلماً آخرين إلى حلب لتلقي رواتبهم الشهرية لتجنب الفصل القسري، وهو مطلب من الحكومة يساهم في تأكيد وجوده المستمر في المنطقة. لكن تنظيم داعش رصد المعلمين:

تم اعتقال [المعلمين وزوجي] على جسر قره قوزاق على نهر الفرات. وبعد شهرين من الأسر، أطلق سراح [ابن شقيق زوجي]. أخبرنا أنهم كانوا محتجزين في المركز الثقافي السابق في منيج، والذي حوله داعش إلى سجن.

في أحد الأيام بعد الظهر، قيل لنا أنه سيتم إطلاق سراح المعلمين المختطفين. اجتمعنا. سمعنا أنهم وصلوا إلى الحاجز الأمني في قرية قمجي حيث ستطرح عليهم الإدارة الذاتية مجموعة من الأسئلة. لكن [المعلمين الذين تم اختطافهم] لم يعودوا قط.⁸⁵¹

ولم يقتصر هذا النوع من العقاب والاختطاف على معلمي المدارس. وينطبق أيضاً على مديري المدارس وكذلك المعلمين والعلماء الآخرين وأي شخص آخر يرى داعش أن لديه القدرة على التأثير على العقول الشابة. وصف أحد المشاركين في جلسة جماعية مركزة في دير الزور كيف داهم تنظيم داعش وسرق الأثاث في المدارس حيث كان مديرو المدارس على صلة أو اتصال مباشر مع الحكومة السورية. وفي بعض الحالات، تم إجبار هؤلاء المدراء على الانضمام إلى داعش.⁸⁵²

كما عوقب العلماء أيضاً لحماية التاريخ الذي كان يعتبر معادياً للمسلمين. في عام 2015، تم قطع رأس خالد الأسعد، وهو عالم سوري، في تدمر لرفضه إرشاد داعش إلى القطع الأثرية التاريخية القيمة التي اعتبرها التنظيم "أوثاناً" غير إسلامية يجب تدميرها.⁸⁵³ وبعد ذلك بعامين، في عام 2017، تم أيضاً إعدام مجموعة مكونة من 12 سورياً، كثير منهم معلمون، علناً في تدمر، على الرغم من أن أسباب هذا الإعدام لم تكن واضحة.⁸⁵⁴

⁸⁴⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023.

⁸⁴⁸ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 4)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁸⁴⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁸⁵⁰ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 8)، معلم، كوبياني، أيار / مايو 2023.

⁸⁵¹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 18)، زوجة معلم سابق، كوبياني، أيار / مايو 2023.

⁸⁵² الجلسة الجماعية المركزة (رقم 4).

⁸⁵³ Kareem Shahin, 'Beheaded Syrian scholar refused to lead ISIS to hidden Palmyra antiquities' (لندن، 19 آب/أغسطس 2015)

⁸⁵⁴ <https://www.theguardian.com/world/2015/aug/18/isis-beheads-archaeologist-syria> شوهدي في 19 نيسان / أبريل 2023.

Jack Moore, 'ISIS Executes 12 in Palmyra, Including Teachers, Monitor Says' (19 كانون الثاني/يناير 2017) <https://www.newsweek.com/isis-executes-12-palmyra-including-teachers-monitor-says-544465> شوهدي في 19 نيسان / أبريل 2023.

وساهمت أعمال التعذيب والقتل الجسدية في خلق مشاعر الخوف الدائم لدى المعلمين. وكانت الرسالة الرئيسية من داعش هي الطاعة أو العقاب؛ لن يكون هناك حل وسط.⁸⁵⁵

لخص أحد المعلمين من تل براك في الحسكة تجربة الخوف والتعذيب المشتركة بين المعلمين:

لقد كان التدريس [تاريخيًا] مهمة [مشرفة]. لقد كانت المعرفة مفتاح التقدم والنجاح. ومع ذلك، كانت مثل هذه التجربة [في ظل داعش] بمثابة نقطة تحول، ليس بالنسبة لي شخصيًا، ولكن لجميع المعلمين والطلاب الذين عاشوا [الحياة في ظل داعش]. لقد اجتاحتنا الخوف والرعب. سعى [داعش] بلا هوادة إلى غرس الأفكار والأيدولوجية المتطرفة في أدمغتنا. وقد نجحوا جزئيًا في قولبة العقول وزرع الفتنة وخلق الخلافات بين الناس من خلال الطائفية والجهاد، وهو ما دافعوا عنه بلا هوادة لإقامة دولتهم المزعومة.⁸⁵⁶

المناهج والكتب المدرسية

"لم يحتفظ [داعش] بأي كتاب أو مادة سابقة".⁸⁵⁷

لعبت المناهج الدراسية دورًا محوريًا في الأجندة الاستراتيجية لتنظيم داعش، حيث كانت بمثابة أداة للتلقين ونشر أيديولوجية التنظيم المتطرفة. قبل وجود داعش في المنطقة، كانت مناهج الحكومة السورية منتشرة على نطاق واسع في جميع أنحاء شمال شرق سوريا.

أشار أحد أعضاء المجلس المدني وكان مسيحيًا كيف حدث ذلك في منطقته القحطانية:

"كان نظام التعليم السوري جيدًا جدًا. يتفق جميع السوريين [من خلفيات مختلفة] على هذه القضية. وقد التحق الطلاب الكرد والعرب والسوريون بهذه المدارس وحصلوا على تعليم رائع".⁸⁵⁸

وافقه مدرس آخر من الحسكة قائلًا:

"كان جميع السوريين، بغض النظر عن خلفياتهم [الدينية أو العرقية]، ينتمون إلى نفس الطبقات. ولم يُعط أي تفضيل لأحدهما على الآخر. ولم يتم استخدام كلمات مثل الكرد أو العرب [في سياق المناهج المدرسية]".⁸⁵⁹

وعلى النقيض من هذه الآراء، أشار الصحفي الكردي سردار ملا درويش، في مقال عن حالة التعليم للكرد في شمال شرق سوريا، إلى أنه على مدى عقود قبل داعش، "عانى الكرد السوريون من الحظر المفروض على التحدث والدراسة بلغتهم الأم نتيجة للضغط السياسي والقمع من النظام السوري".⁸⁶⁰ وأفاد المشروع الكردي بالمثل أنه في ظل الحكومة السورية، "لم يُسمح للكرد السوريين باستخدام اللغة الكردية، ولم يُسمح لهم بتسجيل الأطفال بأسماء كردية، ولم يُسمح لهم بحضور المدارس الكردية الخاصة، تم منعهم من نشر الكتب أو غيرها من المواد المكتوبة باللغة الكردية،⁸⁶¹ الأمر الذي ترك للكرد إمكانية محدودة للحصول على التعليم إذا كانوا غير راغبين أو غير قادرين على التعلم باللغة العربية.

لكن مع وصول داعش، تم إلغاء المناهج الحكومية بشكل عام.⁸⁶² كانت الكتب المدرسية والمواد التعليمية لتنظيم داعش مليئة بشكل منهجي بالدعاية والرسائل الأيديولوجية، مُبرزة تفسير التنظيم المتطرف للإسلام. ومن الجدير بالذكر أن المناهج

⁸⁵⁵ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة) حزيران / يونيو 2023.

⁸⁵⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 5)، معلم، تل براك (الحسكة)، أيار / مايو 2023.

⁸⁵⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور أيار / مايو 2023.

⁸⁵⁸ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 22)، عضو مجلس مدني، القحطانية آذار / مارس 2023.

⁸⁵⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023.

⁸⁶⁰ Sardar Milla Darwish, 'The Kurdish School Curriculum in Syria: A Step Towards Self-Rule?' (20 كانون الأول/ديسمبر 2017) <<https://www.atlanticcouncil.org/blogs/syriasource/the-kurdish-school-curriculum-in-syria-a-step-towards-self-rule/>> شوهدي في

19 حزيران / يونيو 2023.

⁸⁶¹ The Kurdish Project, 'Once Banned, 31,000 Syrian Children Now Learning Kurdish' (n.d.) <<https://thekurdishproject.org/once-banned-31000-syrian-children-now-learning-kurdish/>> شوهدي في 19 حزيران / يونيو 2023.

⁸⁶² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 2)، معلمة، منبج، 2023.

الدراسي كان عسكرياً بشكل كبير، مع التركيز بشكل أساسي على تدريب الشباب ليصبحوا مقاتلين نشطين في صفوف التنظيم.⁸⁶³

ومن خلال تحليل البيانات التي تم جمعها، ظهر موضوعان فرعيان بارزان يتعلقان بالمناهج والكتب المدرسية: (أ): الأيديولوجية وعسكرة علم أصول التدريس (البيداغوجية). (ب): إصلاحات الكتب المدرسية وتطوير المناهج الدراسية. تسلط هذه المواضيع الفرعية الضوء على الجوانب الأساسية لإصلاحات المناهج الدراسية في ظل حكم داعش، والتي بدورها توفر رؤى قيمة حول التلاعب المنهجي للتنظيم بالتعليم لأغراض أيديولوجية.

الأيديولوجيا وعسكرة علم أصول التدريس (البيداغوجية)

ومن خلال تقديم مناهجه الأيديولوجي لل غاية، قام داعش بإصلاح مجموعة متنوعة من المواد التي كانت تشكل في السابق أساس المنهاج السوري. وكانت الموسيقى والتربية البدنية والقومية والقانون والفلسفة من بين المواضيع التي حظرتها تنظيم داعش في إطار جهوده لإعادة تشكيل المناهج التعليمية داخل المدارس والجامعات.⁸⁶⁴ تم تنفيذ عملية إصلاح المناهج هذه على مراحل، كما وصفها مسؤول تعليمي من دير الزور:

عندما أمر تنظيم داعش بإعادة فتح المدارس، قام في البداية بإلغاء المواد الأساسية باستثناء الرياضيات والقراءة. واستمرت هذه المرحلة الانتقالية لمدة أربعة أشهر تقريباً، تم خلالها إلغاء المنهاج الحالي. وبعد ذلك، تم إدخال منهاج جديد، مصحوباً بالكتب المدرسية المطبوعة حديثاً والتي تم توزيعها على المدارس. وتضمن منهاج داعش [الجديد] مواد مثل القراءة و[الرياضيات] والتربية الإسلامية والدراسات القرآنية، والتي تم تدريسها في المراحل الأولى. وفي وقت لاحق، تم إدخال مواضيع مثل الفقه والعقيدة وتفسير القرآن والأحاديث للمراحل العليا.⁸⁶⁵

علاوة على ذلك، ركز المنهاج على الدراسات الدينية، بما في ذلك حفظ القرآن والحديث والنصوص الإسلامية الأخرى، مع الترويج أيضاً لوجهات النظر المتطرفة حول العنف والجهاد وإقامة دولة إسلامية. وأوضح أحد المشاركين في جلسة جماعية مركزة ما يلي:

حاول [داعش] التلاعب بالأطفال بكل الوسائل الممكنة، ونجح في ذلك. فإذا أردت العمل في مجال التعليم كان عليك أن تفعل ذلك سرا خوفاً منهم. وكان الهدف غسل أدمغة الأطفال.⁸⁶⁶

امتد تأثير مناهج داعش إلى ما هو أبعد من إعادة هيكلة المواد الدراسية. وأصبح التعليم مجاًلاً حصرياً لتعزيز مصالح التنظيم، التي تدور حول مفاهيم الجهاد والجنة.⁸⁶⁷ وكان المنهاج أيضاً أداة تجنيد استهدفت الشباب العاطلين عن العمل بعود بالململكات المادية والسلطة والمناصب القيادية.⁸⁶⁸ وكانت عملية التلقين منتشرة، بهدف تشكيل عقول الأفراد وغرس فهم مشوه للإسلام. تعمل مناهج داعش على نشر العنف بشكل نشط، وتدعو إلى الصراع المسلح وتؤيد الأعمال الإرهابية.⁸⁶⁹ وأوضح أحد المعلمين من الطبقة ذلك قائلاً: "لقد قاموا بتغيير الكتب المدرسية حتى يتمكنوا من إدخال أيديولوجيتهم في أذهان الأطفال. وكان الهدف هو تجنيد الأطفال تحت اسم "أشبال الخلافة".⁸⁷⁰

وعلى هذا النحو، ركز تنظيم داعش تركيزاً استراتيجياً خاصاً على التعليم الابتدائي كمدخل لنشر تفسيره للإسلام.⁸⁷¹ وكانت المعايير التعليمية منخفضة بشكل ملحوظ، حيث تم تجريد الرياضيات وحظر موضوعات مثل الفيزياء والكيمياء في وقت

⁸⁶³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 10)، معلّم، الشدادي، أيار / مايو 2023.

⁸⁶⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 7)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁸⁶⁵ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور أيار / مايو 2023.

⁸⁶⁶ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 17).

⁸⁶⁷ الجلسة الجماعية المركزة (رقم س3)؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 21)، بقال، الرقة، نيسان / أبريل 2023.

⁸⁶⁸ الجلسة الجماعية المركزة رقم 3.

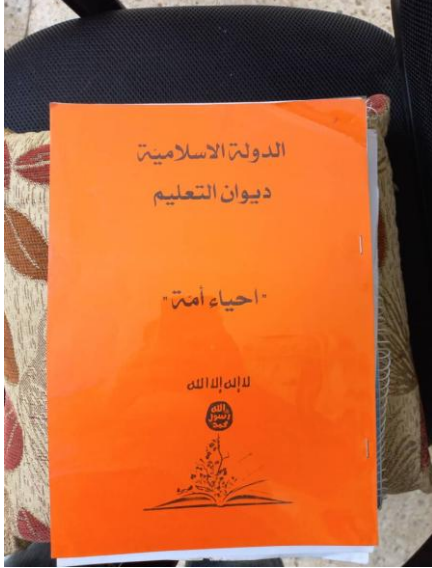
⁸⁶⁹ Olivier Arvisais & Mathieu Guidère, 'Education in conflict: How Islamic State established its curriculum' (2020) مجلة دراسات المناهج،

88:46.

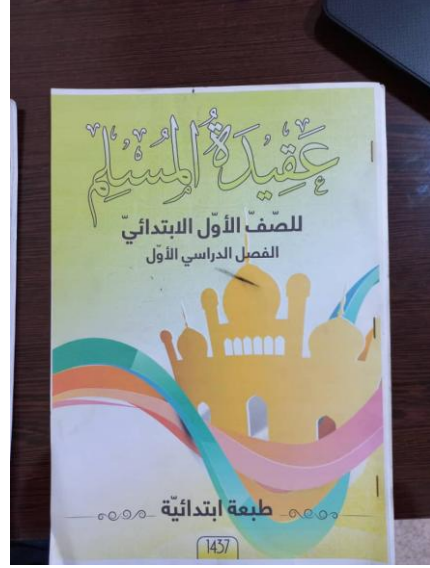
⁸⁷⁰ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 20)، معلّم، الطبقة، أيار / مايو 2023.

⁸⁷¹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 12)، معلّمة، دير الزور، 2023.

لاحق.⁸⁷² يوضح الشكل 1 والشكل 2 (أدناه) نوع الكتب المدرسية الإسلامية التي قدمها داعش في هذه المراحل المبكرة.⁸⁷³ وتظهر عناوين الكتب وحدها أن تركيز التعليم كان إلى حد كبير على أهمية "الخلافة" والإسلام.



الشكل 1. الكتاب المدرسي لأحياء الأمة



الشكل 2. كتاب عقيدة المسلم

استخدم تنظيم داعش عسكرة علم أصول التدريس (البيداغوجية)، والتي يمكن تعريفها على أنها دمج موضوعات وممارسات عسكرية في نظام التعليم، لغرس قيمه بين الشباب في شمال شرق سوريا.⁸⁷⁴ وشمل ذلك استخدام الزي العسكري والأنظمة التأديبية.⁸⁷⁵ حتى أن داعش عرضت دروساً وبرامج مصممة لإعداد الطلاب للقتال، مع دعوة مسؤولي التجنيد للتحدث مع الطلاب والترويج للمهن في كتابهم. لقد تم الترحيب بالعنف والعدوان بانتظام كوسيلة لحل المشكلات في تدريس داعش، وكذلك تهميش وجهات النظر وأنظمة القيم البديلة. وفي توضيح لهذا الأمر، أوضح صاحب مدرسة سابق كيف تم ذلك بما يلي:

لم يسمحوا لنا بفتح مدارس خاصة. أذكر أنني عندما كنت أدرّس، أخبرني أحد الأطفال أنه سيبلغ عني لدى "الإخوة" [داعش] لأنني أدرّس. وحاول طفل آخر إقناعه بالعلم [ألا يفعل]، لكنه قال إنه سيسجل شكوى وينفذ عملية انتحارية. كان طفل يبلغ من العمر 11 عامًا يتخيل نفسه كجندي ومقاتل.⁸⁷⁶

ردّد أحد أعضاء المجلس المدني الذي اختطفه داعش وعذبه لمدة 12 يوماً هذا الأمر قائلاً:

⁸⁷² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 7)، مسؤول تعليمي، الطبقة، أيار / مايو 2023؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023.

⁸⁷³ تواصل الكاتب مع مصدر معلومات رئيسي المقابلة (رقم 1)، أيار / مايو 2023.

⁸⁷⁴ Alexander J. Means & Graham B. Slater, 'Cultural studies, education, and the apocalyptic threat of war' (2022) 44:2 *مراجعة التعليم والتربية والدراسات الثقافية*، ص 87 - 89.

⁸⁷⁵ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 17).

⁸⁷⁶ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 5).

ملاحظة: في حين لم نتضح العلاقة بين تقديم الشكوى والقيام بالتفجير الانتحاري، إلا أنه يمكن الاستدلال من سياق الحديث والاقتباس نفسه على أن الطفل هنا كان يهدد بتفجير المدرسة حيث إن صاحب المدرسة كان لا يلتزم بالتشريعات الدينية المتعلقة بالتدخين.

كان [داعش] يمقت جميع الأفكار المختلفة التي لا تتناسب مع أيديولوجيتهم. لقد استهدفوا التعليم باستمرار وسعوا عمداً إلى تدمير المناهج الدراسية للسيطرة على الجيل الجديد. لقد حاربوا التعليم والدين المسيحي وحتى الإسلام. لقد كرهوا كل ما لا يتوافق مع أفكارهم القاسية والمظلمة.⁸⁷⁷

كان هذا السعي لتبني أجندة داعش الأيديولوجية بمثابة القوة الدافعة لأولئك الذين أنشأوا مناهج داعش.

إصلاحات الكتب المدرسية وتطوير المناهج

استخدم داعش أشكالاً مختلفة من الدعاية والتلاعب النفسي ضمن مناهجه لترسيخ أيديولوجيته في أذهان أتباعه. لقد تم تصميم الكتب المدرسية والمواد التعليمية والموارد المتعددة الوسائط بعناية لإثارة مشاعر قوية وخلق شعور بالتفوق وشيطة أولئك الذين يقعون خارج نظرهم للعالم.⁸⁷⁸

لقد قضت الكتب المدرسية والمواد التعليمية التي طورها داعش على عناصر الثقافة والتاريخ التقليديين التي اعتبرها التنظيم غير إسلامية.⁸⁷⁹ ومن خلال الصور والرموز واللغة الحية، سعى داعش إلى تشكيل تصورات ومواقف الطلاب. تصور الأشكال 3 و 4 و 5 (أدناه) استخدام الأسلحة والأشياء العسكرية في اللغة الإنجليزية في كتب تنظيم الدولة الإسلامية التي يتم تدريسها للطلاب الأجانب.⁸⁸⁰ شاركت معلمة روضة أطفال سابقة من هجين في دير الزور شهادة عاطفية حول التغييرات الجذرية في الكتب المدرسية:

على سبيل المثال، في الرياضيات، بدلاً من " $2=1+1$ "، كان لدينا "طائرة حربية + طائرة حربية أخرى = طائرتان حربيتان". كتبهم المدرسية [تعارضت] مع الطبيعة البشرية.

وكانت هناك أمثلة أخرى تدعو إلى القتل والذبح. وكانت هذه الكتب المدرسية تتعارض مع الفئة العمرية للأطفال. لقد وجدت نفسي [في مكان صعب]. [يمكن] إما أن أعرض نفسي للخطر أو أضحى بعلمي.

لذلك، ابتكرت مخططاً: أخبرت المعلمين أنه يمكننا التظاهر ظاهرياً بأننا نقوم بتدريس كتبهم المدرسية، ولكن في الواقع، سنتجنب الكتب المدرسية. لو علمناهم كتبهم المدرسية لصنعنا وحوشاً.⁸⁸¹

بالنسبة لبعض المواد غير الدينية التي كانت موجودة في المناهج الدراسية قبل داعش، أفاد المعلمون أنهم تلقوا وعوداً بالكتب المدرسية التي لم تتحقق أبداً. روت معلمة من دير الزور كيف سألت مراراً وتكراراً عن بعض المواد: "أجابوا أنه سيتم طباعتها وسيتم تسليمها عندما تصبح جاهزة. في الواقع، لم يكن هناك أي شيء".⁸⁸²

⁸⁷⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 22)، عضو مجلس مدني، القحطانية آذار / مارس 2023.

⁸⁷⁸ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023.

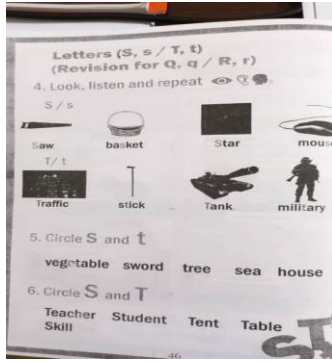
⁸⁷⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 5)، معلم، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁸⁸⁰ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 4)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023.

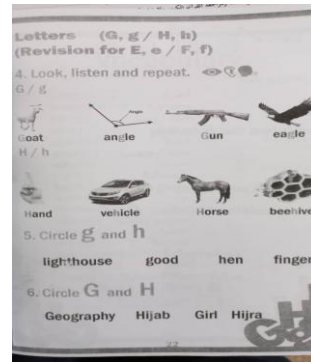
⁸⁸¹ تواصل مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، أيار / مايو 2023.

⁸⁸² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 13)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023.

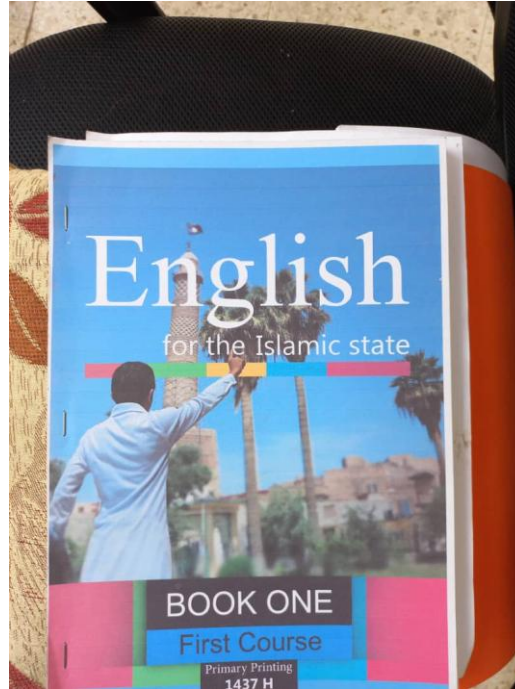
⁸⁸² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 12)، معلمة، دير الزور، أيار / مايو 2023.



الشكل 3: حرف T "Tank" (دبابة)



الشكل 3: حرف G "Gun" (بندقية)



الشكل 5. كتاب اللغة الإنجليزية لتنظيم الدولة الإسلامية⁸⁸³.

جاء الذين طوروا مناهج داعش من مجموعة من البلدان، مما زاد من تعقيد نظام التعليم الذي تم إصلاحه في داعش.⁸⁸⁴ ولتوضيح ذلك، قال مسؤول تعليمي إنه في دير الزور، "الغالبية العظمى من أعضاء داعش [كانوا] من العراق" إلى جانب "التونسيين والمغاربة والسعوديين وجنسيات آسيوية أخرى". "وقدر أيضًا أن ما يصل إلى 75% من أعضاء داعش في هجين هم من العراقيين، و10% من محافظة دير الزور نفسها، بينما جاء البقية من الدول العربية أو أوروبا أو آسيا.⁸⁸⁵

قام هؤلاء الأفراد معًا من مختلف أنحاء العالم بإنشاء مناهج داعش الذي يعكس الطبيعة المنهجية والمحسوبة لاستراتيجية التنظيم. وقد انعكس هذا بشكل خاص في الكتب المدرسية الجديدة التي أعدتها لجان مكونة من أجنبي. وصف مدرس سابق

⁸⁸³ تواصل مع مصدر معلومات رئيسي المقابلة (رقم 1)، أيار / مايو 2023.

⁸⁸⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 4)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁸⁸⁵ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023.

من دير الزور كيف: "نعتقد أن هناك شخصيات وقادة من دول أخرى أمروا بإجراء مثل هذه التغييرات [في المناهج الدراسية]".⁸⁸⁶ وفي الوقت نفسه، حدد مدرس حالي، من دير الزور أيضًا، أن مطوري المناهج كانوا "معظمهم من دول الخليج - المملكة العربية السعودية والكويت على وجه الخصوص".⁸⁸⁷

إن الآلية والسرعة التي تم بها تطوير هذه الكتب المدرسية وطباعتها ونشرها (غالبًا في غضون عام أو أقل) تشير إلى وجود نظام فعال وممول بسخاء بالفعل.⁸⁸⁸ وفي الوقت نفسه، فإن إدراج عناصر الوهابية التي تدعو إلى الجهاد العالمي ودعم تطرف المسلمين الأجانب يشير بقوة إلى تأثير أنظمة المدارس الوهابية في تشكيل هذه المواد التعليمية.⁸⁸⁹

قامت الأيديولوجية الوهابية تاريخيًا بتجنيد المسلمين في جميع أنحاء العالم من خلال القنوات التعليمية، وتمويل بناء المساجد والمدارس وتمويل المطبوعات.⁸⁹⁰ وفي حين أن أصل الوهابية متجذر في المملكة العربية السعودية،⁸⁹¹ فإن مدى تأثيرها في تشكيل الكتب المدرسية الجديدة لداعش أمر مثير للجدل ويصعب إثباته.⁸⁹² ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن تصدير الوهابية إلى الخارج ينطوي عادةً على مسارات مالية معقدة، مما يجعل من الصعب تتبع أصولها.⁸⁹³

إن المنهاج الذي فرضه داعش يشجع على التعصب والكراهية والعنف، وكان مصممًا لغسل أدمغة وتطريف أولئك الذين ينتقلون عبر النظام التعليمي للتنظيم. تحدثت معلمة من منبج عن مناهج داعش وارتباطها بالفكر الإسلامي قائلة:

كان المنهاج الذي اتبعه [داعش] مناهجًا متسلطًا ومستبدًا، لا يسعى إلا لخدمة أهدافه وغرس أيديولوجيته في أدمغة الأطفال لهدفين رئيسيين: إبقائهم جاهلين و[تحفيزهم] بسهولة لخدمة أجندته.

كما أشارت إلى أن المنهاج الجديد، على الرغم من تأييد داعش له باعتباره موجّهًا حول القرآن، إلا أنه "يتناقض بشكل مباشر مع المبادئ الأساسية للإسلام".

ويمكن أن يتماشى هذا مع كلام العالم والمصلح المسلم عبد الرحمن الكواكبي الذي يقول: "إن الدولة الاستبدادية لا تحرم الناس من حقهم في العيش في الألوهية فحسب؛ بل تسعى جاهدة لإبقائهم جاهلين. أسوأ أنواع الطغيان هو الجهل. يسعى الطغاة إلى إضعاف المعرفة الأساسية، [الشيء الوحيد] الذي [يمكن] أن يساهم في تنمية المجتمع أو تقدمه".⁸⁹⁴

واتفق مدرس آخر مع الخطة طويلة المدى لهذه الأجندة قائلاً إن "داعش استهدفت الشباب لغرس أيديولوجيته في أذهانهم"، وهو ما يعكس "سياسة ممنهجة يتبناها التنظيم".⁸⁹⁵ كان لمثل هذه التعاليم المتطرفة آثار طويلة الأمد على المجتمع، ولكن بشكل خاص على الطلاب.

⁸⁸⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 13)، معلم سابق، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁸⁸⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 4)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023.

في حين أن العديد من الاقتباسات حول المنهاج مأخوذة من المقابلات التي أجريت في دير الزور، إلا أن هذه المعلومات شائعة في مناطق أخرى. وأكد أشخاص آخرون تمت مقابلتهم هذه المعلومات على الرغم من أن اقتباساتهم ربما لم تحتو على نفس القدر من المعلومات المحددة.

⁸⁸⁸ Jacob Olidort، 'Inside the Caliphate's Classroom'؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل

⁸⁸⁹ Alastair Crooke، 'You Can't Understand ISIS If You Don't Know the History of Wahhabism in Saudi Arabia' (27 آب/أغسطس 2014)

> <https://www.noemamag.com/you-cant-understand-isis-if-you-dont-know-the-history-of-wahhabism-in-saudi-arabia>؛ شهود في 22 حزيران /

يونيو 2023.

⁸⁹⁰ Saudi Arabia's support for Wahhabism and jihad began during the Afghan-Soviet war, with significant investments made to spread the Wahhabi creed globally.

انظر: Carol E.B. Choksy and Jamsheed K. Choksy، 'Saudi Arabia's Wahhabi Folly: Domestic Crackdown, Global Export' (2015) <<https://www.worldpoliticsreview.com/saudi-arabia-s-wahhabi-folly-domestic-crackdown-global-export/?one-time-read>>

> code=32269168655744579875 شهود في 24 حزيران / يونيو 2023.

⁸⁹¹ Crooke.

⁸⁹² Ali Al-Ahmed، 'Analysis: Wahhabism' PBS (n.d.) <<https://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/shows/saudi/analyses/wahhabism.html>>

شهود في 22 حزيران / يونيو 2023.

⁸⁹³ Choksy and Choksy.

⁸⁹⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 2)، معلمة، منبج، أيار / مايو 2023.

⁸⁹⁵ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 5)، معلمة، تل براك (الحسكة)، أيار / مايو 2023.

""العلم في الصغر كالنقش في الحجر" (قول مقفَى باللغة العربية).⁸⁹⁶

أحدث تنظيم داعش تغييرًا جذريًا في المشهد التعليمي للطلاب في شمال شرق سوريا. أثناء وجود داعش في السلطة، حرم الطلاب من حقهم في التعليم الجيد حيث تعرضوا للعنف والخوف. يعرض هذا القسم أصوات المعلمين ومسؤولي التعليم وغيرهم من الأفراد المتضررين الذين عملوا في مجال التعليم في شمال شرق سوريا. ظهرت ثلاثة مواضيع رئيسية تتعلق بالطلاب من المراجعة المكتبية والمقابلات والجلسات الجماعية المركزة: (1) تعطل الحضور في المدارس؛ (2) الجندر (النوع الاجتماعي)؛ و(3) أماكن التعلم.

تعطل الحضور بالمدارس

في ظل تنظيم داعش، خضعت المناهج الدراسية لتغييرات واسعة النطاق، مما أثر سلبيًا على تعلم الطلاب، لكن تأثيرها على الالتحاق بالمدارس كان كبيرًا أيضًا. قدر أحد المعلمين الذين تمت مقابلتهم أنه في ظل داعش، تسرب 90% من الطلاب في محافظة دير الزور من المدارس.⁸⁹⁷ وساهمت عوامل مختلفة في تعطيل الالتحاق بالمدارس، بما في ذلك نزوح الأسر وفقدان أرواح الأطفال وتدمير المدارس وتجنيد الأطفال كمقاتلين.

في حين أدى حكم تنظيم داعش في شمال شرق سوريا إلى خفض معدلات الالتحاق بالمدارس في المنطقة، فإن المدارس في ظل داعش لم توفر مساحات التعلم الآمنة والجودة التي يحق للأطفال الحصول عليها بموجب القانون الإنساني الدولي والاتفاقيات مثل اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل.⁸⁹⁸ على هذا النحو، كانت المدارس نفسها مناطق خطر للطلاب، وهو ما يفسر سبب اختيار العديد من الآباء إبقاء أطفالهم في المنزل. يمثل انعدام الأمان في المدارس أحد الأسباب العديدة لعدم التحاق الطلاب بالمدارس أثناء حكم داعش، بالإضافة إلى الأسباب المذكورة في الجدول 1.

الجدول 1. مجموعة العوامل التي تمنع الأطفال من الالتحاق بالمدارس في ظل حكم داعش

العامل	الوصف
نزوح الأسر	أجبر غزو تنظيم داعش الكثيرين على الفرار من منازلهم، حيث لجأ العديد منهم إلى مخيمات مكتظة. ⁸⁹⁹ وأشار الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات إلى أن الأسر التي تتمتع بالوسائل المالية والتعليم غالبًا ما تغادر لتجد السلام والاستقرار الاقتصادي في مكان آخر. ⁹⁰⁰ وأدت عمليات النزوح الداخلي إلى انقطاع كبير في التعليم، حيث لم يتمكن العديد من الأطفال من الالتحاق بالمدارس بسبب نقص المرافق أو بعد المسافة عن منازلهم الجديدة.

⁸⁹⁶ Bulos, 'Students in Syria are a textbook case for post-Islamic State re-education'.

⁸⁹⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 5)، معلم، تل براك (الحسكة)، أيار / مايو 2023.

⁸⁹⁸ UNICEF, 'The UN Convention on the Rights of the Child (UNCRC)' (n.d.) <<https://www.unicef.org.uk/what-we-do/un-convention-child>> <https://www.unicef.org.uk/what-we-do/un-convention-child> <rights#:~:text=Every%20child%20has%20rights%20%E2%80%9Cwithout,status%E2%80%9D%20(Article%202)>. شوهدي في 30 أيار / مايو 2023.

⁸⁹⁹ UNHCR, 'Syria Refugee Crisis Explained' (14 آذار / مارس 2023) <<https://www.unrefugees.org/news/syria-refugee-crisis-explained/>> شوهدي في 30 أيار / مايو 2023.

ووفقًا للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (2013)، "منذ عام 2011، أجبر أكثر من 14 مليون سوري على الفرار من منازلهم بحثًا عن الأمان. لا يزال أكثر من 6.8 مليون سوري نازحين داخليًا في بلدهم حيث يحتاج 70% من السكان إلى المساعدة الإنسانية ويعيش 90% من السكان تحت خط الفقر.

⁹⁰⁰ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 5)، معلم، تل براك (الحسكة)، أيار / مايو 2023؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023.

إغلاق المدرسة	وكان تنظيم داعش مسؤولاً عن إغلاق المدارس بشكل مباشر. على سبيل المثال، في عام 2015، تأثر ما يقدر بنحو 670 ألف طفل في محافظات حلب ودير الزور والرقعة عندما أغلقت المدارس بينما كان منهاج داعش قيد التطوير ⁹⁰¹ .
مشاكل في الحضور	في ظل داعش، كان العديد من الآباء يخشون إرسال أطفالهم إلى المدرسة، وبالتالي يبقونهم في المنزل، على الرغم من أنهم اضطروا في بعض الأحيان إلى إرسالهم. ⁹⁰² وقال أحد المشاركين في جلسة جماعية مركزة في الرقة إنهم أبقوا أطفالهم "في المنزل لضمان سلامتهم". ⁹⁰³ وفي الوقت نفسه، وصف معلم من محافظة دير الزور في مقابلة كيف كان هناك خوف أيضاً من إرسال الأطفال إلى المدرسة حيث "كان داعش يسأل عن أمور الأسرة" وأن هذا "أثار الخوف بين الناس لأن الأطفال الأبرياء يمكن أن يكشفوا ما قيل عن داعش [في المنزل]" ويعرضون والديهم لخطر الاعتقال أو الإعدام في هذه العملية ⁹⁰⁴ .
الموت والإصابات	أثناء وجود داعش في السلطة، كانت هناك حالات قتل طلاب أثناء وجودهم في المدرسة. وفي عام 2014 وحده، أفادت اليونيسف أن ما لا يقل عن 160 طفلاً قُتلوا وجرح 343 آخرين في هجمات على المدارس في سوريا، على الرغم من أنه ربما كان هذا الرقم أقل من الواقع بسبب صعوبات التوثيق والوصول إلى البيانات. ⁹⁰⁵ تم تسليط الضوء على استخدام المدارس للأغراض العسكرية خلال جلسات مجموعات التركيز؛ وقال أحد المشاركين: "أصبحت برصاصة في يدي أثناء ذهابي إلى عملي في المخبز على يد قناص داعش المتمركز فوق إحدى المدارس". ⁹⁰⁶
الأضرار التي لحقت بالبنية التحتية للمدارس	أدى الصراع مع داعش إلى إلحاق أضرار بالبنية التحتية للمدارس، حيث تضررت أو دمرت العديد من المدارس أثناء القتال. ⁹⁰⁷ وعندما تم تدمير البنية التحتية للمدارس، لم يتمكن الطلاب من الذهاب إلى المدرسة. في بعض الحالات، استهدف داعش المدارس والجامعات، واستخدمها كمرافق لتخزين الأسلحة وجعلها أهدافاً للغارات الجوية. في كوباني، التي لم تكن تحت سيطرة داعش الكاملة على الإطلاق، تم إغلاق المدارس لمدة عامين على الأقل بسبب مجموعة متنوعة من العوامل، بما في ذلك الدمار والأضرار التي لحقت بالمباني المدرسية. ⁹⁰⁸
الجنود الأطفال	وفي ظل تنظيم داعش، تم تجنيد الأطفال أيضاً للعمل كجنود ومقاتلين، مما يحرمهم من حقهم في التعليم ويعرضهم للعنف والصدمات، و للموت في بعض الحالات. ⁹⁰⁹ وفي عام 2016 وحده،

- ⁹⁰¹ Joshua Baraja, 'Islamic State locks 670,000 children out of Syrian schools' *PBS News Hour* (2015) <<https://www.pbs.org/newshour/world/islamic-state-school-closures-syria-leave-670000-children-without-education>> شوهد في 30 أيار / مايو 2023.
- ⁹⁰² Save the Children, 'Over a million children living under ISIS in Iraq have missed out on education' (7 November 2016) <<https://reliefweb.int/report/iraq/over-million-children-living-under-isis-iraq-have-missed-out-education-save-children>> شوهد في 30 أيار / مايو 2023.
- ⁹⁰³ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 10).
- ⁹⁰⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 4)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023.
- ⁹⁰⁵ Reuters, 'Islamic State school closures in Syria affect 670,000: U.N.' (London, January 7 2015) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-unesf/islamic-state-school-closures-in-syria-affect-670000-u-n-idUSKBN0KF13720150106>> شوهد في 30 أيار / مايو 2023.
- ⁹⁰⁶ الجلسة الجماعية المركزة رقم 1.
- ⁹⁰⁷ Muhannad Hadi and Ted Chaiban, 'After almost ten years of war in Syria, more than half of children continue to be deprived of education', (UNICEF, 24 January 2021) <<https://www.unicef.org/press-releases/after-almost-ten-years-war-syria-more-half-children-continue-be-deprived-education>> شوهد في 30 أيار / مايو 2023.
- ⁹⁰⁸ الجلسة الجماعية المركزة رقم 27؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023.
- ⁹⁰⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 4)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023؛ Mia Bloom, 'Child Soldiers in Armed Conflict' (International Institute for Strategic Studies, 2018) <<https://www.iiss.org/publications/armed-conflict-survey/2018/armed-conflict-survey-2018/acs2018-03-essay-3>> accessed 30 May 2023

سجلات الأمم المتحدة 274 حالة تجنيد أطفال نُسبت إلى تنظيم داعش. ⁹¹⁰ ووجد أحد الباحثين أن داعش قام بتدريب المئات، إن لم يكن الآلاف، من الأطفال للمشاركة العسكرية بين عامي 2014 و2018. ⁹¹¹	
حظر داعش الاختلاط بين الجنسين بين الطلاب، وفصل الأولاد عن البنات بدءًا من الصف الأول. ⁹¹² ونظرًا لنقص المدارس، مع تضرر العديد منها بسبب الحرب، كانت الفصول الدراسية (الحصص) في كثير من الأحيان وفق جدول زمني محدود وتم تخصيص أيام بديلة لكل جنس (نوع اجتماعي). ⁹¹³ ومع تقدم الطلاب في السن، تترك الطالبات المدرسة بنسبة أكثر من الأولاد في مراحل الصفوف العليا. ⁹¹⁴	الجنس (النوع الاجتماعي)

وفي كثير من الأحيان، تقاطعت هذه العوامل مع عوامل أخرى لتعطيل التعليم بشكل كامل للطلاب في شمال شرق سوريا. على سبيل المثال، قال أحد المشاركين في جلسة جماعية مركزة من كوباني: "لقد دمرت منازلنا، وتيتيم العديد من الأطفال، وتسرب العديد من الأطفال من المدارس. خلال حرب كوباني، أغلقت المدارس في عام 2014. وتوقفت المدارس عن العمل، وظل أطفالنا خارج المدرسة لفترة طويلة".⁹¹⁵

كما أدى الخوف من سوء التعليم والتفجيرات والاعتقالات إلى منع الطلاب من الالتحاق بالمدارس والجامعات وتركهم محصورين في منازلهم.⁹¹⁶ تحدثت أم لستة أطفال من الرقة عن سبب توقفها عن إرسال أطفالها إلى المدرسة:

[سابقًا]، كان أطفالنا الستة متفوقين في المدرسة، وكان مستوى التعليم جيدًا. لكن عندما جاء [داعش]، حولوا المدارس إلى مقرات لهم، وتوقفت على الفور عن [إرسال] أطفالنا. لقد أصبحوا جيلا غير متعلم وجاهل تماما. لم أرسلهم إلى المساجد خوفاً من تأثرهم بأفكار [داعش].⁹¹⁷

في الوقت نفسه، روى أحد المشاركين في الرقة قصة شقيقهم الذي اضطر إلى ترك جامعته في دير الزور خوفاً من تعرضه للاعتقال من قبل داعش لأنه كان يدرس في منطقة خاضعة لسيطرة الحكومة.⁹¹⁸

يوضح الصندوق رقم 3 كيف تغيرت حياة الطلاب في ظل داعش من وجهة نظر معلم من منبج.

الصندوق 3. من خلال عيون أحد المعلمين: الانتهاكات ضد الأطفال في ظل داعش.

خلال مقابلة، وصفت معلمة في شمال شرق سوريا وضع الطلاب في ظل تنظيم داعش في منطقتها، منبج، التي كانت تعتبر في السابق مركزاً للمعرفة العلمية والتعليم قبل الحرب. كمعلمة منذ عام 2007، شهدت التغيرات الجذرية التي جاءت مع حكم داعش: "في منبج، ظلت مئات المدارس مغلقة على مدى عامين. وحُرم ما يقرب من 78 ألف طالب من حقهم في التعليم. تمت إعادة تسمية المدارس بأسماء الرموز الإسلامية. ورفعت لافتات سوداء فوق المدارس".

⁹¹⁰ Robbie Gramer, 'J Is For Jihad: How The Islamic State Indoctrinates Children With Math, Grammar, Tanks, and Guns' (فبراير 2017) <<https://foreignpolicy.com/2017/02/16/j-is-for-jihad-how-isis-indoctrinates-kids-with-math-grammar-tanks-and-guns/>> شهود في 30 أيار / مايو 2023.

⁹¹¹ Bloom, 'Child Soldiers in Armed Conflict'.

⁹¹² Hosam Al-Jablawi, 'A Closer Look at the Educational System of ISIS' (المجلس الأطلسي، 26 نيسان/أبريل 2016).

⁹¹³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023.

⁹¹⁴ المرجع نفسه

⁹¹⁵ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 6).

⁹¹⁶ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 3).

⁹¹⁷ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 62).

⁹¹⁸ وفي حين لم يتمكن فريق البحث من تأكيد هذه الحالة، فمن المرجح أنها حدثت خلال الفترة التي حكم فيها داعش الرقة وليس دير الزور.

غالبًا ما شهد الطلاب الذين التحقوا بهذه المؤسسات التي تم تجديديها عمليات الجلد والضرب وغيرها من أعمال العنف المؤلمة المرتكبة في الساحات العامة أو أنهم تعرضوا لهذه الأمور بأنفسهم. وبالتأمل في طلابها، لاحظت بندم كيف أن "طفولتهم قد شوهت. هناك حالات شهد فيها الأطفال قطع رؤوس آبائهم". بينما يمكن أن يرافق بعض الطلاب أمهات لحمايتهم داخل المدارس، إلا أنهم كانوا لا يزالون خائفين وتعرضوا لخطر انتقام داعش بالعنف أو التهديد بالقتل.

وأوضحت هذه المعلمة أيضًا أن من بين الأطفال الذين كانوا ما يزالون في المدرسة، أجبر داعش ما يقرب من نصف الطلاب البالغين من العمر 12 عامًا، والذين كان من المفترض أن يكونوا في الصف السادس، على العودة إلى الصف الأول لإعادة تعليمهم. إلى جانب ذلك، تم استخدام وتدريب الأطفال في سن الدراسة في منبج للقيام بمهام قتالية، في انتهاك للقانون الإنساني الدولي.

ومن خلال تقديم مثال محدد للمشقة، وصفت المعلم كيف ارتكب تنظيم داعش في 27 تموز / يوليو 2016 مجزرة، مما أسفر عن مقتل النازحين من دير حافر في حلب الذين كانوا يعيشون في إحدى المدارس في قرية البوير في منبج. وكان للعديد من الذين قتلوا في هذه المجزرة أقارب كانوا طلابًا جامعيين في مدن أخرى مثل دمشق وحمص واللاذقية. ولم يُسمح للطلاب بالعودة إلى منازلهم، مما أدى إلى فصلهم عن عائلاتهم، مما أدى إلى المزيد من الصدمات النفسية.⁹¹⁹

كان لفقدان التعليم الآمن والجيد وتحويل المدارس إلى مقرات لداعش تأثير عميق على حياة الطلاب. أعرب أحد المشاركين في الجلسة الجماعية المركزة من منبج عن إحباطه قائلاً:

كنا طلابًا في إحدى المدارس. الخطوة الأولى كانت وقف التعليم، وتحطم كل ما خططنا له. لقد فقدنا طفولتنا. وأصبحت المدارس مقرا له.

كان الإحباط الأول هو فقدان المدرسة. ألعابنا، مثل كرة القدم والأشياء البسيطة، تحولت إلى ألعاب تحتوي على أسلحة نارية وأشياء تشبه الأسلحة. لقد عشنا في فترة من الرعب المستمر. ظلت مدارسنا مغلقة، وكانت المناهج الدراسية التي يدرسها داعش تتضمن دروسًا عن الجهاد. أصبحت مدارسهم إلزامية، وقاموا بتعليم أطفال المدارس حول الألغام والمذابح.⁹²⁰

في حين واجه الطلاب العديد من التحديات في الوصول إلى تعليم آمن وجيد أثناء حكم داعش، إلا أن بعضها تم تحديده حسب جنس (النوع الاجتماعي لـ) الطلاب.

الجنس (النوع الاجتماعي)

ظاهريًا، يزعم داعش أنه يقدم نفس التعليم للبنين والبنات. تعتقد معلمة سابقة من دير الزور أنه "من خلال تعليم الفتيات، سعى داعش إلى تجنب الانتقادات [حول] سبب تركيزه على الأولاد فقط".⁹²¹ لكن في الواقع، فرض داعش أدوارًا وقيودًا صارمة على الجنس من خلال التعليم، وغالبًا ما يعامل الأولاد والبنات بشكل مختلف.

شارك العديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم والمشاركين في الجلسات الجماعية المركزة كيف واجه الأولاد والبنات هذه الأدوار المخصصة للجنس (النوع الاجتماعي) في ظل داعش. وقال أحد المعلمين من دير الزور: "بحسب داعش، يجب أن يكون الرجال في خدمة الدين وأن يكونوا حاضرين في جميع المعارك،⁹²² في حين من المفترض أن تبقى المرأة

⁹¹⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 2)، معلمة، منبج، أيار / مايو 2023.

⁹²⁰ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 2).

⁹²¹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 12)، معلمة سابقة، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹²² يتم عادة ترقية الأولاد كمقاتلين، لكن لم يكن هذا هو الحال دائمًا. وفي مقال عن مخيم الهول، كتب يعقوب عن أول كتيبة نسائية لداعش في عام 2014 تسمى "لواء الخنساء".

انظر: (2022) Rudaw (12 September) 'Al-Hol camp: ISIS' feminine enclave that keeps growing' Lazghine Ya'qoub, <<https://www.rudaw.net/english/opinion/12092022>> accessed 17 June 2023.

في المنزل ولا تعمل إلا إذا كان ذلك يخدم الدين".⁹²³ ووصفت معلمة سابقة من دير الزور أيضًا أن "الفتيات لديهن قواعد صارمة فيما يتعلق باللباس، الذي كان أسود اللون بالكامل".⁹²⁴

وقال رجل كان طالبًا في تل براك بالحسكة إن الفتيات اللاتي يرغبن في التعليم غالبًا ما يضطرن إلى الاعتماد على المعلمين المتطوعين الذين يقدمون التعليم في المنزل.⁹²⁵ تم التعبير عن عدم المساواة الجندرية أيضًا من قبل معلم من تل براك:

"لم تكن هناك مساواة بين الجنسين [...] حيث تم إعطاء الأولوية للرجال على النساء، اللاتي عانين من سوء المعاملة والظلم خلال عامين من حكم داعش الذي عانينا منه. وكان هذا واضحًا للجميع".⁹²⁶

تتعارض هذه الأدوار الجندرية مع الأنظمة العقائدية للكثيرين داخل المجتمعات المحلية، حيث وصفها أحد المعلمين السابقين من صرّين بأنها "إرهاب" مع تسليط الضوء على أن داعش تجاهل حقوق وأدوار المرأة بما يتعارض مع التعاليم الفعلية للإسلام.⁹²⁷ وكما ذكرنا سابقًا، لم يسمح داعش بالاختلاط بين الجنسين بدءًا من الصف الأول فما فوق: أي السنة الأولى من التعليم الابتدائي في سن السادسة والسابعة تقريبًا.⁹²⁸ وبحسب أحد المعلمين من تل براك، فإن فصل الأطفال الأكبر سنًا في الصفوف الدراسية يضر بالطلاب نفسيًا ويمنعهم من التعلم من بعضهم البعض.⁹²⁹ كما لم يتم السماح لكل من الرجال والنساء بالالتحاق بمؤسسات التعليم العالي في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة.⁹³⁰

في حين سمح تنظيم داعش من الناحية النظرية بالمساواة في الوصول إلى مدارسه،⁹³¹ إلا أن معدلات التسرب بين الطالبات زادت مع تقدم الطلاب إلى مراحل أعلى وكانت أعلى من معدلات التسرب بين الطلاب الذكور. تُعزى معدلات التسرب المرتفعة هذه جزئيًا إلى صدى صيام، كبيرة مسؤولي التعليم في داعش، التي شجع الطالبات على الزواج من مقاتلي داعش الأجانب.⁹³² شارك أحد الوالدين من الرقة قصة ابنتهما عندما كانت طالبة في ظل داعش وكيف تركت أختها التعليم من أجل الزواج:

كانت ابنتي في زمن داعش في الصف الأول ولم يُسمح لها بتلقي التعليم. وهي الآن أكبر سنًا وأمّية، لا تستطيع القراءة ولا الكتابة لأن تنظيم داعش كان يعلم الأطفال حمل السلاح وممارسة "[جهاد النكاح]". كانوا يتزوجون قسرًا من الفتيات الذين يحبونهم، متجاهلين رغبات عائلاتهم. تخلت أختي عن تعليمها لأن [أحد أفراد الأسرة] الذي كان أميرًا في داعش، أجبرها على ترك دراستها وزوجها لعدة رجال أجانب.⁹³³

ونتيجة لذلك، يقوم الآباء بسحب بناتهم من المدارس لمنع الزواج المبكر.⁹³⁴ ومع ذلك، يواصل الآباء الآخرون تشجيع تعليم أطفالهم، بما في ذلك البنات، لتلقي التعليم العالي في أجزاء من البلاد غير الخاضعة لسيطرة داعش.

⁹²³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 4)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹²⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 12)، معلمة سابقة، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹²⁵ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 11)، طالب سابق، تل براك (الحسكة)، أيار / مايو 2023.

⁹²⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 5)، معلم، تل براك (الحسكة)، أيار / مايو 2023.

⁹²⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 8)، معلم، صرّين (كوباني)، أيار / مايو 2023.

⁹²⁸ وكجزء من هذه التغييرات، بدأ تنظيم داعش أيضًا أسبوعًا دراسيًا مدته ستة أيام مع يوم الجمعة فقط كيوم إجازة. بسبب النقص في المدارس، مع تدمير العديد منها أو تضررها بسبب النزاع، كانت أيام الدراسة في كثير من الأحيان وفق جدول زمني محدود مع تخصيص أيام بديلة للبنين والبنات.

⁹²⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 5)، معلم، تل براك (الحسكة)، أيار / مايو 2023.

⁹³⁰ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، أيار / مايو 2023.

⁹³¹ وفي عام 2022، انتقدت قناة مؤيدة لتنظيم الدولة الإسلامية على تلغرام حركة طالبان لمنعها الفتيات من الالتحاق بالمدارس على أساس أنها ليست متجذرة في الإسلام. مع إعلان طالبان أفغانستان دولة "إسلامية"، يتساءل سيف، كاتب المقال، عن أساس منع طالبان النساء من أداء ما يعتبره واجبه الديني، ثم يجادل بأن التفسير يكمن في إطار الأدوار الثقافية للجندر (القائمة على النوع الاجتماعي). التي تسعى الأنظمة الأبوية إلى الحفاظ عليها، وليس بسبب دوافع دينية بحتة. انظر:

'Supporter' (ISIS) Islamic State (2022) 'Essay By Islamic State (ميمري، 2022) -<https://www.memri.org/itjm/essay-islamic-state-isis-supporter-lashes-out-afghan> <taliban-banning-girls-education-claims-ban> شوهدي في 22 حزيران / يونيو 2023.

⁹³² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023.

⁹³³ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 19).

⁹³⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 1)، معلم سابق، تل براك (الحسكة)، نيسان / أبريل 2023.

وقال أحد المشاركين إن "داعش كان يضايق تعليم الإناث بشكل خاص، كنا نرسلهن بصعوبة إلى مناطق سيطرة النظام [السوري] حيث توجد الجامعات".⁹³⁵ وشارك آخر عبء النساء والفتيات اللاتي احتجن إلى وجود محرم من أجل السفر. وذكر الأب:

كانت ابنتي [...] تدرس في الصف الثاني عشر (البكالوريا) في حمص. لم تتمكن من الذهاب بمفردها لمواصلة دراستها لأنهم كانوا بحاجة إلى ولي أمر كان أحد أقربائها من الدرجة الأولى لمرافقتها. اضطرت إلى إرسال والدتها معها، الأمر الذي زاد من التكاليف.⁹³⁶

أماكن التعلم

ساهم حكم داعش لشمال شرق سوريا في تدمير وإغلاق أماكن التعلم والمدارس. في حين أن البيانات المتعلقة بالعدد الدقيق للمدارس المدمرة والمغلقة غير متوفرة، فقد قدرت وحدة تنسيق الدعم (ACU)، وهي منظمة إغاثة سورية، في تشرين الثاني / نوفمبر 2016 أن 1,378 من أصل 3,373 (41%) مدرسة حكومية شملها الاستطلاع في سوريا "لم تكن تعمل". وبالمثل، وجد تقرير للبنك الدولي نشر في تموز / يوليو 2017 أن 53% من المدارس والجامعات دمرت جزئياً، في حين دمرت 10% بالكامل. وتقع العديد من مساحات التعلم هذه (40%) في المناطق التي يسيطر عليها تنظيم داعش مثل الرقة.

تظهر البيانات الأخيرة، الموضحة في الجدول الثاني، صورة مفصلة عن مدى الدمار الذي لحق بالبنية التحتية التعليمية في شمال شرق سوريا. بالإضافة إلى ذلك، يُظهر التقرير التفاوتات الإقليمية للتأثير ضمن المناطق المختلفة، حيث تم تدمير 50 مدرسة من أصل 386 (13%) بالكامل في الرقة مقارنة بأربعة من أصل 346 (1%) في منبج.

أثناء حكم داعش والصراع ضده لطرده، غالباً ما تم استخدام المدارس "كمراكز احتجاز وقواعد عسكرية ومواقع للقنصاة" من قبل داعش والحكومة السورية والجهات الفاعلة غير الحكومية، مما يزيد من التكلفة على قطاع التعليم.⁹³⁷ ونظرًا لوقوعها في مناطق النزاع، أدت الهجمات على المدارس أيضاً إلى مقتل وإصابة مئات المعلمين والطلاب، مما يعرضهم للخطر في المدرسة أو في الطريق من وإلى المدرسة كل يوم.

الجدول 2. الوضع التشغيلي والبنائي للمدارس في شمال شرق سوريا حتى نيسان/أبريل 2023

المنطقة في شمال شرقي سوريا	تعمل	تدمرت بشكل كامل	تدمرت بشكل جزئي	تم إصلاحها
الرقة	386	50	61	10 (لا تزال قيد الإصلاح)
منطقة الفرات بما في ذلك كوباني	571	22	3	28
دير الزور	739	86	165	0
منطقة الجزيرة	1,773	30	18	6
منبج	346	4	1	0

⁹³⁵ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 132).

⁹³⁶ المرجع نفسه.

⁹³⁷ Global Coalition to Protect Education from Attack (GCPEA), 'Education under attack 2018' (n.d.)

<<https://eua2018.protectingeducation.org/syria>> شوهد في 30 أيار / مايو 2023.

24	24	12	240	الطبقة
----	----	----	-----	--------

المصدر: مسؤول مجهول الهوية شمال شرق سوريا. 938

وفي معرض تأمله لهذه الفضائ، قال مدرس سابق من دير الزور:

خلال حكم داعش، لم تكن المدارس آمنة. أي شيء يمكن أن يحدث في أي لحظة. وحول تنظيم داعش معظم المدارس إلى ثكنات تدريب أو مساكن لعناصره. مما دفع السكان المحليين إلى الامتناع عن إرسال أطفالهم إلى المدرسة. كيف يمكن للناس أن يرسلوا أطفالهم ليتعلموا على يد عدو؟ ماذا تتوقعون أن يعلمهم داعش؟⁹³⁹

وأضاف أنه على الرغم من وجود مبادرات محلية لإعادة بناء المدارس وإعادة فتحها، إلا أن الآفاق التعليمية المستقبلية لا تزال غير واضحة في المناطق التي شهدت مستويات مرتفعة من الأضرار والدمار.⁹⁴⁰

وفقاً لمعلمة من دير الزور، فإن المدارس في ظل داعش "لم تكن آمنة أبداً" لأنه "في كل يوم، كان بإمكانك رؤية أعضاء الحسبة يدخلون الصفوف الدراسية وهم مسلحون بالكامل. مما أثار مخاوف بين الأطفال. وكان أعضاء الحسبة متعجرفين وقمعيين وفارضين للغاية".⁹⁴¹

وأضاف مدرس سابق آخر من تل براك أنه من المعروف أن المدارس كانت تستخدم من قبل جهات حكومية وغير حكومية مختلفة كثكنات عسكرية، إلا أن داعش ذهب إلى أبعد من ذلك وقام بتحويل بعض المدارس إلى "مسالخ".⁹⁴²

تأثير دائم: أزمة التعليم المستمرة في شمال شرق سوريا

"[ينبغي إيلاء] الكثير من الاهتمام لحماية [الطلاب] من مخاطر الجماعات [مثل داعش]. يجب محاربة أيديولوجياتهم".⁹⁴³

على الرغم من نهاية حكم تنظيم داعش، لا يزال نظام التعليم في سوريا "مستنزف ويعاني من نقص التمويل ومجزأ وغير قادر على توفير خدمات آمنة وعادلة ومستدامة".⁹⁴⁴ لا يزال أكثر من 2.5 مليون طفل خارج المدرسة،⁹⁴⁵ في حين أن الآثار طويلة المدى لحكم داعش وتشمل هذه التحديات تدهور الحالة النفسية والاجتماعية للطلاب والمعلمين وفقدان التعلم والأمية، فضلاً عن التحديات الحالية في نظام التعليم مثل تلك المتعلقة بالبنية التحتية موجودة إلى يومنا هذا.

تدهور الحالة النفسية والاجتماعية

"لقد انهار الطلاب بالمعنى النفسي. ما ساد هو السوداوية وثقافة القتل والدمار والقصاص".⁹⁴⁶

تعتبر السلامة النفسية والاجتماعية "مقدمة هامة للتعلم وهي ضرورية للتحصيل الأكاديمي؛ وبالتالي فإن له تأثيراً مهماً على الآفاق المستقبلية لكل من الأفراد والمجتمعات".⁹⁴⁷ ومع ذلك، على الرغم من هذه الأهمية الكبيرة للسلامة النفسية الاجتماعي،

⁹³⁸ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 12)، معلمة سابقة، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹³⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹⁴⁰ المرجع نفسه.

⁹⁴¹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 12)، معلمة سابقة، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹⁴² تواصل الكاتب مع مصدر معلومات رئيسي المقابلة (رقم 1)، أيار / مايو 2023.

⁹⁴³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹⁴⁴ Hadi and Chaiban, UNICEF.

⁹⁴⁵ المرجع نفسه.

⁹⁴⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 7)، مسؤول تعليمي، الطبقة، أيار / مايو 2023.

⁹⁴⁷ 'Psychosocial Support and Social and Emotional Learning (PSS and SEL)' Interagency Network for Education in Emergencies (INEE), <<https://inee.org/collections/psychosocial-support-and-social-and-emotional-learning>> (n.d.) شهود في 30 أيار / مايو 2023.

فقد تم تفويضها وتجاهلها بشكل متكرر في قطاع التعليم في شمال شرق سوريا. وبحسب باحثة دولية أجرت بحثًا ركز على تأثير داعش على التعليم أنه:

لم يتم التعرف بشكل كافٍ على التأثير النفسي على الطلاب والمعلمين، وحتى المنظمات الدولية [...] تريد فقط المضي قدمًا، ورؤية استئناف التعليم [مع] ذهاب الناس إلى المدرسة. [إنهم] يتوقعون أن يعمل الأمر بشكل طبيعي وكأن شيئًا لم يحدث [...] ولكن لا توجد خطة على الإطلاق و[لا توجد] موارد موجودة لمعالجة هذه المسألة، لذلك لم يكن هناك سوى القليل من العمل المنجز [فيما يتعلق] بسلامة الصحة النفسية والاجتماعية.⁹⁴⁸

ومن خلال المقابلات والجلسات الجماعية المركزة، كان من الواضح أن الأطفال - وخاصة أولئك الذين تعرضوا لعمالة الأطفال القسرية أو الزواج المبكر وأولئك الذين عانوا من فقدان أفراد الأسرة أو الأصدقاء- قد تحملوا بعضًا من أسوأ الصدمات من حكم داعش.⁹⁴⁹ وربط أحد الأشخاص الذين تمت مقابلتهم هذه الصدمة بالارتفاع المقلق في تعاطي المخدرات بين الأطفال في المنطقة.⁹⁵⁰

بالإضافة إلى ذلك، يمثل انتشار الخوف تحديًا مستمرًا يؤثر على الأطفال والبالغين على حدٍ سواء. الأطفال يشعرون بالقلق من الذهاب إلى المدرسة. وحتى عندما يتمكن الطلاب من الذهاب إلى المدرسة، فإن الصفوف الدراسية المزدحمة التي تستوعب ما يصل إلى 100 طفل تعيق التعلم الفعال.⁹⁵¹ تحدث المشاركون أيضًا عن انعدام الثقة المتبقي في الناس بشكل عام، حيث قال أحد المشاركين في الجلسة الجماعية المركزة في القامشلي:

لقد ساد الحذر [خلال داعش] وحتى الآن عندما نرى سيارة أو شاحنة غريبة نسرع نحوها ونستفسر عن غرضها ومن بداخلها. كان الخوف هو السائد في الحي بأكمله. وحتى الآن، ما زلنا [خائفين].⁹⁵²

إلى جانب الخوف، أثرت تداعيات داعش بشكل ملحوظ على قدرة الطلاب على إظهار الاحترام للمعلمين. خلال المقابلات، يُعزى ذلك، إلى حد ما، إلى حقيقة أنه في ظل داعش، تم إنزال المعلمين إلى مناصب ثانوية وتجريدهم من سلطتهم. أعرب أحد المعلمين عن مخاوفه بشأن التأثيرات المستمرة لداعش على سلوك الطلاب بما يلي:

ستحتاج المنطقة إلى سنوات عديدة للتغلب على تأثير التنظيم المتطرف على قطاع التعليم على وجه الخصوص. وهذا واضح في سلوك الطلاب تجاه معلمهم. يجب أن يكون [المعلمون] قدوة لهم، [لكن] الطلاب لا يحترمون معلمهم.⁹⁵³

وحتى ذلك الحين، لا يزال المعلمون أنفسهم يعانون من صدمة نفسية وعاطفية كبيرة في مرحلة ما بعد داعش. وأشار أحد المعلمين من دير الزور إلى أنه حتى اليوم، وخاصة في المناطق الريفية، ينشر المعلمون "أفكارًا غريبة" و"يتحدثون دائمًا عن القتل والسلاح"، مضيفًا أن "الأفكار التي غرست من قبل لا تزال نشطة، [بما في ذلك تلك المتعلقة] بالسلاح والقتال والجهاد وما هو حلال وما حرام".⁹⁵⁴ وفي الوقت نفسه، أكدت معلمة من دير الزور على الصدمة النفسية الدائمة التي تعرضت لها نتيجة مشاهدتها للعنف بشكل مباشر بما يلي:

ذات مرة، عندما كنت في بلدة العشارة، دُعيت عنوة لحضور عملية قطع رأس. وكانت ابنتي، التي كانت تبلغ من العمر خمس سنوات في ذلك الوقت، معي. وضعت يدي على عينيها لمنعها من رؤية عملية قطع الرأس.

⁹⁴⁸ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 9)، باحثة دولية، باريس، أيار / مايو 2023.

⁹⁴⁹ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 47)؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹⁵⁰ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 4)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹⁵¹ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 19).

⁹⁵² الجلسة الجماعية المركزة (رقم 20).

⁹⁵³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 3)، مسؤول تعليمي، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹⁵⁴ المرجع نفسه.

وفي مرة أخرى، شاهدت رجلاً يُلقى من سطح مستشفى الحكمة في العشارة. وعلى الرغم من أنني أغمضت عيني حتى لا أرى المشهد، إلا أن هذه الذكريات لا تزال تطارد ذاكرتي.

وفي مناسبة أخرى مررت برجل مقيد إلى عمود في مكان مغطى بالشوك. كان رمضان. وكان المُرَبَّى على وجهه [الجذب الذباب]. وكانت "جريمته" أنه لم يكن صائماً.⁹⁵⁵

على الرغم من العنف والمصاعب الأخرى التي ميزت حكم داعش، لا يزال هناك أتباع لأيديولوجية التنظيم في شمال شرق سوريا. روت إحدى الجلسات الجماعية المركزة القصّة المأساوية لتجنيد ابن أخيها البالغ من العمر 15 عامًا في داعش، معربة عن دهشتها من أن بعض الأفراد ما زالوا يغنون أغاني داعش ويستمعون إليها.⁹⁵⁶ ومع ذلك، كشفت مقابلات أخرى أن البعض يشعر بالحنين، معتقداً أن داعش وفرت الاستقرار المالي والشعور بالرخاء الذي لا يقارن بالظروف المعيشية للناس في العصر الحديث بعد داعش.

ووفقاً لأحد المشاركين، يشعر البعض في الشمال الشرقي أنه "على الأقل في ظل داعش، كانت لدينا وسيلة لكسب الدخل، وهو أمر لم يعد ممكناً"، مضيفاً "نتمنى عودة داعش".⁹⁵⁷

فقدان التعلم والأمية

لقد فقد أطفالنا تعليمهم، والآن لا يستطيعون حتى القراءة أو الكتابة. ابني البالغ من العمر 14 عامًا لا يستطيع الكتابة أو القراءة، لقد تم تدمير المستقبل التعليمي للأطفال.⁹⁵⁸

وبعيداً عن تدهور السلام النفسية والاجتماعية، سلطت المقابلات والجلسات الجماعية المركزة الضوء أيضاً على الآثار الضارة لحكم داعش على التحصيل التعليمي ومحو الأمية. وأكد أحد المشاركين في الجلسات الجماعية المركزة أن معدل التحصيل العلمي في الرقة، على سبيل المثال، كان في السابق 80%، بينما بعد ظهور داعش، انخفض هذا المعدل إلى 1% فقط.⁹⁵⁹ ونتيجة لذلك، تم تصنيف جيل كامل من الشباب على أنهم "أميون" و"جاهلون"، وهو الأمر الذي وصفه العديد من الأشخاص الذين أجريت معهم مقابلات والمشاركين في والجلسات الجماعية المركزة.⁹⁶⁰

وتباينت الأسباب المقدمة لتفسير هذا الانخفاض الجذري. وأوضح أحد المشاركين في الرقة بصراحة أنه "نظراً للوضع المزري الذي كنا فيه، لم نفكر حتى في التعليم".⁹⁶¹ ووصف آخرون كيف أثر الإغلاق المطول للمدارس بشدة على الأداء الأكاديمي للطلاب في جميع المجالات. وأشار مشارك آخر من الرقة قائلاً أدى إغلاق داعش للمدارس بالقوة إلى "حرمان جيل كامل من معرفة القراءة والكتابة".⁹⁶²

عند تحليل معدلات الأمية، أشار المشاركون في دير الزور إلى أن تنظيم داعش قد عمد بشكل متعمد وممنهج إلى خلق جيل أمي. وقال مدرس سابق من صرين: "لقد تم تلقين الأطفال حمل السلاح باعتبارهم "أشبال الخلافة"، وكانت هناك جهود متعمدة لنشر الأمية في جميع أنحاء المجتمع"،⁹⁶³ مشيراً إلى أن "الجماعات الإرهابية دمرت المدارس عمداً بهدف تنشئة أجيال أمية".⁹⁶⁴

⁹⁵⁵ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 12)، معلّمة سابقة، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹⁵⁶ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 36).

⁹⁵⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 9)، باحثة دولية، باريس، أيار / مايو 2023.

⁹⁵⁸ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 110).

⁹⁵⁹ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 127).

⁹⁶⁰ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 26)؛ الجلسة الجماعية المركزة رقم 138.

⁹⁶¹ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 36).

⁹⁶² الجلسة الجماعية المركزة (رقم 35).

⁹⁶³ الجلسة الجماعية المركزة (رقم 13).

⁹⁶⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 8)، معلّم، كوباني، أيار / مايو 2023.

قبل ظهور داعش، كان أطفال يذهبون إلى المدرسة بانتظام ويتعلمون. ومع ذلك، وبسبب التفجيرات وفقدان معيل عائلتي، لم أتمكن من توفير احتياجاتهم التعليمية، لذلك فقدوا تعليمهم. أما الآن فهم يعملون، وفي بعض الأحيان يقضون اليوم بأكمله خارج المنزل في محاولة لكسب المال. لقد حرموا من التعليم.⁹⁶⁵

وفي مقابلة أخرى، روت أم لأولاد - وزوجة معلم سابق اختطف أثناء النزاع - الصعوبات التي واجهتها أسرتها:

نظام تعلیمی ممزق

The map illustrates the administrative control of different curricula across Syria. The regions are color-coded: red for Syrian government forces and allied militias (GoS), green for HTS and SNA, yellow for the Autonomous Administration of Northeast Syria (AANES), and blue for US-backed rebels in the Tanaf area. Callout boxes provide details for specific regions: the northwest (Latakia and Tartus) is administered by the GoS (red icon) and the SIG (blue icon); the northeast is administered by the AANES (orange icon) and the SIG (blue icon); and the central and southern regions are administered by the GoS (red icon), the SIG (blue icon), and the Syria Self Learning Programme (green icon). A legend at the bottom right, titled 'Curriculum administered across Syria', defines the color-coding for the regions and the specific curriculum icons used in the callouts.

Curriculum administered across Syria

- Red: Syrian government forces and allied militias (GoS)
- Green: HTS and SNA
- Yellow: Autonomous Administration of Northeast Syria (AANES)
- Blue: US-Backed rebel (Tanaf Area)

Curriculum icons:

- Red icon: GoS Curriculum
- Blue icon: SIG Curriculum
- Green icon: Syria Self Learning Programme
- Orange icon: AANES Curriculum
- Yellow icon: Curriculum B

Qaddour and Husain, MEI.⁹⁶⁸

الشكل 6. خريطة للمناهج الدراسية المختلفة التي يتم تطبيقها في جميع أنحاء سورية⁹⁶⁹.

اليوم، تعتمد المدارس والمجتمعات في شمال شرق سوريا على مزيج من برنامج التعلم الذاتي في سوريا والمناهج الدراسية التي قدمتها الإدارة الذاتية. إن برنامج التعلم الاجتماعي هو برنامج استندراك غير رسمي "تم اعتماده على نطاق واسع من قبل الجهات الفاعلة الإنسانية في مراكز التعليم غير الرسمية"⁹⁷⁰ لخدمة ما يقرب من 14,250 طفلًا خارج المدرسة والذين لا يستطيعون الالتحاق بالمدرسة فعليًا لعدة أسباب - بما في ذلك العنف والنزوح أو العمل (لأن الطفل، على سبيل المثال، يخرج للعمل لإعالة أسرته).⁹⁷¹ يتم تشغيله من قبل اليونيسف ويستخدم اللغتين العربية والإنجليزية كلغتين رسميتين للتعليم.

من ناحية أخرى، يتم إدارة مناهج الإدارة الذاتية من قبل مجلس التعليم الخاص بها وتستهدف المجتمعات المختلفة في شمال شرق سوريا، وتقدم التدريس باللغات العربية والكردية والسريانية. ولا يتم استخدامه في أجزاء الحسكة والقامشلي التي لا تزال تحت سيطرة الحكومة السورية (حيث لا يزال يتم تدريس المناهج الحكومية).⁹⁷²

بشكل عام، لا يزال التعليم في شمال شرق سوريا متقطعًا وغير رسمي ويفتقر إلى بحوث كافية ويعاني من نقص في التمويل، مما يجعل من الصعب على مقدمي التعليم تلبية احتياجات الشباب غير المتعلمين بشكل صحيح.⁹⁷³ فيما يتعلق بالتمويل الدولي، يشير تقرير صادر عن معهد الشرق الأوسط إلى أن شمال شرق سوريا غير مؤهل للحصول على أموال معينة، مثل الأموال المجمعة من مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (OCHA)، حيث تم استبعاد المنطقة من قرار مجلس الأمن الدولي المتعلق بنشاطات إدخال المساعدات عبر الحدود.⁹⁷⁴

التطلع إلى المستقبل: إعادة بناء التعليم

المقصود من المدارس أن تكون أماكن تحمي الأطفال من المخاطر المحيطة بهم في أوقات الطوارئ، سواء كانت إساءة المعاملة أو الاستغلال أو التجنيد في الجماعات المسلحة.⁹⁷⁵ وينبغي عليهم "تزويد الأطفال بالغذاء والماء والرعاية الصحية ولوازم النظافة المنقذة للحياة" و"تقديم الدعم النفسي والاجتماعي، مما يمنح الأطفال الاستقرار والبنية لمساعدتهم على التعامل مع الصدمة التي يتعرضون لها كل يوم [أثناء حالات الطوارئ]".⁹⁷⁶

أثناء تلبية الاحتياجات الأوسع، ذكر باحثة دولية أنه في شمال شرق سوريا "لن يحدث شيء [فيما يتعلق بالتقدم التعليمي] إذا لم نعالج الاحتياجات الأساسية للطلاب".⁹⁷⁷ ومع ذلك، في ظل داعش، أصبحت المدارس مساحات خطرة جسديًا وعاطفيًا للطلاب والمعلمين والمجتمع ككل.

على الرغم من انسحاب تنظيم داعش وانهياره الإقليمي في شمال شرق سوريا، إلا أن حالة التعليم في المنطقة لا تزال هشة وعرضة للخلاف. وفقًا للتحالف العالمي لحماية التعليم من الهجمات (GCPEA)، تم الإبلاغ عما لا يقل عن 85 هجومًا على المدارس في جميع أنحاء سوريا خلال الفترة المشمولة بالتقرير 2020-2021.⁹⁷⁸ في بعض الحالات، نفذت سلطات الأمر الواقع في شمال شرق سوريا منهجًا دراسيًا محليًا في المدارس، مما أدى إلى تعليم غير معتمد رسميًا ويعيق قدرة

⁹⁶⁹ المرجع نفسه.

⁹⁷⁰ المرجع نفسه.

⁹⁷¹ UNICEF, 'Self-learning programme helps children catch up on education' (20 تشرين الأول / أكتوبر 2020)

⁹⁷² <https://www.unicef.org/syria/stories/self-learning-programme-helps-children-catch-education> <شوهده في 22 أيار / مايو 2023>

⁹⁷³ Qaddour and Husain, MEI.

⁹⁷⁴ المرجع نفسه.

⁹⁷⁵ المرجع نفسه.

⁹⁷⁶ UNICEF, 'Education in emergencies: Education is a lifeline for children in crises' (n.d.)

⁹⁷⁷ <https://www.unicef.org/education/emergencies> <شوهده في 30 أيار / مايو 2023>

⁹⁷⁸ المرجع نفسه.

⁹⁷⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 9)، باحثة دولية، باريس، أيار / مايو 2023.

⁹⁸⁰ Global Coalition to Protect Education from Attack.

الطلاب على الحصول على شهادات معترف بها في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة أو خارجها.⁹⁷⁹ وفي الوقت نفسه، فإن المعلمين الذين يتحدون متطلبات المناهج المحلية ويقومون بدلا من ذلك بتدريس المناهج المعتمدة من الحكومة يتعرضون لخطر الاعتقال والاحتجاز.⁹⁸⁰ وأكد أكاديمي دولي يتمتع بخبرة بحثية مباشرة في سوريا أن مناهج الإدارة الذاتية قد تم رفضها من قبل المجتمعات المحلية لأسباب مختلفة:

وتنظر إليها المجتمعات المحلية على أنها لا تلبي احتياجاتها ولا تتماشى مع عاداتها وتقاليدها. وهذا يخلق تحديات إضافية للمجتمعات المحلية التي ترفض دراسة هذا المنهج وترغب بدلا من ذلك في الحصول على مناهج معتمد رسميًا تمثله الحكومة السورية.⁹⁸¹

يعمل المجتمع الدولي على إعادة بناء وإعادة تأهيل المدارس والجامعات في شمال شرق سوريا: على سبيل المثال، خصصت منظمة اليونيسف التمويل لإعادة تأهيل المرافق التعليمية، كما تم وضع مبادرات أخرى للأطفال النازحين أو غير القادرين على الالتحاق بالمدارس بسبب مخاوف تتعلق بالسلامة. وتشمل هذه المراكز التعليمية المؤقتة والمدارس المتنقلة.⁹⁸² ناقش أحد المشاركين في جلسة جماعية مركزة في كوباني كيفية تطبيق مناهج الإدارة الذاتية والحكومة السورية:

على مدى العام أو العامين الماضيين، تمكنت مدينة كوباني من التعافي من تلك الصدمة. والآن هناك تقدم كبير في مجال التعليم والتنمية. يدرس بعض الطلاب في مدارس الإدارة بينما يتبع البعض الآخر المنهج الحكومي.⁹⁸³

بدأت تظهر تغييرات إيجابية في بعض الأحيان على الرغم من ضالة التمويل المتاح لإعادة بناء المدارس. بحسب الباحثة التربوية الدولية:

أتذكر أنني سمعت من مسؤولي الإدارة الذاتية أن لديهم أيضًا موارد قليلة جدًا للاستثمار في إعادة الإعمار وأن هذا يعتمد كثيرًا على المجتمع الدولي. في نيسان / أبريل 2022، شاهدت مباني مدرسية جديدة تمامًا، أعيد بناؤها بالكامل من الأرض. لكن في الوقت نفسه، ما زلنا نرى الكثير من المباني المدرسية مهجورة تمامًا ومدمرة بالكامل ولم تتم أي أعمال إعادة إعمار لها على الإطلاق.⁹⁸⁴

كما وصف الأشخاص الذين تمت مقابلتهم ما يمكن القيام به لتحسين آفاق التعليم في شمال شرق سوريا الآن وفي المستقبل. شارك أحد المعلمين من تل براك وجهة نظرهم حول الحاضر والمستقبل، قائلاً: "نحن نبذل قصارى جهدنا لإعادة طلابنا إلى الاتجاه الصحيح [...] لنجعلهم يعرفون الصواب من الخطأ وتحديد هدف لتحقيقه".⁹⁸⁵

وشدد مشارك آخر في جلسة جماعية مركزة في الحسكة على أهمية التعليم المستمر بما يلي:

أصررت على أن يواصل [ابني] تعليمه. من خلال المعرفة وحدها، يمكننا إعادة بناء بلدنا. واليابان مثال عظيم على ذلك. ولعلكم جميعًا شاهدتم الصورة الشهيرة للمعلم الياباني وطلابه وهم يمارسون أنشطتهم المدرسية وسط أنقاض المنازل بعد الحرب العالمية الثانية. لا ينبغي أن يتوقف التعليم، حتى لو تم في المنزل.⁹⁸⁶

979 UN Security Council, 'Report of the Secretary-General on Children and Armed Conflict in the Syrian Arab Republic' (23 April 2021) <<https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/children-and-armed-conflict-syrian-arab-republic-report-secretary>> accessed May 30 2023.

980 Global Coalition to Protect Education from Attack.

981 مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 9)، باحثة دولية، باريس، أيار / مايو 2023.

982 UNICEF, 'Education' (2023) <<https://www.unicef.org/syria/education>> accessed 23 April 2023.

983 الجلسة الجماعية المركزة (رقم 31).

984 مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 9)، باحثة دولية، باريس، أيار / مايو 2023.

985 مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 5)، معلم، تل براك (الحسكة)، أيار / مايو 2023.

986 الجلسة الجماعية المركزة (رقم 7).

وتحدث طالب سابق كان قد التحق بالمدرسة خلال سنوات حكم داعش، عن أهمية التعليم في الحد من العنف في المنطقة "من خلال تفعيل الحماية الذاتية [...] في كل منطقة وتكثيف الدورات لتعليم خطر السلاح" بالإضافة إلى خطر تنظيمات مثل داعش.⁹⁸⁷

وبتأمل التحديات العديدة التي تواجه قطاع التعليم في شمال شرق سوريا، اقترح مدرس من دير الزور أنه لتحسين الوضع الحالي، يجب أن يقوم المعلمون بـ:

تشجيع الأطفال على العودة إلى مقاعدهم، وإدخال مناهج دراسية تلبي احتياجات الطلاب [...] وتدريب المعلمين على التعامل مع الأطفال الذين يعانون من [صدمة] نفسية، وإصلاح المدارس التي تضررت لتمهيد الطريق أمام عودة الأطفال إلى المدرسة، ومساعدة المعلمين ماليًا لكي يقوموا بتكريس أنفسهم بالكامل لمهنتهم، وأن يعتمدوا على أساليب تقنية جديدة [لتحفيز] الطلاب.⁹⁸⁸

الخاتمة

كان لحكم داعش الذي دام خمس سنوات في شمال شرق سوريا عواقب مدمرة على نظام التعليم، حيث حول المدارس إلى مناطق خطر ونشر المعلومات المضللة وخطاب الكراهية والأصولية في جميع أنحاء المنطقة. على الرغم من الجهود المتضافرة لإعادة بناء النظام التعليمي واستعادته، لا تزال هناك تحديات عديدة قائمة حتى اليوم. لا يزال الصراع المستمر وانعدام الأمن في شمال شرق سوريا يعطل التعليم، مما يؤدي إلى حرمان ملايين الأطفال من التعليم في جميع أنحاء البلاد.⁹⁸⁹ ويتفاقم هذا الوضع بسبب النقص في المعلمين المؤهلين والمهنيين في مجال التعليم، ونظام التعليم الممزق الذي يعاني من نقص الموارد (بما في ذلك الكتب المدرسية وغيرها من المواد التعليمية الأساسية)، والصفوف الدراسية المكتظة وعدم كفاية مرافق المياه والصرف الصحي وانقطاع التيار الكهربائي بشكل منتظم.⁹⁹⁰

ستتطلب معالجة هذه التحديات العديدة جهودًا متضافرة من أولئك الموجودين على الأرض وكذلك المجتمع الدولي،⁹⁹¹ وكذلك إدراك الأهمية المركزية التي يمكن أن يلعبها إصلاح التعليم في التعامل مع بعض التحديات الأخرى الناشئة عن حكم داعش في شمال شرق سوريا. ولتحقيق هذه الغاية، شارك أحد المعلمين من دير الزور بدعوة للعمل لدعم التعليم في المستقبل قائلاً:

الجهل هو العدو اللدود لكل ظاهرة شريرة. [ينبغي إعطاء الأولوية] للتعليم، الذي يعتبر مفتاح التقدم. لقد تحملت مجتمعاتنا ما يكفي. ونأمل أن تهتم جمعيات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية بهذه المجالات [في المستقبل].⁹⁹²

ستتطلب إعادة الاستقرار وتعزيز سلامة الصحة النفسية الاجتماعية - كأولويات في شمال شرق سوريا في مرحلة ما بعد داعش- بذل جهود متضافرة لإعادة بناء نظام التعليم وضمان حصول الطلاب على تعليم جيد. ومن الأهمية بمكان تقديم الدعم لإعادة إعمار البنية التحتية المدرسية المتضررة وكذلك توفير الموارد التعليمية. بالإضافة إلى ذلك، يعد تنفيذ البرامج التي تعطي الأولوية لسلامة وأمن الطلاب والمعلمين أمرًا ضروريًا.

وينبغي لهذه الإجراءات، إلى جانب المبادرات الأخرى ذات الصلة والتي تمثل أصوات المتضررين أن تساهم في إحياء نظام التعليم القائم في شمال شرق سوريا.

⁹⁸⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 11)، طالب سابق، تل براك (الحسكة)، أيار / مايو 2023.

⁹⁸⁸ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 4)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023.

⁹⁸⁹ Global Coalition to Protect Education from Attack.

⁹⁹⁰ Hadi and Chaiban, UNICEF.

⁹⁹¹ <<https://www.wfp.org/emergencies/syria-emergency>> (2023) WFP, 'Syria emergency' شوهد في 30 أيار / مايو 2023.

⁹⁹² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي (رقم 4)، معلم، دير الزور، أيار / مايو 2023.

3. الديناميكيات الجندرية في تنظيم "الدولة الإسلامية"

إن الطبيعة الفظيعة للعنف الجنسي والعنف القائم على الجندر (النوع الاجتماعي) الذي يرتكبه تنظيم داعش ركزت الاهتمام لفترة طويلة على تفسير التنظيم المحافظ للغاية لكيفية عيش الرجال والنساء معاً في "الدولة الإسلامية" التي نصبت نفسها بنفسها.⁹⁹³ كانت النساء في الغالب محصورات في المنزل، ولم يكن بوسعهن الخروج منه إلا إذا كن مرتدين النقاب، وغطاء كامل للوجه والجسم وقفاضات، وكان كل ذلك برفقة أحد أفراد الأسرة الذكور. تم إجبار جميع الرجال على إطلاق لحاهم والصلاة خمس مرات في اليوم وتغطية أجسادهم بالزي التقليدي.

إن انتهاك هذه القواعد المحددة بدقة يمكن أن يؤدي إلى السجن والتعذيب والعنف الجنسي وقطع الرؤوس والرجم والإعدام حرقاً.⁹⁹⁴ وكانت النساء، كزوجات أو كعبيدات جنس، يعاملن على أنهن "غنائم حرب".⁹⁹⁵ قُتل النساء لمجرد عملهن كطبيبات، أو محاميات أو سياسيات أو صحفيات.⁹⁹⁶ تعرضت الأقليات الجنسية والجندرية (SGM) للاضطهاد والقتل بشكل منهجي.⁹⁹⁷

ومع ذلك، انضمت النساء أيضاً إلى مشروع داعش عمداً، سواء محلياً أو بأعداد كبيرة من الخارج.⁹⁹⁸ في المناطق التي يسيطر عليها تنظيم داعش، كانت معايير النوع الاجتماعي - المبادئ المجتمعية التي تحكم سلوك النساء والرجال والفتيات والفتيان - تتوقف بدرجة كبيرة على علامات الهوية الأخرى. تم إجبار النساء والفتيات الإيزيديات وبعض المسيحيين على العبودية الجنسية، وتم تحويل اعتناق الدين) الأولاد والرجال الإيزيديين قسراً، وكثيراً ما تم ذبح الرجال المنتمين إلى الأقليات العرقية والدينية (بما في ذلك الرجال الكرد والشبك والشيعة) على الفور في مذابح مشينة.⁹⁹⁹

كان تفسير داعش للمعايير القائمة على النوع الاجتماعي متطرفاً للغاية لأن النوع الاجتماعي كان محورياً لمشروع متطرف أكبر يقع في جوهر هوية التنظيم. ومن خلال تنظيم كيفية تصرف الرجال والنساء، وضع تنظيم داعش نفسه بعيداً عن المجتمعات الأخرى - على وجه التحديد المجتمعات الإسلامية الأخرى، ولكن أيضاً تلك الموجودة في العالم الغربي - وبالتالي حدد ما هو مختلف ومحدد في داعش. وبعبارة أخرى، لم يتم تعريف ما يسمى بـ "الخلافة" من خلال حدودها الجغرافية فحسب، بل أيضاً من خلال الكيفية التي يُسمح بها للرجال والنساء بالتصرف داخل تلك الحدود. لذلك يجب فهم وجهة نظر داعش المحافظة للغاية بشأن العلاقات القائمة على النوع الاجتماعي ضمن المشروع الأيديولوجي الأكبر للإسلام السلفي الجهادي، فضلاً عن الجغرافيا السياسية الاستعمارية الجديدة (النيوكولونيالية) في الشرق الأوسط - وتحديدًا الغزو الأمريكي للعراق - في وقت ظهور المجموعة.

تتطلب السلفية، وهي حركة تجديدية (صحوية) داخل الإسلام السني، تطالب بمحاكاة الحياة والعادات الدينية والاجتماعية للأجيال الثلاثة الأولى من المسلمين بعد نزول الوحي على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع.¹⁰⁰⁰ وبالتالي، فإن العلاقات الاجتماعية، بما في ذلك العلاقات بين الرجل والمرأة، مبنية على صورة مثالية

⁹⁹³ يشمل العنف القائم على الجندر (النوع الاجتماعي) أشكال العنف المرتكبة على أساس الهوية الجندرية. ويتعلق هذا في المقام الأول بالعنف ضد النساء والفتيات، الذي يرتكبه الرجال في المقام الأول. غالباً ما يوصف العنف القائم على النوع الاجتماعي، عند تضمينه العنف الجنسي، بأنه عنف جنسي وقائم على النوع الاجتماعي (SGBV)، ولكن يمكن أن يكون العنف القائم على النوع الاجتماعي أيضاً جسدياً، دون انتهاك جنسي، أو عقلياً، أو هيكلياً واقتصادياً. يمكن أن يحدث العنف القائم على النوع الاجتماعي في المجال الخاص للأسرة، حيث يوصف غالباً بأنه عنف منزلي أو عنف الشريك الحميم، أو في المجال العام حيث يمكن أن يتجلى في زواج الأطفال أو تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية (FGM) أو ما يسمى "جرائم الشرف". "عند استخدامه كاستراتيجية حرب، يمكن أن يشكل العنف القائم على النوع الاجتماعي جريمة حرب أو جريمة ضد الإنسانية.

⁹⁹⁴ Lisa Davis, 'Reimagining Justice for Gender-Based Crimes at the Margins: New Legal Strategies for Prosecuting ISIS Crimes Against Women and LGBTIQ Persons' (2018) 24

Women and LGBTIQ Persons' (2018) 24 <https://scholarship.law.wm.edu/wmiowl/vol24/iss3/4/> < شوهدي في 20 تموز / يوليو 2023.

⁹⁹⁵ Anne Speckhard and Molly Ellenberg (2023), 'ISIS and the Allure of Traditional Gender Roles' 33 (2) <https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/08974454.2021.1962478> < شوهدي في 20 تموز / يوليو 2023.

⁹⁹⁶ Davis, 'Reimagining Justice for Gender-Based Crimes at the Margins'.

⁹⁹⁷ المرجع نفسه.

⁹⁹⁸ Speckhard and Ellenberg, 'ISIS and the Allure of Traditional Gender Roles'.

⁹⁹⁹ European Parliament, 'Parliament resolution of 4 February 2016 on the systematic mass murder of religious minorities by the so-called "ISIS/Daesh"' (2016) https://www.europarl.europa.eu/doceo/document/TA-8-2016-0051_EN.pdf < شوهدي في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰⁰⁰ Bernard Haykel, 'On the Nature of Salafi Thought and Action' in Roel Meijr (ed.), *السلفية العالمية* (هيرست، 2009)، ص 35-46.

لمجتمع يسكن الصحراء منذ حوالي 1300 عام. ظهرت السلفية في نهاية القرن التاسع عشر، بشكل جزئي كرد فعل على الهيمنة الاستعمارية الغربية على الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.¹⁰⁰¹ وحاول موقفها المناهض للاستعمار استخلاص الإسلام "الأصيل" و"الحقيقي" من أتباع النبي الأوائل، وهو جوهر ثقافي أصلي قدم نفسه كترياق (علاج من) للقيم الغربية التي انتشرت من خلال الهيمنة الاستعمارية. وبالتالي، فإن التفسيرات السلفية للمعايير القائمة على النوع الاجتماعي هي مناهضة للحدثاء بشكل حازم ومتعمد، بمعنى أنها تتحدى منطق الحدثاء المتمثل في الذات الليبرالية العقلانية التي تسعى إلى الحريات الفردية من خلال الاختيار - وهي القيم التي تميز وجهات النظر الغربية حول المساواة القائمة على النوع الاجتماعي.¹⁰⁰²

وفي تفسير داعش للإسلام السلفي، وكما هو الحال في العديد من المجتمعات القبلية والمحافظة في مختلف أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فإن الفرد معلق في شبكة أكبر من العلاقات، تحكمها مفاهيم الشرف والعار التي تربط الأفراد في جماعات.¹⁰⁰³ إن مفاهيم الشرف والعار تحكم الشعور بالذات والأسرة والقبيلة، وتحظر السلوكيات المتساهلة للرجال والنساء. وفي الوقت نفسه، كان السلوك المشرف بين أعضاء داعش مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم التقوى، وخاصة الخضوع لتفسير ضيق للغاية للشريعة الإسلامية.¹⁰⁰⁴ الشرف هو أساس المكانة الاجتماعية للفرد والقبيلة. وبينما يُطلب السلوك المشرف من الرجال، وبالتالي بناء تسلسلات هرمية بين الرجال على أساس السلوك المشرف إلى حد ما، يُنظر إلى النساء على أنهن تجسيدات للشرف، ويتم الحفاظ عليه من خلال العفة وغيرها من السلوكيات الأنثوية "المشرفة". ولذلك فإن موثاق الشرف تنص على أن سلوك الذكور يجب أن يحمي شرف الأسرة، وغالباً ما يكون ذلك من خلال السيطرة على النساء.

إن تنظيم كيفية تصرف الرجال والنساء ضمن هذا القانون الأخلاقي، وكيف يمكنهم ارتداء ملابسهم، ومن يمكنهم الزواج، والأهم من ذلك، ما يشكل التقوى للرجال والنساء، كان أمراً أساسياً في كيفية حكم داعش للأفراد والأسر والمجتمعات. كان فرض الأدوار الصارمة القائمة على النوع الاجتماعي جزءاً أساسياً من حكم داعش ومشروع بناء دولته.¹⁰⁰⁵ كان تنظيم النوع الاجتماعي - سواء من خلال فرض قواعد اللباس، أو حبس المرأة داخل الأسرة، أو تنظيم الزواج أو العنف الجنسي - كلها جوانب جوهرية لكيفية حكم داعش للسكان والسيطرة عليهم.

المنهجية

يوضح الفصل التالي كيف أثر مشروع بناء الدولة القائم على النوع الاجتماعي على الرجال والنساء من مختلف الطوائف والأعراق في المناطق التي يسيطر عليها داعش في شمال شرق سوريا. يعتمد هذا الفصل على مراجعة الأدبيات، ومصادر المعلومات الرئيسيين، وبيانات من الجلسات الجماعية المركزة التي أجرتها مبادرة دفاع الحقوقية. كما تمت ترجمة البيانات الأولية لاحقاً إلى اللغة الإنجليزية.

تم أخذ اقتباسات من مصادر المعلومات الرئيسيين بشكل مطول في النص أدناه. تم إجراء المقابلات الشخصية مع مصادر المعلومات شخصياً وعبر الهاتف من قبل باحث يعمل على الأرض. أدى الوضع الأمني في بعض المناطق إلى جعل المقابلات الشخصية مستحيلة، حيث أدى ذلك إلى تأخير البحث بشكل كبير. وحيثما وجدت مثل هذه العوائق، تم تنظيم المقابلات عبر الهاتف أو تطبيق واتساب WhatsApp أو زووم Zoom كبدايل. تمت دعوة ما مجموعه 27 فرداً لإجراء المقابلات، وتم إجراء 16 مقابلة مع مصادر المعلومات الرئيسيين في نهاية المطاف. كان ثمانية أفراد ضحايا مباشرين لعنف داعش، وأربعة كانوا من أفراد عائلات الضحايا، وأربعة يعملون في منظمات حقوق المرأة وحقوق الإنسان. وكانت

¹⁰⁰¹ Saba Mahmood, 'Chapter 2: Topography of the Piety movement' in *Politics of Piety*, 61. ص.

¹⁰⁰² Anne Phillips, 'Gender and Modernity' (2018) 46 (6) <<https://journals.sagepub.com/doi/10.1177/0090591718757457>> (النظرية السياسية)

شوهده في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰⁰³ Speckhard and Ellenberg.

¹⁰⁰⁴ Katherine E. Brown, 'Violence and gender politics in forming the proto-state "Islamic State"' in Swati Parashar and others

(eds.), *Revisiting Gendered States: التخليلات النسوية للدولة في العلاقات الدولية* (مطبعة جامعة أكسفورد،

2018) <<https://academic.oup.com/book/25553?login=false>> شوهده في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰⁰⁵ المرجع نفسه.

غالبية المشاركين في المقابلة من الإناث (12 مشاركة) بينما كان هنالك أربعة من الذكور. جاء خمسة مشاركين في البحث من دير الزور، وأربعة من منبج، وثلاثة من الرقة، واثنان من القامشلي واثنان من كوباني.

تم تنظيم الجلسات الجماعية المركزة بواسطة مبادرة دفاع الحقوقية. تمت مناقشة مجموعة واسعة من المواضيع في 11 جلسة جمعت ما مجموعه 87 فردًا.

تم تغيير جميع أسماء المشاركين في البحث إلى أسماء مستعارة في هذا الفصل وتم حجب المعلومات الأخرى عند الضرورة. في حين أن هذا البحث هو بحث متعدد الجوانب بشكل متعمد - أي أنه يولي اهتمامًا خاصًا لكيفية تقاطع النوع الاجتماعي مع الهويات الأخرى، وتحديدًا الطائفة، وإلى حد ما، العرق - فإن الدراسة التقاطعية الحقيقية كانت تتطلب استراتيجية أخذ عينات بطريقة أكثر دقة. إلا أنه لا يمكن إجراء مثل هذه العينات بسبب ضيق الوقت. لذلك، فإن بعض الأقسام المتعلقة بالأقليات، والتي يمكن القول إنها المجموعات التي عانت أكثر من غيرها في ظل حكم داعش، تعتمد بشكل كبير على الأدبيات الثانوية. وبسبب هذه المعاناة وادعاءات الإبادة الجماعية ضد الأقليات، وتحديدًا المجتمعات الإيزيدية والمسيحية في شمال شرق سوريا، فإن هذه الفئات موثقة بشكل أفضل في الأدبيات، وبالتالي فهي قابلة لمراجعة ثانوية.

أخيرًا، كانت هناك مجالات للبحث في هذه الدراسة، لا سيما القضايا المتعلقة بكيفية تأثر البنين والبنات من حيث النوع الاجتماعي وغيرها من المواضيع التي لم تسفر عن بيانات أولية مهمة، وبالتالي لم يتم تضمينها في الدراسة.

العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي

أثر حكم تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق وسورية" في شمال شرق سوريا، بوضوح في تمظهر العنف الجندي والنفسي الممارس في هذه المنطقة. لقد تعرضت النساء والفتيات للاعتداء الجنسي، واغتصبن وعذبن وقتلن بوحشية، بسبب الفهم الضيق للتنظيم لمسألة الجندر، وهو فهم يحدد بشكل صارم الأدوار المرسومة للنساء والرجال. لقد استخدم التنظيم العنف سلاح ترهيب لإظهار قوته وهيمنته على الأرض.¹⁰⁰⁶

تم ممارسة أشكال حادة من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي على نطاق واسع ضد عامة السكان ولكن أيضًا داخل الهياكل التنظيمية لداعش في المناطق الخاضعة لسيطرته. استهدف العنف الجنسي بشكل خاص النساء من الأقليات الإيزيدية والشيعة وغيرها من الأقليات الدينية، وكذلك الزوجات السنيات لمقاتلي الفصائل المسلحة المتنازعة مع داعش - بما في ذلك المقاتلون المواليون للأسد.¹⁰⁰⁷ وكان الهدف من العنف الجنسي المرتكب ضد هذه الجماعات هو فرض هيمنة داعش على السكان الآخرين، وإهانتهم في هذه العملية.¹⁰⁰⁸ ومع ذلك، كان العنف الجنسي أيضًا أمرًا شائعًا داخل المنظمة نفسها. أظهرت دراسة موسعة استندت إلى مقابلات مع ما يصل إلى 260 من المنشقين عن داعش، ميل التنظيم إلى استخدام العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي كآلية داخلية للحكم.¹⁰⁰⁹ وصف أعضاء سابقون في داعش حالات الاغتصاب، لا سيما للرجال والنساء، والزواج القسري والعنف المنزلي على نطاق واسع.

حدث هذا العنف أيضًا في سياق أوسع من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي الممنهج والواسع النطاق الذي ترتكبه مختلف الجهات الفاعلة التي تقاتل في الحرب السورية. وكما هو الحال دائمًا، كانت النساء والفتيات الهدف الرئيسي لهذا العنف. وبعد إجراء تحقيق شامل في الفترة ما بين 2011-2017، خلصت لجنة التحقيق الدولية المستقلة المعنية بالجمهورية العربية السورية إلى أن القوات الحكومية السورية وغيرها من الجماعات المسلحة استخدمت الاغتصاب

¹⁰⁰⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، سيدة، دير الزور.

¹⁰⁰⁷ Ariel I. Ahram, 'Sexual violence and the making of ISIS' (2018) 57(3) *Survival* <<https://doi.org/10.1080/00396338.2015.1047251>> شوهده في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰⁰⁸ المرجع نفسه.

¹⁰⁰⁹ Speckhard and Ellenberg, 'ISIS and the Allure of Traditional Gender Roles'.

وغيره من أشكال العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي كأسلحة حرب.¹⁰¹⁰ خلال المراحل الأولى من الصراع السوري، تم حبس النساء كجزء من الاعتقالات الجماعية والاختفاء القسري، خاصة إذا كن يعتبرن من أفراد عائلات المعارضين الذكور. أثناء الاحتجاز، قام ضباط مخابرات النظام باغتصاب النساء والفتيات بشكل منهجي بشكل متكرر، بل وقاموا باغتصاب العديد من الجناة. ومع تكثيف الهجمات البرية، مارست القوات الحكومية والميليشيات التابعة لها العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي، مثل اغتصاب النساء، عند نقاط التفتيش وأثناء تفتيش المنازل.¹⁰¹¹

لا توجد سوى القليل من البيانات حول العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي ضد الرجال والفتيان بسبب الوصمة الشديدة المرتبطة بالمثلثية الجنسية في سوريا. ومع ذلك، وجدت دراسة أجرتها المفوضية حول العنف الجنسي بين الرجال والفتيان داخل سوريا ومجتمعات اللاجئين خارج البلاد أن ما بين 10 إلى 40% من الرجال والفتيان تعرضوا للعنف الجنسي.¹⁰¹² تعرض العديد من الرجال والفتيان لصدمات (أذيات) في المستقبل بسبب تجاربهم، مما أدى إلى الألم وسلس البول. وكما النساء، تعرض الرجال والفتيان للعار والنبذ من قبل مجتمعاتهم؛ وفي أسوأ الحالات، تم تهديد الضحايا بالقتل. ترك بعض الناجين الشباب المدرسة، وأفاد العديد من الرجال أنهم واجهوا صعوبة في العثور على عمل بسبب سوء الصحة العقلية والجسدية والتهميش من قبل مجتمعهم.

أدى هذا في كثير من الأحيان إلى تناقضات في كيفية ظهور العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي ضد النساء والفتيات وكيفية ارتكابه ضد أفراد مختلفين على أساس جنسهم (نوعهم الاجتماعي) وطائفتهم. وتكشف هذه التناقضات عن توتر جوهري داخل أيديولوجية التنظيم: ففي الوقت نفسه الذي ارتكب فيه فئات جنسية واسعة النطاق، كان على داعش أيضاً التمسك بمفهوم التقوى والتفوق الأخلاقي في مقارنة المجتمعات الإسلامية والغربية. أدى هذا في كثير من الأحيان إلى تناقضات في كيفية ظهور العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي ضد النساء والفتيات وكيفية ارتكابه ضد أفراد مختلفين على أساس نوعهم الاجتماعي وطائفتهم.

أشارت امرأة سجنها داعش لأن زوجها كان مطلوباً من قبل التنظيم باعتباره "خائناً" أنه كان عليها أن تواجه هذه التناقضات بشكل مباشر:

جاؤوا إلى بيتي وقدموا أنفسهم على أنهم من تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق وسورية". طلبت منهم الانتظار ريثما أسدل الخمار على وجهي. حاولت إيقاظ زوجي، لكنه كان قد فر من نافذة في بيتنا تطل على بستان زيتون. اقتاد أفراد التنظيم أطفالاً واحداً واحداً إلى إحدى الغرف. طلبوا مني ارتداء لباسي الشرعي (النقاب).

بعدما لبست زي الشرعي، دخلت إلى الغرفة حيث احتجزوا أطفالاً. غطوهم ببطانيات، وقالوا لي إنهم أفضل مني ومن زوجي في العناية بهم. أجبروا تحت التهريب على مرافقتهم، بعدما اقتادوا أيضاً اثنين من أصغر أطفالنا وتركوا البقية في البيت. زجوا بي في سيارة تقل صديقاً لزوجي - بدا واضحاً أنه باح لهم بأمرنا، تحت التعذيب على الأرجح، كما عرفت لاحقاً.

وصلنا إلى المنطقة الصناعية ونزلنا قبوا. أدركت أنه خزان الماء الرئيسي لمدينة منبج. كان في انتظارنا أحد قادة التنظيم واسمه أبو الحسن. أمسك ببندقية وشحنها وقال بلغة عربية ذات لهجة حلبية طاغية: "مرحباً، مرحباً!".

أحد أفراد الدورية التي داهمتنا قال له: "حاولنا اعتقال زوج هذه المرأة، لكنها ساعدته على الفرار، فجننا بها."

¹⁰¹⁰ Independent International Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic, "I lost my dignity": Sexual and gender-based violence in the Syrian Arab Republic A/HRC/37/CRP.3 (8 آذار / مارس 2018) <<https://www.ohchr.org/Documents/HRBodies/HRCouncil/ColSyria/A-2018-03.pdf>> شهود في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰¹¹ المرجع نفسه.

¹⁰¹² UN High Commissioner for Refugees (UNHCR), "We Keep It in Our Heart": Sexual Violence Against Men and Boys in the Syria Crisis (أكتوبر 2017) <<https://www.refworld.org/docid/5a128e814.html>> شهود في 20 تموز / يوليو 2023.

[صديق زوجي] ظل في السيارة، اقتاد أفراد التنظيم أطفالاً معي. نقلوني إلى زنزانة، تم حملهم من قبل عناصر داعش. كنت أبكي

أُفتم فيها مع 15 سجيناً: أصغرهن في العشرين من العمر، وأكبرهن في السبعين.

وجهوا إلى تلك النسوة تهمة عديدة [ومتنوعة]. بعضهن رُمين بالعرافة والتنجيم، والبعض الآخر بالتدخين، وبالسحر والشعوذة. كانت بيننا زوجة أحد أفراد التنظيم. قالت [إنه خلال سفره] جاء أحد الرجال إلى البيت وراودها مراراً عن نفسها، فسجنها زوجها. امرأة أخرى في الخامسة والثلاثين اتهمت بالسحر. أعدمها التنظيم لاحقاً في قرية دادار بعد صلاة الجمعة، وأمام حشد من الناس.

بعد فترة قصيرة، مرض أطفالاً، فأرسلتهم إلى بيت أصهاري. عندما أخبرت أبو الحسن بذلك، قال لي إن ذلك أفضل لهم حتى لا يروا عنقي وهي تُضرب.

في أحد الأيام، جاء أبو الحسن إلى زنزانة النساء وقال لي: "أحمل إليك أخباراً طيبة... لقد اعتقلنا زوجك." صدمت لذلك أيما صدمة. كنت أعرف أنهم سيقتلونه.

عندما غادرت السجن، سمح لي التنظيم بزيارة زوجي للمرة الأخيرة ولخمس دقائق ليس إلا.

كانت رأسه على الأرض ويداه في الأصفاد. على جسده بدت آثار التعذيب.

سألني أبو الحسن في حضور زوجي: "هل ضربك أحدهم؟" هل من اعتدى عليك أو أساء إليك؟

أجبته: "لا". 1013

تُظهر قصة المرأة العنف الجسدي والنفسي الذي تعرض له النساء والرجال، والطبيعة الجندرية لهذا العنف، والتناقضات التي تشوب إدارة داعش للعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي في المناطق الخاضعة لسيطرتهم. في البداية، قدم عناصر داعش المسلحون أنفسهم على أنهم سلطة أخلاقية، أكثر قدرة على تربية الأطفال من المرأة وزوجها. ينبع هذا الادعاء في حد ذاته من الاقتناع بأن أسلوب حياة داعش، والتزامه بتفسير صارم وضيق للغاية للشريعة، جعل أعضاء داعش حراساً للإسلام الوحيد "الحقيقي" و"الخالص"، وبالتالي أكثر ملائمة لتربية الأطفال.

يُظهر التفاعل أيضاً كيف عانت النساء من أجل أزواجهن وكيف أن دور المرأة كزوجة جعلها مذنبية وبالتالي تخضع لأشكال مشروعة من العنف الجسدي والنفسي في نظر أعضاء داعش (مثل السجن وإبعادها الأطفال والتهديد بالعنف والقتل). توضح القصة أيضاً خصوصيات الديناميكيات داخل التنظيم وخارجه والتي لعبت دوراً قائماً على الجندر (النوع الاجتماعي) عندما يتعلق الأمر بالعنف. وفقاً لأيديولوجية داعش الخاصة استحققت المرأة، المسلمة السنية، على الأقل نوع من المعاملة الأخلاقية الصالحة، حتى ولو كانت ظاهرة. بهذه الطريقة، تمكن أبو حسن من الحفاظ على تفوقه الأخلاقي والتقوى المفترضة – لداعش – من خلال سؤالها بشكل ظاهري أمام زوجها عما إذا كانت قد تعرضت للأذى.

إن النساء المسجونات في نفس الزنزانة اللاتي رُغم أنهن شاركن في التجنيم والشعوذة وتعرضن للتعذيب والقتل بسبب هذا الانتهاك، لم يستحقن أيّاً من هذه من المعاملة الصالحة. يُمارس السحر والشعوذة والتنجيم والممارسات الخرافية الأخرى المرتبطة به على نطاق واسع في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، على الرغم من أنه لا يُنظر إليها على أنها مسموحة في الإسلام. ومن خلال ممارسة السحر المزعوم، أصبحت هؤلاء النساء "مرتدات" وفقاً لتعريف داعش المحرم لمن يعتبر مسلماً. ولذلك، كان لا بد من قتلهم. أصبحت اتهامات السحر بشكل متزايد سبباً لقطع الرؤوس وأعمال العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي ضد النساء. 1014

نظراً لأن أيديولوجية داعش المتعلقة بالنوع الاجتماعي كانت شكلاً من أشكال بناء الهوية، فإن ممارسة التنظيم للعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي كانت منظمة على نطاق واسع، وإن لم يكن متسقاً، من خلال أشكال مختلفة من العنف المسموح به ضد الأفراد المنتمين للتنظيم والأفراد غير المنتمين. وبالتالي، تم تنظيم العنف القائم على النوع

1013 مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، سيدة، منبج.

1014 Kareem Shaheen, 'ISIS militias behead two Syrian women for witchcraft', صحيفة الغارديان (بيروت، 30 حزيران/يونيو 2015) <<https://www.theguardian.com/world/2015/jun/30/isis-militants-behead-syrian-women-witchcraft>> شوهد في 20 تموز / يوليو 2023.

الاجتماعي أيضًا بنفس فكرة التكفير، الموضحة في مقدمة هذا التقرير، والتي سمحت لداعش باستبعاد بعض المسلمين من المجتمع باعتبارهم مشركين أو مرتدين أو زنادقة منخرطين في فعل أو معتقد يُنظر إليه على أنه كفر في الإسلام أو الذي يكفر جماعة من الناس منذ البداية. هذا لا يعني أن حالات الاغتصاب والتعذيب للسجناء من الرجال والنساء المسلمين لم تحدث، بل إنها حدثت وانتشرت على نطاق واسع، لكنه يسلط الضوء على التناقضات المتأصلة في منظمة عنيفة تحاول تبرير هيمنتها، على الأقل جزئيًا من خلال الأخلاق لتفوق الديني.

كان هذا النمط من تعريفات العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي داخل التنظيم وخارجه والذي يُطبقه داعش أكثر وضوحًا عندما يتعلق الأمر بالأقليات. لذلك كان العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي في ظل داعش متعدد الجوانب للغاية وتتوسطه على وجه التحديد الهوية الطائفية للضحايا المتلقين لهذا العنف.

العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي المتقاطع

كل فئات المجتمع في مناطق سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق وسورية" تأثرت أيما تأثر بالعنف، بمن فيها أفراد من شرائح عمرية وأعراق وخلفيات دينية وثقافية مختلفة، لكن الأقليات العرقية والدينية تعرضت لاضطهاد وتمييز أشد، إذ كانت تجبر إما على أن تلتزم بقوانين التنظيم بحذافيرها، أو تُحمل على هجر مقر سكنها إلى مناطق أخرى. ممتلكات هذه الأقليات الدينية والثقافية كان يُعاثُ فيها فسادًا.¹⁰¹⁵

وخلصت شبكة الإبادة الجماعية التابعة للمجلس الأوروبي إلى أن "داعش ارتكب أعمال عنف ضد المدنيين في سوريا والعراق وفقًا لأنماط معينة تعتمد على الانتماء المتصور لضحاياهم إلى مجموعات عرقية أو دينية أو سياسية".¹⁰¹⁶ وكان المجتمع الإيزيدي هو الذي تعرض لأسوأ الفظائع.

الإبادة الجماعية والعبودية الجنسية بحق الإيزيديين

الإيزيديون هم مجموعة دينية معظمهم من الناطقين بالكردية ويبلغ عددهم ما بين 450.000 إلى 700.000 شخص يعيشون في مناطق متفرقة بين الشرق الأوسط والقوقاز وروسيا وأوروبا الغربية.¹⁰¹⁷ ويعيش معظم أبناء الطائفة اليوم في شمال شرق وشمال غرب العراق، والذي يعتبر أيضًا موطن الإيزيديين. تعرض الإيزيديون للاضطهاد على مدار تاريخهم، ويعتبرون اليوم واحدة من أكثر الجماعات الدينية المهددة في العالم بسبب اضطهادهم الأخير على يد داعش، والذي صنفته الأمم المتحدة على أنه إبادة جماعية.¹⁰¹⁸ على الرغم من أن الكثير من الإيزيديين تم أسرهم في العراق، إلا أنه تم نقل معظم النساء الإيزيديات إلى شمال شرق سوريا حيث تم بيعهن في سوق النخاسة.

في كل مرة جرى فيها اعتقال أفراد من الطائفة الإيزيدية كان يتم فصل النساء والرجال باستثناء الأولاد قبل سن البلوغ (حيث سُمح لهم بالبقاء مع أمهاتهم). ثم نُقلت كل مجموعة بالحافلة إلى مرافق احتجاز مؤقتة. في البداية، الرجال والفتيان

¹⁰¹⁵ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، سيدة، دير الزور.

¹⁰¹⁶ EU Genocide Network, 'The prosecution at national level of sexual and gender-based violence (SGBV) committed by the Islamic State in Iraq and the Levant (ISIL)' (تموز / يوليو 2017) ص 5-2017 https://www.eurojust.europa.eu/sites/default/files/Partners/Genocide/2017-5-2017-Prosecution-at-national-level-of-sexual-and-gender-based-violence_EN.pdf < 07 شوهدي في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰¹⁷ هناك عدة تقديرات فيما يتعلق بحجم السكان الإيزيديين في جميع أنحاء العالم. قدر أحد المصادر أن المجتمع يتكون من حوالي 450,000-400,000 شخص، بما في ذلك: 200,000 شخص في العراق، و100,000-80,000 في سوريا، و50,000-45,000 في أرمينيا، و25,000-20,000 في جورجيا، و15,000-10,000 في روسيا، و50,000-45,000 آخرين. 0 بوصة أوروبا الغربية. وتشير مصادر أخرى إلى أن العدد العالمي للإيزيديين يقترب من 700 ألف شخص. انظر أيضًا:

Garnik S. Asatrian and Victoria Arakelova, "The Religion of the Peacock Angel": The Yazidis and their Spirit World (روتلدج 2017) ; Raya Jalabi, 'Who are the Yazidis and why is Isis hunting them?' صحيفة الغارديان (لندن، 11 آب/أغسطس 2014) <<https://www.theguardian.com/world/2014/aug/07/who-yazidi-isis-iraq-religion-ethnicity-mountains>> شوهدي في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰¹⁸ UN News, 'UN human rights panel concludes ISIL is committing genocide against Yazidis' (16 حزيران/يونيو 2016) <<https://news.un.org/en/story/2016/06/532312-un-human-rights-panel-concludes-isil-committing-genocide-against-yazidis>> شوهدي في 20 تموز / يوليو 2023.

الذين تم تحويلهم قسراً إلى الإسلام، وبعد ذلك أصبحوا أسرى داعش وعمال مقيدون، وتم نقلهم إلى المدن التي يسيطر عليها داعش (في المقام الأول الموصل وتلعفر والبغداد). كان على الرجال والفتيان العمل في مواقع البناء أو حفر الخنادق وإزالة الأنقاض ورعاية الماشية. وأجبر الرجال على إطلاق لحاهم وحضور الصلاة خمس مرات في اليوم.¹⁰¹⁹ كان يتم إعدام أي شخص يحاول الهروب عند القبض عليه. ومع ذلك، بحلول ربيع عام 2015، تراجع داعش عن سياساته السابقة وارتأى أن إجبار الإيزيديين على دخول الإسلام كان أمراً زائفاً ولم يعد من الممكن قبولها.¹⁰²⁰

عندما اجتاحت تنظيم داعش موطن إقامة الإيزيديين في محافظة سنجار بالعراق، تم نقل النساء والفتيات إلى معسكرات احتجاز منفصلة في الموصل وتلعفر. على الرغم من أنه تم الإبلاغ عن حالات اغتصاب النساء الإيزيديّات بشكل كبير على نطاق ضيق، ولم تُسجل أي عمليات اغتصاب جماعي في هذا الوقت، على الرغم من احتجاز مئات النساء والفتيات في كل موقع محاطين بحراس مسلحين. وفي هذا الصدد، أشار مقرر الأمم المتحدة الخاص المعني بسوريا إلى ما يلي:

يظهر هذا النظام والإيديولوجية المتحجران كيف تعامل التنظيم مع النساء والفتيات الإيزيديّات باعتبارهما متاعاً، ويظهر أيضاً مدى سيطرة التنظيم على أغلب مقاتليه. العنف الجنسي، بما فيه الاسترقاق الجنسي، عند استخدامه ضد النساء والفتيات الإيزيديّات، يخضع لمراقبة لصيقة من التنظيم، ويمارس بصورة محددة وبترخيص، ولا يقيم اعتباراً إلا لحقوق من "يملكون" النساء والفتيات.¹⁰²¹

وبعد أسرهن، تم بيع النساء والفتيات وفقاً للملكية المحددة وقواعد السوق. مع معاملة النساء والفتيات الإيزيديّات على أنهن "غنائم حرب" (سبايا)، لم يتمكن سوى مقاتلي داعش من شراء وبيع وامتلاك النساء والفتيات، ربما لمنع "إعادة بيعهن" إلى عائلاتهن - وهو انتهاك يُعاقب عليه بالإعدام. منذ معسكرات الاحتجاز الأولية، لم يتم بيع النساء والفتيات على الفور كعبيد، ولكن تم نقلهن إلى سجون عديدة، مثل معسكر الاحتجاز سيئ السمعة بالقرب من الرقة في شمال شرق سوريا.

ووصف ناشط حقوقي عمل مع الضحايا الإيزيديين "التجارة" بالكلمات التالية:

بيع الأسيرات من النساء والفتيات الإيزيديّات [كان يتم] في الموصل، لكن سوق [السبايا والأسيرات] الرئيسية في الرقة، حيث تُشتري الفتيات والنساء الإيزيديّات، مقابل مبلغ محدد من المال، أو يقدمن هدايا، ويعاملن على أنهن سبايا أو خادمت. كانت النساء الإيزيديّات أو "السبايا" يُستخدمن حصراً للمتاجرة بهن أو لأغراض الجنس، ولم تكن لهن أي حقوق. كنت ترى أطفالاً خطفهم التنظيم في 2014، يعملون خدماً لدى عائلات التنظيم. ما كان يسمح للطفل الإيزيدي مثلاً بلعب كرة القدم مع أطفال التنظيم، أو اللهو بالأعييبهم، لأنه (ها) خادم(ة) أغلب عمليات الشراء كانت تتم على يد أفراد التنظيم من السعوديين، الذين يعرفون بالجزوري، وعلى يد التونسيين والليبيين. هذه الجنسيات الثلاثة سيطرت على أسواق نخاسة الإيزيديين.

تحولت نساء إيزيديّات إلى "زوجات" لأعضاء في التنظيم، لكن يمكن إعادة بيعهن مرات عديدة. على عكس المسلمة، لم تكن الإيزيدية أهلاً لعقد نكاح، ولا تستحق مهراً ولا أي حق آخر، لا شيء إلا لأنها سيّبة. يكفي أن تُنطق كلمات مثل "أهديك هذه السيّبة"، أو "بعثك إياها بمبلغ قدره"، لتصبح خاصته و[حينها] تُستخدم لأغراض جنسية أو لخدمة نساء التنظيم.¹⁰²²

ومن داخل معسكرات الاحتجاز هذه، تم "بيع النساء والفتيات بالمزاد العلني". كانت العملية منهجية: تم التقاط الصور، وتم بيع النساء إما في الأسواق أو إلكترونياً عبر تطبيق المراسلة مع استخدام صورهن و"أرقام العبودية" كوسيلة لتحديد الهوية. بمجرد شراء امرأة إيزيدية، كان لمقاتلي داعش حقوق ملكية كاملة على النساء، مما يمنحهن الحق في بيعهن أو حتى منحهن كهدية. ومع ذلك، فقد نص على أنه لا يجوز بيع النساء والفتيات بين الإخوة، وأنه قبل "إعادة البيع"، يجب عليهن إكمال الدورة الشهرية، ربما لمنع نقل النساء الحوامل.

¹⁰¹⁹ UNHRC, "They came to destroy": ISIS Crimes Against the Yazidis A/HRC//32/CRP.2 (15 June 2016) https://www.ohchr.org/Documents/HRBodies/HRCouncil/.../A_HRC_32_CRP.2_en.pdf <شاهد في 20 تموز / يوليو 2023>.

¹⁰²⁰ المرجع نفسه.

¹⁰²¹ Commission of Inquiry, "I lost my dignity".

¹⁰²² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، رجل قامشلو / القامشلي.

وأثناء احتجازهن، تعرضت النساء والفتيات فوق سن التاسعة إلى "عنف جنسي وحشي".¹⁰²³ وكان الاغتصاب حدثاً يومياً بالنسبة للأغلبية. وأدى الاغتصاب إلى إصابات جسدية، حيث أبلغت النساء عن حدوث نزيف وجروح وكدمات. وفي بعض الأحيان، كانت أيدي النساء والفتيات مقيدة الأيدي أو مقيدة إلى السرير. كان الاغتصاب الجماعي تهديداً شائعاً لفرض الطاعة بين النساء. وأفادت امرأة كان يحتجزها مقاتل سعودي من داعش في قرية قريبة من حلب بما يلي:

اغتنبني في كل يوم كنت فيه معه. كان يقول لي إنني إن لم أستسلم له، سيأتي بأربعة أو خمسة رجال ليتناولوا على اغتصابي. ما كان في اليد حيلة. تمنيت الموت.¹⁰²⁴

في الواقع، كانت عمليات الاغتصاب الجماعي تتم أيضاً بأمر وأشرف عليها مقاتلون ضد النساء والفتيات اللاتي حاولن الهروب. وذكرت العديد من النساء أنهن أجبرن على تناول حبوب منع الحمل.

تم شراء وبيع الأطفال الأصغر سناً مع أمهاتهم. يتم أخذ الفتيات اللاتي يبلغن التاسعة من العمر من أمهاتهن ثم يتم بيعهن كعبيد. وكثيراً ما يُستخدم الأطفال الأصغر سناً كوسيلة ضغط أو عقاب ضد أمهاتهم. قتل أحد مقاتلي داعش عدة أطفال صغار بعد محاولة هروب قامت بها امرأة. وعندما بكت الأم على موت أطفالها، اغتصبها وطلب منها التوقف عن البكاء على موت "أطفالها الكفار".¹⁰²⁵ كان الأطفال الذين ظلوا مع أمهاتهم على علم بالعنف الشديد الذي طال أمده الذي تعرضت له أمهاتهم؛ ووصفت العديد من النساء أطفالهن بكون مراراً وتكراراً خلف الباب عندما تعرضت أمهاتهم للاغتصاب.

يتم نقل الأولاد فوق سن السابعة، عند أخذهم من أمهاتهم، إلى معسكرات التلقين التي يديرها مدربون من داعش. هناك، تم خلط الأولاد من المجتمع الإيزيدي والأقليات الأخرى مع الأولاد المسلمين السنة الذين يخضعون لنفس تدريب التلقين العقائدي. وتألقت البرامج من تلاوات قرآنية بالإضافة إلى تدريبات عسكرية باستخدام بندق آليّة (AK-47s) والقنابل اليدوية والقذائف الصاروخية. كما أجبر الأولاد على مشاهدة المواد الدعائية لداعش والتي تضمنت لقطات لتفجيرات انتحارية وقطع رؤوس واشتباكات مسلحة. كما قامت الدورات التدريبية بإعداد الأولاد للجهاد ضد من يسمون بـ "الكفار". عندما كان أداء الأولاد سيئاً، تعرضوا للضرب على يد معلمهم. بالنسبة للفتيان الإيزيديين في المخيمات، كان ماضيهم قد مُحي بالكامل ولم يكن هناك أي ذكر لدينهم أو ثقافتهم الأصلية. وأشار مقرر الأمم المتحدة الخاص المعني بسوريا إلى أن الهدف من هذه المعسكرات له شقين:

بشكل عام تهدف [المعسكرات] إلى تكثيف التجنيد، وكل الأطفال يجري التعامل معهم على أنهم مقاتلون محتملون في المستقبل بغض النظر عن خلفياتهم. لكنها خصوصاً، وباستهدافها الأطفال الإيزيديين حصراً، تسعى [المعسكرات] إلى مسح هويتهم الدينية كإيزيديين، وإعادة قولبتهم ليكونوا أتباعاً للإسلام كما يعرفه تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق وسورية". بهذه الطريقة، يُقتل الأطفال الإيزيديون من مجتمعهم ويلقى بهم في صفوف التنظيم عبر عمليات غسل الدماغ وباستخدام العنف.¹⁰²⁶

استعباد المسيحيين

في تشرين الأول/أكتوبر 2014، بعد وقت قصير من سيطرة داعش على الموصل، أقرت مجلة دابق الدعائية التابعة لداعش بأنها كانت تقدم النساء والفتيات الإيزيديات على وجه التحديد "كغنائم حرب" لمقاتليها.¹⁰²⁷ وبرر داعش استخدامه للعنف الجنسي والاستعباد الجنسي بقوله إنه يجوز ممارسة الجنس مع الجوّاري غير المسلمات، فضلاً عن ضربهن

¹⁰²³ Human Rights Watch (HRW), 'Iraq: ISIS Escapees Describe Systematic Rape' (14 نيسان/أبريل 2015) <<https://www.hrw.org/news/2015/04/14/iraq-isis-escapees-describe-systematic-rape>> شوهد في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰²⁴ المرجع نفسه.

¹⁰²⁵ UNHRC, "They came to destroy": ISIS Crimes Against the Yazidis A/HRC//32/CRP.2 (15 حزيران/يونيو 2016) <https://www.ohchr.org/Documents/HRBodies/HRCouncil/.../A_HRC_32_CRP.2_en.pdf> شوهد في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰²⁶ UNHRC, "They came to destroy".

¹⁰²⁷ ISIS, 'The Revival of Slavery Before the Hour in Dabiq' (2014) 12 Dabiq, p.14.

وبيعهين.¹⁰²⁸ وفي حين أن مقالة دابق لم تشر مباشرة إلى المسيحيين، إلا أنها تضمنت جملة غامضة تشير إلى التناقضات التي أظهرها داعش تجاه المسيحيين:

هذه أول عملية استعباد واسعة النطاق بحق العائلات المشتركة منذ ترك العمل بهذا الحكم الشرعي.. القضية الوحيدة المعروفة، ولكنها أصغر بكثير، هي عملية استعباد النساء المسيحيات والأطفال في الفلبين ونيجييريا من قبل المجاهدين هناك.¹⁰²⁹

في العادة، كان مصطلح المشاركين مخصصًا للإيزيديين في مفردات داعش، بينما يُشار إلى المسيحيين على أنهم من "أهل الكتاب". إلا أن الفقرة أعلاه تتضمن استعباد المسيحيين في الفلبين ونيجييريا ضمن فئة المشاركين، وتنص المادة مباشرة على أن استعباد "المرتدين" العلويين والدروز والإسماعيليين والشيعية هو أمر في محل نزاع في الفقه الإسلامي. وسرعان ما تم إبطال الغموض القانوني بشأن استعباد المسيحيين من خلال وثيقة نصت بحكم الأمر الواقع على بيع النساء المسيحيات كعبيد.

وظهرت ما يسمى بـ "قائمة الأسعار" في تشرين الثاني / نوفمبر 2014، مما يشير إلى أن النساء المسيحيات يتعرضن على قدم المساواة للعبودية الجنسية. وتمت المصادقة على القائمة في عام 2015 من قبل زينب بانغورا، الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة المعنية بالعنف الجنسي في النزاعات.¹⁰³⁰ وتضمنت القائمة أسعار النساء والفتيات الإيزيديات والمسيحيات من عمر سنة واحدة بـ 172 دولارًا، وحتى عمر 50 عامًا بـ 75 دولارًا. وفي رده على القائمة، كتبت المقررة الخاص للأمم المتحدة: "إن الروايات الفظيعة عن اختطاف واحتجاز النساء والفتيات الإيزيديين والمسيحيين والتركمان والشبك، وتقارير عن عمليات الاغتصاب الوحشية، تصل إلينا بطريقة مثيرة للقلق. بطريقة"، مضيفة أن حوالي 1500 امرأة وفتاة إيزيدية ومسيحية ربما أُجبرن على العبودية الجنسية.¹⁰³¹

في أكبر هجوم على المسيحيين في سورية، في 23 تشرين الثاني / فبراير 2015، استولى داعش على 35 قرية يسكنها في المقام الأول المسيحيون الآشوريون على طول نهر الخابور في شمال شرق سوريا. وعلى الرغم من أن 1200 عائلة تمكنت من الفرار إلى القامشلي والحسكة المجاورتين،¹⁰³² إلا أن داعش تمكن من خطف حوالي 226 عائلة مسيحية و60 فردًا، وتم تقديمهم بعد ذلك إلى المحكمة الشرعية التي يديرها داعش في الشدادي المجاورة. قضت المحكمة بما يمليه "عهد أهل الذمة"، ملزمة العائلات بدفع ضريبة/ الجزية. لكن في الواقع، ظلت العائلات رهينة لدى داعش. استغرق الأمر ثلاث سنوات، وتم تصوير قطع رؤوس ثلاثة رهائن بالفيديو،¹⁰³³ وجمع أموال طائلة من التبرعات على يد مطران الكنيسة الآشورية مار أفرام أثيل لتأمين إطلاق سراح الرهائن. وبلغ متوسط الفدية لكل رهينة 50 ألف دولار.

الآثار الاجتماعية والنفسية للعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي

استمر العنف الجسدي والنفسي بعد هزيمة تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق وسورية" ميدانيا. ما زال التمييز والعنف مسلطين على النساء والفتيات، وهناك بالتالي، حاجة إلى توعية المجتمع بأهمية مكافحة العنف الجندري، وتشجيع المرأة على المشاركة حثيثا في كل مناحي الحياة، وتوفير الدعم النفسي

¹⁰²⁸ HRW, 'ISIS Escapees Describe Systematic Rape'

¹⁰²⁹ Dabiq, p.14.

¹⁰³⁰ Doug Bolton, 'Isis "price list" for child slaves confirmed as genuine by UN official Zainab Bangura' (لندن، 4 آب / أغسطس 2015) <<https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/isis-price-list-for-child-slaves-confirmed-as-genuine-by-un-official-zainab-bangura-10437348.html>> شوهد في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰³¹ UN Office of the Special Representative of the Secretary-General on Sexual Violence in Conflict, 'Iraq: UN Officials Call for Immediate End to Sexual Violence Against Iraqi Minorities' (13 آب/أغسطس 2014) <<https://www.un.org/sexualviolenceinconflict/press-release/iraq-un-officials-call-for-immediate-end-to-sexual-violence-against-iraqi-minorities/>> شوهد في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰³² UNHRC, '12th Report of the Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic' A/HRC/33/55 (11 آب / أغسطس 2016) <<https://undocs.org/en/A/HRC/33/55>> شوهد في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰³³ المرجع نفسه.

والاجتماعي للنساء والأطفال من ضحايا هذا العنف. لقد أثر حكم التنظيم على الصحة العقلية للنساء والأطفال، الذين تعرضوا لصدمات نفسية حادة، تركت أثراً غائراً في حالتهم النفسية¹⁰³⁴.

استخدام العنف الجنسي والجندري سلاح حرب لا يخلف وراءه فقط ندوبا جسدية، وإنما أيضا أثارا نفسية واجتماعية غائرة. في سورية حيث ترتبط عفة المرأة في كثير من الأحيان بشرف الأسرة، يؤدي الاغتصاب المنهجي للنساء إلى تفكيك الروابط الأسرية والمجتمعية التي تعتبر ضرورية لقدرة المجتمع على الصمود. غالباً ما يتم نبذ الناجين من الاغتصاب والأطفال المحتملين المولودين نتيجة الاغتصاب، بل ويتم طردهم من المجتمع. وفي الحالات القصوى، تُقتل النساء على يد أقاربهن من خلال ما يسمى "جرائم الشرف".¹⁰³⁵ ولذلك فإن الاغتصاب المنهجي يحطم الروابط الاجتماعية التي تعتبر ضرورية للصمود في أوقات الحرب.

العديد من زوجات وأبناء داعش السابقين يقيمون في مخيم الهول شمال شرق سوريا. ويضم المخيم مكوناً سورياً ومكوناً عراقياً و"ملحقاً دولياً" يعيش فيه نساء وأطفال من عشرات الدول. ويبلغ عدد النساء والأطفال في الملحق الآن حوالي 8500، بانخفاض عن 12000 في عام 2019. وفي المكون السوري، تم إطلاق سراح أعداد كبيرة وإعادتهم إلى مجتمعاتهم بموجب برنامج رعاية عشائرية يضمن فيه شيخ العشيرة سلامتهم واندماجهم مرة أخرى في المجتمع. لكن توجد هنالك توترات بين عائلات المقاتلين السابقين المعاد دمجها والمجتمعات المضيفة، خاصة في ريف دير الزور.

الزواج والزواج القسري وزوجات وأطفال داعش

بمجرد وصول أفراد تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق وسورية" إلى المنطقة، أخذوا يبحثون عن فتيات ملائمت للزواج. لم يكن أفراد التنظيم هؤلاء من صرّين. كانوا يبحثون عن النساء. يدخلون بيوتا ما ويسألون "هل من نساء للزواج؟" لهجاتهم كانت غريبة ومختلفة. بعضهم من الشيشان .

"كنا، نحن النساء والأطفال، نختبئ. يُترك لرب البيت وأفراد الأسرة الذكور أمر الحديث إليهم. كانوا يخشون أن تقع عين أحدهم علينا فيقتادونا عنوة معهم."¹⁰³⁶

تشير الشهادة أعلاه إلى أن مقاتلي داعش يبحثون باستمرار عن "زوجات". منذ ظهوره، أتاح داعش الوصول إلى العلاقات الجنسية المغايرة (ليست المثلية) وزواج الأطفال والاستعباد الجنسي والإخضاع العام للنساء كأدوات للتجنيد.¹⁰³⁷ كان العديد من المجندين من الشباب من المجتمعات المحافظة حيث كانت الحياة الجنسية منظمة للغاية من خلال الزيجات التي تتطلب مهوراً كبيرة. ومع ذلك، فقد أدت معدلات البطالة المرتفعة والاضطرابات السياسية وتضافر عوامل أخرى إلى خلق "أزمة زواج" في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث اضطر الشباب والشابات إلى تأخير الزواج بشكل كبير، وبالتالي تأخير الحياة الجنسية، لأسباب اجتماعية واقتصادية.¹⁰³⁸ وبالتالي، كان تكتيك داعش المتمثل في تعزيز الوصول إلى النساء والحياة الجنسية ضمن الحدود المسموح بها للزواج الإسلامي، أداة تجنيد ناجحة للغاية بين الشباب. أصبحت النساء "غنائم حرب" للمقاتلين الذكور، وأصبح الزواج القسري أمراً شائعاً.¹⁰³⁹

حاولت التسليم بالأمر الواقع. لكن كل محاولاتي باءت بالفشل، ولم أستطع التعود على الوضع الجديد. كان يسيء معاملتي أيما إساءة! مارس معي العنف الجنسي. كل ما يريده هو الجنس، ولا يهتم لمشاعري أو لأي شيء آخر. يريد فقط إشباع شهواته.

¹⁰³⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، سيدة، دير الزور.

¹⁰³⁵ Ariel I. Ahram, 'Sexual violence and the making of ISIS'

¹⁰³⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، سيدة، صرّين.

¹⁰³⁷ Nelly Lahoud, 'Empowerment or Subjugation: A Gendered Analysis of ISIL's Gender Messaging' (هيئة الأمم المتحدة للمرأة، 2018)

¹⁰³⁸ Navtej Dhillon, 'The Middle Eastern Marriage Crisis' (معهد بروكينغز، 11 تموز/يوليه 2008) <<https://iraq.unwomen.org/en/digital-library/publications/2018/06/empowerment-or-subjugation>> شوهدي في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰³⁹ Speckhard and Ellenberg. <<https://www.brookings.edu/articles/the-middle-eastern-marriage-crisis/>> شوهدي في 20 تموز / يوليو 2023.

بعدما غادرت المستشفى، عاملني بقسوة كما لو كنت حيوانا محبوسا في البيت. كان يأتي متى يحلو له لإشباع نزواته ثم يتركني. وإذا غضب مني لأي سبب كان، يمنع عني الطعام والشراب لأسبوع كامل، ثم يطعمني عندما يريد مضاجعتي. عاملني كأسيرة لا كزوجة، ولا حتى كبشر أو امرأة مسلمة. طالما تساءلت إن كان هذا من الإسلام، لكن يستحيل أن يكون هذا من الإسلام في شيء! في غضون ذلك، تزوج من امرأة ثانية جاءت من هولندا. كان اسمها سامانثا. هذا كل ما أعرفه عنها، وهنا دبت المشاكل بيني وبينه. أخذت أطلب منه أن يعدل بيننا وأن يبادلني أطراف الحديث لأنني كنت أعيش حبيسة أربعة جدران.¹⁰⁴⁰

وفي حين أن استخدام الزواج كحافز للشباب للانضمام إلى داعش كان ذا أهمية حيوية طوال سنوات حكم داعش، فقد استخدم التنظيم أيضًا الزواج بشكل متزايد لجذب النساء إلى ما يسمى بـ "الخلافة" يجب القول بداية أنه عندما كان داعش لا يزال جماعة سلفية جهادية متمردة، كان مجندوه وأعضاؤه من الرجال فقط. لكن بناء دولة أولية يتطلب النساء بقدر ما يتطلبه الرجال. على نحو متزايد، وعد داعش بالجنس المسموح والتفوق للرجال والنساء تحت مظلة الزواج الإسلامي. كما حدّد داعش من يمكنه توقيع عقد الزواج، وهو أمر لا يمكن إصداره إلا بحضور مسؤول في التنظيم.

وسرعان ما تم تنظيم المهور أيضًا. تم تحديد الحد الأدنى للمهر عند 5000 دولار، مما يجعل الزواج استثمارًا جديًا طويل الأجل – أعلن داعش أن الهدف من ذلك هو حماية النساء الأجنبية اللاتي يرغبن في الزواج من مقاتلي داعش، نظرًا لأن النساء المحليات لديهن توقعات أعلى فيما يتعلق بالمهور.¹⁰⁴¹ في الواقع، لم يُسمح للنساء الأجنبية بالعيش في المناطق التي يسيطر عليها داعش دون الزواج. وكان عليهم البقاء في دور الضيافة التابعة لداعش حتى يتم ترتيب زواج مناسب.¹⁰⁴² محليًا، من خلال الزواج، يمكن إضعاف روابط القرابة القديمة وحتى تفكيكها، ويمكن إنشاء روابط جديدة مكانها – تلك التي تناسب داعش بشكل أفضل. وبهذه الطريقة، لعب الزواج دورًا أساسيًا في خلق مجتمع جديد، دولة جديدة، "الخلافة" نفسها، كيان يميز نفسه عن المجتمع الذي كان موجودًا من قبل، من خلال خلق روابط اجتماعية جديدة:

تزوجت من أحد أفراد تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق وسورية". أساء معاملتي، لكن عائلتي لم تتخلّ عني. حرمني من أسرتي وأقاربي. لم يكن يسمح لي بالتواصل معهم، إلا مرة كل ستة أو سبعة أشهر.

غير طريقة تفكيري. منعتني من الخروج من البيت لأن كل من في الخارج من الكفار حسب قوله. سرعان ما صدقته. رأيت الناس بعينيه هو. دوما أغلق البيت على نفسي، كما لو كنت في قفص، لا أغادره إطلاقًا. عندما يعود يقص على ما يحدث في الخارج. كنت أجهل ما يجري. لوهلة صارت نظرتي إلى المجتمع خارج البيت نظرتة هو. اعتقدت أن الجميع كافر. بثّ في كراهية المجتمع كله ومقت أبناء بلدي تحديدًا.¹⁰⁴³

تنظيم الزواج هو مصدر قلق رئيسي لجميع الدول. ولكن في محاولته لبناء دولة أولية، تعامل داعش مع تنظيم العلاقات الاجتماعية، وخاصة الزواج، كعمل واضح لبناء الدولة. ووفقا لدراسة أكاديمية كتبت قبل سقوط التنظيم:

بفرضه قوانين تنظم الزيجات، يحاول [تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق وسورية"] إصباغ مزيد من الشرعية [على نفسه] بإضفاء غطاء مباركة الدين والدولة على العائلات الجديدة وعلى صلات الرحم وعلى العلاقات القائمة على النوع الاجتماعي. هذه القواعد تثبت للأتباع أن حياتهم الجديدة يحكمها الله، حتى لو "اعتدوا" على العادات المحلية.¹⁰⁴⁴

¹⁰⁴⁰ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، سيّدة، الطبقة.

¹⁰⁴¹ Aysha Navest and others, 'Chatting about Marriage with Female Migrants to Syria: Agency beyond the Victim versus Activist' <<https://rai.onlinelibrary.wiley.com/doi/full/10.1111/1467-8322.12241>> Paradigm' 32(2) Anthropology Today شوهده في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰⁴² Speckhard and Ellenberg 'ISIS and the Allure of Traditional Gender Roles'.

¹⁰⁴³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، سيّدة، الطبقة.

¹⁰⁴⁴ Brown.

وتنظيم الزواج بهذه الطريقة، خاصة في فترة فوضى الحرب، يستخدم بإذن الله لمشروع القومية الدينية، وربط العلاقات الأسرية والقريبة بالدولة القومية. إنها طريقة لربط الحياة الخاصة للأفراد وعلاقاتهم وولاءاتهم بالحياة العامة للدولة من خلال شرعية الدين الممنوحة في الدولة البدائية.

وبينما أُجبرت العديد من النساء على الزواج والاستعباد الجنسي، انضمت العديد من النساء الأخريات عن طيب خاطر. إن الانضمام إلى داعش عن طيب خاطر كامرأة هو مفارقة أخرى. لماذا خضعت النساء، سواء محليات أو أجنبيات، طوعاً لنظام جندي قمعي وأبوي وكره للنساء في كثير من الأحيان من خلال الزواج من مقاتلي داعش والانضمام إلى ما يسمى بـ "الخلافة"؟ سافرت ما لا يقل عن أربعة آلاف امرأة، وربما أكثر من ذلك، من جميع أنحاء العالم للانضمام إلى داعش.¹⁰⁴⁵ وانضمت العديد منهن محلياً باسم "عرائس داعش". أصبحت الغالبية العظمى من النساء المحليات والأجنبيات زوجات وأمّهات، على الرغم من أن بعضهن انضممن إلى شرطة الأخلاق التابعة لداعش، أو الحسبة.¹⁰⁴⁶

مثل العديد من الرجال، انجذبت النساء إلى ادعاء داعش بأن "الخلافة" هي الطريقة الشرعية الوحيدة للعيش في العالم كمسلمة بموجب الشريعة. ادعى داعش مراراً وتكراراً من خلال وسائل الإعلام التابعة له أن النساء "يحاولن بناء دولة إسلامية تعيش وتلتزم بشريعة الله"، في حين أن "مسؤولية المرأة كمسلمة هي أن تصبح زوجات وأمّهات نقيّات؛ كن يحققن مقصد الله.¹⁰⁴⁷ ومثل الرجال، كان انجذاب النساء بسبب غضبهن من عنف نظام الأسد وموجة كراهية الإسلام العالمية (الإسلاموفوبيا) التي نبذت المسلمين في الغرب وفي كل مكان.¹⁰⁴⁸ وعدت الدعاية عبر الإنترنت النساء بحياة أفضل وأسهل وأكثر ملاءمة من الناحية الدينية، والسكن المجاني و"حياة خالية من التمييز والقيود والضغوط التي يفرضها المجتمع العلماني".¹⁰⁴⁹ كما قدمت دعاية داعش التنظيم كقوة محررة للنساء اللاتي يعشن بالفعل في أسر محافظة.

على الرغم من أن السلفية هي أيديولوجية أبوية إلى حد كبير، إلا أنه يمكن القول إنها ليست معارضة بطبيعتها للحركة النسوية كما تُفهم على أنها المساواة القائمة على النوع الاجتماعي. قد يقول البعض أن هناك تيارات نسوية إسلامية قوية داخل السلفية تسعى إلى نوع من تحرير المرأة من خلال التقوى وليس من خلال الاختيارات الفردية والعقلانية التي غالباً ما تقوم عليها النسوية الغربية.¹⁰⁵⁰ ولذلك يمكن اعتبار الانضمام إلى داعش بمثابة نوع من التحرر، على الرغم من أن الواقع كان في كثير من الأحيان مختلفاً إلى حد كبير عن الدعاية. تم منح النساء نوعاً مختلفاً من الحرية والسلطة لأخذ حياتهن بأيديهن. لقد منحت الشابات رخصة لتحدي سلطة آبائهن وأزواجهن غير المنتمين إلى داعش.¹⁰⁵¹

ومع ذلك، فإن الواقع بالنسبة للعديد من زوجات داعش كان هو نفسه كما هو موضح أعلاه. تم تنظيم الحياة من خلال العنف (الجنسي في كثير من الأحيان)، والحبس، والعديد من الانتهاكات نفسها التي تعرضت لها النساء المحليات.

الذكورة

أثر حكم تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق وسورية" على مفاهيم الذكورة والأنوثة، بفرضه رؤياه الضيقة للجنس وتحديد الصارم للأدوار المناسبة للرجال والنساء. تحت حكمه، كان يفترض في الرجل

¹⁰⁴⁵ Speckhard and Ellenberg 'ISIS and the Allure of Traditional Gender Roles'.

¹⁰⁴⁶ المرجع نفسه

¹⁰⁴⁷ Brown.

¹⁰⁴⁸ Amanda N. Spencer, 'The Hidden Face of Terrorism: An Analysis of the Women in Islamic State' (2016) 9(3) مجلة الأمن

الاستراتيجي، <<https://doi.org/10.5038/1944-0472.9.3.1549>> شوهد في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰⁴⁹ Brown.

¹⁰⁵⁰ Mahmood, 'Topography of the Piety movement'.

¹⁰⁵¹ Erin Marie Saltman and Melanie Smith, "'Till Martyrdom do us part": Gender and the ISIS Phenomenon' (2015)

<<https://www.isdglobal.org/isd-publications/till-martyrdom-do-us-part-gender-and-the-isis-phenomenon/>> شوهد في 20 تموز / يوليو 2023.

ممارسة أدوار تتسم بالصلابة والعنف. أما المرأة فتتأط بها أدوار تتسم بالضعف، وتحت سيطرة الرجل.¹⁰⁵²

كما هو واضح من الإفادة السابقة، فرض داعش معايير الجندرية الضيقة للغاية على كل من الرجال والنساء. في حين أن العديد من الرجال سيستفيدون من تفسير داعش للعلاقات الجندرية، والذي يتسم بدرجة عالية من البطورية والكاره للنساء، من خلال منحهم سلطة غير مسبقة على بعض النساء - ومزيد من السلطة على النساء ككل - فإن تفسير داعش للذكورة المثالية جاء أيضاً بتكلفة كبيرة بالنسبة للعديد من الرجال.

لقد مهد النظام السياسي الاستبدادي في سوريا وفقدان الهويات الذكورية التقليدية طوال الحرب الطريق أمام هوية داعش المفرطة في الذكورة. ومن المفهوم أن النظام السياسي الاستبدادي المستبد الذي تحكمه الشرطة السرية والتهديد المستمر بالعنف أنتج تسلسلات هرمية ذكورية قوية مع دولة استبدادية ذكورية مهيمنة قوية في القمة. إن التهميش والإيذاء والافتقار إلى القدرة على التعامل مع هذه الدولة ينتج عنه أنواع معينة من الهويات الذكورية التابعة لدى معظم الرجال. ولذلك يمكن تفسير الثورة ضد الديكتاتور على أنها ثورة من قبل نوع من الذكورة ضد نوع آخر (من الذكورة).

وجدت الدراسة الأكثر شمولاً للذكورة في سياق النزاع السوري أن القيم الذكورية لها دور أساسي في احتمالات الانضمام إلى جماعة مسلحة. ومن خلال الانضمام إلى جماعة مسلحة، يمكن استعادة "الهوية الذكورية المفقودة" في المواقف التي تكون فيها الأدوار الذكورية التقليدية غير قابلة للتحقيق لأسباب اجتماعية واقتصادية، على سبيل المثال.¹⁰⁵³ وأظهرت الأبحاث بين اللاجئين السوريين أيضاً أن فقدان الأدوار التقليدية للرجال كمعيلين للأسرة خلال الحرب أصبح يُنظر إليه على أنه شكل من أشكال الإقصاء، مما دفع بعض الرجال إلى حمل السلاح رداً على ذلك.¹⁰⁵⁴ وبهذا المعنى، هناك علاقة قوية بين نقاط الضعف الاقتصادية وهويات الذكور والميل إلى الانضمام إلى الجماعات المسلحة.¹⁰⁵⁵

وعلى عكس الحركات النسوية الكارهة للنساء الأخرى التي ظهرت رداً على تحقيق قدر أكبر من المساواة الجندرية (القائمة على النوع الاجتماعي) في العقود الماضية، قدم داعش لأتباعه الفرصة ليكونوا رجالاً "حقيقيين" قادرين على عيش ذكورة "حقيقية".¹⁰⁵⁶ قدم داعش لأتباعه مكاناً يمكن للرجال والنساء أن يعيشوا فيه ما كان يُنظر إليه غالباً على أنه أدوار جندرية تقليدية وتاريخية.¹⁰⁵⁷ كان النموذج الذكوري الرسمي، كما تم الترويج له من خلال وسيلة إعلام داعش دابق، هو رجل مسلم تقي (وفقاً لمعايير داعش الخاصة) كان شبيهاً بالمحارب ومن جنس آخر؛ لكنه كان أيضاً زوجاً وأباً وحامياً لمجتمعه وخاصة النساء فيه.¹⁰⁵⁸ وقد تغاضت هذه الذكورة المثالية عن العنف ضد النساء والفتيات والفتيان، بل وشجعت، وكذلك ضد الرجال الذين لا يتناسبون مع هذا التفسير الضيق.

هذه هي نسخة داعش الخاصة لما يسمى "الذكورة العسكرية"،¹⁰⁵⁹ والتي تتطلب أنواعاً معينة من السلوك العنيف من الرجال والفتيان، وعادةً ما تصنف أولئك الذين لا يريدون ممارسة هذا العنف على أنهم جبناء (أو ما هو أسوأ). ومع ذلك، فقد أدرج داعش أيضاً مفهوم التقوى أيضاً:

¹⁰⁵² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، سيدة، دير الزور.

¹⁰⁵³ Henri Myrtilinen and Lana Khattab, "Most of the men want to leave": Armed groups, displacement and the gendered webs of vulnerability in Syria' (التنبيه الدولي، يوليو 2017) ص21

¹⁰⁵⁴ Magdalena Suerbaum, 'Defining the Other to Masculinize Oneself: Syrian Men's Negotiations of Masculinity during Displacement in' <<https://www.international-alert.org/publications/most-of-the-men-want-to-leave/>> شوهدي في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰⁵⁵ (3) 43 (2018) Egypt' (علامات: مجلة المرأة في الثقافة والمجتمع <<https://www.journals.uchicago.edu/doi/10.1086/695303>> شوهدي في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰⁵⁶ Myrtilinen and Khattab, p.24

¹⁰⁵⁷ Lisa Davis, 'Reimagining Justice', p.523.

¹⁰⁵⁸ Speckhard and Ellenberg, 'ISIS and the Allure of Traditional Gender Roles'.

¹⁰⁵⁹ Dyan Mazurana and others, 'Gender Under A Black Flag: ISIS recruitment' (مؤسسة السلام العالمي، 19 آب/أغسطس 2015)

<<https://sites.tufts.edu/reinventingpeace/2015/08/19/gender-under-a-black-flag-isis-recruitment/>> شوهدي في 20 تموز / يوليو 2023.

¹⁰⁵⁹ Cynthia Enloe, *The Morning After: Sexual Politics at the End of the Cold War* (University of California Press, 1993); Graham Dawson, *Soldier Heroes: British Adventure, Empire and the Imagining of Masculinities* (روتليدج 1994)

كان الرجال يخشون على حياتهم. أُجبروا على إطلاق لحي، وارتداء ملابس فضفاضة مثل الجلابية. بلحاهم الطويلة، لم يكن سهلاً عليهم تناول الطعام. وعند دخول وقتها، كانوا يُجبرون الرجال على الصلاة، حتى وهم ليسوا على وضوء. يصيحون فيهم ناهرين: "هيا، حان وقت الصلاة، قم إلى صلاتك." 1060

كما كتب براون "المآثر التي تتيحها العضلات غير كافية؛ على مقاتل [التنظيم] عند الإقدام على فعله، أن يبيّن النية الصادقة ويكون سليم المعتقد." 1061 وهنا أيضاً، فإن مفاهيم الشرف والعار أساسية في بناء الذكوريات في مناطق سيطرة التنظيم. مفهوم الشرف المحكوم بفكرة الذكورة يرسم تراتبية تقسم الرجال درجات على هذا الأساس. بتعبير آخر، فإن قوانين الشرف تنتج أنماطاً من الرجولة بعضها طاغ وبعضها أقل طغياناً. بشكل عام، 1062 فإن القدرة على استخدام العنف، في حضور الوازع الديني، خاصة إذا صاحبه النوايا الورعة، هي بمثابة مقياس أساسي للشرف داخل التنظيم، ومفهومه الطاعي لمعنى الرجولة.

وكما هو الحال مع الهوية الأوسع لتنظيم داعش، وتحديدًا مع إيديولوجيته الجندرية، فإن تعريف الرجولة هذا قد طُرح ليتصدى لمعارضة الأفكار المتداولة عن رجال الغرب وتعفن الغرب الأخلاقي، وهو تعفن طالما شجبه واستنكره التنظيم، ونتجت عنه ممارسات مثل "إتيان البهائم، والتحول الجنسي واللواط والإباحية والحركة النسوية وشُرور أخرى" 1063 من خلال تقديمه الرجال العنيفين كحماة للمجتمع، بررت هذه النسخة من الذكورة العسكرية هيمنة الذكور والمغاييرين جنسياً على ذلك المجتمع، وبالتالي شجعت على قمع النساء، وممارسة العنف ضد الأقلية الجندرية ضد أي شخص لا ينصاع لهذا الفهم الخاص للذكورية.

خاتمة

كان تنظيم داعش انعكاساً لأحد أكثر المشاريع الطوباوية الراديكالية في العصر الحديث. لقد سعى أعضاؤه حديثاً، وباستخدام القوة الطاغية، والعنف الشديد، لبناء مجتمع من نوع مختلف، لم يوجد (من منظور التنظيم) منذ ألف وثلاثمائة عام على الأقل. في ظل داعش كان "الاختلاف" يعني بالمقام الأول الاختلاف عن المجتمعات الغربية الليبرالية والديموقراطية والرأسمالية، ولكن يعني أيضاً الاختلاف عن المجتمعات المسلمة التي كان داعش يعتبرها فاسدة أخلاقياً ودينياً.

وكما هو الحال في كثير من الأحيان في المعارك الأيديولوجية بين الشرق والغرب، أصبح جسد المرأة ساحة معركة حضارية لهذا المشروع الطوباوي الراديكالي. 1064 ومن خلال تقييد وقمع واستغلال النساء - أو على الأقل بعض النساء - من خلال تعريف دورهن على أنهن أقل شأنًا من الرجال، ادعى داعش أنه يبني نموذج مجتمع تم تشكيله على مزيد من العلاقات الجندرية "الإسلامية الأصيلة". وعلى هذا النحو، فإنه يميز نفسه عن المجتمعات الليبرالية الغربية، التي تعتمد فيها المساواة الجندرية على الحريات الفردية. لكن في الوقت نفسه، يمثل مشروع داعش الرجعي الطوباوي الجندري مجرد مشروع من عدد متزايد من الحركات المناهضة للنسوية في العالم اليوم والتي تعد الرجال (الذين يشعرون أنهم فقدوا أدوارهم التقليدية) بالعودة إلى مكان من اليقين الذكوري المحدد بحكم السيطرة على النساء. لذلك، كان مشروع داعش الجندري بمثابة رفض للغرب في سياق المشاريع الاستعمارية الجديدة الغربية في العراق وأفغانستان. وفي الوقت نفسه، كان أيضاً مشروعاً عالمياً ومعاصراً بطبيعته، تم صياغته كرد فعل عكسي لتزايد المساواة الجندرية في جميع أنحاء العالم على مدار نصف القرن الماضي.

على مر التاريخ، كانت المشاريع الطوباوية الراديكالية بمثابة مشاريع رسم الحدود: فقد حددت من وماذا يكمن داخل وخارج المشروع الأيديولوجي الجديد. الحركات تشكل الهويات - وفي حالة داعش - دولة أولية - من خلال الإدماج والإقصاء. تحت ظل داعش، تعرّض أولئك الذين كانوا يعيشون خارج هذه الحدود التي يتم إعادة رسمها بشكل مستمر وغير منتظم -

1060 مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، سيدة، صرّين.

1061 Brown.

1062 RW Connell, *Masculinities* (الطبعة الثانية، Polity Press، 2005).

1063 ISIS, 'The Fitrah of Mankind and the Near-Extinction of the Western Woman' (2017) 15 *Dabiq*.

1064 Leila Ahmed, *Women and Gender in Islam: Historical Roots of a Modern Debate* (مطبعة جامعة ييل، 1992).

المسيحيين والأقلية الجندرية والمسلمين الشيعة والغربيين الإيزيديين وغيرهم - في كثير من الأحيان للقتل والتعذيب والقمع. لقد كان يُنظر إليهم على أنهم نوع من التلوث الذي يجب القضاء عليه من أجل خلق مجتمع إسلامي خالص حسب منظور داعش. عندما تم تضمين الغرباء في المجتمع الجديد، تم تحديد هذا الإدماج على أساس النوع الاجتماعي. لقد تم إدراج النساء، ولكن ليس كأشخاص، بل كأجساد مُسلّعة وعبيد وخدامات، وهو شكل من أشكال الملكية التي يمكن بيعها وشرائها والمتاجرة بها.

وأخيراً، حكم داعش أيضاً من خلال تنظيم العلاقات الجندرية "المسموح بها"، مثل العديد من الدول والحركات الدينية الأخرى التي سبقته. إن الحكم من خلال الجندر (النوع الاجتماعي) هو فعال لأنه يطبع قوة الدولة البدائية من خلال الأخلاق على الأجسام الفردية، ويغرس القواعد الأخلاقية في الناس، مما يؤدي إلى التنظيم الذاتي حتى في حالة غياب الدولة. ثم يربط الحكم عن طريق العلاقات الجندرية الشكل الفردي من الحكم والحكم الذاتي بالعلاقات على مستوى الأسرة، من خلال تحريم كيفية معاملة الأزواج للزوجات ومعاملة الآباء للبنات (والأبناء). وبالتالي، فإن الجندر (النوع الاجتماعي) يضيف الشرعية على الدولة ويدخلها في التفاعلات الشخصية اليومية بين الأفراد.

في جميع المجتمعات، تعكس المعايير الجندرية علاقات القوة.¹⁰⁶⁵ لذلك، من خلال دراسة الجندر (النوع الاجتماعي) في مجتمع معين - وتحديدًا من خلال عدسة متقاطعة الجوانب تكشف كيفية تفاعل الجندر مع الهويات الأخرى لإنتاج علاقات القوة - فمن الممكن التوصل إلى فهم أعمق لكيفية عمل السلطة بشكل عام. إن الاعتراف بأن الجندر هو جزء لا يتجزأ من السلطة على مختلف المستويات - وأنه كان جزءاً لا يتجزأ على وجه التحديد من إنشاء وصون الدولة الأولية التي أصبحت تعرف باسم "الدولة الإسلامية" - يستلزم منطقيًا بأن يتم تفكيك هذه السلطة أيضاً على المستوى الشخصي ومستويات التعامل مع الآخرين. إن تفكيك داعش على الأقل جزئياً هو مشروع لإعادة كتابة ما يشعر به الأفراد من النساء والرجال تجاه أنفسهم، وكيف يعاملون أجسادهم وأجساد الآخرين، وكيف تتم إعادة بناء المجتمعات من خلال تحرير ما يعنيه أن تكون امرأة أو رجلاً أو شخصاً من الأقلية الجنسية والأقلية الجندرية في شمال شرق سوريا.

¹⁰⁶⁵ RW Connell, *Gender and Power: Society, the Person and Sexual Politics* (مطبعة جامعة ستانفورد، 1987).

4. الصحة العامة والصحة النفسية والاضطرابات النفسية والاجتماعية في شمال شرق سوريا في مرحلة ما

بعد داعش

العنف في سوريا لم ينته بعد. في حين أن القتال النشط في الصراع بين الحكومة السورية وجماعات المعارضة قد تراجع في الغالب في عام 2023، إلا أن القتال مستمر بشكل متقطع في شمال شرق سوريا بين مختلف الجهات العسكرية الموجودة هناك. 1066 لكن الندوب العميقة العديدة التي خلفتها سنوات الحرب لا تزال ظاهرة.

باستخدام مزيج من المراجعات المكتبية والمقابلات مع مصار المعلومات الرئيسيين وشهادات الضحايا، يهدف هذا الفصل إلى دراسة الصحة العامة وحالة الصحة النفسية لسكان شمال شرق سوريا في أعقاب أعمال العنف والفظائع التي ارتكبتها تنظيم داعش. يركز الفصل على التأثيرات المباشرة وغير المباشرة على كل من البالغين والمراهقين الذين كان حقهم في الوصول إلى خدمات صحية عادلة وكافية - ولا يزال جزئياً - معرضاً للخطر منذ أن بدأ تنظيم داعش في الاستيلاء على مناطق شمال شرق سوريا لأول مرة، والقضية المهمة المتمثلة في الضائقة النفسية. نتيجة للعنف الهائل وانتهاكات حقوق الإنسان التي خلفها التنظيم خلفه.

الخلفية

لا يزال ما يقرب من نصف سكان سوريا نازحين بسبب الحرب، بما في ذلك أكثر من 6.6 مليون لاجئ وطالب لجوء بالإضافة إلى 6.7 مليون شخص آخرين نازحين داخلياً في جميع أنحاء البلاد. 1067 يعيش النازحون بشكل رئيسي في مناطق خارج سيطرة الحكومة، والتي انقسمت في السنوات الأخيرة إلى ثلاث مناطق رئيسية: واحدة تسيطر عليها الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية في شمال شرق سوريا، وأخرى تسيطر عليها هيئة تحرير الشام في شمال غرب سوريا، وثالثة تسيطر عليها تركيا والفصائل المعارضة المسلحة المدعومة من قبلها في مناطق شمال سوريا. في المجمل، تسببت الحرب في مقتل مئات الآلاف. 1068 تسعة من كل 10 سوريين يعيشون تحت خط الفقر 1069.

لا تزال الاحتياجات هائلة لنظام رعاية صحية فعال على وجه الخصوص. وقد أدت ندرة الموارد إلى مشاكل صحية عامة كبيرة في جميع أنحاء البلاد. وكان من العناصر المهمة في ذلك نتيجة التدمير المتعمد للمساكن المدنية والبنية التحتية. أكدت منظمة أطباء من أجل حقوق الإنسان وقوع 602 هجوماً على ما لا يقل عن 350 منشأة مختلفة للرعاية الصحية في سوريا منذ عام 2011، بما في ذلك 149 في إدلب، و30 في دير الزور، و7 في الرقة، وأربعة في الحسكة. ووفقاً لبيانات منظمة أطباء من أجل حقوق الإنسان، فإن أكثر من 90% من الهجمات على مرافق الرعاية الصحية نفذتها الحكومة السورية وحلفاؤها. 1070

لقد أصبحت الفوارق بين المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة والمناطق غير الخاضعة لسيطرة الحكومة قبل بداية الحرب ضد داعش راسخة. ووفقاً لأحدى التقديرات، على سبيل المثال، زادت نسبة العمليات القيصيرية في شمال غرب سوريا بأكثر من الضعف منذ بداية الحرب في عام 2011. وبالتالي فإن عدد العاملين في مجال الرعاية الصحية - بما في ذلك الأطباء والممرضات والقابلات - لكل 10000 شخص أقل بكثير من العدد الموصى به من قبل منظمة الصحة العالمية

¹⁰⁶⁶ Human Rights Watch (HRW), 'Northeast Syria: Turkish Strikes Exacerbate Humanitarian Crisis' (7 كانون الأول / ديسمبر 2022)

<<https://www.hrw.org/news/2022/12/07/northeast-syria-turkish-strikes-exacerbate-humanitarian-crisis>> شوهد في 3 آب / أغسطس 2023 ;

Lucas Chapman and Ali Ali, 'How Syria's self-administered northeast intends to bring captured foreign Daesh fighters to justice' (30 حزيران / يونيو 2023) <<https://www.arabnews.com/node/2330621/middle-east>> شوهد في 3 آب / أغسطس 2023..

¹⁰⁶⁷ UNOCHA, '2021 Humanitarian Needs Overview: Syrian Arab Republic' (31 آذار / مارس 2021) <<https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic>>

<republic/2021-humanitarian-needs-overview-syrian-arab-republic-march-2021-enar> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹⁰⁶⁸ رويترز 'Syrian Observatory says war has killed more than half a million' (لندن، 12 آذار/مارس 2018) <<https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-idUSKCN1G013M>> شوهد في 8 آذار / مارس 2023.

¹⁰⁶⁹ UN Secretary-General António Guterres, 'As Plight of Syrians Worsens, Hunger Reaches Record High, International Community Must Fully Commit to Ending Decade-Old War, Secretary-General Tells General Assembly' (30 آذار/مارس 2021)

<<https://press.un.org/en/2021/sgsm20664.doc.htm>> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹⁰⁷⁰ Physicians for Human Rights, 'Illegal Attacks on Health Care in Syria' (n.d.) <<https://syriamap.phr.org/#/en>> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

وهو 22، مع متوسط تسعة عاملين في مجال الرعاية الصحية في كل من المناطق (التي تسيطر عليها هيئة تحرير الشام والجيش الوطني السوري) في الشمال الغربي.¹⁰⁷¹

أدت "حالة الطوارئ المزدوجة" الناجمة عن جائحة كوفيد-19 إلى تفاقم تحديات الصحة العامة في شمال شرق سوريا بعد سنوات من الدمار الذي أحدثته تنظيم داعش وكذلك الصراع الأوسع. أصبح النقص في الرعاية الصحية أمرًا ملحًا بشكل متزايد مع انتشار فيروس كورونا في جميع أنحاء البلاد وإرهاق أنظمة الرعاية الصحية المتبقية بشكل خطير.¹⁰⁷² عانى السكان في شمال شرق سوريا وغيرها من المناطق غير الخاضعة لسيطرة الحكومة من عدم وجود قطاع صحي موحد وواجهوا عوائق في الوصول إلى المساعدة الإنسانية. في جميع أنحاء شمال شرق سوريا، اعتبارًا من فبراير 2021، كان هناك 718 سريرًا تشغيليًا فقط في مرافق كوفيد-19، مقارنة بـ 1088 سريرًا في مراكز العلاج المجتمعية للتعامل مع حالات كوفيد-19 في حلب.¹⁰⁷³ أدى الصراع الذي طال أمده، إلى جانب العبء المتراكم على البنية التحتية والخدمات الصحية المتضررة من تنظيم داعش، إلى دفع نظام التحصين في شمال شرق سوريا إلى حافة الانهيار.¹⁰⁷⁴

تعتبر تغطية اللقاحات في سوريا من بين أدنى المعدلات في العالم. بحلول أوائل عام 2022، تم إعطاء ما يزيد قليلًا عن 2.2 مليون جرعة من لقاحات كوفيد-19: 1075 تم تطعيم 5.1% فقط من إجمالي السكان بشكل كامل، معظمهم بجرعتين، في حين تلقى 10% جرعة واحدة على الأقل من اللقاح.¹⁰⁷⁶ وقال أحد مسؤولي منظمة الصحة العالمية الذين تمت مقابلتهم لهذا البحث إن الأمم المتحدة وشركائها

زادت تغطية اللقاح ضد كوفيد-19 في جميع أنحاء البلاد، لكنها لم تحقق تقدمًا في استعادة تغطية التحصين الروتيني الوطني لحماية الأطفال على أفضل وجه من الأمراض التي يمكن الوقاية منها باللقاحات في المناطق الجغرافية الحرجة والمحرومة.¹⁰⁷⁷

تفيد التقارير أن الموارد الصحية هي الأكثر ندرة في شمال شرق سوريا، حيث تتجاوز الاحتياجات الصحية للسكان المرافق والموظفين المتاحين بنسبة كبيرة. وتفيد التقارير أن حوالي 55% من الأسر لديها فرد واحد معاق على الأقل في الأسرة.¹⁰⁷⁸ ولم يكن لدى الرقة ودير الزور، اللتين يبلغ عدد سكانهما مجتمعيتين ما يقرب من 1.5 مليون نسمة، مستشفيات عاملة طوال عام 2021، على الرغم من توصية منظمة الصحة العالمية بمستشفى واحد لكل 250 ألف شخص.¹⁰⁷⁹ تشير أحدث التقارير إلى أن هذا الوضع استمر في عام 2022.¹⁰⁸⁰ في الحسكة، يوجد مستشفى واحد عامل لعدد سكان يبلغ 1,127,309 نسمة: في الواقع يخدم ما يقرب من خمسة أضعاف العدد الذي أوصت به منظمة الصحة العالمية. ومن الأهمية بمكان أنه تم الإبلاغ عن ارتفاع مستوى عدم المساواة في الوصول إلى المستشفيات العامة بين المحافظات وداخلها

¹⁰⁷¹ World Health Organisation (WHO), 'Annual report: Health Sector Syria, 2022' (n.d.) <https://www.humanitarianresponse.info/sites/www.humanitarianresponse.info/files/documents/files/health_sector_syria_annual_report_2022.pdf> ; Sara Basha and others, 'Protracted armed conflict and maternal health: a scoping review of literature and a retrospective analysis of primary data from northwest Syria' (2022) 7 *BMJ Global Health* <<https://gh.bmj.com/content/bmjgh/7/8/e008001.full.pdf>> شوهدي في 3 آب / أغسطس 2023.
¹⁰⁷² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول من منظمة الصحة العالمية.
¹⁰⁷³ UNOCHA, 'Syrian Arab Republic COVID-19 Response Update No.15' (16 February 2021).
¹⁰⁷⁴ WHO & UNICEF, 'Syrian Arab Republic: WHO and UNICEF estimates of immunisation coverage' (2021).
¹⁰⁷⁵ المرجع نفسه.
¹⁰⁷⁶ UNICEF, 'No One is Safe until Everyone is Safe' (1 شباط / فبراير 2022) <<https://www.unicef.org/syria/stories/no-one-safe-until-everyone-safe>> شوهدي في 3 نيسان / أبريل 2023.
¹⁰⁷⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول من منظمة الصحة العالمية.
¹⁰⁷⁸ UNHCR, Humanitarian Needs Assessment Programme (HNAP) Syria, 'Summer 2020 Report Series Disability Overview' (7 نيسان / أبريل 2021) <<https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/humanitarian-needs-assessment-programme-hnap-i-syria-summer-2020-report>> شوهدي في 3 نيسان / أبريل 2023.
¹⁰⁷⁹ WHO, 'GHC Guidance: People in Need Calculations' (3 تشرين الثاني / نوفمبر 2023) <https://www.humanitarianresponse.info/sites/www.humanitarianresponse.info/files/documents/files/ghc_pin_guidance.pdf> شوهدي في 3 نيسان / أبريل 2023.
¹⁰⁸⁰ WHO Health Cluster Türkiye, 'Health Resources and Services Availability Monitoring System (HeRAMS), July-September 2022' (WHO, n.d.).

قبل الحرب، خاصة في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية، وفقاً لنسبة مقدمي الخدمات إلى عدد السكان. وكانت المحافظات الصغيرة نسبياً في الغرب والجنوب تتمتع بإمكانية وصول مكانية أعلى وتفاوت أقل. أظهر اختبار التباين في حجم المنطقة التي يتم تغطيتها حتى في مسافة طولها 125 كيلومتراً أن 65% من البلاد لديها إمكانية وصول أقل من المتوسط الوطني.¹⁰⁸¹ تشير البيانات إلى أنه في شمال شرق سوريا، لم تكن هناك مستشفيات عاملة في منطقتين: الرقة، التي يقدر عدد سكانها بـ 707,496 نسمة، ودير الزور، التي يبلغ عدد سكانها 765,352 نسمة. وفي غياب المستشفيات العاملة، يتم تقديم معظم الرعاية الصحية في مراكز الرعاية الصحية الأولية والعيادات المتنقلة.¹⁰⁸²

على الرغم من الوقف العام للصراع الشامل في شمال شرق سوريا، فإن إرث عنف داعش يلوح في الأفق. ولا يزال عشرات الآلاف من النازحين داخلياً يعيشون في المخيمات والمواقع غير الرسمية، إلى جانب اللاجئين من العراق وبلدان أخرى. لا تزال الاشتباكات المستمرة في محافظة دير الزور بين أطراف متعددة تؤدي إلى النزوح.¹⁰⁸⁴ ونتيجة لذلك، لا ينبغي الاستهانة بخطر تفشي المزيد من الأمراض في المناطق التي كانت تحت سيطرة تنظيم داعش سابقاً، على الرغم من معالجة الافتقار إلى نظام المراقبة.¹⁰⁸⁵ علاوة على ذلك، لا يزال تقييم الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي لانتهاكات حقوق الإنسان، وخدمات الاستشارة والإحالة للاضطرابات النفسية والضيق النفسي، التي عانى منها الكثيرون خلال النزاع، بعيد المنال بالنسبة للسكان المحليين. كما تأثرت الخدمات الصحية، على حد تعبير المشاركين في الاستطلاع، بالتمييز الهيكلي: على وجه التحديد، تواجه النساء والفتيات نقصاً في الرعاية الطبية الإنجابية، بينما يواجه الأشخاص ذوو الإعاقات الجسدية صعوبة في الوصول إلى المباني المعاد استخدامها، ناهيك عن الرعاية المتخصصة.

لم يتم بعد تنفيذ آليات العدالة الانتقالية: الأفراد الذين نجوا من داعش في شمال شرق سوريا لم يبدأوا بعد في الحصول على تعويضات متسقة وجوهرية. وهذا يتناقض مع العراق، حيث ينص الإطار المؤسسي الرئيسي لمعالجة إرث جرائم داعش ضد المسيحيين والشبك والتركمان الإيزيديين على مجموعة متنوعة من الحقوق والمزايا - بما في ذلك المعاشات التقاعدية الشهرية ودعم إعادة التأهيل وقطعة أرض للنساء الفتيات الناجيات من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي المرتبط بالنزاع والأطفال الذين نجوا من الاختطاف على يد داعش.¹⁰⁸⁶ يمثل اعتماد مجلس النواب العراقي للقانون في مارس/آذار 2021 لحظة فاصلة في الجهود المبذولة لمعالجة إرث جرائم داعش ضد الإيزيديين والأقليات الأخرى.

أدى تفشي وباء الكوليرا، الذي أُعلن عنه في 10 سبتمبر/أيلول 2022، إلى مزيد من البؤس؛ تم الإبلاغ عن عشرات الآلاف من حالات الإسهال المائي الحاد المشتبه بها في جميع المحافظات السورية، ولكن بشكل خاص في شمال شرق سوريا.¹⁰⁸⁷ إن إرث تدهور النظام والتخلي عن البنية التحتية الأساسية ونقص الإمدادات المنتظمة خلال سنوات حكم داعش أجبر جميع الشركاء العاملين في مجال مكافحة الكوليرا في شمال شرق سوريا على الاستجابة لتفشي المرض من خلال الاستثمار في أنظمة الصحة والمياه والصرف الصحي والنظافة الصحية، مما يعزز أهميتها كخدمات أساسية يحتاجها الأطفال والأسر الضعيفة بشدة. كما كشف الوباء أيضاً كيف اضطر الشركاء إلى الاستثمار في الأولويات العاجلة بدلاً من تمكين الاستثمار لتعزيز النظام الصحي الأوسع على المدى المتوسط. كما كان للزلزال المدمر الذي ضرب تركيا وسوريا

¹⁰⁸¹ Mhd Nour Audi and others, 'Healthcare accessibility in pre-conflict Syria: a comparative spatial analysis' (2022) 12 *BMJ Open* <https://bmjopen.bmj.com/content/bmjopen/12/5/e059210.full.pdf> <شاهد في 3 نيسان / أبريل 2023>

¹⁰⁸² المرجع نفسه

¹⁰⁸³ <<https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/2022-humanitarian-needs-overview-syrian-arab-republic-february-2022>> (2022 فبراير 22، Reliefweb) UNOCHA, '2022 Humanitarian Needs Overview: Syrian Arab Republic' <شاهد في 3 نيسان / أبريل 2023>

¹⁰⁸⁴ UNHCR, 'Thousands fleeing fighting in northeast Syria' (مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 11 يناير 2019) <<https://www.unhcr.org/news/briefing-notes/thousands-fleeing-fighting-northeast-syria-unhcr>> <شاهد في 3 نيسان / أبريل 2023>

¹⁰⁸⁵ المرجع نفسه.

¹⁰⁸⁶ IOM and the Directorate for Survivors Affairs, 'Toward Comprehensive Rehabilitation: Mental Health Service Referral System Launched for Genocide Survivors in Iraq' (المنظمة الدولية للهجرة، 26 آذار/مارس 2023) <<https://iraq.iom.int/news/toward-comprehensive-rehabilitation-mental-health-service-referral-system-launched-genocide-survivors-iraq>> <شاهد في 5 تموز / يوليو 2023>

¹⁰⁸⁷ وفي الفترة من 25 أغسطس 2022 إلى 15 فبراير 2023، تم الإبلاغ عن 92,649 حالة مشتبّه بها من جميع المحافظات الأربع عشرة، بما في ذلك 101 حالة وفاة مرتبطة بها حتى الآن، بمعدل إماتة للحالات يبلغ 0.11%. المحافظات الأكثر تضرراً حتى الآن هي إدلب (27,863 حالة، 30%)، وحلب (22,123 حالة، 23.9%)، ودير الزور (20,671 حالة، 22.3%)، والرقة (17,578 حالة، 19%). انظر: UNOCHA and others, 'Whole of Syria Cholera Outbreak Situation Report No.13 Issued 28 February 2023' <<https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/whole-syria-cholera-outbreak-situation-report-no-13-issued-28-february-2023>> <شاهد في 5 تموز / يوليو 2023>

في 6 فبراير 2023 تأثير كبير على الاستجابة للكوليرا من خلال عرقلة الوصول إلى الخدمات، والحد من قدرة الشركاء، وتحويل التمويل المحدود أصلاً. كما أثر سلباً على الصحة النفسية للقوى العاملة.

وفي حين ساهمت عوامل متعددة في الأزمة الإنسانية الحالية - سواء كانت ديناميكيات الصراع أو عدم المساواة الجغرافية أو سوء إدارة الموارد - تشير الأبحاث إلى أن العقوبات الشاملة تعيق الاستجابة الإنسانية.¹⁰⁸⁸ وعلى الرغم من وجود استثناءات إنسانية للعقوبات، فإن المنظمات غير الحكومية الدولية تواجه باستمرار عقبات عندما تحاول تنفيذ مشاريعها.¹⁰⁸⁹

حاول المانحون الدوليون ومنظمات الإغاثة معالجة تحديات الصحة العامة في شمال شرق سوريا، بما في ذلك من خلال منتدى المنظمات غير الحكومية في شمال شرق سوريا، وهو هيئة التنسيق الأساسية للاستجابة الإنسانية التي تقدم الدعم لحوالي 40 منظمة إنسانية تنفذ برامج مساعدة كبيرة في المنطقة.¹⁰⁹⁰ ساهمت المساعدة الدولية المقدمة من منظمة الصحة العالمية واليونيسيف والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية المجتمعات المحلية في جميع أنحاء دير الزور والحسكة والرقعة في إعادة تأهيل العيادات الصحية، وتمويل القدرة على الاستثمار في تقنيات سلسلة التبريد الجديدة للاستجابة لتفشي الأمراض التي يمكن الوقاية منها باللقاحات مثل الحصبة، ومكافحة وباء كوفيد-19 في شمال شرق سوريا.¹⁰⁹¹

ومع ذلك، تظهر الأدلة الموجودة أن التنسيق غير الكافي بين مجتمع المساعدات الدوليّة والمنظمات غير الحكومية والجهات الفاعلة المحلية التي تشرف على النظم الصحية قد أثر بشكل كبير على صحة السكان.

المنهجية

سعى فريق البحث إلى تقييم الآثار الصحية والنفسية لسنوات حكم داعش والصراع اللاحق ضدّه في شمال شرق سوريا من خلال تسليط الضوء على أشكال الحرمان المتعددة التي تعرضت لها المنطقة من حيث الصحة العامة والضيق النفسي.

تم إجراء البحث على ثلاث مراحل متميزة: مراجعة مكتبية؛ تحديد واختيار مصادر المعلومات الرئيسية التي تغطي مجموعة واسعة من أصحاب المصلحة (بما في ذلك الحكومة والأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني والمصادر الأكاديمية والقطاع الخاص) في المناطق الجغرافية الست المختارة؛ وجمع البيانات الأولية يشمل المقابلات الفردية والجماعية مع الضحايا وغير الضحايا؛ ومصادر المعلومات الرئيسيين. تم ترتيب جمع البيانات والوصول إلى المجموعات المستهدفة والإشراف عليها من قبل مبادرة دفاع الحقوقية وشركائها على الأرض.

تم إعداد استبيانات المقابلات بالتعاون مع مبادرة دفاع الحقوقية من أجل الحصول على إجابات مباشرة وغير مباشرة مرتبطة بتجارب المستجيبين حول تأثير داعش على الخدمات الصحية والصحة النفسية. قامت مبادرة دفاع الحقوقية بتعيين مسؤول بحث محلي قدم الدعم في تحديد واختيار وإجراء المقابلات مع مصادر المعلومات الرئيسيين، والخدمات اللوجستية والتيسير الفعلي للبحث الميداني. هدفت المقابلات الفردية والجلسات الجماعية والمركزة إلى جمع تجارب الضحايا وغير

Grégoire Mallard and others, 'The Humanitarian Gap in the Global Sanctions Regime: Assessing Causes, Effects, and Solutions' (2022) 1088 *Global Governance: A Review of Multilateralism and International Organisations* <<https://doi.org/10.1163/19426720-02601003>> 26 شوهده

في 5 تموز / يوليو 2023.

¹⁰⁸⁹ في حين يتم استخدام مصطلحي "الاستثناءات" و"الإعفاءات" بالتبادل في العديد من المنشورات، إلا أن هناك فرقاً مهماً بينهما من الناحية القانونية. وفقاً للتعريف التالي: "يشير الاستثناء إلى بند يسمح للجهات الفاعلة الإنسانية بتقديم طلب للحصول على إذن للقيام بأنشطتها" في حين أن "الاستثناء هو حكم يوفر مساحة قانونية للجهات الفاعلة الإنسانية أو الأنشطة أو السلع ضمن تدابير العقوبات دون أي هناك حاجة إلى موافقة مسبقة. انظر: International Peace Institute, 'Safeguarding Humanitarian Action in Sanctions Regimes' (IPI)، يوليو / يونيو 2019) <https://www.ipinst.org/wp-content/uploads/2019/06/1906_Sanctions-and-Humanitarian-Action.pdf>

¹⁰⁹⁰ Kathryn Achilles and Matthew Hemsley, 'Aid in Limbo: Why Syrians deserve support to rebuild their lives' (أوكسفام ومجلس اللاجئين الدنماركي (أوكسفام، آذار / مارس 2019) <<https://oxfamlibrary.openrepository.com/bitstream/handle/10546/620630/bp-syria-recovery-120319-en.pdf>>. شوهده في 5 تموز / يوليو 2023.

¹⁰⁹¹ يأخذ المنتدى زمام المبادرة في التنسيق التشغيلي والمشارك بين القطاعات، وأعمال السياسات والمناصرة، والاتصال والمفاوضات مع السلطات المحلية، والتمثيل الخارجي من خلال هيكل التنسيق في سوريا وكذلك مع الجهات المانحة وأصحاب المصلحة الرئيسيين الآخرين. نظراً للترتيبات الفريدة داخل شمال شرق سوريا، يعد المنتدى الهيئة الرئيسية للمناصرة المواضيعية نيابة عن المنظمات غير الحكومية بشأن العواقب البيروقراطية (على سبيل المثال، الإحالات الطبية)، والوثائق التشغيلية التي تتطلبها السلطات (على سبيل المثال، إجراءات التسجيل)، وعمليات نقل النازحين داخلياً والقيود المفروضة بسبب فيروس كورونا، وغيرها من القضايا التي تؤثر على الاستجابة.

¹⁰⁹¹ UNICEF & GAVI Alliance, 'Solar and Mains Powered Vaccine Refrigerators and Freezers: Industry' (يونيسف 17 آذار / مارس 2022) <<https://www.unicef.org/supply/media/11611/file/cold-chain-industry-consultation-march-2022.pdf>> شوهده في 3 نيسان / أبريل 2023.

الضحايا في المناطق المتضررة من داعش. شملت المقابلات كلا من الضحايا وغير الضحايا؛ موظفو المنظمات غير الحكومية الوطنية المشاركون في دعم/تدريب مقدمي الخدمات أو المجموعات المحلية في مجال الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي؛ منظمة الصحة العالمية؛ أقسام الإدارة الذاتية؛ ومنظمات المجتمع المدني الشريكة. وقد استخدمت مبادرة دفاع الحقوقية دليلاً ميدانياً محدداً للمقابلات لتسهيل قول الحقيقة وتقديم الدعم النفسي والاجتماعي للضحايا. وقد استند إلى: (أ) بروتوكول الموافقة المستنيرة الذي يستخدمه جميع الموظفين المسؤولين عن التعداد؛ (ب) المشاركة الطوعية في عملية المقابلة؛ و (ج) أساليب وتقنيات إجراء المقابلات الحساسة للصدمة.¹⁰⁹²

تم استخلاص التعريفات والمعايير التقنية الخاصة بالصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي من المصادر التالية: هـم اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات للمبادئ التوجيهية لتدخلات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي¹⁰⁹³ الخاصة بدليل التدخل الإنساني لبرنامج سد الثغرات في ميدان الصحة النفسية التابع لمنظمة الصحة العالمية،¹⁰⁹⁴ ومعايير جودة الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي المجتمعية لليونسيف في الأوضاع الإنسانية،¹⁰⁹⁵ والمذكرة الفنية للصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي،¹⁰⁹⁶ وكذلك دليل الدعم النفسي والاجتماعي للأطفال خلال فترة كوفيد-19.¹⁰⁹⁷ كما تم استخدام نظام تسجيل تأثير مقياس الحدث المنقح (IES-r) في المقابلات الفردية المعمقة للضحايا.¹⁰⁹⁸ تم الاسترشاد في تصميم الاستبيان بأدلة الاستبيان للعمل الميداني التي تم توفيرها من خلال برنامج الصحة الثالث للاتحاد الأوروبي (2014-2020).¹⁰⁹⁹ تم إجراء أسئلة المقابلات مع الضحايا بواسطة مبادرة دفاع الحقوقية استناداً إلى مفهوم "الذكريات الخاطفة"،¹¹⁰⁰ والتي تفترض أن الأحداث الكبرى، مثل المآسي الطبيعية أو الأحداث المؤلمة، يجب أن يتم تذكرها بشكل واضح وموثوق، وأن هذه الأحداث تثير ذكريات الشخص المعني. الحدث الرئيسي على المدى الطويل، ولكن أيضاً ذكريات الظروف الشخصية الأخرى من وقت الحدث.

بحثت المقابلات الفردية للضحايا (المستجيبون من المجموعة الأولى) في التأثير الصحي الناجم عن الصدمات والعنف والحرمان الناجم عن التعرض المباشر أو غير المباشر لداعش. تم تسجيل السمات الشخصية الفردية والحوادث الرئيسية وتفصيل الصحة النفسية والضيق النفسي مع حساب استراتيجيات التكيف الشخصية / العائلية. تم تصنيف انتهاكات حقوق الإنسان إلى عدة فئات: مصادرة/تدمير الممتلكات والمواقع الثقافية؛ قتل؛ اختطاف؛ احتجاز؛ الاعتقال التعسفي؛ تعذيب؛ العنف الجنسي؛ مجزرة؛ الأشغال الشاقة؛ التجنيد القسري للجنود/الجنود الأطفال؛ الزواج القسري؛ الدعارة القسرية؛ الاتجار

¹⁰⁹² Sara Ferro Ribeiro & Danaé van der Straten Ponthoz, 'International Protocol on the Documentation and Investigation of Sexual Violence in Conflict' (الأمن المتحدة، آذار/مارس 2017) <https://www.un.org/sexualviolenceinconflict/wp-content/uploads/2019/06/report/international-protocol-on-the-documentation-and-investigation-of-sexual-violence-in-conflict/International_Protocol_2017_2nd_Edition.pdf> شوهد في 5 تموز / يوليو 2023

¹⁰⁹³ Inter-Agency Standing Committee, 'IASC Guidelines on Mental Health and Psychosocial Support in Emergency Settings' (اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات، 2008) <<https://interagencystandingcommittee.org/system/files/Checklist%2520for%2520field%2520use%2520IASC%2520MHPSS.pdf>> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹⁰⁹⁴ WHO, 'Doing What Matters in Times of Stress: An Illustrated Guide' (منظمة الصحة العالمية، 2020) <<https://apps.who.int/iris/bitstream/handle/10665/331901/9789240003910-eng.pdf>> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹⁰⁹⁵ UNICEF, 'UNICEF Operation Guidelines: Community-based mental health and psychosocial support in humanitarian settings' (MHN, 2018) <<https://www.mhinnovation.net/resources/unicef-operational-guidelines-community-based-mental-health-and-psychosocial-support>> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹⁰⁹⁶ Zeinab Hijazi and others, 'Mental Health and Psychosocial Technical Note' (UNICEF, n.d.) <<https://www.unicef.org/media/73726/file/UNICEF-MH-and-PS-Technical-Note-2019.pdf>> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹⁰⁹⁷ Childline & UNICEF, 'Psychosocial Support for Children during COVID-19: A Manual for Parents and Caregivers' (UNICEF, n.d.) <<https://www.unicef.org/india/media/3401/file/PSS-COVID19-Manual-ChildLine.pdf>> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹⁰⁹⁸ Daniel S. Weiss, 'The Impact of Event Scale: Revised' in John P. Wilson & Catherine So-kum Tang (eds) *Cross-Cultural Assessment of Psychological Trauma and PTSD* (2007) <https://link.springer.com/chapter/10.1007/978-0-387-70990-1_10> شوهد في 5 تموز / يوليو 2023

¹⁰⁹⁹ Stavroula Leka and Aditya Jain, 'EU Compass for Action on Mental Health and Well-Being: Mental Health in the Workplace in Europe' (المجلس الأوروبي، 2018) <https://health.ec.europa.eu/system/files/2017-06/2017_workplace_en_0.pdf>

¹¹⁰⁰ William Hirst and Elizabeth A. Phelps, 'Flashbulb Memories' (2016) 25 *Current Directions in Psychological Science* <<https://journals.sagepub.com/doi/pdf/10.1177/0963721415622487>> شوهد في 5 تموز / يوليو 2023 ; Oliver Luminet & Antonietta Curci (eds.)

Flashbulb Memories: New issues and new perspectives (مطبوعة علم النفس، 2009) ; Sandro Galea and others, 'Psychological sequelae of the September 11 terrorist attacks in New York City' (2002) 346 *Journal of Interpersonal Violence* ; William Hirst and others, 'A ten-year follow-up of a study of memory for the attack of September 11, 2001: Flashbulb memories and memories for flashbulb events' (2015) 144 *Journal of Experimental Psychology: Applied*

التجريبي: عام.

بالبشر؛ النقل القسري والتجهيز؛ وأخيراً، عرقلة حرية التعبير/التجمع. استهدفت معايير الإدراج ضمن المجموعة الأولى الضحايا كمصادر معلومات رئيسيين، بما في ذلك المراهقين.

الجدول 1: أسئلة استكشافية عامة

1	كيف أثرت تجربة العنف الشديد الذي مارسه تنظيم داعش على الحالة الصحية والصحة النفسية للأفراد والمجتمعات في شمال شرق سوريا؟
2	ما هي حالات الصحة النفسية المحددة التي ظهرت نتيجة التعرض للعنف، وكيف تعامل الناس مع هذه الظروف؟
3	كيف تأثر الوصول إلى خدمات الصحة النفسية بالنزاع، وما هي التحديات التي نشأت خلال تقديم هذه الخدمات إلى المحتاجين؟
4	كيف دعمت الأسر والمجموعات المجتمعية الأفراد الذين يتعاملون مع حالات الصحة النفسية وما تأثير هذا الدعم على الأفراد؟
5	ما هي التدخلات والعلاجات الأكثر فعالية لمعالجة قضايا الصحة النفسية في المجتمعات في شمال شرق سوريا المتضررة من العنف الشديد؟
6	ما هي الطرق التي أثرت بها المعتقدات الثقافية والدينية على فهم وعلاج حالات الصحة النفسية في شمال شرق سوريا، وكيف يمكن معالجتها بشكل فعال؟
7	كيف أثر حكم داعش على الوصول إلى سبل العيش والموارد للأفراد المتضررين من حالات الصحة النفسية، وما الخطوات التي يمكن اتخاذها لضمان حصول هؤلاء الأفراد على فرص التعليم والعمل؟
8	ما هي السياسات والبرامج المحددة التي ينبغي تنفيذها لتلبية احتياجات الصحة النفسية للأفراد والمجتمعات المتضررة من العنف الشديد في شمال شرق سوريا؟

تضمنت المقابلات مع مصادر المعلومات الرئيسيين (المستجيبون من المجموعة الثانية) سبعة أسئلة تتعلق بالتأثير على أنظمة وخدمات الصحة العامة وخمس عشرة سؤالاً سلساً حول مستويات الوعي والوصول إلى خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي وآليات الإحالة؛ الفجوات والعوائق التي تحول دون الوصول إلى خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي والمتطلبات الخاصة للتدخلات؛ الأساليب المفضلة لتلقي المعلومات ورسائل التوعية؛ وأخيراً، العوائق التي تحول دون التحسين والمساءلة. استهدفت معايير الإدراج ضمن المجموعة الثانية غير الضحايا كمصادر معلومات ثانويين مطلعين.

الجدول 2: أسئلة لمصدر المعلومات الرئيسيين حول تأثيرات الصحة العامة والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي

الصحة العامة	
1	كيف أثر وجود داعش على البنية التحتية للرعاية الصحية في شمال شرق سوريا؟
2	ما هو تأثير نزوح الأشخاص على نتائج الصحة العامة في مناطق معينة (على سبيل المثال، من خلال زيادة حالات الإصابة بالأمراض، أو عدم إمكانية الوصول إلى الأدوية الأساسية)؟
3	ما هي التحديات التي يواجهها مقدمو الرعاية الصحية (العاملون) في مجال خدمات الرعاية الصحية الأولية في المناطق التي كانت تحت سيطرة داعش سابقاً؟
4	كيف أدى الصراع إلى تعطيل تقديم الرعاية الطبية الطارئة والإحالات، وخدمات إدارة الأمراض المزمنة، وإمدادات الأدوية؟
5	هل واجهت النساء مشاكل في الوصول إلى الخدمات الأساسية المتعلقة بالصحة الإنجابية وصحة الأم والوليد والطفل؟ (على سبيل المثال، هل يمكن مساعدة النساء قبل وأثناء المخاض والولادة من قبل عامل

	صحي؟ هل يمكن للنساء الحصول على أي رعاية توليدية طارئة في حالة الحاجة؟)
6	هل حدث انخفاض في التغطية التطعيمية أو غيرها من التدابير الصحية الوقائية بسبب سيطرة داعش على مناطق معينة؟
7	ما هي الجهود التي تم بذلها لتوفير الخدمات الصحية الأساسية لمعالجة الفجوات في الصحة العامة في المناطق التي كانت تحت سيطرة داعش سابقاً بعد حكم داعش؟
الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي	
1	ما هي تجربتك المباشرة مع تأثير داعش على الاحتياجات الصحية والحماية للأشخاص المتضررين من العنف في شمال شرق سوريا؟
2	ما هي الأولويات الرئيسية التي يجب معالجتها من خلال تدخلات الصحة العامة والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في شمال شرق سوريا؟
3	كيف تحدد احتياجات الدعم النفسي والاجتماعي في شمال شرق سوريا بعد داعش؟ (على سبيل المثال، ما هي أهمية الدعم النفسي والاجتماعي للضحايا والمجتمعات على نطاق أوسع؟)
4	هل تجسّد المشاريع/التدخلات الصحية والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي الحالية في شمال شرق سوريا تحليلاً استراتيجياً؟
5	هل تعالج المشاريع/التدخلات الصحية والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي الحالية في شمال شرق سوريا الاحتياجات الفعلية لتعزيز الرعاية الصحية الأولية والنظام الصحي؟
6	هل توجد مبادرات تواصل لتلبية الوعي الصحي والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي لضحايا تنظيم داعش والمجموعات المسلحة الأخرى؟
7	ما هي التحديات الثلاثة الرئيسية في مجال الصحة العامة والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي فيما يتعلق بدعم الضحايا في شمال شرق سوريا؟
8	ما هي أنجح تدخلات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي المقدمة لضحايا الصدمات في شمال شرق سوريا؟ ما هو التدخل الذي ينجح/نجح ولماذا؟
9	هل تم استبعاد احتياجات بعض الضحايا أو المجموعات المستهدفة المحتملة من تدخلات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي، أم أن تلك الاحتياجات لم يتم تلبيتها؟
10	هل تتبع تدخلات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي الحالية مساراً محدداً أو خط إحالة الحالة؟
11	هل توجد أنشطة لبناء قدرات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي لمقدمي الخدمات (مثل تدريب الدعم النفسي الاجتماعي للأطباء والممرضات والأخصائيين الاجتماعيين والمجتمعيين)؟ ومن هو المسؤول عنها؟
12	هل تشارك/ شاركت في بناء قدرات الدعم النفسي والاجتماعي المباشر؟ ما هي نقاط القوة والتحديات في أساليب التدريب على الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي ومحتواها ومراقبتها؟
13	ما هي التدخلات التي ينبغي تنفيذها في المستقبل القريب بتوجيه من فرق عمل الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في سوريا؟ ما الذي يجب تركه؟
14	ما هي العوائق أو المخاطر المحتملة التي تتوقعها عند تفعيل الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في المستقبل القريب؟
15	ما هو النهج أو الطريقة التي يجب اتباعها من أجل زيادة الوعي بالصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في شمال شرق سوريا؟

أجرى فريق البحث عشر مقابلات فردية مع الضحايا وستة مقابلات فردية مع مصادر معلومات رئيسيين إما شخصياً أو عبر الإنترنت في أحد المواقع ضمن كل منطقة تم اختيارها. تم إجراء المقابلات في مجموعات متجانسة من سكان التجمعات السكنية، أماكن سكن / مخيمات النازحين أو ضمن مجموعات العائدين، وأشخاص محددين من ذوي الإعاقة، ومجموعات / جمعيات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي، وأفراد المجتمع للحصول على آراء ووجهات نظر وتجارب متعمقة للبالغين المستضعفين والشباب.

تم النظر في الاعتبارات الأخلاقية المهمة عند تخطيط المسح/الاستبيان وتنفيذه. تتطلب طبيعة الموضوع التركيز بشكل خاص على قضايا السلامة والسرية لأن الصحة الجسدية والنفسية لكل من المشاركين والباحثين يمكن أن تكون معرضة للخطر إذا لم يتم معالجة هذه القضايا بشكل مناسب. تم إخفاء هوية جميع المصادر طوال الفصل. كما تم التأكيد على سرية المعلومات: حيث تم التعامل مع جميع الوثائق ومواد البحث الميداني على أنها سرية واستخدمت فقط لتسهيل التحليل.

الموجودات

يوضح القسم التالي النتائج الرئيسية المتعلقة بتأثير داعش على الصحة العامة والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي بالإضافة إلى فجوات الاستجابة الناتجة التي تم تحديدها من خلال المقابلات التي أجريت في المناطق الجغرافية الست المختارة في شمال شرق سوريا. يتم عرض النتائج من خلال ثلاثة أقسام: (1) الصحة العامة والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي أثناء وبعد حكم داعش؛ (2) البعد الإنساني في شهادات الضحايا؛ و(3) الصحة النفسية والدعم النفسي والاجتماعي. بناءً على روايات الضحايا والمخبرين، يقدم الاستنتاج بعد ذلك عدة اقتراحات لتوجيه عملية تستشرف المستقبل لتحسين الوصول والتغطية والسلامة في الخدمات الصحية وخدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي ضمن الاستجابة الإنسانية في شمال شرق سوريا.

الصحة العامة والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي أثناء وبعد حكم داعش

لا يزال الصراع ديناميكيًا في سياق ما بعد الصراع المزعوم. إن حد التحديات الرئيسية لتحقيق الاستقرار والتعافي بعد الصراع في شمال شرق سوريا هو التعرف على الهياكل التي ساهمت في صعود داعش والصراع العنيف للإطاحة به وتغييرها.

تظهر البيانات والمعلومات من الميدان أنه كلما طال أمد الصراع العنيف، كلما زاد مدى تحوله في طبيعة التفاعلات السياسية والاقتصاد والمجتمع في المنطقة. وقد يصبح هذا النوع من النظام مستدامًا ذاتيًا إذا لم تتم معالجة الظروف ذات الأهمية الخاصة لتحسين الوضع الصحي والأمن الغذائي والمصالحة. ولا تزال العقبات التي تعترض تنفيذ التدخلات الفعالة تتمثل في المخاطر الأمنية ونفشي الأمراض والأمراض والمواقف (السلوكيات) والوصم المرتبط بالصحة النفسية والضائقة النفسية والاجتماعية والتمويل المنخفض.

التأثيرات على نظام الصحة العامة

كان تأثير داعش على البنية التحتية للرعاية الصحية في شمال شرق سوريا عميقًا. خلال فترة حكمه للمنطقة، حاول التنظيم إعادة صياغة نظام الرعاية الصحية من أجل مواجهة أنماط الرعاية الصحية "الغريبة". قام التنظيم بتقييد ومراقبة عمل الأطباء والطبيبات بشكل كبير (وتقييد الاختلاط الجندري بين الطاقم الطبي و/أو الطاقم الطبي والمرضى) وكثيرًا ما استخدم البنية التحتية للرعاية الصحية لأغراض عسكرية أو قمعية.

وكانت هذه التأثيرات واضحة في جميع قطاعات الرعاية. أفاد أحد العاملين في الحماية، على سبيل المثال، كيف حدث ذلك في العديد من المناطق التي يسيطر عليها داعش:

تم رفض أي خيار لحالات السرطان التي تحتاج إلى متابعة في المستشفيات المتخصصة وقسرة القلب وغيرها من جراحات القلب. كما احتكر [داعش] توفير الأدوية وحصرها في أشخاص محددين غير متخصصين في مجال الدواء، مما أدى إلى حالة من الفوضى الدوائية، ونقص كبير في أدوية الأمراض المزمنة.¹¹⁰¹

1101 المرجع نفسه.

لاحظ عامل صحي آخر تمت مقابلته أنه تم فرض قيود صارمة على أي حالة طبية تتطلب العلاج خارج المناطق التي يسيطر عليها داعش:

وتم استيراد العديد من الأدوية ذات الجودة المنخفضة بسبب غياب الرقابة الصحية والأدوية، مما سمح للعديد من الأفراد ذوي الخبرة الصيدلانية القليلة بفتح الصيدليات وبيع الأدوية بشكل عشوائي. وأدى ذلك إلى العديد من المضاعفات والإصابات الطبية نتيجة لأخطاء طبية خطيرة للغاية. ومن الأمور السخيفة للغاية التي شاهدها مرارًا وتكرارًا، بيع الأدوية في المتاجر والبقالات، وخاصة المسكنات ومضادات الالتهاب.¹¹⁰²

تم تحويل العديد من المراكز الصحية إلى مقار عسكرية ومقرات خدمية، مما جعلها عرضة للقصف والدمار بمجرد تصاعد الصراع ضد داعش بعد عام 2014. ذكر منسق الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي التابع لمنظمة الصحة العالمية ما يلي:

لقد تم تدمير المرافق أو هجرها، مما منع المستفيدين من الوصول إلى الرعاية الصحية. لقد انهار النظام الصحي ولم يكن هناك تنسيق مناسب بشأن تقديم الرعاية الصحية على الرغم من أن خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي لم يكن لها أثر ثابت.¹¹⁰³

في الرقة، التي كانت ذات يوم عاصمة لداعش، قال مدير مشروع لمنظمة حماية / دعم نفسي اجتماعي محلية غير حكومية:

وكان تنظيم داعش قد حول عددًا كبيرًا من [المرافق الصحية] إلى مستشفيات ميدانية لعناصره أو مقرات عسكرية، مما أثر سلبيًا على الرعاية الصحية المقدمة للأهالي. على سبيل المثال، تم تدمير المستشفى الوطني في مدينة الرقة بشكل كامل. وتعرض مستشفى الأطفال في المدينة لتدمير جزئي، ما أدى إلى خروجه عن الخدمة. توقفت العيادات الريفية مثل مستشفى [الكرامة]، الذي كان يقدم خدمات الرعاية الأولية لريف مدينة الرقة الشرقي (من منطقة تمتد من قرية الحمراء إلى منطقة الجزيرة)، عن تقديم الخدمات بسبب - نقص العمالة الماهرة وعدم توفر الأدوية.¹¹⁰⁴

وفي الوقت نفسه، لاحظ أحد العاملين الصحيين التابعين لمنظمة غير حكومية كيف أنه "قبل انسحاب داعش من العديد من المناطق، قاموا بتفخيخ معظم المرافق الخدمية التي اعتادوا [استخدامها] كمعقل لهم، بما في ذلك المراكز الصحية".¹¹⁰⁵ وبعد انسحاب داعش، تمكنت الفرق المتخصصة من تفكيك العيوات النافسة أو تفجيرها بعد إخلاء المناطق السكنية المجاورة. وأضاف موظف المنظمة غير الحكومية أنه حتى في ذلك الوقت، قام داعش أيضًا بتحويل بعض المراكز الصحية إلى مرافق احتجاز وأنه من خلال "تغيير هيكل المباني (تحويل العديد من الغرف إلى زنازين فردية)، [لقد جعلوها غير مناسبة للاستخدام كـ [مراكز صحية]] دون إعادة التأهيل لاحقة".¹¹⁰⁶ بالرغم من أن فريق البحث جمع أدلة على الدعم الموسع لإعادة تأهيل المستشفيات في حلب ودير الزور وتزويد المراكز الصحية الأولية في جميع أنحاء شمال شرق سوريا بالإمدادات الحيوية.¹¹⁰⁷ أدت فترة حكم داعش والحرب ضده إلى تدمير الخدمات الحيوية، بما في ذلك الوصول إلى الكهرباء والمياه، مما حد من فرص قدرة المجتمعات المحلية على كسب لقمة العيش في مرحلة ما بعد داعش. وفقًا لمنسق الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي التابع لمنظمة الصحة العالمية:

¹¹⁰² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، عامل في منظمة غير حكومية.

¹¹⁰³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، منسق مجموعة العمل التقنية للصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في منظمة الصحة العالمية.

¹¹⁰⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مدير مشروع حماية / دعم نفسي اجتماعي منظمة محلية غير حكومية في الرقة.

¹¹⁰⁵ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، موظفة في مشروع حماية / دعم نفسي اجتماعي منظمة محلية غير حكومية في شمال شرق سوريا

¹¹⁰⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، موظف في مشروع حماية / دعم نفسي اجتماعي منظمة محلية غير حكومية في شمال شرق سوريا

¹¹⁰⁷ وتضمنت الإمدادات الحيوية المقدمة إلى المراكز الصحية الأولية، على سبيل المثال، مكثفات الأكسجين لمكافحة جائحة كوفيد-19. انظر: WHO, 'Syrian Arab Republic: EWARS Weekly Epidemiological Bulletin, 2021 Week 48 (28 November - 4 December)' (WHO, December 2021) <https://www.emro.who.int/images/stories/syria/EWARS-bulletin_Syria_21W48.pdf?ua=1>، شوهدي في 5 تموز / يوليو 2023.

عندما انتهى [حكم] داعش في غرب محافظة دير الزور [...] في شباط / فبراير 2017، واجهت المجتمعات تحدي إعادة البناء وكسب العيش [في نفس الوقت]، وفي كثير من الأحيان لم يكن من الممكن معالجة مشاكلهم الصحية.¹¹⁰⁸

وفي أحد الأمثلة المحلية على آثار التدمير طويلة المدى، بعد أن قام تنظيم داعش بتخريب أربعة آبار يستخدمها مربو الماشية في غرب دير الزور، أفاد عضو في لجنة الزراعة المحلية أنه حتى بعد انسحاب داعش، كانت "الإدارة العامة المحلية للزراعة وقسم رعاية الحيوان على علم بالمشكلة، ولكن لم يكن لديها القدرة المادية لإعادة تأهيل هذه الآبار.¹¹⁰⁹

وكان لهذه القضايا آثار صحية. في الرقة، استمر انتشار مشاكل الصرف الصحي والصرف الصحي، التي أبلغت عنها منظمة REACH في شباط / فبراير 2019، في الارتفاع، مما أثار تحذيرات من أنها "قد تكون لها آثار صحية خطيرة على السكان، خاصة في أشهر الصيف الأكثر دفئاً عندما يكون تكاثر ناقلات الأمراض ووجودها أكبر"¹¹¹⁰ - وهو بيان تنبؤي في ذلك الوقت، بالنظر إلى الأدلة الحالية التي تشير إلى وجود علاقة سببية بين نقص الصرف الصحي/إمدادات المياه وتفشي الكوليرا الذي أعقب ذلك.

كما خلقت عمليات النزوح تحديات. في مرحلة ما بعد داعش، بين كانون الأول/ديسمبر 2018 وأذار/مارس 2019، تم نقل أعداد كبيرة من النازحين واللاجئين من آخر معقل لداعش في جنوب شرق دير الزور (حول الباغوز) إلى مخيمات ومواقع غير رسمية كبيرة في شمال شرق سوريا. بدأت العمليات العسكرية التي شنتها تركيا والجيش الوطني السوري المدعوم من تركيا في أكتوبر 2019، ونتيجة لذلك، تم نقل سكان المخيمات في عين عيسى ومبروكه بعيداً عن المنطقة الحدودية إلى أبو خشب ومحمودلي على التوالي؛¹¹¹¹ كما شهدت المخيمات الأخرى تغييراً كبيراً. وأفادت التقارير أن مخيمي أبو خشب ومنبج الشرقي الجديد يفتقران إلى مرافق طبية دائمة.

وبالمثل، فإن الطواقم الطبية الفارين من الاضطهاد أو العنف المرتبط بالنزاع أو سياسات الرعاية الصحية التعجيزية والخائفة التي يتبعها تنظيم داعش (والتي سيتم استكشافها في القسم التالي) غادروا البلاد أثناء حكم داعش وبعده، مما أدى إلى تفاقم هجرة العقول الموجودة من المنطقة. لخص مسؤول الدعم النفسي والاجتماعي بمنظمة الصحة العالمية التأثير المنهجي الذي لا يزال حكم داعش يحدثه على المناطق التي كانت تحت سيطرة داعش سابقاً، مشيراً إلى أنه في شمال شرق سوريا الآن "لا توجد شهادات للمتخصصين الحاليين، ولا توجد هيئات متخصصة لاعتماد الموظفين [الجدد]" ولا توجد ضوابط للجودة تنفذها الحكومة السورية.¹¹¹²

ومع ذلك، لا تزال العوائق التي تعترض الرعاية الصحية قائمة حتى الآن في جميع المجالات، حيث تمثل التكلفة العالية للرعاية ونقص الأدوية أكثر العوائق المبلغ عنها.¹¹¹³ في أحد مشافي دير الزور، لا تزال معدلات بقاء الأطفال حديثي الولادة على قيد الحياة معرضة للخطر بسبب نقص معدات التعقيم وقلة توفير الأكسجين العلاجي كما ورد في وحدة العناية المركزة لحديثي الولادة،¹¹¹⁴ ويرجع ذلك جزئياً أيضاً إلى الأضرار والدمار واسع النطاق المرتبط بالنزاع، استمرت القيود المفروضة على الوصول والحركة لكل من السكان والجهات الفاعلة الإنسانية في العديد من المناطق الحضرية أو شبه الحضرية في دير الزور ومنبج والرقة. على سبيل المثال، أفادت المقابلات التي أجريت في سبعة عشر وحدة من وحدات

¹¹⁰⁸ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في منظمة الصحة العالمية.

¹¹⁰⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، تم إخفاء هويته.

¹¹¹⁰ 'REACH, 'Situation Overview: Area-Based Assessment of Ar-Raqqa City, June 2019' (مبادرات IPACT، 2019) <https://www.impact-repository.org/document/reach/cf847da2/reach_syr_situationoverview_raqqa_aba_june2019.pdf> شوه في 5 تموز / يوليو 2023.

¹¹¹¹ REACH, 'Camp and Informal Site Profiles – Overview, northeast Syria, October 2019' (Reliefweb، 31 تشرين الأول / أكتوبر 2019) <<https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/camp-and-informal-site-profiles-northeast-syria-october-2019>> شوه في 5 تموز / يوليو 2023.

¹¹¹² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول الدعم النفسي والاجتماعي في منظمة الصحة العالمية.

¹¹¹³ المرجع نفسه.

¹¹¹⁴ المرجع نفسه.

التنمية والتنسيق أن نصف أو أقل من النصف (26-50٪) من الأسر التي لديها أحد أفراد الأسرة في حاجة إلى العلاج كانت قادرة على تلقي هذا العلاج في الأسبوعين السابقين لجمع البيانات.

إن قضايا الوصول إلى المستويات المناسبة من الرعاية، و"استمرارية الرعاية"، وعدم كفاية الاهتمام بالأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، واستمرارية إمداد الأدوية الأساسية، كلها أمور تستحق الاهتمام. والقيود المفروضة على حرية حركة المرضى المحتملين ليست جديدة.¹¹¹⁵

تؤثر المخاوف الرئيسية والمواضيع الشاملة على جميع جوانب وقطاعات الرعاية الصحية في شمال شرق سوريا. ويلزم معالجة بعض هذه التحديات بطريقة عاجلة ومستدامة من خلال جدول أعمال لتحسين جودة القطاع، وهو ما اقترحه منظمة الصحة العالمية وأعضاء مجموعة الصحة.¹¹¹⁶ والعديد من هذه العوامل لا يقتصر على قطاع الصحة؛ حيث أنها أيضًا مشاكل أوسع تواجه المجتمعات في شمال شرق سوريا - ولكن لا يزال لهذه المشاكل آثار غير مباشرة يمكن أن تزيد من إحباط الجهود المبذولة لتطوير نظام رعاية صحية في شمال شرق سوريا ملتزم بالإنصاف والجودة والنزاهة مع التركيز بشكل خاص على الصحة العامة والرعاية الصحية الأولية.

اتخذت الإدارة الذاتية لشمال شرق سوريا خطوات مهمة لإنشاء مؤسسات في كافة المجالات الخدمية، بما فيها القطاع الصحي، منذ انهيار تنظيم داعش. على سبيل المثال، تشير الأدلة إلى أن الإدارة الذاتية أنشأت أو أعادت فتح أكبر عدد ممكن من المرافق الصحية (بما في ذلك مستشفى الرقة للأطفال) بالتنسيق مع المنظمات غير الحكومية الدولية والجمعيات المحلية في محاولة لسد فجوات الخدمات؛ وفي الوقت نفسه، قام فريق البحث بجمع روايات عن الخطوات الكبيرة التي اتخذتها السلطات المحلية والمنظمات غير الحكومية في مساعدة المجتمعات التي كانت تحت سيطرة داعش سابقًا في أنشطة تشمل إزالة الأنقاض، وترميم شبكات المياه والكهرباء، وإعادة تأهيل نظام الصرف الصحي، وتجديد المراكز المجتمعية والثقافية، وتجديد المدارس. يتمثل التحدي الرئيسي الذي تواجهه الإدارة الذاتية وشركاءها في الاستخدام الفعال لجميع الموارد النادرة على أي حال - سواء في القطاعين العام أو الخاص (سواء كان ذلك ربحي أو تطوعي) - وتركيز الجهود بشكل استراتيجي على تنفيذ برنامج الصحة العامة. لا سيما في المناطق المحرومة والمناطق التي تعاني من نقص في الخدمات والتي كانت في السابق تحت سيطرة داعش.

وقد اتخذ المجتمع الدولي خطوات لمعالجة التحديات المحددة والأكثر شمولية. تأسس الصندوق التمولي الإقليمي للاتحاد الأوروبي¹¹¹⁷ - المعروف أيضًا باسم صندوق مدد - في عام 2014 لدعم الأطفال من سوريا والمجتمعات المحلية وتحسين وصولهم إلى الخدمات الأساسية مثل التعليم والرعاية الصحية، والمياه والصرف الصحي والحماية. بدأ الشركاء نهجًا تعاونيًا من خلال تسهيل المشاورات بين السكان وممثلي الحكومة المحلية لتحديد الأولويات، مما أدى إلى زيادة تقديم الخدمات ومشاريع البنية التحتية التي تلبي احتياجات المجتمع.¹¹¹⁸ وفقًا لأحد مصادر المعلومات الرئيسيين: إن إنشاء خدمات الرعاية الصحية الأولية في المناطق ذات البنية التحتية الصحية المحدودة، وتوفير المعدات لمراقب العزل، وتعزيز الممارسات الفعالة للوقاية من العدوى ومكافحتها، كان مستحيلًا دون إدراك الجهات المانحة لأهمية التنقيف المجتمعي بالمخاطر والمشاركة فيها.¹¹¹⁹

¹¹¹⁵ أشارت مصادر المعلومات الرئيسية إلى أن العديد من النساء في المناطق التي كانت تحت سيطرة داعش سابقًا توفين أثناء الولادة أو بعد الولادة (غالبًا على الحدود مع المناطق الواقعة خارج سيطرة داعش) بسبب الفشل في توفير الرعاية التوليدية الطارئة اللازمة وعدم القدرة على تلقي المساعدة الطبية بدون الحصول على موافقة السلطات العليا ووجود الضامن. وأوضح أحد عمال الحماية المحليين كيف كانت هذه القواعد تهدف إلى "ضمان عودة المريض خلال فترة زمنية معينة، وإلا فإنه يواجه عقوبات شديدة، وحتى الإعدام في بعض الأحيان". مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، عامل في مجال الحماية/الدعم النفسي والاجتماعي في منظمة غير حكومية محلية.

¹¹¹⁶ WHO, '2023 Prioritisation Health Sector Syria Coordination' (عرض منظمة الصحة العالمية، 2 آذار/مارس 2023) <<https://docs.google.com/presentation/d/1UJ1W2CT5fYHnRkQj3S6D348voo14UEjD/edit#slide=id.p5>> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023 ; UNOCHA, 'Humanitarian Update Syrian Arab Republic - Issue 11 | April 2023', Reliefweb, 1 حزيران / يونيو 2023 <<https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/humanitarian-update-syrian-arab-republic-issue-11-april-2023>> شوهد في 5 تموز / يوليو 2023.

¹¹¹⁷ European Commission, 'EU Regional Trust Fund in Response to the Syrian Crisis (n.d.)' <https://trustfund-syria-region.ec.europa.eu/index_en> شوهد في 5 تموز / يوليو 2023.

¹¹¹⁸ USAID, 'Syria: Country Profile' (8 آب / أغسطس 2022) <https://www.usaid.gov/sites/default/files/2022-08/USAID_Syria_Country_Profile_2022.pdf> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹¹¹⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول الدعم النفسي والاجتماعي في منظمة الصحة العالمية

ومع ذلك، فإن نقص التمويل قد يعرض التقدم الذي تم تحقيقه حتى الآن للخطر. وحتى يومنا هذا، ومن المثير للقلق، أن الجهات المانحة قدمت ما يزيد قليلاً عن 11% من مبلغ 5.41 مليار دولار الذي طلبته الأمم المتحدة لمساعدة السوريين بشكل كافٍ في عام 2023¹¹²⁰.

على الرغم من الخطوات التي اتخذتها الإدارة الذاتية والشركاء الدوليون بالفعل، أفاد أفراد المجتمع والمسؤولون عن عدم وجود هيكل نظام صحي عقلائي وخدمات طبية يمكن أن تضمن الوصول العادل والتغطية في العديد من المناطق.¹¹²¹

الآثار على مقدمي الخدمات الصحية

واجه جميع مقدمي الخدمات الصحية تحديات رئيسية في تقديم خدمات الرعاية الصحية الأساسية في المناطق الخاضعة لسيطرة داعش، وهو الأمر الذي ناقشه العديد من مصادر المعلومات الرئيسيين خلال المقابلات.

أولاً، لاحظ مدير الحماية في الرقة كيف أثرت هجرة ونزوح العديد من العاملين في المجال الصحي على وضع الخدمات الصحية في شمال شرق سوريا. وفي ظل المعايير الثقافية التي تفرض على الطبيبات (ولا يحظر الذكور) تقديم الخدمات للنساء، أدى النقص الناتج في عدد العاملين في مجال الصحة إلى فجوات في الخدمة. وبحسب ما ورد لم تكن هناك طبيبات متخصصات في العديد من المجالات الرئيسية مثل الطب الباطني أو أمراض القلب أو جراحة العظام أو الأنف والأذن والحنجرة.¹¹²²

في ظل تنظيم داعش، أجبر العاملون في مجال الرعاية الصحية على التنازل عن أعمالهم الأخرى في المستشفى و"تحولوا إلى نوع مختلف من العاملين في مجال الرعاية الصحية [في داعش]، مع تغيير الزي الرسمي والمواقف والعادات".¹¹²³ تغيرت المسميات الوظيفية والأوصاف والواجبات. تم الحفاظ على وظائف القابلات، ولكن تم تدقيقها بشدة وعدم دعمها،¹¹²⁴ وواجهت النساء صعوبات كبيرة في الوصول إلى خدمات الصحة الإنجابية مما أدى إلى قيود شديدة على حقوق المرأة في تلك الخدمات بسبب القيود التي فرضها داعش على حرية حركة المرأة - وهي القيود المطبقة أيضاً على الممرضات والقابلات.

واجه العاملون في مجال الرعاية الصحية الذكور تحديات مختلفة: أفادت أطباء أمراض النساء الذكور أن مهنتهم أصبحت فجأة مقتصرة على الإناث فقط، تماشيًا مع أيديولوجية تنظيم داعش وسياساته الصارمة بشأن تجنب الاختلاط بين الجنسين، كما مُنع الرجال من تقديم حتى خدمات التوليد في الحالات الطارئة المهددة للحياة. "في حالة الولادة الطارئة، إذا لم يكن هناك [وصي] مرافق للمريضة [...] لا يمكن لأحد تقديم المساعدة، حتى موضوع نقلها إلى النقطة الطبية، وذلك خوفاً من العقاب".¹¹²⁵

هذا الخوف الحقيقي من انتقام داعش بين مقدمي الخدمات - مع مقتل عاملين صحيين في كل من سوريا والعراق - أدى إلى تفاقم التحديات. وفقاً لأحد مصادر المعلومات الرئيسيين:

شعر بعض العاملين في المجال الصحي بحالة من الخوف على سلامتهم الشخصية في حال رفضوا العمل بموجب قوانين وإشراف [داعش]. واضطر البعض للعمل في مستشفيات [داعش] وعلاج الجرحى، مما دفع العديد من الطواقم الطبية للمخاطرة بحياتهم ومحاولة الهروب خارج المناطق الخاضعة لسيطرة [داعش].

¹¹²⁰ UNOCHA, 'Syrian Arab Republic Humanitarian Response Plan 2023' (FTS, n.d.) <<https://fts.unocha.org/appeals/1114/summary>> شوهده في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹¹²¹ مقابلات عديدة مع مصادر معلومات رئيسيين، مسؤولون في منظمات غير حكومية.

¹¹²² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مدير مشروع حماية الطفل والدعم النفسي الاجتماعي، الرقة.

¹¹²³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في منظمة الصحة العالمية.

¹¹²⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، اختصاصية الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي والعنف الجنسي القائم على النوع الاجتماعي في منظمة محلية في شمال شرق سوريا.

¹¹²⁵ المرجع نفسه.

أنا شخصيًا أعرف [...] مسعًا وجراحًا مساعدًا واجها عقوبات القصاص لرفضهما التعاون ومحاولة الهروب.¹¹²⁶

التأثيرات على المخرجات / النتائج الصحية

بسبب استمرار انعدام الأمن في شمال شرق سوريا، لا يزال الوصول إلى الرعاية الصحية محدودًا في جميع أنحاء المنطقة. غالبًا ما يضطر الناس إلى السفر لمسافات طويلة فقط للحصول على الرعاية الصحية. وأفادت مصادر المعلومات أن النتائج الصحية تتأثر بالتالي بانخفاض توافر الخدمات الصحية، أو منع أو تقييد الوصول إلى المرافق الصحية، أو التغييرات في مواقف السكان المتضررين تجاه طلب الرعاية الصحية.¹¹²⁷ تتوافق هذه الموجودات مع العديد من التقارير الصادرة عن المنظمات الطبية والعاملين الصحيين في سورية والتي تشير إلى أن عدم الوصول إلى الرعاية الصحية لا يزال يمثل حاجة عامة رئيسية وعاملاً رئيسياً في معدلات الإصابة بالأمراض والوفيات المحلية.¹¹²⁸

ومن الأمور الحاسمة في هذا السرد هو انهيار أنظمة التحصين (اللقاح) الروتينية والخدمات الصحية للأمهات والأطفال حديثي الولادة. في ظل تنظيم داعش، أدت الأنظمة الصارمة إلى الحد من قدرة المرضى على طلب العلاج خارج المناطق التي يسيطر عليها داعش، في حين أن نزوح عدد كبير من الأطباء والمرضى ونقص الأدوية لم يؤد إلا إلى تفاقم الأمور. كان الانخفاض السريع في تغطية التحصين الروتيني سبباً لمخاوف جدية في السنوات الأخيرة في سورية، لا سيما في المناطق التي كانت تسيطر عليها داعش سابقاً. وانخفضت التغطية (تغطية اللقاحات) في المناطق التي يسيطر عليها تنظيم داعش بسبب تسييس نظام الرعاية الصحية، والعداء تجاه نماذج الطب "الغربية"، وانعدام التخطيط الصحي تقريباً؛ فحملات التحصين إما "انخفضت أو توقفت تماماً".¹¹²⁹ على الرغم من أن كوفيد-19 قدم للعاملين في مجال الصحة فرصة صعبة للغاية لإعادة تطوير البنية التحتية للتحصين في مرحلة ما بعد داعش، إلا أنها لا تزال ذات أولوية عالية، على حد تعبير أحد مسؤولي منظمة الصحة العالمية، "لحماية الأطفال من الأمراض التي يمكن الوقاية منها باللقاحات [مثل الحصبة] في المناطق الجغرافية الحرجة والمحرومة".¹¹³⁰

لقد اكتسبت اضطرابات الصحة النفسية والضيق النفسي الاجتماعي الاهتمام في فترة ما بعد داعش. تتميز الطبيعة النظامية للمرضى المحددة التي أبلغ عنها مصادر المعلومات الرئيسيون في الوقت الحاضر بارتفاع معدلات اضطراب ما بعد الصدمة والاكتئاب والقلق ونقص إمدادات الأدوية ذات التأثيرات النفسية ونقص مرافق الإحالة للرعاية المتخصصة.¹¹³¹ بالإضافة إلى ذلك، فإن نقص الخدمات في مواقع معينة، وعدم الإبلاغ عن الحالات بسبب عدم كفاية المعرفة بين العاملين في مجال الرعاية الصحية، وكما لاحظ أحد المتخصصين الذين تمت مقابلتهم، "إن صعوبة إدارة مسارات الإحالة"، لا تؤدي إلا إلى تفاقم الصعوبات التي يواجهها القطاع الصحي في مرحلة ما بعد داعش.¹¹³²

¹¹²⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مدير مشروع الحماية والدعم النفسي الاجتماعي، الرقة.

¹¹²⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، منسق مجموعة عمل في الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي والعنف الجنسي القائم على النوع الاجتماعي في منظمة الصحة العالمية؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، أخصائية الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي والعنف الجنسي القائم على النوع الاجتماعي في منظمة محلية في شمال شرقي سوريا.

¹¹²⁸ Marc Gelkopf and others, 'Mental health medication and service utilization before, during and after war: a nested case-control study of exposed and non-exposed general population, "at risk", and severely mentally ill cohorts' (2016) 25 *Epidemiol Psychiatr Sci*; UNICEF, 'Lack of access to medical care in Syria is putting children's lives at risk' (اليونيسف، 15 كانون الثاني / يناير 2019) <<https://www.unicef.org.uk/press-releases/lack-of-access-to-medical-care-in-syria-is-putting-childrens-lives-at-risk/>>

; Ziyad Ben Taleb and others, 'Syria: health in a country undergoing tragic transition' (2014) 60 *Int J Public Health*; SAMS, 'Impacts of 2023 attacks on healthcare in Syria - Syrian Arab Republic' (Reliefweb، 19 تشرين الأول / أكتوبر 2018) <<https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic>>

; Aula Abbara and others, 'The effect of the 2023 conflict on Syria's health system and human resources for health' (2015) 16 *J World Health Popul*; Mohamed Elamein and others, 'Attacks on Syria's health system and human resources for health: results from a real-time reporting tool' (2017) 390 *Against Health Care in Syria, 2015-16: results from a real-time reporting tool*.

¹¹²⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مدير مشروع حماية الطفل والدعم النفسي الاجتماعي، الرقة.

¹¹³⁰ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول في منظمة الصحة العالمية.

¹¹³¹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، أخصائية الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي والعنف الجنسي القائم على النوع الاجتماعي في منظمة محلية في شمال شرقي سوريا. تشير المراضة إلى وجود مرض أو عرض من أعراض المرض، أو إلى كمية المرض بين السكان.

¹¹³² المرجع نفسه.

تم الكشف عن حجم التأثير على صحة الأطفال والمراهقين من خلال المقابلات الفردية بين الضحايا. كشفت المقابلات عن الاعتراف بالصلة بين الصحة النفسية وقدرة الطفل على المشاركة في المدرسة، والدور النفسي والاجتماعي المفيد الذي يمكن أن يوفره الالتحاق بالمدرسة. ولا يؤدي التوسع في التعليم إلى تحسين دخل الأسرة ورفاهيتها فحسب، بل يدعم أيضًا الصحة النفسية لدى الأطفال المتأثرين بالصراع.¹¹³³ ومع ذلك، أكد مسؤول منظمة الصحة العالمية أن "النهج التشاركية مثل التنقيف النفسي والتدخلات الجماعية للشباب غير موجودة" في الوقت الحاضر، مضيفًا أن "الارتفاع الكبير في احتياجات الدعم النفسي والاجتماعي للأطفال والمراهقين في [شمال شرق سوريا] يتفاقم بسبب نقص المهارات والموارد في قطاعي الصحة والتعليم".¹¹³⁴

عند النظر إلى تدخلات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي كجزء من أزمة قطاع الصحة العامة، فإن خيارات الإحالة وإدارة الحالات للحالات الشديدة تصور صورة قاتمة. في وزارة الصحة التابعة للإدارة الذاتية، لا توجد وحدة للصحة النفسية مسؤولة عن الإحالة والقبول في مستويات الرعاية الثانوية، حيث تتطلب الحالات الخطيرة الاهتمام والإدارة المتخصصة. تقع جميع خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي ضمن نظام الرعاية الصحية الأولية: تتوفر وحدة صحة نفسية واحدة في الرقة بالإضافة إلى سريرين في المستشفى الميداني العام ومخيم الهول. ووصف مسؤول منظمة الصحة العالمية هذا الوضع بأنه "كارثي" ويتفاقم بسبب نقص الموظفين والوصم والنقص الكبير في الأدوية النفسية.¹¹³⁵

ومع ذلك، اتفق جميع مقدمي المعلومات على أن مشكلات الوصول كانت نتيجة للفجوات في الخدمة والتحديات التشغيلية وديناميكيات المجتمع وليس أعمال الاقصاء المتعمدة. صرح أحد العاملين في مجال الحماية/الدعم النفسي الاجتماعي في إحدى المنظمات غير الحكومية بما يلي:

لم يتم استبعاد أي ضحايا أو مجموعات؛ لكن التدخلات محدودة بما يتناسب مع الأعداد الموجودة، والحالات المستبعدة هي تلك التي نأت بنفسها بسبب انخفاض مستوى الوعي. قد يعتبر البعض [الرعاية الصحية النفسية] موضوعًا حساسًا ومخجلًا، مما يؤدي إلى الخوف من الوصمة.¹¹³⁶

البعد الإنساني: حالات الضحايا والناجين من عنف داعش

خلقت آثار الحرب تحديات نفسية واجتماعية كبيرة وصدمات واسعة النطاق على المستوى الفردي والأسري والمجتمعي في شمال شرق سوريا. خلال المقابلات مع الضحايا في شمال شرق سوريا، كشف فريق البحث عن تجارب منتشرة لاضطراب ما بعد الصدمة في المجتمع المحلي.

تم إدخال اضطراب ما بعد الصدمة لأول مرة إلى تسميات الطب النفسي في عام 1978 من قبل منظمة الصحة العالمية مع نشر التصنيف الدولي للأمراض، المراجعة التاسعة، التعديل السريري (ICD-9-CM)،¹¹³⁷ والذي وثق التعرّف على الاستجابة النموذجية للتعرض لأحداث الحياة الصادمة بين الثقافات.

هناك عدة طرق لقياس وتحليل الصدمات والظروف الناجمة عن تجارب الصدمة. ومع ذلك، تم استخدام نظام تسجيل تأثير مقياس الحدث المنقح (IES-r) في المقابلات الفردية المتعمقة للضحايا.¹¹³⁸ نظرًا لأن استبيان كيسلر-10 يتضمن في الغالب أعراض الاكتئاب واستبيان هارفارد للصدمات يتكون من 40 سؤالاً¹¹³⁹ (يعتبر مستهلكًا للوقت للغاية في بيئة العمل

¹¹³³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في منظمة الصحة العالمية؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، إحصائية الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي والعنف الجنسي القائم على النوع الاجتماعي في منظمة محلية في شمال شرق سوريا؛ وآخرون.

¹¹³⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في منظمة الصحة العالمية

¹¹³⁵ المرجع نفسه

¹¹³⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، موظف في الحماية والدعم النفسي الاجتماعي في منظمة طبية في شمال شرق سوريا.

¹¹³⁷ WHO, 'The ICD-10 Classification of Mental and Behavioural Disorders' (جنيف 1992)

Weiss, 'The Impact of Event Scale'.

¹¹³⁸ Harvard Program in Refugee Trauma, 'Harvard Trauma Questionnaire' (2022) <<https://hprt-cambridge.org/screening/harvard-trauma-questionnaire>>

¹¹³⁹ Harvard Program in Refugee Trauma, 'Handout: Harvard trauma questionnaire' (Post-2023 شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023) <[https://onlinematerial.posttraumatic-integration.eu/modules/document/file.php/PTIP111/Handout-Traumatic Integration EU, n.d.\)](https://onlinematerial.posttraumatic-integration.eu/modules/document/file.php/PTIP111/Handout-Traumatic%20Integration%20EU,%20n.d.%20M1S3A1_EN.pdf)> <[https://onlinematerial.posttraumatic-integration.eu/modules/document/file.php/PTIP111/Handout-Traumatic Integration EU, n.d.\)](https://onlinematerial.posttraumatic-integration.eu/modules/document/file.php/PTIP111/Handout-Traumatic Integration EU, n.d.))> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

الميداني)، اختار فريق البحث بدلاً من ذلك اختبار تأثير مقياس الحدث المنقح (IES-r) باعتباره مقياساً بسيطاً، ولكنه قوي للإبلاغ الذاتي لتقييم أثر استجابات الأعراض لحدث صادم محدد في الحياة.¹¹⁴⁰ والذي يقيس الاستجابات بين نطاق من 0 إلى 88. خلال البحث، طُلب من المشاركين تحديد حدث مرهق معين في الحياة ومن ثم الإشارة إلى مدى شعورهم بالضيق أو الانزعاج خلال الأيام السبعة الماضية بسبب كل "صعوبة" مدرجة¹¹⁴¹. يبين الجدول التالي ثلاثة خصائص مختلفة بين قوسين.

الجدول 3: نظام تسجيل تأثير مقياس الحدث المنقح (IES-r)

الفئة	النتيجة	الخصائص
1	24 أو أكثر	اضطراب ما بعد الصدمة هو مصدر قلق سريري. أولئك الذين لديهم درجات تزيد عن 24 والذين لا يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة الكامل سوف يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة الجزئي أو على الأقل بعض الأعراض.
2	33 أو أكثر	يمثل هذا أفضل حد للتشخيص المحتمل لاضطراب ما بعد الصدمة ¹¹⁴² .
3	37 أو أكثر	هذا مرتفع بما يكفي لتثبيط عمل الجهاز المناعي للفرد (حتى بعد 10 سنوات من وقوع الحدث) ¹¹⁴³ .

لم يتم قياس أعراض الاكتئاب الرئيسية، على الرغم من وجود أدوات تقنية وموثقة لهذا الغرض، مثل الوحدة المكونة من ثمانية بنود من استبيان صحة المريض.¹¹⁴⁴ يتم قياس القلق العام أيضاً من خلال مقياس اضطراب القلق العام المكون من عنصرين.¹¹⁴⁵ أخيراً، لم تكن هناك محاولة في التحليل للنظر في المقارنات بين الأزواج أو المجموعات الفرعية، والتي تم تحديدها من خلال أنماط أعراض اضطراب ما بعد الصدمة مع مرور الوقت.

تم الحصول على البيانات النوعية لهذا الفصل من خلال المقابلات التي أجريت في كوياني والحسكة ومنبج والرقعة ودير الزور. ومن بين الضحايا العشرة الذين تمت مقابلتهم، كان خمس إناث وخمسة ذكور، تتراوح أعمارهم بين 17 عامًا و50 عامًا. وكان جميع الضحايا من سكان المنطقة التي يشملها البحث وقت إجراء المقابلة. ومع ذلك، أفاد أكثر من النصف أنهم نزحوا مرة واحدة على الأقل خلال فترة حكم داعش.

شاركت المبلّغات عن الأعراض تقريراً ثانوياً عن الأطفال المتأثرين بالصدمة (لأنهم شهدوا -على سبيل المثال- هجمات إرهابية أو قتل أو اختطاف أو ضرب).

وفيما يتعلق بالحالة الاجتماعية والاقتصادية، كان المبلّغون عن الأعراض بشكل رئيسي أرباب الأسر (الأرامل أو النساء المتزوجات أو أرباب الأسر الذكور) الذين أكملوا التعليم الابتدائي. وكان أحد المشاركين خريج مدرسة ثانوية.

قبل كل فرد تمت مقابلته القيام باستبيان نظام تسجيل تأثير مقياس الحدث المنقح (IES-r) القصير في نهاية المقابلة المطوّلة، والإجابة على سلسلة من 22 سؤالاً تستكشف المجالات الثلاثة الأفكار الاقحامية والتجنب والإثارة المفرطة. يلخص الجدول 4 خصائص المستجيبين من هذه العملية.¹¹⁴⁶

¹¹⁴⁰ نظام تسجيل تأثير مقياس الحدث المنقح (IES-r) عبارة عن مقياس للإبلاغ الذاتي مكون من 22 بنداً لـ DSM-IV (الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية - الإصدار 4) الذي يقيم الضيق الشخصي الناجم عن الأحداث المؤلمة. وهو نسخة منقحة من الإصدارات الأقدم من الأداة ولم يتم تحديثها لتتناسب مع DSM-5، لذلك لا تتضمن -على سبيل المثال- عناصر لتقييم التغيرات السلبية في الإدراك والمزاج بشكل كامل.

¹¹⁴¹ American Psychiatric Association, *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders, 5th Edition* (American Psychiatric Pub., 2013).

¹¹⁴² 41 (2002) 'Psychometric properties of the Impact of Event Scale - Revised' Mark Creamer and others, *السلوك والبحث والعلاج*

¹¹⁴³ Noriaki Kawamura and others, 'Suppression of Cellular Immunity in Men with a Past History of Post-Traumatic Stress Disorder' 158 *American Journal of Psychiatry* (2001)

¹¹⁴⁴ Robert L. Spitzer and others, 'Validation and Utility of a Self-Report Version of PRIME-MD: The PHQ Primary Care Study' 282 (1999) *JAMA* <https://doi.org/10.1001/jama.282.18.1737> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹¹⁴⁵ Robert L. Spitzer and others, 'A brief measure for assessing generalised anxiety disorder: The GAD-7' 166 *Arch Intern Med* (2006) <https://jamanetwork.com/journals/jamainternalmedicine/fullarticle/410326> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹¹⁴⁶ وفقاً لبروتوكول المقابلة الحساس للصدمة المطبق من قبل فريق البحث، يتم الإشارة إلى المشاركين بالأحرف الأولى من الاسم فقط.

الجدول 4: خصائص المشاركين في المقابلة الفردية

#	المكان	مستوى الخبرة	الجنس	تاريخ الميلاد	الحالة العائلية	المهنة	IES-r درجة	الانتهاكات الأساسية
5	كوباني	مباشرة	أنثى	2006	عازبة	لا تعمل	65	قتل / مجزرة
11	منبج	مباشرة	ذكر	2000	متزوج	عامل يومي	54	مجزرة
12	منبج	من أقارب الضحية	أنثى	1984	أرملة	ربة منزل	50	قتل
32	الحسكة	مباشرة	ذكر	1985	متزوج	معلم	67	مجزرة
40	دبر الزور	شاهد عيان	ذكر	1967	متزوج	مزارع	60	التعذيب والترحيل القسري/النزوح
41	كوباني / الطبقة	مباشرة	أنثى	1997	عازبة	ربة منزل	77	التعذيب والزواج القسري والعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي (الجنس)
57	كوباني	من أقارب الضحية	أنثى	1973	أرملة	ربة منزل	56	قتل / مجزرة
92	الرقعة	مباشرة	أنثى	1973	متزوجة	لا تعمل	57	إنكار الحق في حرية التعبير
95	الرقعة	مباشرة	ذكر	1992	متزوج	خيّاط	71	الاعتقال التعسفي والتعذيب
195	دير الزور	مباشرة	ذكر	1990	متزوج	لا يعمل	78	التعذيب والترحيل القسري/النزوح

تتبقى ثلاث موجودات رئيسية من تحليل الحالات.

أولاً: كشفت عملية المقابلة عن وجود علامات موحدة لاضطراب ما بعد الصدمة في جميع المقابلات الفردية المختارة وفقاً لدرجات IES-r. ومع ذلك، فإن التوصيف الدقيق لمسار اضطراب ما بعد الصدمة بمرور الوقت يجب أن يكون أكثر انعكاساً لأعراض اضطراب ما بعد الصدمة من الحالة التشخيصية البسيطة في وقت واحد. تنتمي جميع درجات IES-r إلى الفئة 3، مع درجات 37 أو أكثر، مما يوضح العلاقة بين حالة طويلة من المعاناة النفسية والتأثير الشديد المحتمل على الصحة البدنية (حتى بعد 10 سنوات من حدث التأثير). حتى عند النظر في تحيز الاستذكار أو التعزيز العاطفي كعوامل مربكة، فإن التدخلات النفسية منخفضة الكثافة التي تعالج الاكتئاب والقلق ومهارات حل المشكلات والمرونة لدى البالغين كجزء من التدخلات السلوكية قد تكون غير كافية في إعادة الشعور بالتوازن.

ثانياً: ظهرت أعراض محددة بعد التعرض للصدمة والخسارة. وترتبط هذه الموصفات بأنواع مختلفة من التجارب المؤلمة، ودرجة القرب من الشخص المفقود ومقدار الدعم الاجتماعي المتصور والجنس. هذه النتائج لها آثار على تحديد المجموعات الفرعية التي تشعر بالضيق والإبلاغ عن التدخلات وفقاً للموصفات الخاصة بالمريض.

ثالثاً: تميز المستجيبون باضطراب عاطفي شديد للغاية بدلاً من أعراض متعلقة بفئة تشخيصية خاصة. وقد لوحظ ارتفاع مستوى الالتهاب بشكل متكرر في اضطراب ما بعد الصدمة وقد يؤدي إلى تطور الأعراض النفسية والأمراض الجسدية المصاحبة.

تميزت المقابلات الفردية بالجوهر النموذجي لاضطراب ما بعد الصدمة، والذي يتضمن تذبذبًا مؤلماً بين الأفكار الإيجابية والتجنب. قد يشمل الأفكار الإيجابية الكوابيس، أو الصور المرئية غير المحظورة للصدمة أو آثارها أثناء الاستيقاظ، أو الأفكار الإيجابية حول جوانب الحدث الصادم وعواقبه، أو التصورات الذاتية. في معظم المقابلات مع الضحايا، كان التجنب يتمثل في الجهود المتعمدة لعدم التفكير في الحدث، وعدم التحدث عنه، وتجنب التذكير بالحدث. ومن السمات الشائعة الأخرى التي تمت ملاحظتها هي محاولة إخراج ذكريات وحوادث استذكار معينة من الحدث أو ما بعده من العقل عن طريق الإفراط في العمل أو استخدام استراتيجيات أخرى مصممة لتحويل الانتباه أو إرهاق شخص ما بحيث لا يتأثر مؤقتًا بالأفكار الإيجابية. تم الإبلاغ عن إحدى هذه الاستراتيجيات، وهي زيادة التدخين، لدى الذكور، في حين لم تكن هناك تقارير واضحة عن تعاطي المخدرات أو الكحول.

بالإضافة إلى التجنب الصريح، كانت هناك أدلة في جميع المقابلات الفردية والمناطق الجغرافية على "الخدر العاطفي" الذي حدده العديد من المؤلفين على أنه تكلمة غير شائعة للتعرض لحدث صادم في الحياة.¹¹⁴⁷ في جميع تحليلات الحالة، هناك أدلة تجريبية تدعم ثلاثاً من هذه الظواهر الأربع. تم الإبلاغ عن الشعور بالعار، وفي إحدى الحالات، سلوك التدمير الذاتي. ارتبطت الضائقة الشديدة بالصعوبات في أداء الواجبات المنزلية (جميع النساء اللاتي تمت مقابلاتهن)، والعمل أو الدراسة (رجلان)، ورعاية الأسرة (ثلاث نساء) ولكن ليس مع صعوبات في أداء الأنشطة الاجتماعية.¹¹⁴⁸

تتناول الأقسام الفرعية التالية عدة فئات ناشئة عن الصدمات التي يعاني منها الأفراد المستجيبون: فقدان الصحة البدنية أو الدخل والمنزل أو الإعاقة؛ واستدامة تجارب العنف غير المباشرة، ولكن القريبة؛ التعرض المتكرر للصددمات، على مراحل؛ اضطراب ما بعد الصدمة والاعتلال المشترك. النزوح (مرة واحدة ومتكرر)؛ والصدمة الشديدة الناجمة عن تجارب القتل الجماعي المستهدف؛ والصدمات المتعددة التي تعرضوا لها من خلال انتهاكات الحقوق المتعددة والمتتالية.

فقدان الصحة الجسدية، أو الدخل أو المنزل أو الإعاقة

ارتبط فقدان الصحة البدنية والدخل والمنزل أو الإعاقة في جميع المقابلات، بدرجات متفاوتة، بالضيق النفسي الذي تم الإبلاغ عنه؛ ومع ذلك، فقد تم توضيحها بشكل أكبر في الحالتين 11 و 57. ووصف المشاركون العوامل التي ساهمت في صعوبات الصحة النفسية بعد هجوم إرهابي (مثل الخوف أو الخسارة أو الصدمة) وأنواع حالات الصحة النفسية التي يمكن أن تنشأ بعد هجوم إرهابي (مثل اضطراب ما بعد الصدمة الشديد، واضطرابات القلق و/أو الاكتئاب). وصفت إحدى النساء من كوباني العباء المستمر للصدمة التي تعاني منها:

أينما التفت أتذكر زوجي وقت الحصاد وكيف كان يجهز نفسه ويخرج إلى الحقول. في هذه الأيام، حملي ثقيل. لقد أصبحت أما وأباً لأطفالي الأيتام، الذين يشعرون دائماً بالنقص والألم بسبب فقدان والدهم، بغض النظر عما تفعله لمحاولة جعلهم يشعرون بخلاف ذلك. في بعض الأحيان، أشعر حقاً وكأنني تراجعت نفسيًا. عندما أشعر بالإحباط، أشعر وكأنني أستطيع قتل نفسي.¹¹⁴⁹

تشير هذه الحالة إلى أن عددًا كبيرًا من الأفراد يعانون من أعراض الحزن المؤلم بشكل مستمر بعد فقدان أحد الأحباء. في حالتها، بعد وفاة الزوج الحبيب. مثل هذه الإفادة هي حالة من اضطراب الحزن المطول، كرد فعل غير قادر على التكيف مع الخسارة التي تتميز بضيق الانفصال، ومشاعر الفراغ وصعوبات المضي قدمًا على مدى فترة طويلة من الزمن. تشير

¹¹⁴⁷ Anushka Pai and others, 'Posttraumatic Stress Disorder in the DSM-5: Controversy, Change, and Conceptual Considerations' (2017) 13 *العلوم السلوكية* <10.3390/bs7010007> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023; Mardi J. Horowitz, *Adult Personality Growth in Psychotherapy* 2023 (مطبوعة جامعة كامبريدج، يونيو 2016) (1995) Melanie A. Greenberg, 'Cognitive Processing of Traumas: The role of Intrusive Thoughts and Reappraisals' (1995) 25 *Journal of Applied Social Psychology* <<https://doi.org/10.1111/j.1559-1816.1995.tb02618.x>> شوهد في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹¹⁴⁸ لقد أثرت أسئلة باستمرار بشأن المبالغة في أعراض اضطراب ما بعد الصدمة في مجموعات سكانية محددة (مثل المحاربين القدامى) بسبب العلاقة بين اضطراب ما بعد الصدمة وأما مدفوعات العجز أو أشكال التعويض الأخرى. لم يكن من الممكن استبعاد مثل هذا التحيز أثناء مرحلة جمع البيانات، مما أدى إلى ارتفاع درجات مقياس الحدث المنقح (IES-r) ¹¹⁴⁹ الإفادة الفردية رقم 57، كوباني.

الأدلة إلى أن فقدان شخص ما بسبب العنف، على سبيل المثال من خلال القتل أو الانتحار أو وقوع حادث، يرتبط بارتفاع خطر الإصابة بكل من اضطراب الحزن المطول واضطراب ما بعد الصدمة.¹¹⁵⁰

وبغض النظر عن استيعاب المختص للقضية، فإن حالة الضحية لم تظهر عليها علامات التحسن الملحوظ. أشارت إفادتها أيضًا إلى محاولات "الحل السريع" من قبل مقدمي الخدمات المحليين بسبب نقص الموظفين و/أو أعباء العمل الضخمة:

قمت بزيارة طبيب نفسي [...] في الهلال الأحمر عدة مرات. ووصفت لي أدوية مهدئة لأنني لم أستطع النوم، لكنهم لم يفعلوا أي شيء لتحسين حالتي. ولهذا السبب قررت [رؤية] طبيب نفسي آخر طلب مني التوقف عن تناول هذا الدواء، ففعلت.¹¹⁵¹

وتجدر الإشارة هنا أيضًا إلى حقيقة أن شدة الصدمة والإعاقة تستحق الاهتمام. بالمقارنة مع عامة السكان، فإن الأشخاص ذوي الإعاقة معرضون بشكل متزايد لخطر ضعف الصحة النفسية والضعف الوظيفي. يعد الأشخاص ذوو الإعاقة الذين يعانون من مشاكل واضطرابات في الصحة النفسية من بين المواطنين الأكثر ضعفًا واستبعادًا من الناحية الاجتماعية، والذين غالبًا ما يتم تجاهلهم واستبعادهم من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية ومن ممارسة حقوقهم الإنسانية الأساسية. تظهر الدراسات الحديثة حول الضائقة النفسية لدى الأشخاص ذوي الإعاقة أن نسبة كبيرة من المحتمل أن تعاني من ضائقة نفسية خفيفة إلى متوسطة مرتبطة بالقلق المرضي واجترار الأفكار وجوانب اليقظة الذهنية.^{1152، 1153}

في حالات الصدمات التي تؤثر على الصحة البدنية والنفسية، أشار المشاركون إلى أنهم مع مرور الوقت أبلغوا عن "الشعور بالانفصال" وتجربة "فقدان الاهتمام". إذا كانت هذه الأعراض منتشرة بشكل عام، فإنها قد تحد من العلاقات الاجتماعية للفرد وبالتالي تصوّر الدعم الاجتماعي المقدم من الآخرين، بما في ذلك أفراد الأسرة.

تشير الحالة التالية لعامل شاب من منبج، والتي توضح العلاقة بين الصدمة والإعاقة والضعف الوظيفي، إلى أن شدة الأعراض قد تزيد عندما لا تتوفر شبكة أسرية فعالة أو وظيفية لمعالجة مثل هذه الأحداث العصبية.

وقع الحادث بتاريخ 10 تشرين الأول (أكتوبر) 2016 عندما سمعت صوت انفجار قوي جدًا وذهبت للبحث عن عائلتي وأقاربي. رأيت جثث أعمامي. كانت الدماء في كل مكان. وكان من بين الضحايا أخي البالغ من العمر 20 عامًا. حاولت مساعدته وحاولت تشغيل السيارة، لكنني لم أستطع. عدت إلى موقع الانفجار لأجد والدتي وأخي الآخر، [الذين] أصيبوا أيضًا. كنت أحاول انتشلهم من [الأنقاض] عندما وقع الانفجار الثاني. ثم أصيبت.

لاحقًا، تم نقلي بسرعة إلى مستشفى منبج ومن ثم نقلي إلى أحد المستشفيات في القامشلي. أصيبت عيني بجروح بالغة. لقد فقدت بصري بعد العملية. بعد ذلك سافرت إلى دمشق، وبقيت هناك أربعة أشهر، أراجع الطبيب تلو الآخر، لكن لم يعطني أي منهم أي أمل.

قُتلت والدتي وإخوتي وجميع أعمامي في الانفجار؛ أصيب والدي وأختي وزوج أختي. لقد كنت في حالة صدمة كاملة بعد ذلك. بقيت صامتًا لفترة طويلة ولم أستطع التحدث من الصدمة. ثم بدأت بالبكاء بشدة. لم أستطع فعل أي شيء سوى البكاء على عائلتي.

بعد ذلك بدأت أعزل نفسي عن الناس وأبقى وحدي. أصبحت أصوات الناس مزعجة جدًا بالنسبة لي. عزلتني جعلتني أفكر مرارًا وتكرارًا في عائلتي ولماذا حدث لي هذا. كان عمري 17 عامًا عندما حدث ذلك، والآن أعاني من مشاكل نفسية كثيرة لأنني فقدت بصري. مازلت أموت من الخوف

1150 P.A. Boelen and others, 'Cognitive-behavioral variables mediate the impact of violent loss on post-loss psychopathology' (2015) 7 *Psychol Trauma*. <[10.1037/tra0000018](https://doi.org/10.1037/tra0000018)> شوهده في 3 نيسان / أبريل 2023.

1151 الإفادة الفردية رقم 57، كوياني.

1152 Alan Maddock and others, 'Rates and correlates of psychological distress and PTSD among persons with physical disabilities in

Cambodia' (2023) 22 *المجلة الدولية للمساواة في الصحة* <<https://doi.org/10.1186/s12939-023-01842-5>> شوهده في 3 نيسان / أبريل 2023.

1153 Robyn Lewis Brown, 'Psychological Distress and the Intersection of Gender and Physical Disability: Considering Gender and Disability-Related Risk Factors' (2014) 71 *Sex Roles* <<https://doi.org/10.1007/s11199-014-0385-5>> شوهده في 3 نيسان / أبريل 2023.

كلما سمعت صوتا عاليا، مثل صوت الرعد، وأشعر بالذعر وأعود فوراً إلى الانفجار. مازلت أرى عائلتي في أحلامي باستمرار وأرى كوابيس مفصلة عن الانفجار مراراً وتكراراً. لا أستطيع العمل بسبب إصابتي وإعاقتي. بدأت أكره كل شيء من حولي ولم أعد أثق بأحد. أشعر أنني وصلت إلى حد الجنون. أحياناً أضحك على نفسي. أحاول الهروب عقلياً من كل الأصوات والأفكار، لكن دون جدوى. أتناول المهدئات حتى أنام وأدخن كثيراً وأغضب من أصغر الأشياء. لا أستطيع التغلب على ألمي وخسارتي. لقد فقدت قيمي وكرامتي في ريعان شبابي، لأصبح متسولاً يريد الموت كل يوم.¹¹⁵⁴

استمرار تجارب العنف غير المباشرة، ولكن الوثيقة

يمكن أيضاً تسجيل مدى وشدة الصدمة لدى الأشخاص الذين تعرضوا لتجارب غير مباشرة، ولكن قريبة من العنف الذي ارتكبه داعش. في هذه الحالة، لم يكن لنوع الخسارة (على سبيل المثال، الموت مقابل الاختفاء القسري) أي تأثير على التصنيف الطبقي لاضطراب ما بعد الصدمة، وهو أمر ربما يعزى إلى حقيقة أن أقارب الأشخاص المختفين والأفراد المكومين - في الحالة التالية، شقيق المستجيب - قد لا يختلف بعضهم عن البعض فيما يتعلق باستجابات صحتهم النفسية لأحداث مماثلة.¹¹⁵⁵ ومع ذلك، فإن الأدلة المتعلقة بالاختلافات بين استجابات الصحة النفسية لأقارب الأشخاص المختفين أو الأفراد المكومين لا تزال غير حاسمة.

في الحالة التالية، روى رجل من الرقة كيف احتجز داعش ابن أخيه بسبب تورطه في تجارة التبغ "غير القانونية"، التي اعتبرت كذلك بعد أن حظر داعش التدخين والاتجار في السلع ذات الصلة. واختفى ابن شقيق الرجل فيما بعد ولم يتم العثور عليه. كما تم اعتقال ابني شقيقه الآخرين وقطع رأسيهما في غضون 48 ساعة كعمل "انتقامي"، وهو شكل من أشكال العقاب غير المباشر الذي غالباً ما يطبقه تنظيم داعش.

الأكثر تضرراً كان أخي [هـ]، والد الضحايا الثلاثة، لأن أولئك الذين قُطعت رؤوسهم بعد اتهامهم بالجواسيس هم أبناءه الوحيدون [المتبقون]. فقد عقله بعد ذلك ولم يعد يدرك ما كان يحدث من حوله. بعد فترة، عاد داعش لمضايقتنا مرة أخرى، هذه المرة بإجبار بنات [إتش] [إس وتي] على الزواج من أعضاء داعش. في عام 2016، جاءت دوريتان إلى منزلنا مع ضباط وحسبة، واعتقلوا الفتاتين. [ت] تزوج من عضو تونسي في داعش، وتزوجت [س] من شاب من مدينة الرقة ينتمي أيضاً إلى داعش. حاولت عائلة أخي المغادرة، و [...] صليت من أجل وصولهم بأمان، منتظرين طوال اليوم دون سماع أي أخبار منهم. [علمنا لاحقاً] أنهم أصيبوا بالرصاص وأجبروا على العودة، وفي اليوم التالي ماتوا في انفجار لغم.

اقترح أحد أقاربي الذين يعيشون في تركيا أن نرسل أخي [ح] إلى تركيا لتلقي العلاج مع طبيب محترف معروف مع توصيات إيجابية. بدأت في إعداد أوراقه وجواز سفره وجمع الأموال لإرساله إلى هناك. أخبرني طبيبه في تركيا أنه يعاني من "فقدان الذاكرة الرجعي". لم يستطع أخي تذكر أي شيء قبل بدء العلاج باستثناء اسم ابنته [س]، ولكن بعد فترة طويلة من الزمن بدأ يتذكر أفراد عائلته مثل ابنه الأكبر وزوجته.

أجبر داعش الناس على حضور الدورات الدينية. أجبر المعلمون على وجه الخصوص على الخضوع لدورات [التوبة]. ذهبت إلى إحدى تلك الدورات لتجنب العقاب مثل أقاربي. شهدنا الكثير من المذابح وقطع الرؤوس [أو] قطع أيدي الناس يومياً عند الدوار.

بدأت في الخروج أقل فأقل لتجنب مشاهدة هذه المشاهد ولم أشعر بأي اهتمام بأي شيء.¹¹⁵⁶

¹¹⁵⁴ الإفادة الفردية رقم 11، منبع.

¹¹⁵⁵ Carina Heeke and others, 'When hope and grief intersect: rates and risks of prolonged grief disorder among bereaved individuals and relatives of disappeared persons in Colombia' (2015) 174 *Journal of Affective Disorders* <10.1016/j.jad.2014.10.038> 2023.

¹¹⁵⁶ الإفادة الفردية رقم 95، الرقة.

حالة أخرى تُصوّر نتائج مماثلة للصحة النفسية. تذكرت إحدى النساء كيف شهد زوجها إعدامًا علنيًا بقطع رأسه أمام مسجد محلي، ثم انهار بعد ذلك وأخذ بعض القرويين إلى منزله:

بدأ يمرض بعد ذلك. لقد فقد الكلام بعد أن شهد حادثة القصاص. تم نقله إلى مشفى منبج، ومن ثم إلى دمشق لتلقي العلاج. أخبرنا الأطباء أنه يعاني من انهيار عصبي حاد ويجب أن نأخذه إلى المنزل. قالوا: هو في رحمة الله. لعدة أشهر، عاش حصرًا على السوائل من أجل الطعام. لم أحضر حادثة القصاص، لكن منذ ذلك الوقت وحتى هذه اللحظة عندما أسمع عبارة الله أكبر أشعر بالرعب. لا أستطيع أن أنسى مكان الجريمة. ولا نزال نعاني الآن من القلق والذعر. حتى الآن، كما ترى، وأنا أتحدث عن ذلك، أشعر بقشعريرة في جسدي لأن جميع الضحايا الذين أعدموا في ذلك اليوم كانوا من أقاربنا؛ كان لديهم أرض زراعية وكانوا يرعون مواشيهم بالقرب من منزلنا. نحن مثل الإخوة والأخوات في عائلة واحدة هنا في القرية، لذلك كان التأثير على زوجي شديدًا. كان لسلسلة الأحداث هذه تأثير كبير جدًا على الجميع – رجالًا وشبابًا وأطفالًا. وما زاد الطين بلة هو أن زوجي كان المعيل الوحيد. وكانت حياتنا مستقرة ولم يكن يعاني من أي مرض. لكن بعد الحادثة، قمنا ببيع سيارتنا وماشيتنا لتوفير العلاج لزوجي، وحتى ذلك الحين، لم تتحسن حالته الصحية. لقد خسرنا الكثير من المال، والآن أقوم أنا وابني بتربية الماشية المتبقية لدينا. 1157

التعرض المتكرر للصدمات

يزيد التعرض المتكرر للصدمات من خطر الإصابة باضطراب ما بعد الصدمة الشديد والأشكال الشائعة الأخرى من الاضطراب النفسي في علاقة سببية راسخة. علاوة على ذلك، فإن طبيعة حكم داعش والحرب ضده - وما يعنيه كلاهما للأفراد المتضررين من خلال، على سبيل المثال، الشعور بالظلم المستمر - قد تكون مفيدة في تحديد استجابات الصحة النفسية.

روى أحد الضحايا الذكور من الحسكة لفريق البحث كيف شهد انفجارًا في قاعة زفاف محلية في عام 2016 بينما كانت عائلته تحتفل بحفل زفاف الجيران. وقال: "لقد فقدت الذاكرة بعد الحادثة، ولهذا السبب لا أتذكر اليوم أي تفاصيل من قبل الانفجار". 1158

وتذكرت زوجة الرجل كيف تم نقل زوجها إلى المستشفى وعلاجه، ولكن نظرًا لأن حالته كانت حرجة، تم نقله في النهاية لتلقي العلاج في إقليم كردستان العراق. وكان قد أصيب في الرأس واستقرت شظية في رأسه. وظل الرجل في غيبوبة لمدة 40 يومًا. وروى كيف ظهرت الصدمة بعد ذلك:

وبعد مرور عام، بدأت تراودني ذكريات الماضي عن ذلك اليوم. ذاكرتي [...] أصبحت متقلبة وانقلبت حياتي كلها رأسًا على عقب في لحظة واحدة. كما عانيت من الإغماء المفاجئ لمدة عامين بعد ذلك. لقد تأثرت ظروفنا المعيشية بشكل خطير، حيث كنت المعيل الوحيد للأسرة. لقد دعمتني زوجتي ووقفت بجانبني لمساعدتي في التغلب على بؤسي؛ لقد ساعدتني على تحسين ذاكرتي والشعور بالتحسن النفسي والعاطفي.

وأغلقت المدارس، وتوقف الناس عن إرسال أطفالهم إلى المدارس خوفًا من وقوع انفجارات مماثلة. أريد الهجرة في أسرع وقت ممكن، لكن وضعي المالي يمنعني من ذلك. كنت مدرسًا، وكان لدي متجر قبل إصابتي، لكنني فقدت كل شيء. 1159.

1157 الإفادة الفردية رقم 12، منبج.

1158 الإفادة الفردية رقم 32، الحسكة.

1159 المرجع نفسه.

وأضافت زوجة الضحية أنها أيضًا عانت من ضائقة نفسية شديدة:

كنت حاملاً وقت الانفجار. والآن أنا مرهقة عقلياً ومثقلة عاطفياً. أعاني من رهاب (فوبيا) التجمعات والأماكن المزدحمة، وتوقفت عن الذهاب إلى الأفراح والاحتفالات أيضاً خوفاً من الانفجارات. ما زلت أعاني من الكوابيس المزعجة حتى الآن.¹¹⁶⁰

اضطراب ما بعد الصدمة والاعتلال المشترك

أظهر الأفراد الذين أبلغوا عن فقدان الصحة البدنية مستوى أعلى من أعراض الضيق النفسي، وهي نتيجة تتفق مع الأدبيات الوبائية حول العلاقة بين الأعراض الجسدية والأعراض النفسية. في الواقع، عادة ما يكون اضطراب ما بعد الصدمة مرضاً مصاحباً لمجموعة من الحالات الجسدية، والتي قد يكون بعضها معيقاً للغاية. هناك مجموعة من الأدلة التي تثبت وجود ارتباطات كبيرة بين الأمراض التي تهدد الحياة والسرطان واضطرابات الجهاز الهضمي والحالات العصبية. تظهر ارتباطات مهمة بين الصدمات النفسية والحالات العضلية الهيكلية والعصبية.¹¹⁶¹

توضح الحالة التالية لامرأة في الرقة كيف كان لعنف داعش مثل هذا التأثير. حاول تنظيم داعش اعتقالها لأنها لم تغطّ وجهها بشكل كافٍ أثناء وجودها في السيارة:

أهانوني وسبوني بالفاظ بشعة، واعتقلوا زوجي على إثر ذلك. وبقي رهن الاحتجاز لفترة. ثم أطلقوا سراحه لكنهم أجبروه على الالتحاق بدورة شرعية. وبعد هذه الحادثة، توقفت عن مغادرة المنزل خوفاً من الاعتقال. وكان هذا هو الوضع بالنسبة لجميع النساء في المدينة.¹¹⁶²

ولن يكون هذا هو الحادث المؤلم الوحيد الذي عانت منه المرأة. ما حدث لابنها كان له أثر عميق على صحتها النفسية:

في عام 2016، كان ابني [الذي لم يدرس في مدرسة تابعة لداعش] يبلغ من العمر 13 عاماً تقريباً. في أحد الأيام، كان يمزح مع صديقه، وتلفظ بكلمات مسيئة [لله] كانت تعتبر كفرية، دون أن يدري. أبلغ أحد الأشخاص الحاضرين عنه لدى داعش، فاعتقلوه نتيجة لذلك.

لقد تم احتجازه لمدة شهر تقريباً، لكن لم أعد أعرف عنه شيئاً. طلبنا من كل مركز احتجاز ومركز حسبة معرفة مكان وجوده، لكن دون جدوى. وبعد فترة قيل لي أن شخصاً لا أعرفه هو من قام بتهديب ابني إلى تركيا، ومنذ وقت ليس ببعيد وصلتني رسالة صوتية منه. لا أعرف أين هو. لم أعد أتعرّف على صوته أو حتى أتذكره.

في ذلك الوقت، شهدت [عمليات إعدام] ارتكبها داعش [...] ضد أشخاص متهمين بنفس التهمة الموجهة إلى ابني [الكفر]. تدهورت صحتي بسبب اختفاء ابني الذي لا أعرف عنه شيئاً. ونتيجة لاعتقال ابني، أصبحت مريضاً جداً بسبب الخوف والقلق المستمر. وتدهورت حالتي النفسية. أصبت بالشلل وأصبت بمرض التصلب المتعدد.

بسبب حظر السفر الذي فرضه داعش، لم أتمكن من السفر إلى دمشق لتلقي العلاج. ذهبت مؤخراً إلى مدينة القامشلي لتلقي الرعاية وبعد ذلك تم تحويلي إلى دمشق. أخبرني الأطباء والمعالجون في دمشق أن حالتي الصحية ميؤوس منها، وأنني مصابة بالشلل الدائم والتصلب المتعدد، وكلاهما صعب العلاج.

¹¹⁶⁰ زوجة لإفادة الفردية رقم 32، الحسكة.

¹¹⁶¹ Jordana L. Sommer and others, 'Understanding the association between posttraumatic stress disorder characteristics and physical health conditions: A population-based study' (2019) 126 *health conditions: A population-based study* <<https://doi.org/10.1016/j.jpsychores.2019.109776>>

شوهده في 3 نيسان / أبريل 2023.

¹¹⁶² الإفادة الفردية رقم 92، الرقة.

أصبح الألم والحزن جزءاً مني. أنا أبكي طوال الوقت. وفوق كل ذلك، تركني زوجي وتزوج امرأة أخرى¹¹⁶³.

وفي هذه المرحلة، توقف الضحية عن تقديم معلومات إضافية. وأشار مقدم الرعاية لها، الذي رافقها إلى المقابلة بأن:

إن حالتها مروّعة. وهي أم لخمسة أطفال وهي الآن وحيدة. لا تستطيع التحرك بشكل صحيح لأنها مشلولة. طفل أصغر سناً يساعدها. أساعدها في وقت فراغي. قُتل ابنها [أ] عام 2016، لكنها في حالتها لا تتحمل الحقيقة. حتى أننا نسمح لشخص عشوائي بتسجيل مقطع صوتي وإرساله إليها متظاهراً بأنه ابنها. يعرف جميع أقاربها أن [أ.] اعتقل [...] وتوفى، لكننا لا نعرف [متى أو] أين. كنا جميعاً نعيش في حالة من الرعب ونخفي عنها الآن الحقيقة – لنمنحها بعض الأمل للتمسك بالحياة.¹¹⁶⁴

النزوح/التشرد

وتشمل فئة المخاطر المحددة الأخرى الأفراد النازحين، حيث يكون الأطفال أو الأسر النازحة معرضون للخطر بشكل خاص. إن فقدان تماسك المجتمع واستمرار الشعور بعدم الأمان والصراع الداخلي بعد النزوح و/أو العودة قد يخلق ضعفاً عاماً تجاه الاضطرابات النفسية في المجتمع.

على سبيل المثال، روت امرأة من كوباني كيف تم ذلك:

كانت حياتنا كعائلة جيدة ومستقرة قبل المجزرة ومقتل والدي. عندما هاجم داعش كوباني في عام 2014، ذهبنا إلى تركيا كلاجئين. لقد نزحنا وساءت حالتنا. بقينا لفترات من الوقت في العراء. بعد تحرير كوباني عدنا إلى مدينتنا ومنزلنا. استأنفنا حياتنا وأصلحنا منزلنا لأنه تعرض لأضرار بالغة كغيره من المنازل في جميع أنحاء المدينة.

وبعد عدة أشهر، في 25 يونيو/حزيران 2015، وقعت المجزرة. وكان ذلك في شهر رمضان. وفجأة انفجرت سيارة عند المعبر الحدودي مع تركيا. منزلنا قريب من المعبر. علمنا أن داعش قد دخل المدينة. ذهب والدي وعمي، اللذين قُتلا لاحقاً أيضاً، إلى البوابة الحدودية لمعرفة ما يحدث. جاء والدي مسرعاً نحونا ليطلب منا أن نختبئ داخل المنزل. لم يكن مسلحاً، وكان عناصر داعش يقفون بعيداً وأطلقوا النار عليه. كانت والدتي قد أعدت للتو الحليب لأخي البالغ من العمر تسعة أشهر. تركته بين ذراعي وركضت إلى والدي. وقفت على باب المنزل فرأيت والدتي تحاول سحب أبي لكنها لم تستطع. لقد تركته لتعود لاحقاً، لكن داعش أطلق عليها النار [أيضاً]. أدخلني عمي إلى المنزل، وأخذت إخوتي إلى الغرفة وأغلقت الباب عليهم. ذهبوا إلى والدي وأمي، وكانا لا يزالان على قيد الحياة [مستلقين] على بعد مترين. أمسكت والدتي بيدي، لكنها طلبت مني أن أعود إلى إخوتي.

لقد تأثرنا جميعاً بشدة وتضررنا من الألم الذي عانينا منه – عمي وجميعنا والمدينة. لقد كانت محنة عظيمة. لقد عانينا كثيراً وما زلنا نعاني.¹¹⁶⁵

الصدمة النفسية جراء عمليات القتل الجماعي الموجهة

تسلط بعض دراسات الحالة المستمدة من المقابلات الضوء على التجارب الفردية للصدمة الشديدة التي طال أمدها بعد مشاهدة عمليات قتل جماعي متعمدة ضد أفراد من مجموعات عرقية وطائفية معينة ارتكبتها داعش.

¹¹⁶³ الإفادة الفردية رقم 92، الرقة.

¹¹⁶⁴ مقدم الرعاية للإفادة الفردية رقم 92، الرقة.

¹¹⁶⁵ الإفادة الفردية رقم 5، كوباني.

تشير الشهادة التالية إلى القتل الجماعي لأفراد عشيرة الشعيطات، حيث أعدم داعش عدة مئات من أفراد العشيرة خلال تقدّمه في صيف عام 2014 عبر محافظة دير الزور.¹¹⁶⁶ يتذكر الرجل الصدمة التي تعرض لها هو وأفراد أسرته:

عندما اندلع الصراع مع [داعش]، عندما تسللوا إلى القرية وهددوا بذبح الصغار، أمام أقاربهم الأكبر سناً، كنت من بين الأوائل [من قبيلتي] الذين اشتبكوا معهم.

استمرت المعركة حوالي 10 أيام. وبعد ذلك وجدنا أنفسنا محاصرين من كل الجهات، دون أسلحة كافية وعدد قليل من المقاتلين. وضمت قوات [داعش] مقاتلين من مختلف الدول العربية والأجنبية، ومن حوالي 50 جنسية مختلفة. وأمروا جميع السكان بإخلاء القرية لمدة شهر أو شهرين، وتسليم جميع أسلحتهم.

وبعد ذلك، عاد الناس إلى منازلهم، ليشهدوا موجة من المداهمات والاعتقالات والمجازر الوحشية. نزحت أنا وعائلتي إلى مدينة [أخرى] [...] حيث واجهنا غارات يومية وتمت ملاحقتنا بلا هوادة - ليس أنا وعائلتي فحسب، بل أصبح كل فرد من قبيلة الشعيطات هدفاً لـ [داعش]. ارتكبوا أفعالهم المجرمة، وبعد ذلك اكتشفنا مقابر جماعية في بعض القرى التابعة لداعش.¹¹⁶⁷

وصف الرجل كيف استهدف داعش عائلته، وتأثير هذه الفظائع على صحته النفسية بما يلي:

اعتقل داعش أطفالنا الأربعة واقتادهم إلى العراق، ولم تتوفر لدينا أي معلومات عنهم حتى الآن. وصلتنا أنباء عن نقلهم إلى العراق، في حين تشير تقارير أخرى إلى إعادتهم إلى سوريا. بل إن هناك شائعات بأنهم ذبحوا بطريقة وحشية في مدينة البوكمال [على الحدود السورية العراقية].

[...]

بحث إخوتي وأقاربي وأبناء عمومتي بشكل مكثف عن أطفالنا بين الجثث والمقابر الجماعية.

[...]

أطفالنا لا يذهبون من فكري أبداً. إنهم دائماً في ذهني، وأتخيل بوضوح كيف قتلوا أو ذبحوا. لقد شعرت بالكوابيس والأحلام منذ يوم اختطافهم. أنا وأهم نعانى بشدة. نمر بالأم عميق ونعاني من التوتر والقلق والاكتئاب المستمر. منذ عام 2014 ونحن نحاول نسيانهم وتقبل فكرة أنهم ماتوا، لكننا لم نتمكن من قبولها حتى الآن.¹¹⁶⁸

وفي حين أن الفزع من فقدان أطفاله يُعزى إلى عدم اليقين بشأن مصيرهم والظروف المحيطة بوفاتهم المزعومة، إلا أن الرجل ما زال يؤكد على حقه في العدالة:

لا أحد يستطيع أن يفهم الحزن والأسى والألم الذي مررت به منذ أن فقدت أطفالنا الأربعة على يد [داعش]. المشاعر الغامرة والرغبة في الانتقام لا تزال في قلبي، حيث تشعر بإحساس عميق بالظلم. ومع ذلك، فمن المهم السعي لتحقيق العدالة من خلال الوسائل القانونية والسلمية؛ إن اللجوء إلى العنف لن يؤدي إلا إلى زيادة إدانة دائرة [العنف والأذى].¹¹⁶⁹

ومع ذلك، فقد شكك في السياسات الحالية المتعلقة بمقاتلي داعش ودعا إلى آليات عدالة انتقالية قوية للمساءلة عن الجرائم التي ارتكبتها داعش:

¹¹⁶⁶ 'Mass grave of 230 tribespeople found in Syria's Deir Ezzor: monitoring group' *Al Akhbar English*, (بيروت، 18 كانون الأول/ديسمبر 2014) <<https://web.archive.org/web/20141218190542/http://english.al-akhbar.com/content/mass-grave-230-tribespeople-found-syria%E2%80%99s-deir-ezzor-monitoring-group>> ; *Al Jazeera English*, 'Islamic State group "executes 700" in Syria 2014' شوهد في 5 تموز / يوليو 2014 <<https://www.aljazeera.com/news/2014/8/17/islamic-state-group-executes-700-in-syria>> شوهد في 5 تموز / يوليو 2014.

¹¹⁶⁷ الإفادة الفردية رقم 40، دير الزور.

¹¹⁶⁸ المرجع نفسه.

¹¹⁶⁹ المرجع نفسه.

ولماذا لم تتم محاسبتهم وتقديمهم للمحاكمة حتى الآن؟ كل يوم، يتم إطلاق سراح جزء من [مقاتلي داعش أو الأفراد المنتمين إلى داعش] ويعبرون الحدود بحرية إلى تركيا ويعودون إلى بلدانهم الأصلية. هذا وضع غير مسبوق. نطالب الأمم المتحدة والمنظمات الحقوقية ومحكمة الجنايات الدولية بمعالجة هذا الأمر واستعادة حقوقنا ومحاسبتهم. لقد جاؤوا باسم الدين، ولكن الدين بريء من أفعالهم. إننا نصر على محاكمتهم وكذلك على مساءلة الدول التي دعمتهم.¹¹⁷⁰

هناك عدد لا يحصى من الضحايا والناجين الذين لديهم قصص مماثلة. كما أعدم تنظيم داعش المئات من رجال العشائر في العراق في أكتوبر/تشرين الأول 2014، مما أسفر عن مقتل حوالي 335 فرداً من عشيرة البونمر السنّة في قضاء الرمادي بالأرباع.¹¹⁷¹ واستهدف التنظيم أيضاً الأقليات العرقية والدينية، وكذلك أي شخص يعتبره معارضاً لأيديولوجيته المتشددة، خلال حكمه في شمال شرق سوريا والعراق المجاور. تدعم هذه الشهادة دراسة أجريت عام 2020 بناءً على 220 مقابلة متعمقة مع مقاتلي تنظيم داعش الأسرى ومنشقين وأقارب،¹¹⁷² حيث توثق كيف ارتكب داعش انتهاكات جسيمة وانتهاكات للقانون الإنساني الدولي - بما في ذلك العقاب الجماعي والتطهير العرقي - بطريقة منهجية أدت إلى صدمات مجتمعية متعددة.¹¹⁷³ وفي الوقت نفسه، تضيف دعوات الناجين لاستعادة العدالة والمساءلة صوتاً قوياً إلى النقاش الحالي حول العدالة الانتقالية في شمال شرق سوريا.¹¹⁷⁴

شدة الصدمات المتعددة والانتهاكات المتعددة

تتضاءل شدة أعراض اضطراب ما بعد الصدمة بشكل عام مع مرور الوقت. ومع ذلك، توجد في شمال شرق سوريا حالات تعرض فيها نفس الأفراد لصدمات متعددة مرتبطة بانتهاكات متعددة لحقوق الإنسان حدثت بشكل متتابع مع مرور الوقت.

ورغم الاعتراف بقدرات الأفراد المصابين بصدمات نفسية على التكيف، تؤكد الأبحاث على استمرار الاعتلال النفسي والطبي المرتبط بالصدمات الشديدة. إن الفشل في توقع المرونة والقدرات على التكيف يؤدي إلى وصم الناجين من خلال وصفهم بأنهم متضررون بشكل لا يمكن إصلاحه على المستوى الاجتماعي. وفي بعض الأحيان، على العكس من ذلك، قد ينكر الفرد المصاب بصدمة نفسية أو يخفي العواقب طويلة المدى للتعرض لصدمات متعددة، مما قد يؤدي إلى انخفاض معايير الرعاية.

الحالة التالية تصف مجموعات مختلفة من الحوادث المؤلمة وانتهاكات حقوق الإنسان على مدار الوقت. بدأت سلسلة من الحوادث المتفرقة بنزاع محلي بين والد أحد الضحايا ومقاتل أجنبي من تنظيم داعش:

جاءت دورية إلى منزلنا في الليل واعتقلت والدي، إثر شكوى قدمها [المقاتل الأجنبي] ضد والدي بتهمة كونه خارجي وأنه قتل عناصر من داعش.¹¹⁷⁵ لقد اخنقى والدي لأكثر من شهر. ولم نعرف عنه شيئاً. ولم نتمكن حتى من السؤال عنه؛ كل ما نعرفه هو أنه محكوم عليه [بالموت].

¹¹⁷⁰ المرجع نفسه.

¹¹⁷¹ Mat Wolf, 'The Tribe That Won't Stop Killing ISIS', <https://www.thedailybeast.com/the-tribe> (12 تشرين الأول / أكتوبر 2015) <<https://www.thedailybeast.com/the-tribe>>

¹¹⁷² [that-wont-stop-killing-isis](https://www.alarabiya.net/News/middle-east/2014/11/03/iraq-says-322-tribe-members-killed)؛ [Al Arabiya News](https://www.alarabiya.net/News/middle-east/2014/11/03/iraq-says-322-tribe-members-killed), 'Iraq says over 300 tribe members killed by ISIS' (3 November 2014) <<https://www.alarabiya.net/News/middle-east/2014/11/03/iraq-says-322-tribe-members-killed>> (شوهدي في 5 تموز / يوليو 2023).

¹¹⁷³ Anne Speckhard and Molly D. Ellenberg, 'ISIS in Their Own Words: Recruitment History, Motivations for Joining, Travel, Experiences in ISIS, Defectors and Prisoners' (2020) 13 <<https://www.istor.org/stable/26907414>> (شوهدي في 5 تموز / يوليو 2023).

¹¹⁷⁴ UNHRC, "They Came to Destroy": ISIS Crimes Against the Yazidis (15 حزيران/يونيه 2016)، ص 26 (ج) <https://www.ohchr.org/sites/default/files/Documents/HRBodies/HRCouncil/ColSyria/A_HRC_32_CRP.2_en.pdf> (شوهدي في 5 تموز / يوليو 2023).

¹¹⁷⁵ Chris Bosley and others, 'Can Syrians Who Left ISIS Be reintegrated in Their Communities?' (معهد الولايات المتحدة للسلام، 21 تشرين الأول/أكتوبر 2020) <<https://www.usip.org/publications/2020/10/can-syrians-who-left-isis-be-reintegrated-their-communities>> (شوهدي في 5 تموز / يوليو 2023).

¹¹⁷⁶ الخواجات تعني ارتد "خرج" وتشير إلى مجموعة من المسلمين كانوا في البداية من أتباع الخليفة الرابع في الإسلام، علي بن أبي طالب، ابن عم وصهر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

خلال تلك الفترة، أتت ثلاث نساء يعملن في الحسبة النسائية إلى منزلنا أرسلهن [المقاتل الأجنبي] وأخبرونا بوضوح أن إحدانا يجب أن تتزوج من مقاتل أجنبي بريطاني يعمل تحت قيادة [...] عضو رفيع المستوى في داعش، أو سيعدمون والدي. كانت أختي صغيرة جدًا، لذلك قررت أن أضحي بنفسني لإنقاذ والدي من العقاب. الخوف من [داعش] ملأ قلبي وعقلي. كنت أعيش حالة نفسية مدمرة، حيث كان قتل الناس أمرًا طبيعيًا بالنسبة لهم.

[بمجرد أن وافقت]، أحضرت مجموعة مسلحة والدي إلى المنزل لتظهر لنا أنه لا يزال على قيد الحياة. كنا تحت حراسة أمنية مشددة طوال فترة الخطوبة حتى [تم التوقيع] على عقد الزواج في المحكمة الشرعية. ثم أخيرًا أطلقوا سراح والدي. كانت أيامي مليئة بالخوف والرعب والانزعاج والقلق.¹¹⁷⁶

لكن معاناة المرأة كانت قد بدأت للتو. وروت كيف في الليلة الأولى بعد الزواج:

لقد كنت متشنجة وخائفة. لم أسمح له بالاقتراب مني، لكنه أجبرني. لم أستطع مساعدة نفسي. لقد هددني وقال لي: "لا أحد يستطيع مساعدتك مهما فعلت". وبعد ساعة تم نقلي إلى المستشفى، حيث مكثت يومًا واحدًا [بسبب نزيف]. لقد عاملني معاملة سيئة للغاية، حتى بعد أيام من خروجي من المستشفى. كل ما كان يهمهم هو إرضاء نفسه، كأنه استعبدني أو أنني حيوانه.

وبعد فترة وجيزة تزوج للمرة الثانية. اتهمني بالتحدث مع الغرباء رغم أنه كان لديه المفتاح وكان يغلق الباب الأمامي كلما خرج. كنت على وشك الانفجار. وفي بداية زواجه الثاني حملت بتوأم. وكان عندما يغضب لأي سبب تافه يضربني بأي شيء يكون في يده. كان جسدي دائمًا مليئًا بالكدمات والجروح. ولم يمر يوم دون أن أتعرض للضرب.

خلال تلك الفترة، مُنعت من الاختلاط بالناس أو زيارتهم، [حتى] عائلتي. كنت بالكاد أراهم مرتين كل عام، وعندما كان يخرج، كان يرافقتي إلى منازل بعض أصدقائه [مقاتلي داعش الأجانب] للجلوس مع زوجاتهم. لكنني لم أتعرف على لغاتهم أو أفهم ما يتحدثون عنه.

لقد ولدت في مستشفى الولادة التابع لداعش لأنه مجاني. وبعد فترة قصيرة انتقلت معه إلى مدينة [أخرى] وانقطعت كل اتصالاتي مع عائلتي تمامًا. بدأ يستغل حقيقة أنني لا أعرف أحدًا في المكان الجديد [...] و[ليس لدي] مكان أذهب إليه. وأصبح الضرب والإذلال أكثر تواترًا. حاولت الهروب أكثر من مرة، لكن محاولاتي باءت بالفشل. وبعد ذلك انتقلنا إلى الريف حيث تزوج مرة أخرى.

أصيب ابني الصغير [ج.] بشظية في الرأس. ولا يزال يعاني من الإصابة حتى الآن. في بعض الأحيان، يحتاج إلى علاج باهظ الثمن، ووضعني المالي لا يسمح لي بعلاجه. لم يتم التعرف على أطفالي الآن، ليس لديهم أصل ولا أسرة ولا تسجيل مدني. ولا يُعرفون إلا من خلال حقيقة أن والدهم [تم حجب الاسم]. أطفالي المساكين منبوذين.

بعد مرور بعض الوقت، انتقلنا إلى منطقة [أخرى]، وكانت وجهتنا الأخيرة. بدأت المعارك، فانضم للقتال وتركني في ما يُسمى بالمضافات، وهي بمثابة بيوت جماعية لنساء وأطفال داعش. ثم علمت أنه قد مات. وفي تلك الأيام الصعبة وصلنا إلى مرحلة نحفر فيها قبورنا بأيدينا. أجبرنا مقاتلو داعش على حفر قبورنا والعيش داخلها. قالوا لنا إنه لا أمل في الخروج وأنه ممنوع علينا أن نحاول الهرب. بقينا أنا وأولادي مختبئين داخل ذلك القبر.¹¹⁷⁷

حتى ذلك الحين، لم تنته محنة الأسرة:

وبعد فترة قصيرة تم نقلنا إلى مخيم الهول. طوال فترة الثلاث سنوات [التي أمضيها هناك]، تمكنت من التواصل مع [عائلتي] مرة واحدة، بعد سبعة أشهر من وصولي إلى مخيم الهول. خرجت من المخيم

¹¹⁷⁶ الإفادة الفردية رقم 41، كوبياني.

¹¹⁷⁷ المرجع نفسه.

برعاية أحد الشيوخ، وبوساطة مكتب العلاقات العامة في الإدارة الذاتية. عدت إلى منزل أهلي، لكن معاناتي زادت بعد عودتي، لأن أهلي أجبروني على الزواج من رجل عجوز وعدني بتسجيل الأطفال باسمه.¹¹⁷⁸

توفي الرجل العجوز بعد وقت قصير من زواجهما، وترك أطفالها غير مسجلين مرة أخرى. وحتى الآن تواجه المرأة صعوبة في إعالة الأسرة، ورغم أنها حاصلة على شهادة الثانوية العامة إلا أنه يتم رفضها عند التقدم للوظائف. السنوات التي عاشتها تحت حكم داعش تركت انطباعًا جسديًا ونفسيًا عميقًا عليها:

كانت تلك سنوات مأساوية للغاية: لقد اتسمت حياتي بالرعب والخوف والقلق. لم تتح لي الفرصة لأعيش حياة كريمة مثل كل الشابات من جيلي، فقط لأكون ضحية. ماذا سيكون مصيري وماذا سيحدث لي وما هو الذنب الذي ارتكبته؟ ماذا سيكون مصير أطفالتي وماذا يريد مني المجتمع ومتى تنتهي مأساتي؟ الجميع الآن يربطني بتلك الحقبة ويعاملني وكأنني أنتمي إلى داعش. أنا مرفوضة من كل الأطراف، بما في ذلك الإدارة [الذاتية]، ولكن الأهم من ذلك كله [من] كل الأشخاص الذين ما زالوا يتبعون أفكار ومعتقدات داعش. أنا مرفوضة من العرب وغير العرب أينما ذهبت. أنا وأولادي ضحايا هذا المجتمع، وأعتقد أن مستقبل أطفالتي سيكون أسوأ مما يعيشونه الآن. وضعي المالي سيء للغاية. أعيش على خيرات أهل الخير الذين يساعدونني لأنهم يعلمون أنني أقوم بتربية الأيتام. مأساتي ترافقني ليل نهار. خلال النهار، أواجه المجتمع وعائلتي، وأرى أطفالتي ينامون بجانبتي، وأفكر بهم طوال الوقت. في الليل تراودني كوابيس بسبب الأفعال الشنيعة التي مورست على جسدي وأنوثتي.¹¹⁷⁹

ومن الواضح أنه ينبغي اعتبار الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي بمثابة عمليات تكيف حيوية ومستمرة مع الأحداث السلبية والصادمة، والتي يكون بعضها عميقًا وشديدًا.

الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي

كان لوجود تنظيم داعش المطول تأثيرات مباشرة على كافة مناطق شمال شرق سوريا، وتظهر هذه التأثيرات بشكل واضح في المجتمع من خلال مجموعة من أعراض الصحة النفسية والضيق النفسي. تم وصف التأثير المباشر لعنف داعش على السكان من قبل جميع المشاركين في المقابلة بأنه "صادم". على سبيل المثال، قال عامل في مجال الحماية والدعم النفسي الاجتماعي في الرقة:

إنه لأمر صادم حقًا أن أرى العدد الهائل من الأشخاص الذين أقابلهم خلال يوم عملي يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة، بسبب قيام داعش بإجبار العائلات على حضور عمليات الإعدام الميدانية.¹¹⁸⁰

ويعاني معظم الأطفال الذين شهدوا عمليات الإعدام من صدمة نفسية. ويقال إن سلس البول -بسبب الخوف الذي تعرضوا له أثناء المعارك أو أشكال العنف الأخرى- أصبح الآن منتشرًا على نطاق واسع. كما أن النساء أيضًا تعرّضن للعنف الشديد على يد تنظيم داعش.

ومع ذلك، وعلى الرغم من المحاولات العديدة للتخفيف من حدة هذه التأثيرات، فقد تم الإبلاغ خلال البحث عن تقدم محدود أو عدم التقدم. على سبيل المثال، أفاد أحد العاملين في مجال الرعاية الصحية في إحدى المنظمات غير الحكومية في شمال شرق سوريا بما يلي:

¹¹⁷⁸ المرجع نفسه.

¹¹⁷⁹ المرجع نفسه.

¹¹⁸⁰ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مدير مشروع الحماية والدعم النفسي الاجتماعي في منظمة محلية في الرقة.

أما الجانب النفسي فلم يحظ بعد بالاهتمام المطلوب: وقد يعود ذلك إلى صعوبة حصر الحالات في كافة المجالات وقياس مدى تأثيرها. وعلينا أن نعترف بأن الضرر النفسي لا يقتصر على [الفرد]، بل يمتد إلى أسرته، ومجتمعه، والبيئة أيضًا.¹¹⁸¹

استراتيجية الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي؟

لا يوجد دليل قاطع على ما إذا كانت تدخلات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في شمال شرق سوريا تسترشد بتحليل استراتيجي فعال. من ناحية، تشير منظمة الصحة العالمية إلى أن المشاريع يتم تنفيذها بما يتماشى مع تحليل الاحتياجات الواردة في خطة الاستجابة الإنسانية لعام 2022-2023 واللمحة العامة على الاحتياجات الإنسانية. ومع ذلك، ونظرًا للطبيعة الطارئة للسياق، لم يتم تنفيذ ركائز النظام الصحي على النحو المنشود. ووفقًا لمسؤول منظمة الصحة العالمية، فإن "المشاريع تتماشى مع الأهداف الاستراتيجية التي تم إنشاؤها من قبل مجموعة العمل الصحية" و"كانت التقييمات المختلفة [...] توصي بالأهداف الاستراتيجية التي تستخدمها المنظمات غير الحكومية".¹¹⁸²

ومن ناحية أخرى، هناك تصور معين كما أشار أحد المتخصصين حيث:

تعزز معظم المشاريع الحالية الرعاية الصحية الأولية. تعتمد الأقسام النفسية على دعم نفسي غير متخصص، وهو ما لا يؤدي إلى علاجات فعالة وذات معنى، لأن أغلب التأثيرات الأولية تحولت إلى اضطرابات متقدمة. ولا يمكن للتدخلات غير المتخصصة أن تطور حلولاً وخطط علاجية كافية طويلة المدى.¹¹⁸³

وبالمثل، أضاف العامل في مجال الرعاية الصحية في الرقة:

معظم هذه المشاريع قصيرة الأجل وتعتمد على توافر الدعم المالي. فهي لا تكفي لإحداث أي تأثير نفسي [ذا معنى] سواء على الأفراد أو المجتمعات.¹¹⁸⁴

وأفادت مصادر أخرى أن المشاريع الحالية لا تلبي الاحتياجات الفعلية لتعزيز الرعاية الصحية الأولية المتكاملة. في حين أن المرحلة الأولى لخطة دمج الصحة النفسية في الرعاية الصحية الأولية ستكون من خلال إجراء تحليل لاستعداد نظام الرعاية الصحية المحلي، أفاد العديد من مصادر المعلومات الرئيسية أن دمج الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في الرعاية الصحية الأولية يجب أن يكون عملية تعاونية تتطلب مشاركة جميع أصحاب المصلحة - بما في ذلك الرعاية الصحية الأولية وأخصائيي الرعاية الصحية النفسية ومقدمي الرعاية ومستخدمي الخدمات، والوكالات - التي تنتج في نهاية المطاف قرارات بعيدة المدى ومنسقة وواقعية وعملية، مع استثمار جميع الأطراف في العمل الأساسي. لسوء الحظ، فإن الافتقار إلى الرعاية المتكاملة، وهو أمر أساسي للنهوض بكل من الرعاية الصحية الأولية والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي جنبًا إلى جنب، يعني أن "بعض [الشركاء] يركزون على خدمات الصحة الأولية ويتجاهلون جانب الصحة النفسية" بينما "يركز آخرون على الجانب النفسي على حساب [الاهتمام بـ] الصحة الجسدية".¹¹⁸⁵

ولا يزال التنسيق في جميع المجالات مجالًا يحتاج إلى تحسين عاجل. وأشار ممثل منظمة الصحة العالمية إلى ما يلي:

توجد منصة عبر الحدود لتقديم خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي، كما أن مجموعة عمل الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي فعالة في مناقشة التحليل المتعمق للاحتياجات المحلية. ومع

¹¹⁸¹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، أخصائي في الدعم النفسي الاجتماعي والعنف الجنسي القائم على النوع الاجتماعي في منظمة محلية غير حكومية في شمال شرق سوريا.

¹¹⁸² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي، منظمة الصحة العالمية.

¹¹⁸³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، أخصائي في الدعم النفسي الاجتماعي والعنف الجنسي القائم على النوع الاجتماعي في منظمة محلية غير حكومية في شمال شرق سوريا.

¹¹⁸⁴ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مدير مشروع الحماية والدعم النفسي الاجتماعي في منظمة محلية غير حكومية في الرقة.

¹¹⁸⁵ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، عاملة في منظمة غير حكومية.

ذلك، فإن الحاجة الماسة في [شمال شرق سوريا] هي إعادة بناء الخدمات مع الأخذ في الاعتبار عدم وجود قسم للصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي على مستوى [وزارة الصحة]، مما يعني وجود ثغرة هيكلية - لا توجد آليات حكم ولا تخطيط استراتيجي في الوقت الحالي، يوجد فقط عمليات مرحلية مخصصة.¹¹⁸⁶

أولويات الصحة النفسية الرئيسية

هناك خلاف مستمر حول الأهمية النسبية لعوامل الخطر والحماية المختلفة عند النظر إلى النتائج الصحية.¹¹⁸⁷

أولاً، تتشكل الاضطرابات النفسية بفعل البيئات الاجتماعية والاقتصادية والمادية المختلفة التي تعمل في مراحل مختلفة من الحياة، ولا يختلف هذا الأمر عن الحالة الموجودة في شمال شرق سوريا. ترتبط عوامل الخطر للعديد من الاضطرابات النفسية الشائعة ارتباطاً وثيقاً بعدم المساواة الاجتماعية. عانى الفقراء والمحرومون في شمال شرق سوريا بشكل مفرط، لكن أولئك الذين هم في منتصف التدرج الاجتماعي تأثروا أيضاً. وبما أن اضطرابات الصحة النفسية ترتبط بشكل أساسي بالعديد من حالات الصحة البدنية الأخرى، فقد أثر تنظيم داعش بشكل كبير على المحددات الاجتماعية في المناطق التي يسيطر عليها، مع تأثير واسع على عدم المساواة بين الفئات العمرية (من حيث الوصول إلى الخدمات الصحية والتعليم وسبل العيش). وكما قال أحد مصادر المعلومات الرئيسية: أيضاً "أثر [داعش] على المحددات الاجتماعية للصحة النفسية"¹¹⁸⁸

بدأ تأثير داعش على الصحة النفسية في الظهور عندما بدأ الأفراد الذين يعانون من ضائقة شديدة في رواية قصصهم وتلقي الدعم الأولي. قال مسؤول الدعم النفسي الاجتماعي في إحدى المنظمات غير الحكومية الدولية:

لقد سمح التواصل مع المستفيدين وتقديم خدمات الدعم النفسي والاجتماعي المتزامنة، [باكتشاف] زيادة نسبة حالات العنف القائم على النوع الاجتماعي، مما تسبب في تأثير سلبي على الصحة النفسية للناجين.¹¹⁸⁹

ثانياً، تشمل أدوات تقييم الاحتياجات النفسية للمتضررين من داعش تقارير الإحالة لخدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي الحالية، والتقييمات القبلية لإدارة المشكلات، والمسوحات المجتمعية لقياس شدة الضائقة النفسية، والتقارير التي يتم مشاركتها من قبل مقدمي الخدمات في مجموعة العمل التقنية المعنية بالصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في شمال شرق سوريا ومنتديات منظمة الصحة العالمية. والأهم من ذلك، تشير مصادر المعلومات إلى ثغرة مهمة:

حتى الآن، لم تتمكن الخدمات المقدمة في شمال شرق سوريا من تغطية معظم احتياجات الصحة النفسية والصحة العامة، ولا تزال هناك فجوات من حيث نوع الخدمات الصحية المتوفرة والمواقع التي يتم تغطيتها.¹¹⁹⁰

هناك أيضاً أدلة على أن جودة تدخلات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي لا تزال أقل من معايير الجودة الكافية. تكمن العوائق التي تحول دون الرعاية المتكاملة في متطلبات الإبلاغ (عن الأعراض) المختلفة بين مقدمي الخدمات والأنظمة الرقمية والتحديات في مجال التعاون والبيروقراطية والتباين في ساعات العمل.¹¹⁹¹ لا يقتصر تقديم المساعدة المجزأة على العيادات الخارجية التابعة للمنظمات غير الحكومية، والأدوية الموصوفة وغيرها من التدخلات السلوكية،

¹¹⁸⁶ المرجع نفسه.

¹¹⁸⁷ W.A. Tol and others, 'Mental health and psychosocial support in humanitarian settings'.

¹¹⁸⁸ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي، منظمة الصحة العالمية.

¹¹⁸⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤولة دعم نفسي اجتماعي ريفية المستوى في منظمة دولية غير حكومية في شمال شرق سوريا.

¹¹⁹⁰ المرجع نفسه

¹¹⁹¹ عدة مقابلات مع مصادر المعلومات الرئيسيين وإفادات فردية (خلاصة الكبسولات).

ولكن أيضًا على آراء مصادر المعلومات الرئيسيين - كما رأينا في تقارير حالات الضحايا - التي أشارت إلى الفعالية المشكوك فيها لخدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي غير المدعومة بالأدلة السريرية. في الواقع، فيما يتعلق بمعالجة الاضطرابات النفسية الشديدة والاكتئاب، كان مشهد الخدمة من الناحية السريرية يعادل عدم وجود علاج على الإطلاق.¹¹⁹²

يعترف مسؤولو منظمة الصحة العالمية بالقيود الجغرافية والاجتماعية عندما يتعلق الأمر بالوصول إلى خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي:

تعمل منظمة الصحة العالمية [على مدار الساعة] لإعداد التدخلات التشغيلية في شمال شرق سوريا من خلال دعم التماسك المجتمعي والعديد من مشاريع المنظمات غير الحكومية. وبظل من الواضح أن وصول منظمة الصحة العالمية مرتبط بتوافر وقدرة الشركاء من المنظمات غير الحكومية؛ وكانت تتم الموافقة عليها من قبل [وزارة الخارجية] السورية والسلطات الحكومية في الحسكة¹¹⁹³.

ثالثًا، إن حالات الاكتئاب والحالات المزاجية الاكتئابية واضطراب ما بعد الصدمة منتشرة على نطاق واسع. ويبدو أن الأدوار الأسرية والضغط الاجتماعي تؤدي إلى تفاقم القلق والضيق النفسي الشديد، المصحوب بمشاعر الخوف. في شمال شرق سوريا، أكد العديد من المخبّرين أن بعض الأنشطة الأكثر نجاحًا كانت تلك التدخلات المقدمة للضحايا الذين تم تشخيص إصابتهم بدرجات متوسطة أو خفيفة من الاكتئاب، حيث اعتمدوا بشكل كبير على العلاج السلوكي المعرفي وجلسات إدارة المشكلات المتقدمة للأفراد. ومجموعات إدارة المشاكل الإضافية التي قدمتها منظمة الصحة العالمية¹¹⁹⁴.

الجدول 5: التحديات الرئيسية للصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي والتدخلات الناجحة في شمال شرق سوريا

التحديات الرئيسية	تحديات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي الأكثر نجاحًا
عدم كفاية التخطيط الاستراتيجي	مجموعات الأقران: يتضمن ذلك تقديم جلسات علاجية للعمالء والتأكد من أنهم يعالجون تجاربهم الصادمة ويكتسبون مهارات جديدة.
الافتقار إلى الموارد البشرية المؤهلة	إدارة الحالات: الرعاية الفردية باستخدام العلاج المعرفي السلوكي والتقنيات السلوكية.
محدودية الوصول إلى بعض المناطق المتضررة	توفير خدمات متكاملة: خدمات التوعية (دورات التوعية الصحية ودورات التوعية في مجال خدمات دعم البرامج) ؛ وخدمات الصحة الإنجابية ؛ وبرامج محو الأمية وسبل العيش ؛ للحالات التي تعرضت للعنف القائم على نوع الاجتماعي.
نقص الأطباء النفسيين وعلماء النفس السريريين	الاستشارات واسعة النطاق بخصوص الفجوة في الصحة النفسية
انخفاض الوعي حول احتياجات الصحة النفسية والعقلية	التثقيف النفسي: جلسات تتضمن مناقشات حول الصدمة والآثار المرتبطة بها.
عدم وجود مرافق للمرضى المقيمين للحالات الشديدة	مشاريع المساحة الآمنة للنساء والفتيات مع خدمات الاستشارة.
عدم وجود الكليات التي تقدم خدمات التدريب على الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي	تحسن في حالات الاكتئاب المنخفضة والمتوسطة، مع ملاحظة تحسن كبير في حياة المرضى الاجتماعية والجسدية والعاطفية بعد المشاركة في برامج PM+ (إدارة المشاكل الإضافية)

¹¹⁹² انظر: تقارير الحالات في قسم "البعد الإنساني" من هذا التقرير.

¹¹⁹³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي، منظمة الصحة العالمية.

¹¹⁹⁴ المرجع نفسه؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي/ مسؤولة دعم نفسي اجتماعي رفيع المستوى في منظمة دولية غير حكومية في شمال شرق سوريا؛ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مدير مشروع الحماية والدعم النفسي الاجتماعي في منظمة محلية غير حكومية في الرقة.

نقص الأدوية النفسية الأساسية	استشارات وخيارات واسعة النطاق لتعليم تقنيات الاسترخاء وتمارين التنفس العميق وغيرها من التمارين العملية.
لا توجد مناهج برنامجية شاملة مخصصة لضحايا الصدمات على النحو المنصوص عليه من قبل مركز ضحايا التعذيب	قبول خدمات الصحة النفسية داخل المجتمعات المحافظة.
معظم الكوادر على مستوى الموظفين ليس لديهم خلفية نفسية أو استشارية.	جلسات المرونة النفسية؛ جلسات علاجية فردية؛ جلسات العدالة والشفاء. جلسات توعية جماعية؛ برامج الدعم الخاصة؛ برامج تدريبية متقدمة ومحدثة وأساليب العلاج النفسي الجديدة؛ توفر المراكز المخصصة لهذه الخدمات.
نقص الإمدادات اللوجستية والفنية اللازمة لتطوير ودعم المشاريع ¹¹⁹⁵	
سوء تنسيق	

اتفق العديد من مصادر المعلومات في النهاية على القضايا الأساسية الرئيسية. عند تقييم ما إذا كانت تدخلات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي الحالية تتبع مسارًا محددًا أو خط إحالة الحالة، ميزت الردود المتعددة الوضع من حيث ندرة الخدمة:

بعض المنظمات والمراكز لديها خط محدد لإحالة الحالة ومتابعتها. غير أن المشكلة الرئيسية تكمن في ندرة الخدمات المتاحة، التي تعوق عملية [تقديم الخدمات] - حتى بالنسبة للأعداد المحدودة التي تكون فيها الخدمة مضاعفة أحيانًا في بعض المناطق.¹¹⁹⁶

بالإضافة إلى ذلك، وكما أضاف أحد العاملين المحليين في مجال الرعاية، فإن "الافتقار إلى الخدمات المتكاملة هو العائق الرئيسي أمام مسار الإحالة".¹¹⁹⁷

وبالمثل، لخصت مقابلة مع مختص من منظمة محلية أولويات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في مرحلة ما بعد داعش التي تحتاج إلى معالجة،¹¹⁹⁸ كما أثرت أفكار مماثلة مرارًا وتكرارًا من قبل مصادر معلومات آخرين أيضًا. وشملت تلك الأولويات: التوعية والتثقيف النفسي والصحي؛ العمل على إنشاء "خريطة خدمة" للخدمات النفسية التي تقدمها المنظمات المختلفة؛ ضرورة إنشاء مراكز متخصصة تعنى بالصحة النفسية؛ والالتزام بتدريب فريق متخصص في الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي (خاصة بالنظر إلى حساسية التعامل مع الضحايا والناجين والطبيعة المتعددة الأوجه للانتهاكات المرتكبة في ظل وأثناء الحرب ضد داعش).

تمتية قدرة الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي

وعلى حد تعبير أحد العاملين الصحيين في شمال شرق سوريا، فإن "الصحة النفسية لم تحظ بعد باهتمام حقيقي ملحوظ [لكنها] تستحق الاهتمام والتمويل والتنسيق".¹¹⁹⁹

¹¹⁹⁵ أفادت مصادر المعلومات أن تنسيق الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في شمال شرق سوريا لم يسفر بعد عن أي ممارسات جيدة. تشمل القضايا الرئيسية المتبقية الإحالة غير المنتظمة وغير الصحيحة في كثير من الأحيان لحالات الصحة النفسية والتأخير في العلاج. وبسبب هذا الموقف واستجابة مصادر المعلومات الرئيسيين، لم يكن من الممكن ملء الأعمدة المقابلة حول تدخلات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي الناجحة للصنفين التاليين من الجدول.

¹¹⁹⁶ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي، منظمة الصحة العالمية.

¹¹⁹⁷ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، عاملة في منظمة محلية غير حكومية.

¹¹⁹⁸ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، أخصائية في الدعم النفسي الاجتماعي والعنف الجنسي القائم على النوع الاجتماعي في منظمة محلية غير حكومية في شمال شرقي سوريا.

¹¹⁹⁹ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، مسؤول الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي، منظمة الصحة العالمية.

توجد أنشطة بناء قدرات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي لمقدمي الخدمات في شمال شرق سوريا (على سبيل المثال، على شكل تدريب الدعم النفسي الاجتماعي للأطباء والأخصائيين الاجتماعيين والمجتمعيين والمنظمات). يقدم معظم مقدمي خدمات الحماية والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي والتدريبات وخطط بناء القدرات للعاملين في مجال الصحة، والعاملين الصحيين المجتمعيين، والعاملين في مجال الصحة النفسية والاجتماعية والعاملين في مجال التوعية حول الحماية.¹²⁰⁰

ومع ذلك، قال مسؤول منظمة الصحة العالمية إن "العاملين الصحيين في المنظمات الصحية الدولية والمنظمات الإنسانية المحلية التي لديها شراكات ودعم مالي دولي هم وحدهم الذين يمكنهم الاستفادة من" هذه الأنشطة.¹²⁰¹ في الواقع، الدورات التدريبية المتخصصة نادرة جدًا. تختلف حزم التدريب بين مقدمي خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي، وتوجد مجموعة متنوعة من تقنيات التدريب، على الرغم من معايير اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات والدور الاستباقي الذي تلعبه منظمة الصحة العالمية ومجموعة عمل الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي. ومع ذلك، ظهرت انتقادات متصلة للمؤسسات رفيعة المستوى التي توفر بناء القدرات. شهد أحد العاملين في مجال الحماية والدعم النفسي الاجتماعي في إحدى المنظمات غير الحكومية في شمال شرق سوريا كيف "واجهوا في كثير من الأحيان مستوى منخفضًا من الكفاءة والوعي بثقافة المكان، حيث تم اعتماد الأساليب الدولية [التي] لم تعالج المشاكل النفسية والاجتماعية القائمة بشكل كافٍ".¹²⁰²

لم يتم الإبلاغ بشكل متكرر عن الإشراف الداعم أثناء العمل، ولم يتمكن فريق البحث من الحصول على بيانات أو أدلة حول عمليات المراقبة الحالية فيما يتعلق بما يلي: (أ) التدريب على الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي (على سبيل المثال، من خلال اختبارات ما قبل وما بعد التقييم، تمارين إظهار المهارات والمراقبة أثناء التدريب)؛ (ب) تقنيات قياس الاحتفاظ بالمعرفة والأداء الوظيفي (على سبيل المثال، التغذية الراجعة من المشرفين والمديرين وتقييمات الأداء وتقييمات المتابعة الدورية)؛ أو (ج) تقييمات تغيير السلوك لقياس ما إذا كانت تدريبات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي قد أدت إلى تغيير سلوك المتدربين (على سبيل المثال، من خلال الملاحظات الوظيفية للمتدربين ومهارات الإحالة للصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي الخاصة بهم). تُجمع التقارير على أن العاملين الصحيين الذين يعملون بشكل مستقل أو في مؤسسات الرعاية الصحية الرسمية لا يتلقون مثل هذه التدريبات. بالإضافة إلى ذلك، لم تتوفر بيانات حول الرضا والتغذية الراجعة بين المتدربين لقياس مدى رضاهم عن برامج التدريب من خلال الاستبيانات و/أو نماذج التغذية الراجعة و/أو المقابلات.

الحواجز الناشئة والتوصيات

تظهر بيانات فريق البحث أن العوائق النظامية الناشئة أمام الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في شمال شرق سوريا هي:

- الوعي المحدود بالصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي بين المستفيدين (مثل عدم الاعتراف بالحاجة إلى الدعم والعلاج أو عدم الاستجابة من قبل بعض الضحايا بسبب الخوف من الوصمة)؛
- الفشل في جذب أو تحريك المستفيدين (بسبب الخوف من الوصمة أو القيود الاجتماعية مثل رفض الاختلاط بين الجنسين).
- صعوبة التقييم والقياس (بسبب حجم الضرر وعدد المتضررين وكذلك النطاق الجغرافي الكبير لشمال شرق سوريا).
- المخاطر الأمنية ونفشي الأمراض وانخفاض التمويل مما يؤدي إلى إغلاق مرافق الرعاية الصحية. و
- الانتقال من المبادرات الإنسانية إلى المبادرات الموجهة نحو المرونة (القدرة على الصمود) والمتمحورة حول الضحايا في شمال شرق سوريا والتي تتطلب من الشركاء الدوليين الاستثمار في التقييمات لتحديد البرامج أو التدخلات الاستراتيجية التي تعتبر ضرورية للمستقبل على المدى الطويل.

¹²⁰⁰ الموظفون المسؤولون عن تنمية القدرات الداخلية هم مشرفو الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي ومسؤولو الحماية ومسؤولو الدعم النفسي الاجتماعي والمستشارون التقنيون للصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي.

¹²⁰¹ المرجع نفسه

¹²⁰² مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، عامل في الحماية والدعم النفسي الاجتماعي، منظمة محلية.

علق العديد من مصادر المعلومات أيضًا على دور مجموعة عمل الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي والحاجة إلى إعطاء أولوية أعلى لمشاريع الخدمة المتكاملة. وأوصوا بالتغييرات التالية في تقديم الخدمة:

- خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي وبرامج إدارة الحالات في جميع مشاريع الرعاية الصحية.
- أن يكون أخصائي الطب النفسي والصحة النفسية متوفرًا لعلاج الحالات الطبية النموذجية في جميع المشاريع.
- التدخلات المتخصصة والمستشفيات المجهزة بشكل مناسب ضرورية للمرضى الذين يعانون من اضطرابات تتطلب رعاية مستمرة.
- التخطيط لمراكز تأهيل الإدمان. و
- التدريب المتخصص وزيادة أعداد المتخصصين وبرامج العلاج الفعالة.

وأخيرًا، قدم أحد مصادر المعلومات "قائمة المهام" للتغلب على بعض التحديات التي تم استكشافها في هذا الفصل. لا توجد مراكز مخصصة للصحة النفسية، كما أن خدمات الدعم النفسي الاجتماعي محدودة للغاية مقارنة بالمساحة الجغرافية الشاسعة والعدد الكبير من الأفراد المتضررين. ولضمان نجاح هذه التدخلات لا بد من: إنشاء مراكز متخصصة للصحة النفسية يشرف عليها خبراء؛ إنشاء ملاجئ مخصصة للأشخاص ذوي الإعاقات النفسية المتأثرين بالنزاع وتداعياته؛ و[النظر في] ما إذا كان المريض هو معيل الأسرة، [يقدم/تقدم] المساعدة لأسرهم.

بالإضافة إلى ذلك، فإن التوعية حول الأمراض النفسية والعقلية و[علاج هذه الأمراض] كأى مرض آخر [...] هو أمر بالغ الأهمية.¹²⁰³

خاتمة

كان تنظيم داعش مسؤولاً عن عدد لا يحصى من انتهاكات حقوق الإنسان والصدمة التي أثرت على الأفراد والأسر والمجتمعات المحلية في جميع أنحاء شمال شرق سوريا خلال سنوات حكم داعش والصراع اللاحق ضده. وكان المدنيون، وخاصة النساء والأطفال، ولا يزالون من بين الفئات الأكثر تضرراً. في حين أن تنظيم داعش لا يزال يشكل تهديداً في جميع أنحاء شمال شرق سوريا، فإن القضايا السائدة في مرحلة ما بعد داعش مثل النزوح والعودة وانعدام الأمن وعدم كفاية الوصول إلى سبل العيش تؤدي إلى استمرار خطر ضعف السلامة النفسية والاجتماعية بين المجتمعات المحلية. ومع ذلك، لا يزال هناك نقص في الوضوح حول فعالية تدخلات الدعم النفسي والاجتماعي التي يتم تنفيذها بشكل شائع والتي تركز على الوقاية من الاضطرابات النفسية والضيق النفسي وتعزيز السلامة (النفسية والاجتماعية).

كشف فريق البحث خلال تفاعلاته مع مصادر المعلومات الرئيسيين والضحايا عن العديد من النتائج الرئيسية حول الصحة العامة والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في شمال شرق سوريا:

- أدت البنية التحتية الصحية المتضررة وضعف الخدمات الأساسية إلى تقييد الوصول إلى الخدمات الصحية الأساسية والتغطية العادلة لها - بما في ذلك برامج التحصين الروتينية وخدمات الصحة الإنجابية، وصحة الأم والوليد والطفل. في بعض المناطق، لا تتوفر الكهرباء والمياه بشكل مستمر، ولا تزال العديد من المرافق الصحية متضررة أو مدمرة، مع وجود فجوات في التوظيف أينما وجدت هذه المشاكل. وفشلت السلطات في تقديم تعويضات للمنازل والمشاريع التجارية المدمرة.
- يدرك جميع المشاركين الحاجة الملحة لتعزيز قدرات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي - وهي مشكلة كبيرة حتى قبل انهيار داعش الإقليمي. هناك حاجة إلى القدرات لاكتشاف حالات الصحة النفسية والاضطراب النفسي الكبرى وتقييمها والإخطار بها/الإبلاغ عنها والاستجابة لها. وقد أدى النقاء وكالات الأمم المتحدة

¹²⁰³ مقابلة مع مصدر معلومات رئيسي، عامل في منظمة محلية غير حكومية.

والإدارات المؤسسية الحكومية والمنظمات غير الحكومية الشريكة في بعض الأحيان إلى عدم وضوح في تحديد للمسؤوليات

- إن حالات الصحة النفسية الأكثر انتشاراً وأهمية في شمال شرق سوريا هي اضطراب ما بعد الصدمة، واضطراب الحزن المطول، والاكتئاب، بالإضافة إلى أشكال مختلفة من اضطرابات القلق. إن البعد الأسري للضيق النفسي يعوق نمو الأطفال. كما ينبغي تقييم التفكير في الانتحار بمزيد من التعمق.
 - في حين أن الشركاء في المجال الإنساني والتنمية استثمروا بشكل كبير في تصميم وتنفيذ برامجهم، لم يكن هناك استثمار ضروري في تقييم مدى ملاءمتها واستدامتها على المدى الطويل فيما يتعلق باحتياجات الصحة والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في شمال شرق سوريا.
 - دعم المبادرات الرامية إلى "إغلاق حلقة التغذية الراجعة" وإبلاغ المجتمعات حول الأفكار التي تقدموا بها والتي يتم استخدامها لتكييف القطاع الصحي والاستجابة للصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي معها، لكنها ليست كافية. يتوقع أفراد المجتمع والعاملون في مجال الرعاية الصحية المزيد من المشاركة المجتمعية.
- تشير البيانات والتحليلات التي تم استكشافها في هذا الفصل إلى أن أولويات التقييم بشأن تأثير داعش على الصحة العامة، والأهم من ذلك، الصحة النفسية في شمال شرق سوريا يجب أن تستمر - وهو أمر يمكن القيام به من خلال البناء على الأبحاث الحالية وإطلاق مسارات جديدة للتحقيق فيما يتعلق بالجرائم المرتكبة من قبل داعش. ويساهم التراكم الهائل للضيق وما ينتج عنه من مشاعر الظلم بين الضحايا والناجين في خلق عبء على نتائج الصحة النفسية السلبية على المستويين الفردي والمجتمعي.
- ولذلك فمن الأهمية بمكان أن يستمر التقييم والتحقيق وأن تحظى الانتهاكات المرتكبة ضد الأطفال بأهمية خاصة عند العمل على إنهاء الإفلات من العقاب وتحسين معايير دعم التدخلات والتنسيق.

في نهاية ترجمة سيرته الموثوق بها، هتلمر: دراسة في الطغيان، طبق ألان بولوك ضريح كريستوفر رين في كاتدرائية القديس بولس في لندن: إذا كنت تبحث عن نصب تذكاري، فانظر حولك. يصف هذا التقرير نصب داعش التذكاري - وهو نصب البؤس والدمار الكئيب، والمذبحة الجسدية والنفسية.

من الصعب تجنب الكليشيهات في وصف ما فعله داعش بشعب شمال شرق سوريا: إن وصف فترة داعش في المنطقة بأنها فترة حكم رعب هو وصف دقيق، ولكنه يحتاج إلى تفكير. إنها قصة شر لا هودة فيه تُسحق الروح، ويتعرض لها أناس لم يفعلوا شيئاً لإثارة العنف العدمي الذي مزق حياتهم ومجتمعاتهم. من خلال قصص الضحايا ومن خلال تحليل المواضيع المختلفة، تصف هذه الرواية طبيعة الرعب الحقيقي الذي عاشوه - ليس لبضعة أيام أو أشهر، ولكن في بعض الحالات، على مدى خمس سنوات. وإنه من الصعب قراءتها دون الشعور بثقل الوحشية التي قضت على نفس الحياة في المدن والقرى.

إنها قصة مليئة بالبطولة والشجاعة والإقدام، ولكنها أيضاً مليئة بالألم والصدمة والخسارة التي لا يمكن فهمها. إن ثبات أولئك الذين نجوا من الاعتقال والتعذيب الجسدي والنفسي، والذين تجرأوا على الاعتقاد بأنهم قادرون على الخروج من عذابهم وفعلوا ذلك، هو إنجاز رائع للمرونة الإنسانية أو الصمود الإنسان. المعلمون الذين خاطروا بحياتهم لمواصلة التعليم الصحي للأطفال الذين أفسدت حياتهم المناهج السامة التي فرضها عليهم توفير التعليم السري. الأطباء والمرضون الذين سعوا إلى تقديم الرعاية في ظروف جعلت حتى المهام البسيطة نسبياً خطيرة ومهددة للحياة. أولئك الذين نظموا أو انخرطوا، كل على طريقته، في أعمال المقاومة، مهما كانت كبيرة أو صغيرة، ضد النظام السياسي والاجتماعي الرجعي المفروض عليهم، وغالباً ما كانوا معرضين لخطر كبير على حياتهم وحياة أسرهم. وفي بعض الأحيان كانت أعظم شجاعة - عندما ينظر المرء إلى الطبيعة الشاملة لإرهاب داعش - هي صمود الناس ورغبتهم في إعادة بناء حياتهم ومحاولة العثور مرة أخرى على قدر من الفرح والسعادة مع أحبائهم وجيرانهم ومجتمعاتهم.

سعى هذا التقرير إلى القيام بثلاثة أشياء؛ لتقديم قصة داعش في شمال شرق سوريا من خلال عيون المدنيين الذين عايشوها في حياتهم اليومية، وليس من خلال عيون الجنود أو من خلال عدسة أجنبي من الخارج. وقد سعى التقرير إلى تقديم التجربة الأصلية للمدنيين العاديين من الرجال والنساء، والاعتراف بكرامتهم كبشر، وهي الكرامة التي سعى داعش إلى سلبها منهم.

ثانياً، تظهر روايات وتحليلات هذا التقرير تأثير سنوات إرهاب داعش على حياة العائلات والمدن والقرى. كما يروي التقرير، بعبارة واضحة، عمق الأوهال والندوب التي خلفتها سنوات إرهاب داعش على الناس. إن تدمير حياة الأطفال وتدمير تعليمهم وتسميم عقولهم في مناهج دراسية مصممة عمداً يمثل تحدياً واضحاً وعميقاً.

وبالمثل، فقد تم أيضاً توضيح التأثير على الصحة النفسية والجسدية للكثيرين، وبالفعل كان الطغيان الطائش الذي تمت ممارسته على مهنة الطب لإعاقة الرعاية الصحية لعقود من الزمن واضحاً. إن درجة الصدمة النفسية والاجتماعية العميقة - وخاصة التقدير المرتفع للغاية لاضطراب ما بعد الصدمة المحتمل - تشكل آفة يومية في حياة الكثيرين.

إن رغبة داعش في معاملة النساء والفتيات على أنهن أقل شأنًا من الرجال والفتيان في جميع النواحي، يمثل جانباً مفاقماً للغاية من الرعب العام الذي يعيشه السكان. ومن الصعب فهم تأثير ذلك على الحياة اليومية وفرص الحياة لنصف السكان. كان الجانب الآخر من اضطهاد النساء والأطفال هو النموذج السام للذكورة الذي تغلغل في ثقافة داعش، من خلال عسكرة الذكور والابتهاج بالعنف الرجولي المتطرف وتمجيد العنف الذي تتم مكافأته بإخضاع النساء والفتيات كمكافآت وجوائز جنسية.

ويتناول التقرير أيضاً الجوانب الاقتصادية لكيفية عمل داعش وتأثيرها على اقتصاد المنطقة. حتى بدون داعش، كان للحرب الأهلية بالفعل تأثير مدمر على المنطقة؛ لقد جعل داعش هذا التأثير كارثياً حقاً، من تدمير البنية التحتية والزراعة إلى تحويل عائدات النفط. كان تنظيم داعش يهدف إلى إعادة شمال شرق سوريا إلى مجتمع القرن السابع. ولم يتمكن من تحقيق ذلك، لكنه أعاد الاقتصاد إلى الوراء مائة عام على الأقل، إن لم يكن أكثر من ذلك بكثير.

ثالثاً، سعى التقرير إلى تقديم بعض الاقتراحات المتواضعة لدعم التعافي المجدي للمنطقة. إن التوقعات بحدوث انفراج في الصراع المجدد في سوريا منخفضة للغاية بشكل عام. والاحتمال الأكثر ترجيحاً حتى الآن هو أن تبقى الأمور على ما هي عليه فيما يتعلق بالعلاقات مع دمشق وفي المصالح الجيوسياسية في المنطقة. وهذا الأمر يريح بشكل كبير إحدى المعضلات التي تواجه مجتمعات صنع وبناء السلام الدولية اليوم. لقد انتهت الحرب ضد داعش. ومع ذلك، وباستثناء إجراء الإصلاحات والمساعدات الإنسانية المباشرة، لم يتمكن الاقتصاد المحلي من التعافي. وبشكل أكثر وضوحاً، فإن المساعدة المنظمة والمنهجية في المجالات الثلاثة الأخرى المتضمنة التعليم والصحة العامة والصحة النفسية والعلاقات الجندرية (القائمة على النوع الاجتماعي) والتي سلط التقرير الضوء عليها تظل غائبة إلى حد كبير. وهذا لا يعني التقليل من جهود أولئك الذين يسعون إلى تقديم المساعدة في هذه المجالات، ولكن التحليل يشير إلى أنه في جميع المجالات ذات الصلة، لا يمكن القول بأن طبيعة تلك المساعدة هي هيكلية أو منهجية أو مستدامة. بعد مرور أربع سنوات على سقوط الباغوز، لا تزال المجتمعات الأكثر تضرراً بشكل مباشر من ويلات تنظيم داعش في هاوية الأزمة الاقتصادية إلى حد كبير، وأيضاً بدون الوسائل اللازمة لمعالجة إرث مضطهدهم.

إن محنة الناس في شمال شرق سوريا هي بمثابة توضيح مصور لأزمة صنع وبناء السلام. وعلى الرغم من هزيمة عدو مرعب ومروع مثل داعش، وبغض النظر عن الشرور التي حلت بالناس هناك، ظل المجتمع الدولي غير قادر على بذل جهود متضافرة ومستدامة لضمان التعافي الحقيقي ومنع العودة إلى الصراع.

إن الفشل في معالجة الضرر الذي لحق بالمجتمع بأسرع ما يمكن وبطريقة منهجية قدر الإمكان يسمح بكتابة المستقبل بشكل واضح للغاية سيجعلنا نرى عدداً لا يحصى من العائلات تعاني من إرث الصدمات النفسية والجسدية، مما يجعل احتمال التماسك الاجتماعي أكثر صعوبة من أي وقت مضى، كما أن الخلل الوظيفي الأسري والاجتماعي يكاد يكون أمراً مسلماً به. سوف نرى جيلاً من الأطفال مصابين بالندوب والصدمات، وفي بعض الحالات، يتم غسل أدمغتهم حتى يؤمنوا بإيديولوجية مشوهة وغريبة تماماً، مع تداعيات عميقة على المدى الطويل.

وفي حين يُنظر إلى الإدارة الذاتية على أنها ملتزمة جيداً بالمساواة الجندرية، إلا أن الانحدار الكارثي في معاملة النساء والفتيات في ظل داعش، المصحوب بعبادة الذكورة المسيئة بعنف، سوف يستغرق سنوات من الجهود المركزة للترجع عنه. يضاف إلى كل هذا الحقيقة التي يعتقدها معظم الخبراء، وهي أن داعش لم يختف تماماً. إن الخلايا النائمة والهجمات على سجن غويران في كانون الثاني / يناير 2022 والمؤشرات الأحدث في صيف 2023 على وجود تنظيم أكبر يشير إلى احتمالات عودة ظهور محدودة على الأقل.

وفي هذه الظروف، يمكن تقديم عدد قليل من المقترحات العملية:

- 1- ينبغي اعتماد نهج استراتيجي متجدد للتركيز على التعافي والقدرة على الصمود في ضوء المعلومات الواردة في هذا التقرير. يجب تشكيل فريق عمل متعدد التخصصات من قبل الإدارة الذاتية للتركيز على ثلاث مجالات: الصحة النفسية والدعم النفسي والاجتماعي (MHPSS)؛ التعليم؛ والقضايا المتعلقة بالجندر. وينبغي أن يتألف فريق العمل في المقام الأول من خبراء وقادة محليين، ولكن يجب أن يشمل أيضاً مساهمة الخبراء الدوليين والجهات المانحة.
- 2- يجب أن يضم فريق العمل الوكالات المحلية التي قامت بإعداد ومعلومات عن الضحايا والشهداء والناجين، والوفيات والخسائر والأضرار وأن يتشاور معها. يجب أن تحتل اهتمامات ومصالح الضحايا والناجين من عنف داعش مكاناً بارزاً في تطوير استراتيجية متجددة في المجالات الثلاثة المشار إليها.

أ. **الصحة النفسية والدعم النفسي والاجتماعي:** إن الأزمة المستمرة للصحة النفسية بما في ذلك المؤشرات على مستويات عالية للغاية من اضطراب ما بعد الصدمة ليست مفاجئة ولكن يجب معالجتها. إن الظواهر الخاصة بقسوة وعنف داعش من التشويه والتعذيب والإعدامات العلنية والصلب، والوحشية المستهلكة لمحاولات السيطرة ليس على السلوك فحسب، بل على الفكر، قد تركت أعماق الندوب. ويجب أن تكون الاستجابة لها محددة وإستراتيجية إذا أريد للأطفال والبالغين المتضررين أن تتاح لهم فرصة معقولة لبناء حياة صحية في السنوات القادمة. ويجب أن تركز الجهود على استعادة النواة الوظيفية فيما يتعلق بالبنية التحتية الصحية؛ تقديم المشورة وتدريب

المتخصصين في الرعاية الصحية، وتوفير الرعاية المنهجية التي تركز بشكل خاص على أفضل الممارسات المتعلقة باضطراب ما بعد الصدمة للبالغين والأطفال.

ب. **التعليم:** كان استهداف النظام التعليمي أولوية استراتيجية لداعش ونجح فيها. وستكون العواقب على المجتمعات المتضررة ممتدة على مدى الأجيال ما لم يتم تطوير برنامج تعافي محدد لمواجهة تحديات إرث داعش. ومرة أخرى، يعني هذا ضمان البنية التحتية الأساسية بالإضافة إلى توفير الموارد التعليمية. وبالمثل، تعرض العديد من المعلمين للترهيب أو الصدمة لدرجة أنه قد يكون من المستحسن وضع برنامج محدد يسعى إلى تقديم المشورة لهم واستعادة قدراتهم. يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمسألة الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي، وبعد ضمان استعادة المدارس كملاذات آمنة أساسية للتعليم والتطوير أمراً بالغ الأهمية للتعافي المحتمل للمنطقة ولبناء القدرة على الصمود واستعادة قيم التسامح والمصالحة بالفعل.

ج. **النساء والفتيات:** يجب تقييم ومعالجة تأثير داعش على النساء والفتيات. وتشير التقارير والإفادات والجلسات الجماعية إلى أن دور النساء والفتيات وخاصة في المناطق الريفية لا يزال بحاجة إلى الاهتمام. وبالمثل، في حين أن جميع أجزاء المجتمع - النساء والرجال والفتيات والفتيان - تعرضوا للترهيب والصدمة من قبل داعش وكذلك تأثروا بنهج داعش القمعي تجاه التعبير والأدوار الجنسانية، فإن التركيز بشكل خاص على تجريد النساء والفتيات من إنسانيتهم يتطلب استجابة استراتيجية مركزة لتلك الممارسات والظواهر. وفي الوقت نفسه، من الضروري أيضاً اتباع نهج تفصيلي لإزالة سموم عبادة الذكورة المسيئة بشكل عنيف.

3- المفقودون: لا تزال هناك أعداد كبيرة من الأشخاص في عداد المفقودين نتيجة احتلال داعش في جميع أنحاء المنطقة. كما أن هناك العديد من القبور المجهولة الهوية. على السلطات وضع استراتيجية مدعومة لمعرفة أكبر عدد ممكن من المفقودين، وتحديد أماكن وجودهم حيثما أمكن، وتوفير الدعم المناسب للناجين.

4- العدالة: لا يُنظر إلى هذا التقرير كبديل لجهود المساءلة. في أعقاب الفظائع الجماعية، أصبح من المقبول على نطاق واسع، وخاصة في الدول الغربية، أن العدالة والمساءلة قيمتان أساسيتان ضرورتان للدفاع عن حقوق الضحايا وكرامتهم، ولتأكيد القيم الاجتماعية التي تعرضت لهجوم عميق. إن الظروف السياسية في شمال شرق سوريا وفي البلدان الأصلية لمقاتلي داعش جعلت من المستحيل حتى الآن بذل جهد موثوق ومتضافر لرؤية المسؤولين عن الجرائم في شمال شرق سوريا أمام العدالة. وفي حين أبدت الإدارة الذاتية استعدادها لمحاكمة بعض الخاضعين لولايتها القضائية، إلا أنها تفتقر إلى البنية التحتية، ولكن الأهم من ذلك احتمال الاعتراف بأي إدانات في بلدان أجنبية. ويمثل العدد الكبير من المعتقلين الذكور استنزافاً وتهديداً. ولإثبات أن قيم العدالة والمساءلة تعتبر عالمية، لا سيما في ضوء الأعمال الشنيعة بشكل خاص، يجب على حكومات المحتجزين التعاون مع الإدارة الذاتية لحل هذا المأزق، وتسهيل عدد محدود على الأقل من المحاكمات لأولئك المسؤولين عن تلك الجرائم. الجرائم الخطيرة، والتوصل إلى اتفاق بشأن الاعتراف بالإدانات وأماكن السجن.

5- مخيم الهول: يتجلى إرث داعش بشكل واضح في المخيمات الواقعة في شمال شرق سوريا، وتحديدًا مخيم الهول، حيث يتم احتجاز عشرات الآلاف من الأشخاص، معظمهم من النساء والفتيات والفتيان، منذ سقوط "الخلافة". ومع حدوث أعمال عنف واستغلال منتظمة هناك، فضلاً عن التحريض المستمر من قبل مؤيدي داعش المتبقين، تظل المخيمات بمثابة كارثة إنسانية وتهديد أمني عميق. وينبغي مواصلة الجهود والإسراع بها لدعم عودة الأشخاص الموجودين في المخيمات حيثما أمكن ذلك.

هذا التقرير هو ثمرة جهد تعاوني بين المعهد الأوروبي للسلام ومبادرة دفاع الحقوقية :

المعهد الأوروبي للسلام: هو هيئة مستقلة تعمل مع مجموعة واسعة من الجهات الفاعلة المحلية والدولية، بما في ذلك الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة والحكومات الوطنية والهيئات الإقليمية والمجتمع المدني لتصميم وتنفيذ عمليات سلام مستدامة. يقدم المعهد الخبرة العملية والخبرة التقنية والمشورة في مجال السياسات المتعلقة بحل النزاعات. وينشط المعهد في أكثر من اثني عشر بلدا في مختلف مناطق العالم، بما في ذلك الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وشرق وجنوب شرق أوروبا.

مبادرة دفاع الحقوقية: هي منظمة غير ربحية مستقلة تأسست في عام 2019. تعمل على مراقبة وتوثيق انتهاكات حقوق الإنسان في شمال شرق سورية، ومشاركتها مع الآليات الدولية والإقليمية المسؤولة، وإعداد الدراسات والتقارير حول تأثير النزاع على المجتمعات المتأثرة به. تهدف مبادرة دفاع الحقوقية إلى دعم ضحايا انتهاكات حقوق الإنسان خلال النزاعات وفقاً للإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقيات جنيف. كما أن هذه الالتزامات تمتد لتشمل الامتثال لقوانين حقوق الإنسان الدولية.

